

عبد الوكيل عبد العزيز سبيح

.. ولما اذا الكون من سبيلنا؟!!

دار الاعتصام

مكتبة السلام



المفتدين

<http://al-maktabeh.com>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## من المنهج السماوى

- ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ، وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ؟ .. كَذَلِكَ زِينٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .
- ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي .. أَدْعُو إِلَى اللَّهِ — عَلَى بَصِيرَةٍ — أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي ... وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ !!! ﴾ .

## من الهدى النبوى

- « إِنَّمَا بَعَثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » .
- « إِنْ مِثْلِي وَمِثْلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمِثْلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لُبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسَ يَطُوفُونَ بِهِ ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ ، وَيَقُولُونَ : هَلَّا وَضَعْتَ هَذِهِ اللَّبْنَةَ ؟ فَأَنَا اللَّبْنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ » . رواه البخارى

★★★



# الإهداء

إلى كل مسلم ومسلمة — في العصر الحديث — والعصور المقبلة إلى يوم يرث الله الأرض ومن عليها ...

إلى المؤمنين الذين يدعون إلى الله على بصيرة أهدى هذا الكتاب . إلى خليفة الله في أرضه ... إلى من فضله الله على كثير من خلقه فاعتر ، وفتن بما علمه العليم الخبير — سبحانه — ... أهدى إليه هذا الكتاب ليستعمل عقله وفكره وقلبه وعلمه فيبتدى إلى خالقه ، ويؤمن برسول الإنسانية وهادى البشرية محمد — لله — فيفوز بسعادة الدارين « .. ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين .. ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون !!؟ ﴾ .. ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق .. أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد !!؟ ﴾ .

إلى كل شاب مسلم وكل شابة مسلمة ، ليعرف كل رسالته في هذا الوجود فيؤمن ويعمل ويدعو إلى الله على بصيرة .. ثم أهدى هذا الكتاب إلى روح أساتذتي وكل من تعلمت منهم علما نافعا وهداية ورشدا ثم إلى روح والدّي العزيزين — رحمهما الله — عسى أن يسكنهم جميعا فسيح جناته وأن يجمعنا بهم جميعا في مستقر رحمته .. آمين .

وأخص بالإهداء أولادى الأحبة — « أماني وعزة ومحمد وأحمد » — وعلى رأسهم والدتهم الفاضلة رفيقة الدرب والوفاء وأخت العقيدة — باعتبارهم إخوتي في الله والعقيدة — ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ عسى الله أن يجعلهم من جنود الدعوة إليه على بصيرة ، وثمرة من ثمار العمل الصالح وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

المؤلف

عبد العظيم عبد العزيز سبيع



## شكر وتقدير

وإني لمدين ببالغ الشكر لأولئك السادة الأماجد الذين طوقوا عنقي بجليل  
معاونتهم وتشجيعهم، وجميل تقريظهم وتقديرهم ، ونيل ثنائهم ، وحسن  
تسديدهم .

ولا أزال أحفظ بالإجلال والإكبار مالقيته في هذه المناسبة السعيدة من بعض  
الشخصيات التي لها وزن الرأي والنظر ، وأعتذر عن عدم نشر تقاريظهم والتنويه  
بفضلهم ، لحياذ في طبعي وضيق في طبع الكتاب .. وأسأل الله العفو والمغفرة لمن  
أساء الفهم وغلبه الهوى ، وأن يهدينا وإياهم سواء السبيل إنه هو أهل التقوى  
وأهل المغفرة .







## أمل ورجاء

فلكم هي محاولاتي وأهدافي .. فإذا كنت قد أصبتها فمن الله ﷻ وما بكم من  
نعمة فمن الله ﷻ .

وإن كانت الأخرى فمن نفسي وأستغفر الله .

ورجائي من كل قارئء اطلع على عيب أن يهديني إليه ؛ فالدين النصيحة  
والمسلمون بخير ماتعاونوا ، ونضر الله امرأ أهدى إلي عيوبي وما نجح سلفنا  
الراشد — وكانوا خير أمة أخرجت للناس — إلا بهذه الفضيلة .  
والله الهادي إلى سواء السبيل





## بين يدي الكتاب

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ، والصلاة والسلام على من أرسله ربه رحمة للعالمين ، صلاة وسلاما ينتظمان إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ، ومحبيه من أمته أجمعين .  
أما بعد :

فهذا كتاب (ولماذا أكون مسلماً) كتبت في ضوء ما لمست من حاجات طلاب جامعة البترول والمعادن عبر لقاءات أعوام أربعة (١) في حلقات دينية وندوات روحية في مجالس الإيمان وعلى مائدة القرآن — خارج الدوام الرسمي — في مساجد السكن بالمدينة الجامعية ؛ حيث الحرية الكاملة لديهم في الحضور أو عدمه ، وحيث الدوافع الشخصية التي لا تحركها الاختبارات ولا تجذبها الدرجات إلى غير ذلك من الأمور النظامية التي تقتضيها الدراسة الجامعية ؛ فقد تبينت احتياجات طلاب هذه المرحلة إلى ملء الفراغات الدينية والفكرية وحل المشكلات التي تعترضهم ؛ نتيجة الاحتكاك الفكري المعاصر — قراءة ومشاهدة واستماعا — وحصيلة للغزو الفكري — الغربي والشرقي على حد سواء ... !

ولما كان لي شرف التوجيه الديني ، وتدريس مادة الثقافة الإسلامية لطلاب الجامعة (٢) مادة أساسية منهجية ولأول مرة في تاريخ الجامعات في المملكة — فضلا عن غيرها — وليت جامعات عالمنا الإسلامي تحذو حذوها وتقتفى أثرها .. !!

ولما كان المنهج المقرر هو « مدخل العقيدة الإسلامية » رأيت من أمانة التوجيه وأهداف التدريس :

(١) وكانت آنذاك كلية .

(٢) صارت الكلية جامعة في الخامس من محرم ١٣٩٥ هـ الموافق ١٧ من يناير ١٩٧٥ م .

أن أوضح في هذه المقدمة للشباب (١) — وهم عماد الأمة — رسالتهم في هذه الحياة الفانية — كبشر .. ومسلمين .. ليكون فهم هذه الرسالة مدخلا لعقيدهم الخالدة ، وطريقا إلى الله (٢) ومنطلقا للحياة الخالدة في جنات عرضها السموات والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله .

وذلك في سلسلة محاضرات نظامية ألتمز فيها — إن شاء الله — بمنهج البحث العلمي ، مراعاة للبرنامج الزمني وطبيعة الدراسة الجامعية .

وتكون بأيدي الطلاب كخلاصة مركزه تعميما للنفع وشمولا للفائدة ، وبالله التوفيق — مع لفت أنظار الطلاب إلى المكتبة العامة بالجامعة والمكتبات الخاصة بمسجد الجامعة ومساجد السكن وما بها من مراجع قديمة وحديثة وما تشهد به أقلام المستشرقين — والفضل ماشهدت به الأعداء — وما يظهر في الأسواق من كتب حديثة للكتاب المسلمين المحدثين المؤمنين ومحاولة تكوين مكتبة إسلامية خاصة .

ثم في ختام المحاضرات أزرجى بعض الآداب الإسلامية والسلوكية الاجتماعية التي ترمى عليها الرعيل الأول في المدرسة المحمدية ، لتكون مثلا يحتذيه المسلم . والله أسأل يحقق الآمال ، ويدلل الصعاب ، ويسدد الخطأ ، وأن يجعلنا من الذين يقولون فيعملون ومن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه — اللهم اجعلني خيرا مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون .

ولهذا جعلت الكتاب في جزئين يشملان أربعة أبواب وخاتمة .

الجزء الأول — رسالة المسلم

الباب الأول : الثقافة والمدنية

الفصل الأول : الثقافة الإسلامية وعلوم « التقنية »

الفصل الثاني : الإسلام والمدنية

(١) فية وفيات لأن الفتى مسئول عن تكوين البيت المسلم وتبليغ الدعوة ، والبنت صنوه تماما « إنما النساء شقائق الرجال » راجع كتاب : المرأة بين الفقه والقانون للدكتور مصطفى السباعي رحمه الله والحجاب لأبي الأعلى المودودي والمرأة بين البيت والمجتمع للبي الخولي .

(٢) راجع كتاب « الطريق إلى الله » للدكتور تقي الدين الهلالي وفصل « هذا هو الطريق » من كتاب معالم في الطريق للشهيد سيد قطب .

الباب الثاني : أيها المسلم .. هذه رسالتك وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : العقيدة الإسلامية

الفصل الثاني : مع الأحاد والملحدين

الفصل الثالث : المعجزات

الجزء الثاني — رسالة المسلمة

الباب الثالث : أيتها المسلمة .. هذه رسالتك وفيه أربعة فصول

الفصل الأول : المرأة في الجاهلية الأولى

الفصل الثاني : المرأة في الإسلام

الفصل الثالث : المرأة في جاهلية العصر الحديث

الفصل الرابع : لقد آن الأوان

الباب الرابع : حقائق موثقة وفيه أربعة فصول

الفصل الأول : مدرسة الرسول عليه الصلاة والسلام

لفصل الثاني : هؤلاء وهؤلاء

الفصل الثالث : صفحات مضيئة من تراث الإسلام

الفصل الرابع : وأنتم معقد الأمل يا شباب

الخاتمة

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

كثيرا . والحمد لله رب العالمين .

المؤلف

عبد العظيم عبد العزيز سبيع



## تَقَرَّرَتَا

أيها الأخ المسلم ، إنك مطالب بأن تدعو إلى الله ييقين ثابت وإيمان راسخ يذيب شكوك المرتابين ويبدد ترهات الجاحدين ، فيستطيع المسلم المؤمن أن يرد على أسئلة الماكزين أو الجاهلين من أين جئت ؟ ولماذا خلقت ؟ وإلى أين مصيرى ؟

وكما قال الأولون : إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا إلا الدهر ﴿ وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر .. ﴾ (١)

وقال المُحدَثون :

جئت .. لأعلم من أين ؟ .. ولكنى أتيت  
ولقد أبصرت قدامي طريقاً .. فمشيت .  
وسأبقى ماشياً إن شئت هذا أم أبيت  
كيف جئت كيف أبصرت طريقي  
لست أدري ..

وهذا المخبول هو الذى يقول بعد ذلك .  
نسى الطين ساعة أنه طين

وسنلمح إلى ذلك فى ثنايا أحاديثنا فى مباحث العقيدة — إن شاء الله —  
فاذا عرفت أخى المسلم [ (١) أنك ترابى الأصل نفخ فىك ربك من روحه  
(٢) وأنت لم تخلق عبثاً (٣) وأن إلى ربك الرجعى ] أصبحت عقيدتك ربانية هي  
« الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر والقدر خيره وشره  
حلوه ومره من الله تعالى » .

وأصبحت ذا رسالة — لها تحيا وعليها تموت وعليها تبعث — إن شاء الله — هاتفا  
﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين .. لا شريك له وبذلك  
أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ .

أخى المسلم : هذا ما أرجو أن أوفق إلى توضيحه وتعميقه مدعما بالأدلة  
النقلية والعقلية وواقع الحياة .. وعليك بالتطبيق العملي — بقدر الإمكان — لما  
درسناه نظريا ، متخلفين بأخلاق رسول الله ﷺ سالكين درب  
صحابته — رضوان الله عليهم؛ لتؤتي المحاضرات النظرية ثمارها وتحقق الهدف  
المنشود منها والذي رجاه المسؤولون من جعل الثقافة الإسلامية مادة أساسية في  
الجامعات حتى شملت الكليات العلمية ..

وبهذا تكون هذه الحلقة مدخلا إلى الحلقات التالية : نظام المجتمع — ثم  
المنهج — مدخل القرآن والسنة ثم إسهام الفكر الإسلامي في الحضارة الحديثة ..  
ثم العالم الإسلامي المعاصر .. الخ .

وبهذا يكون الطالب قد اكتملت صورة العقيدة الإسلامية في ذهنه وخالطت  
شغاف قلبه ، وأصبح مطمئن القلب قوى الحججة يستطيع أن يرد كيد الملحددين ،  
ويفضح زيف المبطلين ويدعو إلى الله على بصيرة ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله  
على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ .

فكتابنا هو أول الحلقات وعسى الله أن يوفقني إلى تغطية الحلقات الأخرى في  
كتب مماثلة ليكتمل العقد وبالله التوفيق .

﴿ ربنا هبنا لنا من أمرنا رشداً ﴾ . ﴿ ربنا لاترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا  
وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ .

« سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله  
رب العالمين » .



الجزء الأول

أيها الأخ المسلم هذه رسالتك

الباب الأول

الثقافة والمدنية



المهتدين



# الفصل الأول

## الثقافة الإسلامية وعلوم التقنية

- — مفهوم الثقافة
- — الإسلام والثقافة
- — خطأ مشهور وصواب مهجور
- — علوم التقنية محراب للإيمان
- — الثقافة الإسلامية وطالب الجامعة
- — العقل المسلم في مواجهة التيارات الفكرية
- — ثقافة الإسلام رائدة



## مفهوم الثقافة

تمهيد :

أيها الإخوة الأحباب :

كان لابد أن تدركوا أهمية الثقافة — بعامة — والثقافة الإسلامية — بخاصة — وأهمية الأخيرة لطالب الجامعة — بصفة أخص — لتتقنوا من أهمية رسالتكم في هذه الحياة ، فتتحمسوا لها ، وتعملوا من أجلها بمقدار وعيكم لها ، فتتفننوا في إنجاحها ؛ .. إذ أى سلوك وليد من الرغبة في سدّ حاجة غريزة ما ، ثم الانفعال بهذه الرغبة فالافتناع بضرورتها فالتفنن في الوسيلة إليها ، فالسلوك ، فالوصول إلى الغاية ..

فحبذا لو اتخذ المسلم لدعوته طريق الاندفاع إلى تحقيق الهدف الأخرى الباقي بنفس الاندفاع لتحقيق أهدافه الدنيوية الفانية .. بنفس القوة بنفس الرغبة بنفس الاندفاع !!!

ولكنها النفس البشرية ﴿ ونفس وما سواها فألهاما فجورها وتقواها .. قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دساها ... ﴾ (١)

مفهوم الثقافة :

.. وكلمة « ثقافة » من ثقّف؛ ذات معانٍ متعددة ؛ إذ بالرجوع إلى قواميس اللغة (٢) نجدها بمعنى الحذق والمهارة وسرعة التعلم أو التهذيب والتشذيب والصقل والتعليم من ثقّف تثقيفاً .

وفي المفهوم الاصطلاحي الحديث : خلاصة التجارب الشخصية — فردية

(١) الآيات من ٦ — ١٠ من سورة الشمس .

(٢) قديما وحديثا ودوائر المعارف .

أو جماعية — المكتسبة — قراءة أو مشاهدة أو استماعاً أو ممارسة .. الخ .  
أو هي — بعبارة أوضح — اكتساب خبرات وانعكاس حضارات ، تفاعل  
إنساني وانفعال سلوكي يمنح الفرد أو المجموع طابعاً مميزاً ، ونمطاً معيناً من السلوك  
في شتى مجالات الحياة .

وبذلك يظهر الفرق الدقيق بينها وبين العلم ؛ إذ هو اكتساب معلومات فقط  
في فرع أو فروع من العلم \* وسوف يظهر الفرق واضحاً جلياً عند الحديث  
عن الإسلام والثقافة عند الحديث عن العقل المسلم في مواجهة التيارات الفكرية .  
ثم عند حديثنا عن المرأة والغزو العثماني .

وخلاصة ذلك : أن العلوم ليس لها صبغة إقليمية فليست هناك كيمياء  
إنجليزية وأخرى أمريكية ... الخ .

وإنما هناك ثقافة إسلامية وثقافة ماركسية وثقافة صهيونية وثقافة  
صليبية .. الخ .

وهي — في رأينا — تعنى مقام به الإنسان في ( الآداب والعلوم والفنون )  
والمستوى الفعلي الذي وصل إليه — على العموم — وحينما نتعرض للثقافة  
الإسلامية — بالذات — نقصد بها : أنواع المعرفة التي أنشأها المسلمون إنشأً ،  
أو أدخلوها من أو على الحضارات السابقة .

## الإسلام والثقافة

وإسلام حينما أراد الله — سبحانه — أن يهدي به البشرية إلى الخير ، ويخرجها  
من ظلام الجهل إلى نور المعرفة ، وينتشلها من وهدة الفساد الاجتماعي ، والتردي  
العقدي في مهوي الرذيلة ، والنكوص السلوكي .. حينما أراد الله ذلك ، ثقف  
محمدًا — ﷺ — فهدبه وعلمه ، وأدبه فأحسن تأديبه ، حيث كان ولا بد من  
صقله — كمعلم — وتثقيفه — كرائد — لأن فاقد الشيء لا يعطيه .. وكان لابد  
من تغيير مفاهيمه العربية عن الجاهلية الإقليمية — التي نشأ في بيئتها (1) — إلى  
مفاهيم إنسانية عامة ، تتسامى فوق الفردية والعصبية وتسمو على عبية الجاهلية

(1) محوطاً بعناية الله حتى لا يتدنس بدنسها .

والإلحادية والشرك بالله ، والفرقة العنصرية .. الخ (١) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا .. إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ .. إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٢) .

وصدق الرسول الكريم والمعلم العظيم « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى . كلكم لآدم و آدم من تراب — أو كما قال .

فابتدأ تثقيفه بالرعي « وما من نبي إلا ورعى الغنم » ثم التجارة ، ثم التبعيد في غار حراء — على دين إمام التوحيد وأبي الانبياء إبراهيم الخليل حتى نزل عليه من أوائل التنزيل ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ : قم الليل إلا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . أورد عليه ، ورتل القرآن ترتيلا ... ﴾ (٣) .

لماذا ؟ .. ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (٣)

إعداد رباني للرسالة . للقيادة ، للهداية ، للإرشاد ...

فكان سلوكه — ﷺ — لافتا لأنظار مجتمعه حتى إذا جاءهم بالثقافة الجديدة اقتنع بها العقلاء — غير المتعصين — وصدقوه — وهو الصادق الأمين ﴿ سَنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لَسْتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ (٤) .. وإلا فقد كان بإمكان الحق تبارك وتعالى — أن ينزل قرآنا على وسادة كل إنسان ليقرأه ويعمل بما فيه .. ولكن قد تقوم حجة الأغبياء أو المتغايين .. إنها القدوة الصالحة إنها الانفعال والتفاعل .. ﴿ لثَلَا يُكُونُ النَّاسُ عَلَى اللَّهِ حِجَّةَ بَعْدَ الرُّسُلِ ... ﴾ (٥) هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوه عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة .. وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴿ (٦)

(١) وهذا نستطيع أن نقول بأن محمدا ﷺ كان مثقفا — وإن كان أميا — هو الأمي لم يقرأ كتابا . فعلم قارئين و كاتبينا فواعجا لقوم كذبوه ألم يك بينهم يدعى أمينا !! .

(٢) الحجرات ١٣ . ويراجع تفسير الآيات في ظلال القرآن .

(٣) المزمل .. يراجع سبب النزول .

(٤) الإسراء ٧٧ .

(٥) النساء ١٦٥ .

(٦) الجمعة ٢ .

دستور إلهي .. منهج حياة ... بتعبير العصر الحديث — إن صحت الاستعارة — « كتالوج » لتشغيل وصيانة الإنسان — صنعه الصانع المبدع الحكيم — جل جلاله — ﴿ **وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى** ﴾ نظام رباني من خالق الخلق للخلق لتذويب الفوارق الطائفية واللونية الأرضية وسحق للسيادة العنصرية وردع الاستعلاء المادى المستبد ... الخ ماسيجيء تفصيله بعد — إن شاء الله — وإقامة ميزان واحد سماوى ﴿ **إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَامَ** ﴾ فلما أصبح المعلم — ﷺ — أهلاً لأن يعلم ويثقف ويصقل غيره أمر بالتبليغ — سرا ثم جهراً — كما أمره الحق — تبارك وتعالى — وعندما يصدق المعلم ويحسن التلقى تؤتي الثقافة قطوفها الدانية .

وهذا ماحدث ... انتشرت ثقافة الإسلام وتفتياً المجتمع الدولى ظلالتها — على اختلاف ألسنتهم وألوانهم — بعدما رأوا ذلك حقيقة واقعة في مجتمع المدينة المنورة ..

وكثر المعلمون وصاروا من رعاة الغنم إلى رعاة أُمم ، وتجابوب المتعلمون ، وأصبح للإسلام حضارة ، وللمسلمين ثقافة — والحمد لله رب العالمين .

### خطأ مشهور وصواب مهجور :

وَقَرَّ في أذهان كثير من العامة — بل من المتعلمين — أن العلم نوعان علوم دين وعلوم دنيا .. وهذا خطأ مشهور نشأ عندما انفصلت الكنيسة عن الدولة وأصبح في المجتمعات غير الإسلامية رجال دين ورجال دولة وصكوك غفران ، وما إلى ذلك من خزعبلات وأباطيل وترهات ماأنزل الله بها من سلطان (١) — وتسرب ذلك إلى السواد الأعظم من المسلمين — في فترة الركود العلمي — على حين أن الإسلام لايعترف بهذا التقسيم إلا من قبيل التقسيم المنهجي ؛ فالدين ليس وقفا على أحد والعلم ليس ملكا لاحد والإسلام كل متكامل ، وجسم متماسك ، فهو دين ودولة ، مصحف وسيف ، قيادة وعبادة ، عقيدة وعمل للدنيا والآخرة (٢) — كما سنوضح ذلك في باب أيها المسلم : هذر سالتك- إن شاء الله .

(١) راجع في ذلك محاضرة روح الحضارة الغربية للأستاذ محمد أسد . وما كتبناه في « حاضِر العالم الإسلامي » .

(٢) راجع في ذلك كتب الإسلام عقيدة وشريعة للمرحوم الشيخ شاتوت ، نظام الإسلام — العقيدة والعبادة للشيخ محمد المبارك والإيمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوى ، الإسلام وبناء المجتمع للدكتور أحمد العسال . وقد استملوا — كلهم — هذه التعبيرات من إمام الدعوة في العصر الحديث الشهيد حسن البنا — رحمه الله .



أما الصواب المهجور — أخى المسلم — فهو أن الإسلام يدعو إلى العلم  
 أيا كان نوعه وصدق رسول الله — ﷺ — : « لا طلعت عليّ شمس يوم لم أزد  
 فيه علما » (١) ولم يحدد نوع العلم .. والدنيا معبر وممر إلى الآخرة ، فكل ما يقيم  
 شؤون الحياة الطيبة الطاهرة فالإسلام يدعو إليه — على أنه دين — لأنك أمين  
 على صيانة هذه النفس التي بين جنبيك ﴿ ... ولا تلقوا بأيديكم إلى  
 التهلكة ... ﴾ (٢)

﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن  
 كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ (٣)  
 ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ، إن الله كان بكم رحيما ﴾ (٤) .  
 وبالمثال يتضح المقال :

حياة الإنسان تقوم على صحة بدنه ونفسه وعقله لبقاء نوعه فلا تكون حياته  
 الدنيا سعيدة إلا إذا تمتع جسمه بمباهجها التي أحلها الله ؛ فالحياة المادية تسخر  
 كل شيء لإشباع غرائز هذا الجسم والمحافظة على الجنس البشري ، فيزرع  
 ويستنبت ويتفنن لصنع ما يشرب ثم يعالج أمراضه فيستطب ويتعلم ويخترع ويبني  
 مسكنه ، ويصنع ملابسه ، ويعبد طريقه .. الخ  
 مما يقيم الحياة — براً وجواً وبحرا .

ثم هو بغريزته — يجب أن يسيطر ويدفع الأذى عن نفسه ؛ فيتعلم علوم

(١) هكذا حفظت الحديث مشافهة من أساتذتي وفي كتاب الأحاديث الضعيفة للشيخ ناصر الدين  
 الألباني م / ١ ج ٤ المجلد الأول الجزء الرابع ( إذا أتى علي يوم لا أزد في علمي يقربني إلى الله تعالى فلا بورك  
 لي في طلوع همس ذلك اليوم ) وقال بأنه موضوع مع إقرار السيوطي وابن الجوزي على وضعه فقد أورده  
 أيضا في الجامع الصغير من رواية الطبراني وابن عدي وأبي نعيم في الحلية عن عائشة . ص ٦٦ ، ٦٧ من  
 كتاب الأحاديث الضعيفة م ج ١ / ٤ وقال أبو نعيم غريب من حديث الزهري تفرد به الحكم بن عبد الله  
 عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عائشة مرفوعا .

(٢) البقرة ١٩٥ .

(٣) القصص ٧٧ .

(٤) أخى المسلم : أنت مطالب بالنظر في كتاب الله فاكتسب الأجر واجتث عن الآية وتفسيرها في الظلال  
 أو بن كثير أو غيرها وجزاك الله خيرا — واتعب قليلا لتحسن بلذة العلم والله يراك . ولا تنس « المعجم  
 المفهرس لألفاظ القرآن .

الحرب هجوما ودفاعا ، ويدفع عن نفسه غوائل الطبيعة ، فينقب ويكتشف ويخترع .. ويتاجر .. الخ . والإسلام أيها الإخوة يقف من كل هذا موقف المعلم المنظم الهادى إلى خير الطرق وأرشدنا - في ضوء منهاج النبي ﷺ - وفي حدود الفطرة السليمة « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » (١) .

﴿ وهو الذى سخر لكم البحر ، لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله لعلمكم تشكرون ﴾ .

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل .. ﴾ .  
﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾ .

والقرآن الكريم زاخر بالآيات الداعية إلى تسيير الحياة وعمارة الأرض .  
﴿ ... أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها .. ﴾ أى طلب إليكم عمارتها ويسر لكم سبلها .

كل ما يقيم عمارة الأرض من زراعة وصناعة وفلك وطب وهندسة ومعاملات ، وما يقيم حياة النفس والروح من عبادات وتوحيد .. الخ . يدعو إليه الإسلام ويحث عليه سواء بسواء كالصلاة والزكاة والحج والجهاد ... الخ .

« أرايم لو أن نهرا يباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى ذلك من درنه شيئا ؟ قالوا لا يارسول الله - قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » أو كما قال : أليست النظافة من علوم الصحة ؟ والصحة النفسية أليست من علوم الطب ؟ اقرءوا قول رسول الله - ﷺ - لبلال في شأن الصلاة : « أرحنا بها يا بلال » ففي الصلاة قرة للعين وراحة للنفس وطمأنينة للقلب : ﴿ ألا بذكر الله تظمئن القلوب ﴾ .  
« أرحنا بها .. لا أرحنا منها ... » .

فما كان له صلة بالزراعة سمي علم الزراعة ، وبالطب علم الطب وكذا الهندسة والفلك .. الخ .. وما كان له صلة بالقرآن سمي تفسيرا أو مجويدا .. وما كان له صلة بالسنة سمي حديثا أو سنة أو سيرة وما كان له صلة بالعبادات سمي فقها .. وهكذا .. فالدين يدعو إلى كل ذلك ويسميه علما .

(١)-أخى المسلم راجع : المعجم المفهرس .

ونحن نريد بذلك العرض السريع أن نغمو من الأذهان رجل الدين ورجل السياسة ورجل الشارع .. الخ . وعلوم دين وعلوم دنيا « اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد » العلم بكافة فروعه فلو كانت في الوجود معلومة لم يعلمها المسلمون بكفاية تسد حاجتهم أموا جميعا وان تعلمها البعض الكافي سقط الإثم عن الباقيين . وأعيد على كل مسامعكم حديث رسول الله ﷺ — « لا طلعت علي شمس يوم لم أزد فيه علما » أو كما قال وقد مررنا بتحقيقه سابقا فهو صحيح في معناه .

وكتاب الله الحكيم مليء بالإشارات العلمية .. أقول إشارات علمية وبعبارة أدق : إشارات غيبية لحقائق علمية — كما سنوضح ذلك في إعجاز القرآن العلمي — إن شاء الله — حتى نفتلح من أذهان بعض البسطاء أو السطحيين من العلماء الذين يخطعون بقولهم : إن القرآن كتاب علوم .. فتقرأ فيه إشارات عن الطب والهندسة والفلك والأجنة والنفس والجو والبحار والأنهار والفيزياء والجيوفيزياء والجيولوجيا ؛ والاجتماع .. الخ ...

أقول : إشارات إعجازية متجددة لإثبات إعجاز القرآن إلى قيام الساعة حتى « علوم الشر » لو تعلمتها لتدفع بها الأذى عن نفسك أو عن دينك أو وطنك الإسلامي وأمتك الإسلامية كان ذلك علم دين ، « فالشر يعرف ليقتفى والخير يعرف ليؤتى » وصدق الفاروق عمر — رضى الله عنه — « يجب أن يعرف الشر كما يعرف الخير ، لأن الذى لايعرف الشر أحرى أن يقع فيه » (١) وقال في هذا المعنى أيضا : « ما عرف الإسلام من لم يعرف الجاهلية » وروي عن حذيفة — رضى الله عنه — قال : كان الناس يسألون عن الخير ، وكنت أسأل عن الشر ؛ مخافة أن أقع فيه قلت يارسول الله : لقد كنا في جاهلية وشر .. وبعثك الله بالخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ « فقال نعم » ... فقلت هل بعد هذا الشر خير ؟ قال : نعم وفيه دَخَلٌ . فقلت : وما دَخَلُهُ ؟ قال : « أناس يبتدون بغير سنتي ؛ تعرف منهم وتتكبر » !!! فقلت فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم « دعاة على أبواب جهنم .. من أجاهم إليها قذفوه فيها » .. ! فقلت : صفهم لنا .. فقال : « هم من جلدتنا ، ويتكلمون

(١) ص ٥٢ من كتاب عبقرية عمر للعقاد — وراجع أيضا ص ٢٥٠ من نفس الكتاب .

بألسنتنا .. وقلت : ماتأمرني إن أدركتهم ؟ قال : « اعتزل هذه الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى تموت على ذلك خير لك » .  
ألم يقل الرسول الكريم — ﷺ — : « إن في المعارض مندوحةً عن الكذب » ؟

وقد سأل رجلا — في بدر — عن غير قريش .. فقال : لا حتى تخبروني من أين أنتم ؟ فقال المصطفى ﷺ ﴿ نحن من ماء ﴾ فأخبره الرجل . ولما انصرف تعجب من غباء نفسه : من ماء ؟ أي ماء ؟

ألم يحك القرآن الكريم عن إبراهيم الخليل ﴿ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ﴾ ؟ ..

● ألم يقل علي — رضى الله عنه — لعمر بن ود : « إني لا أقاتل اثنين » ؟ في غزوة الخندق !!!؟

والقصة ستذكر إن شاء الله — في باب « المجتمع المثالي في ظلال الإسلام » آ فصل « من أمجاد تاريخنا » تحت عنوان ولا أبا حسن لها وقصة الحُباب بن المنذر في بدر مع رسول الله — ﷺ — بقاء مشهورة أهذا منزل أنزلكه الله ؟ أم هي الحرب والمكيدة — قال : هي الحرب والمكيدة فقال الحباب : ليس هذا بمنزل ... الخ القصة .

وقصة نعيم بن مسعود — رضى الله عنهم أجمعين — لما قال له رسول الله — ﷺ — في غزوة الأحزاب « خذل عنا بنى يهود » فأوقع بينهم وبين قريش .. ﴿ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا ... ﴾

والمقام يضيق عن الحصر وضرب الأمثلة .. فقس على ذلك كل شعور الحياة ، وما يقيمها من علوم ومعارف تجد الإسلام يحث عليها ويدعو إليها على أنها من صلب الدين ، والدين هو الحياة .. بل الحياة بدون الدين موات ﴿ .. أو من كان مينا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ؟ كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ﴾ .

وطريق تلکم المعارف وهاته الثقافة : الكتاب والسنة ومصدر هذه الأوامر وتلكم النواهي ، وتنظيم كل أولئك هو منهج الله ، هو القرآن والسنة .

## أيها الإخوة الأحباب :

مبلغ علمي أن الرؤية قد اتضحت تماما لكل ذى عينين ، وذى أذنين ، وذى قلب سليم ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ وأصبح جلياً أن الخطأ المشهور هو فصل علوم الدنيا عن علوم الدين وجعلهما ضرتين متنافرتين ؛ حتى يطالب كثير من الجهلة والسفهاء بتسحية الدين من طريق العلم — كما سنوضحه في باب « أزمة المثقفين » — إن شاء الله — وأن الصواب المهجور كل العلوم من الدين . والفرق في الفروع لاغير ، وأنتم تعلمون أن العلم سلاح ذو حدين يستعمل في الخير والشر ، ولا يدفعه إلى الخير إلا التوحيد .. وهنا مكمن أهمية الثقافة الإسلامية لطلاب الجامعة — بعامه — والكليات العملية — بخاصة — كما سنوضحه بعد قليل — إن شاء الله .

ورب قائل يقول : إذا كان ذلك كذلك فلماذا قال المصطفى ﷺ — في حادث تأبير النخل — أنتم أعلم بأمر دنياكم ؟ .. ألا يوحي ذلك بالتقسيم ؟ (١) .

شبهة واردة .. ولكنها تزول عندما يفهم مغزى مقالة النبي — عليه السلام — ؛ فهناك أمور تتوقف على الوحي وخبر السماء — كعدد ركعات الصلاة — مثلاً ونصاب الزكاة ، ونواقض الوضوء ، .. إلى غير ذلك من الأحكام .

وهناك أمور تحتاج إلى المحاولة والتجربة — كتأبير النخل ، كتنظيم المعارك الحربية وأمور الزراعة والصناعة والتجارة والطب .. إلخ — فالممارسة والخطأ والصواب في هذه المجالات يؤدي إلى تحسين المستوى ويدعو إلى التأمل ويوصل إلى معرفة الله وتوحيده كما سنبين في « علوم التقنية محراب للإيمان » . « وللمجتهد إن أصاب أجران ، وإن أخطأ له أجر » والدين يأمر بالاجتهاد ولذلك لم ينزل الوحي ليصح خطأ رسول الله ﷺ في تأبير النخل كما نزل في أمر أسرى بدر — وحادثة ابن أم مكتوم ، وتحريمه العسل أو مارية على نفسه .. إلخ . والمتأمل — في غير تعصب — بنور الله ينقدح في عقله هذا الفهم ولا يزيغ قلبه ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً »

(١) راجع كتاب معالم في الطريق للشهيد سيد قطب — فصل التصور الإسلامي والثقافة .

كأنما يَصْعَدُ في السماء .. كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴿ .  
 فلنصحح — نحن المسلمين — مفاهيمنا ، ولست مع من يقول : الخطأ  
 المشهور أولى من الصواب المهجور ﴿ .. أفمن يهتدي إلى الحق أحق أن  
 يتبع .. ﴿ « والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها » .

### علوم التقنية محراب للإيمان :

أجل .. إن علوم التقنية محراب للإيمان ... وهكذا يجب أن تكون .. وهكذا  
 فهمها علماءنا الأبرار وأسلافنا الأبطال .. ففهموا أن علوم الطب والفلك والهندسة  
 والجبر والمقابلة .. الخ .. أنها هي الطريق إلى الله فابن سينا وابن رشد وابن الهيثم  
 والفارابي والخوارزمي — وغيرهم كثير — وسيأتي طرف من سيرتهم عند الحديث  
 عن شهادة الأجانب غير المسلمين لعلمائنا الأفاضل بأنهم عمد الحضارة الغربية  
 الحديثة والأوربية ؛ فقد نسجوا على منوالهم وأشعلوا شموعهم من قباديلهم ...  
 وقليل من علماء الغرب فهموا أن علوم التقنية محراب للإيمان .. بل الإيمان يدعو  
 إلى التقنية (١) فالدين الحق يدعو إلى العلم الحق والعلم الحق يدعو إلى الدين  
 الحق .. « وصدق الله العظيم » ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى  
 يتبين لهم أنه الحق .. أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴿ !!!؟؟ .

فالمخترعون والباحثون والمكتشفون من علماء الكون هم أقرب الناس إلى إدراك  
 حقيقة وجود خالقهم وربوبية مَنْ علم الإنسان مالم يعلم ، أو هكذا يجب أن  
 يكونوا ؛ لأنهم أشد الناس انفعالا بأسرار قدرة الله في الكون المخلوق لله — وهم  
 جزء من هذا الكون — فالأطباء — مثلا — وعلماء الأجنة تظهر أمام أعينهم قدرة  
 الله الخلاقة في تكوين الجنين وحياته داخل المشيمة .

﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار  
 مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة

(١) اقرأ محاضرة معالي الدكتور بكر عبد الله بن بكر مدير جامعة البترول والمعادن التي ألقاها في مقر رابطة  
 العالم الإسلامي بعنوان « الطريق إلى التقنية » .

عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ﴿ ... وأوصيك — أخی المسلم — أن تقرأ تفسير هذه الآيات في ظلال القرآن حتى تستطيع أن ترد على المبهورين بنظرية الكافر يهودي الاتجاه (١) صهيوني الثقافة ( داروين ) والمغفلين ممن صدقوا نظرية التطور والنشوء والارتقاء (٢) .. ثم قف طويلا عند قوله تعالى : ﴿ ثم خلقنا .. ثم أنشأناه خلقا آخر ﴾ ، إذن الخلق هو الإبداع على غير مثال سابق أو هو الإيجاد من العدم .  
ورد سريع على هامش النظرية — إذ المجال ليس مجال مناقشتها —

لماذا لم يتطور القرد الموجود حاليا ؟ .. وماذا كان القرد قبل ذلك ! هل كان فأرا ؟ ثم لماذا لم يتطور الإنسان ؟ .. علامات استفهام ينبغي على كل مخدوع بكل نظرية جديدة ولو كانت خرافية ، أو خيرا عقليا أو جهلا علميا يجب أن يقف الإنسان طويلا . وهل رأى أحد منكم أن البطيخ تطور إلى تفاح ؟ أو الليمون إلى كمثرى ؟ ..

على كل حال من شاء أن يكون قردا أو خنزيرا أو حمارا فليكن كما يروق له من غير أن يتبع طريقة اليهود الذين يخلعون كل وصف دنيء يُوصفون به على غيرهم من البشر ، ليتبرعوا من هذه الوصمة .. وهو مايسمونه في علم النفس الحديث بـ «علة الاسقاط» فحينما ذكروهم الحق — تبارك وتعالى — في كتابه العزيز بقوله : ﴿ ولقد علمم الذين اعتدلوا منكم في الست فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ... ﴾ وقوله ﴿ .. وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل ﴾ خرج من ذريتهم من يقول (٣) بنظرية التطور وأن الإنسان أصله قرد ، ليخلع على البشرية صفة القردية التي وصموا بها . في قرآن خالد يتلى إلى يوم القيامة

ولما وصفهم — سبحانه — بقوله ﴿ ... ضريت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ﴾ قالوا ما حكاه القرآن عنهم ﴿ وقالوا لن تمسنا النار

(١) وإن كان إنجليزي المولد نصراني الديانة .

(٢) من أمثال مصطفى محمود في شطحاته — وإن كان أخيرا بدأ يتخلص من هذه الأفكار .

(٣) منتهزين فرصة إعلان « داروين » نظريته ثم تبناوا إذاعتها وترويجها لأنها تخدم قضيتهم .

إلا أياما معدودة .. قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون  
على الله مالا تعلمون ﴿ . وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ..  
قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر من خلق ﴿ .

وهكذا حينما وصفهم بالحَمِيرِيَّة في قوله ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم  
لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ... ﴿ قالوا في تلمودهم : إن الأميين (١)  
خلقهم الله حميرا ليركبهم اليهود ...

ويحكي التاريخ أن مختصر — لما استعمرهم عذبهم ونكل بهم ....

وزيادة في تحقيرهم أمرهم بإطالة شعورهم وسوالفهم دليلا على أنهم رقيق  
وعبيد .. فخرج من أصلابهم من يروج « للهيبة » والخنفسة وينشرها في العالم  
الضائع المنحل فيقلدهم الشباب المائع دون وعي — تقليداً أعمى لكل جديد —  
تماماً كما فعل قوم فرعون ﴿ فاستخف قومه فأطاعوه ؛ إنهم كانوا قوماً  
فاسقين ﴿ .

أيها الإخوة : كان ذلك استطرادا دعته الضرورة والمناسبة .

### عمود على بدء :

ونعود إلى حديثنا عن العلماء فهم يدركون سر قدرة الله الخالق العظيم في  
النجوم .. في المجرات .. في السحب .. في البرق .. في البحار .. في الأنهار ..  
في عالم النبات .. في عالم الحشرات .. في النفس البشرية .. في الأجهزة العجيبة  
التي تدبر حركة الجسم .. مصانع مختلفة في هذا الجسم ...

عالم عجيب — كما سنفصله في رسالة الشباب عند قولنا : « واعرف  
ربك » (٢) ... وهكذا في كل علم من العلوم الكونية تظهر عجائب قدرة الله .  
وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

(١) الأميون في عرفهم كل من عدا اليهود .

(٢) راجع في الظلال تفسير سورة عبس ومانقل فيه — رحمه الله — من شذرات عن الطب وإبداع الخالق  
بصدد تفسير قوله تعالى ﴿ قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلق ﴿ ثم أقر كتاب « الطب محراب  
للإيمان » للدكتور خالص كنجو .



ولكن مع الأسف ﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ﴾ .

﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾

فالعلماء هم أحق الناس بالإيمان بالله والدعوة إليه .. وصدق الله العظيم ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ .

قال تلك الآية بعد الإشارات الغيبية للحقائق العلمية في سورة فاطر إشارات إلى علوم البحار والأنهار والأجنة والجيولوجيا .. الخ .

ف « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ... » .

### الثقافة الإسلامية وطالب الجامعة :

أعتقد — أخى المسلم — أنك أدركت معي مدى أهمية الثقافة الإسلامية للمسلم — بعامة — (١) ولطالب الجامعة — بخاصة — وفي الكليات العملية — بصفة أخص ، لتمحو ماصبة الكفار في أذهاننا من أن الدين شيء والعلم شيء آخر — وبخاصة علوم التقنية .

والمعلم المسلم ينبغي أن يلفت نظر طلابه إلى قدرة الله من خلال العلم الذى يعلمهم إياه ، وعبر المادة التى يدرسها لهم . فكما أن معلم التربية الإسلامية يعلمهم الوضوء ونظافة الإسلام وطهارة الجسم والروح ؛ لأن الصلاة صلة بين العبد وربه ، وأهمية الاتجاه إلى الكعبة ؛ حيث الانتفاء إلى الجماعة المسلمة الواحدة الموحدة ، وحكمة الله فى قراءة الفاتحة فى كل ركعة ﴿ .. إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ (٢) بلفظ الجماعة لا الفردية — وفى التشهد — السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وكذلك للربط بين الروح والمادة وغذاء الاثنين معا ؛ فالإنسان مادة وروح — كما سنفصله بعد — إن شاء الله .

(١) عرفنا فيما سبق — الفرق الدقيق بين العلم والثقافة .

(٢) (و اهتدينا) لا اهتدينا .

لذلك ينبغي على مدرس الكيمياء — مثلا — أو الجيولوجيا أو الفيزياء أو الجيوفيزياء أو الحيوان والنبات أو الطب أو الزراعة .. إلخ كل في مجال تخصصه أن يجعل من دروسه مدخلا إلى العقيدة بإبراز قدرة الخالق في الكون ﴿ سنرى آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق .. ﴾ . ﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض .. ﴾ . إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الألباب ﴿ ولا يتأتى للمعلم ذلك إلا إذا كان مثقفا ثقافة إسلامية .. ﴾ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴿ عن طريق هذه الثقافة يفتح قلوب طلابه إلى الخير ويسد عليهم مداخل الشياطين — شياطين الإنس والجن . وعلى سبيل المثال : لو أن معلم الرياضيات وهو يعلم الطفل عمليات الجمع والطرح وأن  $1 + 1 = 2$  لا 3 كما أن  $1 + 1 + 1 = 3$  لا 1 .

فيظهر بطلان قول النصارى : « إن الله ثالث ثلاثة » الأب والابن والروح القدس إله واحد . كيف أن  $3 = 1$  ؟ هذا ما يرفضه العقل والمنطق ؛ ولهذا بدأ الشباب الآن في أمريكا في أيامنا هذه يوزعون كتيبات يقولون فيها للقساوسة والراهبان نحن في قلق أعطينا أفكارا غير مشوهة عن الله .  $3 = 1$  ؟ هذا مستحيل ..

كيف أن المسيح ابن الله ويكون هو الله .. وكيف يكون الأب ابنا ؟ ... إلخ هذه الخزعبلات والأباطيل .. لأن ذلك يصادم الفطرة السليمة .. والإسلام دين الفطرة . والعقل يقول : إن النقيضين لا يجتمعان في وقت واحد ...

ومدرس الجيولوجيا والجيوفيزياء وهو يعلم طلابه كيفية التنقيب عن البترول أو معرفة عمر الأرض أو كذا .. أو كذا .. إلخ وأن مكونات البترول مثلا معادن وحيوانات بحرية ونباتات .. إلخ .. من صنع هذا ؟ ومن علم الإنسان هذا ؟ إنه حينئذ يكون مدرس توحيد .

ولو أن مدرس الطب لفت النظر إلى قدرة الله من خلال دراسة الأجهزة التنفسية والدموية والبولية والهضمية ، والغدد ، والشعيرات ، والمدرعات الحسية .. إلخ والجهاز التنفسي والعقلي ، وتكوين الجنين و ... و ... و ... ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ؟ ﴾ .. يقول ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ يكون مدرس عقيدة .

لو بين لهم — كل في تخصصه — مَنْ عَلَّمَ الإنسان الإختراع ؟ هو الذى علم آدم الأسماء كلها .. هو الذى علم نوحا صنع السفينة ، هو الذى علم داود صنع الدروع وألان له الحديد ، وأسأل لسليمان عين القطر ، وسخر له الجن يعمل بين يديه بإذنه ﴿ يعملون له مايشاء من محاريب وتمائيل وجفان كالجواب وقدور راسيات .. ﴾ ، من علم عيسى إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله .. ﴿ أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ﴾ .. إلى قوله سبحانه ﴿ مالبثوا فى العذاب المهين ﴾ (١) .

ولكن بتدبر وتفكر ؛ لترى صنع الله ، وعظمة الخالق ، وقدرة العليم الخبير — سبحانه — ثم قف طويلا — فى تأمل — عند قوله تعالى : ﴿ ماد لهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرت تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين ﴾ (٢) .

وسوف نقف معك وقفات — إن شاء الله — عند تذكرك برسالتك تحت عنوان « واعرف ربك » ..

### العقل المسلم فى مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة :

لاشك — أخى المسلم — أنك أدركت مدى ضرورة الثقافة الإسلامية والعقيدة الإيمانية لتربية العقلية المسلمة الواعية المستنيرة ، لنقف فى وجه التحديات الفكرية وتياراتها المعاصرة — كما وقف أسلافك من قبل فى وجه الجاهلية الأولى — ولقد سبق القول بأن الشاب المسلم يقف موقف الناقد من أى فكرة ويعرضها على منهج الله من كتاب وسنة فإن وافق ماجاء به محمد ﷺ فعلى العين والرأس وما خالفه رفض .. يقول المسلم : أهذه الفكرة صادرة عن عقيدة دينية أو غير دينية ؟ فإن كانت دينية . أهى موثقة عن دين ثابت موثق أم محرف ؟

(١) اقرأ الآيات من ٨ — ١٤ من سورة سبأ .

(٢) ثم إسترسل — إن شئت — وهو الواجب ؛ حتى تعرف أن هلاك الأمم وليد التكوص عن منهج الله والأمثلة على ذلك فى القرآن الكريم كثيرة وفيرة وهى حقائق تاريخية ثابتة لاينازع فيها منازع .

موثق .. أهلا وسهلا .. محرف فلا أهلا ولا سهلا .. بخلاف النظريات العلمية — كتفتيت الذرة — مثلا — وصناعة الصواريخ .. إلخ .. فلا بأس .. بل يجب الانتفاع بها فعلوم التقنية ليست لها صبغة إقليمية فليست هناك كيمياء روسية (١) وأخرى أمريكية .. فهُم نفس الشيء أخذوا عنا في الأندلس ولم يأخذوا ديننا — وإن تخلقوا بأخلاق الإسلام في كثير من الصفات ولكن لاعن تدين وإنما عن إعجاب بالأخلاق — كالصدق في الوعد ، وإتقان العمل و ... و ... و .... وأما نحن فلم نقلدهم في علومهم ، وإنما قلدناهم في صفاتهم الخبيثة « مع الأسف » .

فالفكر الاجتماعي شيء والنظريات العلمية شيء آخر .. فهناك فكر روسي وفكر إنجليزي وأدب أمريكي ، وفكر صهيوني .. إلخ ولنا فكر إسلامي .

وصدق المعلم والمرئي صلى الله عليه وسلم « الحكمة ضالة المؤمن أتى وجدها فهو أحق الناس بها » وصدق حين قال : ﴿ لا يَكُنْ أَحَدُكُمْ إِمْعَةً . يَقُولُ : أَنَا مَعَ النَّاسِ إِنْ أَحْسَنُوا أَحْسَنْتَ وَإِنْ أَسَاءُوا أَسَأْتَ ، وَلَكِنْ وَطَنُوا أَنْفُسَكُمْ أَنْ تَحْسَنُوا إِذَا أَحْسَنُوا وَإِذَا أَسَاءُوا أَنْ تَجْتَبُوا إِسَاءَاتِهِمْ ﴾ أو كما قال : « فَإِذَا أَعْدَدْنَا الْعَقْلِيَّةَ الْمُسْلِمَةَ أَمَّنْتَ الْأُمَّةَ أَبْنَاءَهَا ضِدَّ الْأَنْحِرَافِ الْفِكْرِيِّ وَالتَّمَيِّعِ وَالْإِنْهَارِ بِبَرِيقِ الْمَادَّةِ وَالْخَطْفَةِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي اخْتَطَفَهَا مِنَّا الْكُفَّارُ — فِي غَفْلَةٍ مِنَ الزَّمَنِ — أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ .. دَائِمًا نَلْقَى اللَّوْمَ عَلَى الزَّمَنِ وَالْقَدْرَ وَالذَّهْرَ .. وَ ... وَ .. »

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

إذن في غفلة منا نحن حين بعدنا عن منهج الله .

فَلنُسَلِّحْ أَبْنَاءَنَا بِالْيَقِينِ ، بِالْعَقِيدَةِ الرَّاسِخَةِ الَّتِي لَا يُخَالِطُهَا شَكٌّ وَلَا يَمَازِجُهَا رَيْبٌ ؛ يَقِفُ الْعَقْلُ الْمُسْلِمُ ثَابِتَ الْحُجَّةِ قَوِيَّ الْبِرْهَانِ . أَمَامَ الْعَوَاصِفِ الْهُوجِ مِنَ الْأَفْكَارِ الْغَرِيبَةِ وَالشَّرْقِيَّةِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ — وَبِخَاصَّةٍ إِذَا سَافَرَ شَبَابُنَا إِلَى بِلَادِهِمْ لِتَحْصِيلِ عُلُومٍ مُسْتَحْدَثَةٍ — وَهَذَا لِأَغْبَارِ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ نَسْتَطِعْ اسْتِجْلَابَهُمْ لِأَبْنَائِنَا . أَوْ نَبْتَعَثَ الْكِبَارَ النَّاضِجِينَ الْمُسْلِمِينَ بِالْإِيمَانِ حَتَّى

(١) راجع — في ذلك — كتاب : ماذا خسر العالم باخطا المسلمين ... للشيخ أنى الحسن الندوى وكتاب : الحلول المستوردة .. للدكتور يوسف القرضاوي ومسجلات فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى — وكتيباته أخيرا وما ذكرناه سلفاً .

لايتميع أبناؤنا وينساحوا وينداحوا أمام التقدم الحضارى (١) .

بل قد يشار إليه — إذا كان مسلحا كما قلنا — ويقال هذا هو الإسلام ؛ فيدخل الناس في دين الله أفواجا ؛ بسبب انطباعاتهم الخيرة عن الإسلام من قبل هذا الداعية . بعكس ما إذا تميع وانساح منصهرا في مدنيّتهم الزائفة فيقال : هذا هو الإسلام وخاب مسعاهم وعادوا إلى حيرتهم .. مادام هذا هو الإسلام فهو كغيره .. عندهم فراغ يريدون أن يملثوه فهل يملأ بفرغ مثله ؟ كلا ...

مادخل الناس في دين الفاتحين المسلمين إلا حينما رأوا إسلاما يتحرك ؛ وصدقت أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق — رضى الله عنهما — حينما سئلت عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت : « كانت خلقه القرآن » قرآن يتحرك .. وتقول : « كانت تنزل علينا الآية فكنا نحفظ حلالها وحرامها قبل أن نحفظ حروفها .. » ولكننا مع الأسف حق على كثير منا « رب قارىء للقرآن والقرآن يلعنه ، ورب مصلى ليس له من صلاته إلا الركوع والسجود ورب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش » أو كما قال رسول الله ﷺ .

ومن هنا كانت أهمية تربية العقلية المسلمة التي توازن وتقوّم ثم تؤثر ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله — على بصيرة — أنا ومن اتبعني ﴾ صدق الله العظيم .  
أخي المسلم : هذه هي عقيدتك التي تعدك لأن تكون فردا في أسرة هذا المجتمع البشرى المتناقض المنحرف لتكون سويا في خلقك قويا في شخصيتك ربانيا في سلوكك . هذه هي عقيدتك التي تعدك لتكون معلما للبشرية وموجها للإنسانية تسلك بسلاح العلم والإيمان .. تهذبك روحيا ، وتتفكك عقليا ، وتصنعك جسميا ؛ حتى تكون جديرا بالخيرية التي وصفك بها ربك ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس .. ﴾

مكتبة

(١) راجع كتاب ( الفكر الإسلامى الحديث فى مواجهة الأفكار الغربية للأستاذ محمد المبارك ) . و ( روح الحضارة الغربية ) للأستاذ محمد أسد ، والإسلام فى وجه التحديات للأستاذ محمد مشهور الحداد ، والزحف الأحمر للشيخ محمد الغزالي ، والغارة على العالم الإسلامى — ترجمة محب الدين الخطيب ، وماذا خسر العالم بالمحظوظ المسلمين لآنى الحسن الندوى ، و ( حاضر العالم الإسلامى — التحقيق لشكيب أرسلان — وتأليف لوثرروب ستودارد الأمريكى — ترجمة عجاج نويهض ) .

وسنمذك - إن شاء الله - بنادج سلوكية من واقع حياة المسلمين خلال ربع قرن فقط بعد عهد رسول الله ﷺ عند حديثنا عن المجتمع المثالي في ظلال الإسلام<sup>(١)</sup> لتدر كوا عمق المد الإسلامي التحرري، والمستوى الرفيع الذي لم ترتفع الإنسانية إلى مثله قط في أي عصر من عصور المدينة قديماً أو حديثاً، ولن ترتقى إليه، ولا حتى في خيال من كانوا يجلمون بالمدينة الفاضلة<sup>(٢)</sup>، حيث إن الإسلام حركة ثورية تحريرية شاملة تبدأ في ضمير الفرد وتنتهي في محيط الجماعة .

وهذا هو الفرق بين نتيجة ثقافتين : ثقافة علوية بوحى من الرحمن خالق الخلق وثقافة أرضية يسيطر عليها الشيطان « إن جازت المقارنة » .

إنه دين السماء ، دين جميع الأنبياء والمرسلين ، لأن كلمة دين معناها الاتقياد والطاعة لأمر الله بلا اعتراض .. فكل من اتصف بهذه الصفة من غابر الناس وحاضرهم كان مسلماً ، ويكون كذلك مسلماً كل من يتحلى بها في المستقبل<sup>(٣)</sup> .

وصدق الله العظيم ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ . ﴿ ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ . ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ .

﴿ ومن يرغب من ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين ؛ إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها إبراهيم بنه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ . ﴿ رب قد آتيتي من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين ﴾ .

(١) راجع محاضرة « تلاميذ رسول الله والمجتمع المثالي » للمؤلف .

(٢) راجع كتاب التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام للأستاذ محمد الغزالي وكتاب دراسات إسلامية للشهيد سيد قطب .

(٣) راجع كتيب مبادئ الإسلام للأستاذ أنى الأعلى المودودي ، وكتاب ماذا خسر العالم باخطاط المسلمين للشيخ ( أنى الحسن النلوي ) .

وغير هذه الآيات في كتاب الله كثير .. ورسول الله ﷺ يقول : « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم » ويقول « الأنبياء إخوة أولاد علات (٤) أمهاتهم شتى ودينهم واحد » والسنة النبوية المطهرة مليئة بمثل هذه الأخبار .

والرسل — على نبينا وعليهم أفضل الصلاة وأتم السلام — انتهت معجزاتهم بانتهاء زمانهم — والمعجزات دليل صدقهم — وهم مصدقون إلى يوم القيامة . وتوثيق صدقهم من القرآن الكريم ، حيث حُرقت كتبهم وغيّرت وُبدلت دياناتهم ؛ حيث كان لكل رسول معجزة ومنهج ، والمعجزة فعل ينتهي بانتهاء إلقائه . إلا محمداً ﷺ فقد كانت معجزته عين منهجه « القرآن الكريم » والقرآن صفة من صفات العلي القدير ووكل حفظه إلى نفسه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ فبقي صادقاً مصدقاً إلى يوم القيامة وبالتالي بقي الأنبياء صادقين مصدقين كذلك بتوثيق رسول الله ﷺ لهم بالقرآن (٢) .

أكرمنا الله بالإسلام ، وأعزنا بالقرآن ... فاللهم وفقنا إلى العمل بثقافة الإسلام وسنة النبي عليه الصلاة والسلام ..

آمين

\* \* \*

(١) إخوة لأم .

(٢) أما كتب الأنبياء السابقين عليهم السلام — فقد وكل رب العالمين حفظها إلى البشر « ... بما استُحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء » .





## الفصل الثاني

### الإسلام والمدنية

- — مفهوم المدنية
- — حيرة المسلم
- — أزمة المثقفين
- — الإسلام وغرائز البشر
- — وتلك الأيام نداؤها بين الناس



## مفهوم المدنية

مأخوذة من المدنية والتمدن وهي عكس البداوة والحياة البدائية فهي التطور والترقي والأخذ بأسباب الحياة الحضرية واكتشاف وسائل المعيشة الإنسانية والارتفاع بها صُعُداً في الفكر والعلوم والتقنية والاختراع لتيسير سبل العيش — أكلا وشربا ولباسا ونوما وصحة وتجارة وتعاملا وأمنا .... إلخ . باطراد مع التوسع وكثرة البشر واكتشاف الآفاق — برا وجوا وبحرا .. إلخ .. وإخضاع الطبيعة لنوازع البشر وحاجاتهم ..

كل ذلك في ضوء قوله تعالى ﴿ الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ وقوله — ﴿ إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴾ .

﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ﴾ . ﴿ .. ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاناً ومتاعاً إلى حين ﴾ ﴿ .. وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾ . ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ... ﴾ .

﴿ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ .  
﴿ ... سخر لكم مافي السموات وما في الأرض جميعاً منه ﴾ .  
﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم .. ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً .. ﴾ .  
﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق .. ﴾ .  
﴿ .. إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ ...

فالمدينة : هي الانتقال من حياة البداوة إلى حياة المدنية ومن المدر إلى الحضرة بكل أساليب التطور والازدهار .

وهكذا سارت المدنية من طور إلى طور ومن تقدم إلى أرق حتى بلغت أوجها في

عصرنا الحديث — عصر الفضاء والذرة — وهذا هو معناها الحقيقي . إلا أن زيف الإنسان وغروره زين له أنه غدا سيصنع نفسه — وهيات — وصدق الله العظيم ﴿ .. وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ .  
﴿ ... يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا .. ﴾ .

ولقد انحسر مفهوم المدنية في عقول الكافرين والمكذبين يوم الدين ، وبعض المغفلين من المثقفين إلى المظاهر البراقة وفهموها — تميعا وانحلالا وخنفسه وهيبة — كما سنين — إن شاء الله — في أزمة المثقفين (١) .

### حيرة المسلم :

في الواقع — أيها الإخوة الأحبة — أن هذا الموضوع ليس إلا مدخلا لرسالة سامية عليها يتوقف مستقبل الإسلام .. ألا وهي رسالة الفتى المسلم والفتاة المسلمة ، ولقد عرفتم — سلفا — أنه لا بد للبناء الإنساني الفاضل من شباب فتي ، وتجربة مشيخية !! والمتحدث إلى الشباب يقف حائرا — يقدم رجلا ويؤخر أخرى — وبخاصة إذا تحدث عن العقيدة .. يقف حائرا يقلب وجوه الرأى من أين يبدأ الحديث ؟ وكيف يعالجه ؟ يقف حائرا حيرة الغريب في عالم مضطرب مليء بالمتناقضات مشحون بالانحراف عن سبيل الإنسانية متمردا على تكريم ربه له ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ وهذا هو موقفى — وأنا أتحدث إلى الشباب .. الحيرة ، والاشفاق على هذا الشباب الغض ، والتضرع إلى الله — سبحانه — أن يحفظ عليه وعلى أمثاله من أبناء الأمة الإسلامية إيمانه وعقيدته ، وأن يأخذوا من العلم طريقا إلى الجنة ، وسيلة لغاية نبيلة ، ومقصدا شريفا إلى هدف كريم ...

لا ليحمل الشاب شهادة توصله إلى منصب مرموق أو مركز اجتماعى ممتاز ، ثم ... وإلى هنا تنتهي رسالته ؛ فيذوب ذوبان الجليد تحت حرارة الشمس كعامة شباب الإسلام — اليوم — الذى يعيش في تيه ، ويدور في فراغ بالرغم من تفوقه العلمي والمادى !!!

(١) راجع موضوع « رأبى في الحضارة الغربية » للرافعي في كتابه : تحت راية القرآن ص ٣٦٢ .  
وكتاب : ماذا خسّر العالم بالخطاط المسلمين للندي .

ومصدر هذه الحيرة - لدى كل مسلم غيور - أنه يتلفت من حوله في جنبات العالم فيرى الباطل يعلو - وإن كان إلى حين - وقد ذكّرت سلفاً قوله تعالى ﴿... فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ..﴾ ودائماً البقاء للأصلح إلى حين يتسلم الشباب المسلم زمام العالم ؛ فيقوده إلى الخير كما فعل أسلافه الأبطال الأبرار من قبل بإيمانهم وعقيدتهم وعلومهم وثقافتهم الإسلامية ، وحين يرددون - في عزة - ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق .. ولكم الويل مما تصفون﴾ .  
 ﴿.. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾  
 ﴿.. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ .

مصدر الحيرة - يا شباب الإسلام - أننا غرباء في هذا العالم ؛ إذ القابض على دينه كالقابض على الجمر .. وصدق رسول الإنسانية « بدأ الإسلام غربياً وسيعود غربياً كما بدأ فطون للغرباء .. قيل : ومن هم الغرباء يارسول الله ؟ قال : الذين يصلحون عند فساد الناس » (١) . وفي رواية « الذين يصلحون فساد الناس » أو كما قال .. وصدق الله - سبحانه - ﴿... وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ..﴾ ولم يقل : صالحون .. فقد يهلك الله القرى وفيها الصالحون .. ﴿... واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ...﴾ .. ولهذا كان إبليس اللعين يفر وهو يسمع الأذان ثم يعود بعد الأذان والمسلمون يصلون .. فهو يفرّ من الدعوة إلى الصلاة ويعود عند الصلاة . ولقد فهم اليهود ذلك في عصرنا الحاضر فيذيعون القرآن الكريم من إذاعتهم على المسلمين وهم في الوقت ذاته يحاربون أهل الدعوة إلى القرآن .. ﴿... فهل من مدكر ؟ ..﴾ وصدق الرسول الكريم حينما سُئِل ، أَنَّهُ لِكُ وفينا الصالحون ؟ قال : ( نعم : إذا كثر الخبث ) .

شبهة الإسلام : عالمنا المعاصر مشحون بالمتفجرات ، نتيجة للمدنية الزائفة على الكفر والإلحاد والثقافة الغربية والأوربية الملحدة . عالم قائم على الدسائس والمؤامرات والحقد والكراهية بين المعسكرين الشرق والغرب - بعامة - وحقد

(١) رواه مسلم .

المعسكرين على الإسلام — بخاصة (١) حرب هنا ودمار هناك في كل ركن من أركان العالم .. ظلم واستبداد .

رق مقنع ، واستعباد مستور .. ريح كريهة منتنة تهب من الغرب ومن الشرق تجتاح العالم وتعصف به .. أفكار مسمومة .. شعارات زائفة باسم المدينة — تارة — والتقدمية — تارة أخرى — والحرية — حيناً آخر — كل أولئك تنسجه أيد يهودية دنسة ملطخة بالدماء .. انحلال خلقي .. تكالب مادي .. فساد اجتماعي .. تفكك أسرى .. ضياع شباني ... اضطراب فكري ... نكوص في السلوك الإنساني القويم ... ثم هو فوق هذا حقد على الإسلام وأهله — بالدرجة الأولى — زيف وشبهات تثار من حوله (٢) طغيان من المرأة ... خنوع من الرجل ، نزق وفسوق من الشباب — اختلاط في الرؤية ، واختلال في المقاييس .. نرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً .. بل أمراً بالمنكر ونهياً عن المعروف .. ثم نرى إطباقاً على الإسلام والمسلمين من كل جانب تحت أستار من الكذب والتزييف والافتراء نسجت بإحكام وتدبير . !! يقابل ذلك استسلام من المسلمين وتفكك في وحدتهم وانقسام في صفوفهم وبعد عن عقيدتهم بل وانضمام بعضهم إلى كل من المعسكرين وانهار بطفتهم العلمية (٣) وبعد منهم عن منهج الله ...

وما كل ذلك إلا من سيطرة المادة وجفاف منابع الروح في نفس الإنسان المعاصر حتى عند السواد الأعظم من المسلمين « إلا من عصم الله » (٣) .

وهذا — يا شباب — مانبه إليه نبي الرحمة ، وحذر المسلمين منه عبر أربعة عشر قرناً من الزمان ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ .

مم حذر نبي الهدى ؟ وإلام تبه رسول البشرية ﷺ ؟ استمع إليه بامعان وتدبير — على سبيل المثال لا الحصر .

(١) راجع كتب : جاهلية القرن العشرين محمد قطب ، مفتريات على الإسلام لأحمد محمد جمال — الإسلام المفتري عليه ، وظلام من الغرب ، والزحف الأحمر لمحمد الغزالي — الغارة على الإسلام لمحج الدين الخطيب .

(٢) راجع موضوع — أزمة المثقفين — من هذا الكتاب .

(٣) راجع كتب : هل نحن مسلمون لمحمد قطب — والزحف الأحمر ، ومعركة المصحف لمحمد الغزالي — وماذا خسّر العالم بالمحطاط المسلمين لاني الحسن الندوي .

١ — «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ..

قالوا : أو من قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟

قال : لا ... ؛ إنكم يومئذ كثير .. ولكنكم غثاء كغثاء السيل ..  
وليزعن (١) الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم  
الوهن ....

قالوا : وما الوهن يارسول الله ؟

قال : « حب الدنيا ، وكرهية الموت » أو كما قال : رمضان خطيران  
يفشوان في الأمة الإسلامية : عدم إخافة الأعداء ، والوهن .. وهما من شيم الكفار  
والملاحدة — لا من خصال المسلمين الصادقين .. وصدق رسول الإنسانية  
حين قال : « نصرت بالرعب من مسيرة شهر » .

ويوم قال : « .... بل الرفيق الأعلى ثم الجنة » حينما خيره ربه بين مفاتيح  
كنوز الدنيا ثم الجنة وبين لقاء ربه ثم الجنة .

وصدق الحق — تبارك وتعالى — ﴿ لأنتم أشد رهبة في صدورهم من  
الله ، ذلك بأنهم قوم لا يفقهون... ﴾ دراسات ميدانية يشير إليها القرآن  
الكريم — ليس هذا محلها — (٢)

٢ — عن أبى أمامه الباهلي — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ — :

« كيف أنتم إذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم ؟

قالوا : وان ذلك لكائن يارسول الله ؟

قال : نعم .. والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون .. !

قالوا : وما أشد منه يارسول الله ؟

قال : كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر ؟

قالوا : وكائن ذلك يارسول الله ؟

قال : نعم — والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون .. !

قالوا : وما أشد منه ؟

(١) انظر محاضرة — على هامش العقيدة من هذا الكتاب .

(٢) يوفى القرآن على المسلمين كثيراً من العناء والمشقة ورسد الأموال والجيش للاستخبارات  
والدراسات النفسية و .. و .. الخ كأن يقول مثلا ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم  
وينصركم عليهم ﴾ .. ﴿ يأبى الدين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم ... ﴾ .

قال : كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا ؟  
 قالوا : وكائن ذلك يارسول الله ؟  
 قال : نعم وأشد منه سيكون .  
 قالوا : وما أشد منه يارسول الله ؟  
 قال : كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف .  
 قالوا : وكائن ذلك يارسول الله ؟  
 قال : نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون .  
 قال الله تعالى : ﴿ بي حلفت لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها  
 حيران !!! ﴾ .

روى ابن أبي الدنيا بعضه وأبو ليلى بعضه ..

ولا يصح — بحال — أن يمر المسلم بهذين الحديثين الشريفين مروراً عابراً دون أن يقف عند كل كلمة من كلماتهما يقف طويلاً ويفكر في مصير أمته ؛ لأن ذلك من صميم دعوته ، ولأنه من مبادئ رسالته وعقيدته ولولا طبيعة الدراسة لوقفنا نحن كذلك معهما طويلاً ، ولو لم ندرس غيرهما ؛ لكفانا هذا القدر ؛ إذا فقهناه (١) .

ولكن الحيرة تزول — إن شاء الله — عندما يعرف الشباب المسلم — فتياناً وفتيات — رسالته في هذه الحياة .. وهذا ما سنعرض له بالتفصيل في فصل مستقل — إن شاء الله — .

### أزمة المثقفين :

يا شباب الإسلام : أنتم في هذه المرحلة من حياتكم على مفترق الطرق .. أنتم في مرحلة تكوين الشخصية .. فقلدوا سلفكم الصالح وعلماءكم الأفاضل وتجنبوا منزلق الشاب ومتردى الفتیان والفتيات ممن خدعوا بمظاهر التفوق العلمي والتسلط المادي لدى أعداء الإسلام وأعداء الإنسانية وظنوا — خطأً بل افتراءً وتضليلًا أن الإسلام عقبة في سبيل التقدم العلمي عند المسلمين ، وحجر عثرة في سبيل رقي الحياة الدنيا ..

(١) ولن يفوتنا ذلك — إن شاء الله — في حلقات الذكر ومجالس العلم والإيمان وكتابة رؤى إسلامية في هذا المجال .



وقد خدع كثير من المسلمين بزيف قولهم ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون إلا كذبا﴾ .

خدع بعض المثقفين بمظاهر التفوق الغربى ، ونسوا ، أو لم يقرءوا تاريخهم المجيد (١) وانساقوا — بحسن نية اليوم أو سوء فهم — وراء المثقفين من غير المسلمين ...

وكثير من المثقفين اليوم — فى العالم — يعانون أزمة عنيفة تجاه الدين — يتساءلون — فى حيرة — هل الدين بعامته — ضرورة إنسانية من ضرورات الحياة كالطعام والشراب ، والحركة والسكون ، والبيع والشراء ، والعلم والاختراع ؟ وإذا كان كذلك بالأمس البعيد .. أفلا يزال كذلك اليوم والغد ؟

وقد استبد العلم بالأرض — برا وبحرا ، وجواً ، وسيطر عليها — نوعاً ما — ولم يترك العلم مجالاً لشيء آخر ؟ ...

هل الدين ضرورة بشرية ، وحاجة آدمية ، تفرق بين الإنسان وحاجات البهائم والوحوش والطيور وسائر المخلوقات الحية ؟

هل الدين ميول فردية ، ومزاج شخصي ؟ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ؟

وهذا وذاك فى كفتي ميزان ؟

أسئلة كثيرة ، وعلامات استفهام حائرة تفرغها تلتبس الجواب ..

تقدم وارتقاء ، حضارة واكتشاف ، بحث واختراع ، تفوق علمي وتخمّة مادية .. ثم ماذا ؟ فقر روحى ، اضطراب عصبى ، ضياع وتيه فكرى ، تفكك أسرى ، إفلاس أخلاقي ، ظلام نفسى ، وظلم اجتماعى وتمييز عنصرى !!! .

كل ذلك لأن الإنسان المادي نسي — فى غمرة البحث العلمي والجشع المادي والفساد العقدى ، والتسلط الوحشى — أن الدين ضرورة إنسانية عامة ... نفسية وفكرية وعقلية وفطرية واجتماعية ولغوية وسياسية واقتصادية حيوية .. الخ (٢) .

(١) وهذا ماسنصل القول فيه — إن شاء الله — عند حديثنا عن رسالة الشباب .

(٢) راجع الشرائط المسجلة للشيخ محمد متولى الشعراوى ومنها المحاضرة التى ألقاها بالجامعة . وكتيباته — فى هذا المجال — أخيراً ..

ثم هم في أزمة أعنف بشأن الإسلام « بخاصة » ... لماذا؟  
لأن المنتمين إلى الإسلام المخلصين الفاقهين يقولون للبشرية : إن هذا الدين  
متين في بنيانه ، فريد في نوعه ، عميق في جذوره ، وارف في ظلاله ، سمح في  
تعاليمه ، علوي في سلوكه ، سهل في تناوله ، متكامل في تكوينه ، هادف في  
تشريعه ، عالمي في مبادئه ...

إن هذا الدين ليس مجرد نظام ، ليس مجرد عقيدة ، ليس مجرد تربية للنفس  
وترقيق للمشاعر ، وتدريب على الفضائل وحسب .. لا .. بل هو كل أولئك .  
وإلى جانب ذلك فهو نظام شامل للحياة الفانية وطريق سوي إلى الآخرة الباقية  
التي هي حياته الحقيقية .الدائمة .. إما إلى الجنة وإما إلى النار !!!.

إنه باعث مجتمع متكامل : عدالة اجتماعية (١) تشريعات مدنية ، تخطيط  
ريابي عادل ، منهج بشري نقي متكامل !!!

إنه توحيد للصف ، توحيد للهدف ، توحيد للوسيلة ، تربية للروح والجسد  
معا ... كل أولئك على أساس متين من العقيدة الربانية .. في إزدواج من التدريب  
الخلقي والتهديب الروحي والسلوك السوي الذي يتسامى عن الحيوانية ويرتفع عن  
الترايبية الأرضية ، فيمزج بين مطالب الروح وغرائز الجسد .. ثم إن بعض  
المثقفين — في أزمتهم تلك — يتخبطون في دياجير الشك وظلمات جاهلية القرن  
العشرين (٢) ... فقد ظنوا — خطأً — أن الإسلام قد استنفذ أغراضه ، ومضى  
زمنه ، وأصبح في خبر كان !!!

ثم هم أولاء اليوم يتلمسون النجاة من هذا الضياع ؛ حيث تستطيع أن تسمي  
هذا العصر . عصر التقدم والأزدهار والعلم « التكنولوجيا » و ... و ...  
و ... الخ .

ولكن هل تستطيع أن تسميه عصر السعادة . عصر الرخاء . عصر العدل .  
عصر المساواة . عصر الطمأنينة ، عصر الهدوء النفسي والاستقرار ؟

(١) راجع كتاب العدالة الاجتماعية في الإسلام للشهيد سيد قطب ، الإسلام وبننا المجتمع ٤ / أحمد  
الرسال . ونحو مجتمع عالمي للشهيد سيد قطب — بل ومكتبته عامرة بذلك وحمية الحل الإسلامي —  
د / يوسف القرضاوي .

(٢) راجع كتاب جاهلية القرن العشرين ، الإنسان بين المادية والإسلام للأستاذ محمد قطب ومعالم في الطريق  
للشهيد سيد قطب .

كلا .. وألف مرة كلا !!

يتلمسون قارب النجاة ، فيفاجئهم دعاة الإسلام المؤمنون الفاقهون ليقولوا لهم — في ثبات ويقين وإيمان عميق : إن هذا الدين ليس تراثا من الماضي السحيق .. مكانه اليوم « مُتحف الأنظمة والقوانين والمعتقدات .. كلا .. وألف ألف مرة .. كلا .. إن هذا الدين كائن حي ... يسعى على قدمين إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ..

بل إن هذا الدين يملك من مقومات الحياة ماملكه منذ وجد مالم يملكه أى نظام عرفته البشرية منذ وجدت على هذه البسيطة حتى اليوم وغدا وبعد غد ...  
يا شباب : أنا أعلم علم اليقين أن الذعر يصيب بعض المشتغلين بالعلم — ولا أقول كل المشتغلين به — حين يذكر اسم الدين ... وأن المنحرفين من المثقفين تصيبهم « الهستريا » .

بل ويصيبهم كل ماذكر في قاموس الأمراض النفسية ، فتنكس نفوسهم وتشنح عضلاتهم ، ويشيرون بأيديهم إشارات عصبية يطلبون تحية هذا الكلام التافه — في نظرهم — عن مجالات البحوث العلمية ...

والتقليد الأعمى وحده — لاحرية الفكر — ولا قداسة العلم — هو الذي يصيب هؤلاء الأذعياء — أذعياء التحرر — بالذعر حين يذكر اسم الدين ...  
﴿ ... فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله .. والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ .

والمثقفون المنحرفون هم خلاصة السياسة الاستعمارية المرسومة بإحكام وعصارة الفكر الإلحادى والصهيوني والصليبي العالمي ، إذ يريدون ذبح الإسلام ، ولكن بيد المسلمين ضعفاء العقيدة والشخصية الذين لا يعرفون عن الإسلام إلا الشبهات التي يثيرها هؤلاء الأعداء الذين ملأ الحقد على الإسلام نفوسهم .. ولا يعرفون عن دينهم إلا ما لقنوه لهم (١)؛ لذلك فهم ينادون بفصل الدين عن الدولة والعلم عن الدين ، وقد جهلوا أو تجاهلوا — عن عمد وسبق إصرار — أن

(١) راجع شبهات حول الإسلام لمحمد قطب ، والإسلام المفترى عليه للغزالي ، مفتريات على الإسلام لأحمد محمد جمال .

الإسلام لا يدع الناس — كل الناس — وحدهم في صراعهم الشاق مع الحياة وشهواتهم وغرائزهم .

الإسلام وغرائز البشر :

إن الإسلام يقدم للبشر العون العملي والنفسي والعلمي ، ليساعدهم على الوصول إلى الهدف المنشود من سعادة الدنيا والآخرة معا ، ويرسم لهم منهجا يسيّر حياتهم وفق الغاية المثلى (١) فقد بعث الله محمداً — ﷺ — معلما للبشرية ورسولا للإنسانية ..

بعثه والناس فوضى لا تتر بهم إلا على صنم قد هام في صنم !!!

استبدت بهم غرائزهم ، وحكمتهم نزواتهم ، فعم الظلم والاستبداد ، وشاعت العنصرية ، وتحكمت الطائفية ، واستشرت الفوضى والهمجية ، وسيطرت الكهنوتية والرهبانية ، فجاء للناس بدين عام من خالق الخلق مكملاً ماجاء به إخوته الأنبياء من قبل ومجددا العهد الذي أخذه رب العالمين على بني آدم ﴿ ... وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا ؛ أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون . وكذلك نفصل الآيات ولعلمهم يرجعون .. واتل عليهم نبا الذي آتياه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض ، وأتبع هواه ؛ فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ... ﴾ .

جاء ﷺ بدين عام لكل زمان ومكان ، لكل لون وجنس لكل لسان ولغة دين ودنيا معا — كما أسلفنا .

وفوق بين المطالبة بأدب على أنه خلق عام ، وبين التكليف به على أنه دين كسائر العبادات المفروضة .

(١) راجع منهاج المسلم لأنى بكر الجزائرى . ونحو عالم أفضل للشهيد سيد قطب وحتمية الحل الإسلامى لهرسف القرضاوى .

وقد درسنا - في مراحل ثقافتنا - فلسفة الأخلاق ، ومناهج الفلسفة ومقاييس الفلاسفة لضبط سلوك البشر وأعجبنا بما فيها من فكر عميق ، وتلمس للحقيقة ، واستشرف للمثل العليا - ولسنا نغمط فضل أحد ينشر الخير للناس - واجتهد في إنارة السبيل أمامهم .. يئد أننا نلقت الأنظار - أنظار المنصفين - إلى أساليب التربية الناجعة ، والأخلاق الرائعة التي جاء بها صاحب الرسالة العظمى ؛ فأخرج بها الناس من الظلمات إلى النور - بإذن ربه - ونقل بها العالم من الضلالة العمياء إلى الهداية الرشيدة المبصرة ... (١) .

ففى الإسلام كنوز حافلة بالفنائس - دونها ماورث الناس من فلسفة اليونان ، وحكمة الرومان ، قيل لعالم مسلم : هل قرأت أدب النفس لأرسطو ؟ فقال بل قرأت أدب النفس لمحمد ﷺ .

هو الأمي لم يقرأ كتاباً \* فعلم قارئين وكتابتينا  
فواعجبا لقوم كذبوه \* ألم يك بينهم يدعى أمينا ؟!

لقد قرأنا أدب النفس لأرسطوا ولأمثاله من الفلاسفة ، وقرأنا أدب النفس لمحمد ﷺ فوجدنا ماتحيله الأولون واصطنعوا له - بعد العناء - صوراً بعضها كامل وبعضها منقوص ... فوجدنا أن أدب المصطفى ﷺ قد تحول إلى حقائق حية تجسد فيها الكمال ، فأضحى سيرة رجل ، وبات أدب أمة ، وظل شعاردين إلى يوم القيامة ، ذلكم هو أدب النفس لمحمد ﷺ لأنه ﴿ ماينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ﴾ فقد كان قرآناً يمشي على الأرض ، وصدقت الصديقة بنت الصديق - رضي الله عنهما - حينما سئلت عن أخلاقه فقالت : « كان خلقه القرآن » (٢) .

جاء بدين كامل لإسعاد البشرية الضالة الحائرة ، فلم يقف جامدا إزاء الحضارة والمدنية التي يتيحها رب البشرية لها عبر الأجيال السابقة واللاحقة إلى يوم الدين - سبحانه - ﴿ علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ .

﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا ... ﴾ .

﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ .

(١) راجع كتاب : ماذا خسر العالم باعطاط المسلمين فصل « فرق بين نظام الجباية ونظام الهداية » .

(٢) راجع موضوع « إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم » من هذا الكتاب .

بل دعا إلى المدنية في كثير من الآيات القرآنية ، وحث عليها في كثير من أحاديثه النبوية الشريفة « لا طلعت عليّ شمس يوم لم أزد فيه علما » صدق رسول الله .  
 فالإسلام يسعى إلى التوفيق الدائم بين أهداف الحياة المتجددة ، وضرورات المجتمع المتطور ، ونوازع الفرد الجامحة دون أن يطغى هدف على هدف ولا تجبور مصلحة على مصلحة ، وإنما يسير الكل في توافق واتساق يحقق — حين يتم — أقصى ما يمكن من السعادة على الأرض من الانسجام التام بين مطالب الجسد ونوازع الروح ؛ فالإسلام أدرى بطبيعة البشر ، وأحكم في معالجتها ، لأنه منهج الحق — تبارك وتعالى — للخلق ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا (١) تزكوا أنفسكم ؛ هو أعلم بمن اتقى ﴿ فأتاح الإسلام للناس نشاطهم الحيوى المشروع ...

أباح شهوة الطعام ، وشهوة الجنس ، وشهوة التملك ، وشهوة الاستمتاع بطيبات الحياة .. أباحها — في صراحة دون غموض أو مواربة .. بل دعاهم دعوة قوية صريحة إلى هذا الاستمتاع ، فقال الحق — تبارك وتعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي لذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة .. كذلك فصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ ..  
 ﴿ إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله .. ﴾ .

﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ .  
 ﴿ كلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ ﴿ يأبى الذين آمنوا : لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم .. ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ﴾ ﴿ قل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا .. قل الله أذن ذلك لكم ؟ أم على الله تفترون ؟ ﴾ .  
 ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا .. والله يحب المحسنين ﴾ ..

(١) استمع إلى شريط منهج الله للشيخ محمد الشعراوى ثم كتيبه أخيرا .

﴿ ... ولا تنس نصيبك من الدنيا .. ﴾

﴿ .. فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم .. ﴾ فانكحوا — بالأمر من المولى — سبحانه — ويقول رسوله الكريم : « يامعشر الشباب : من استطاع منكم الباءة (١) فليتزوج فإنه أغض للبصر للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء (٢) .

وقد « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته .. فلما أخبروا كأنهم تقالؤها (٣) قالوا : أين نحن من رسول الله ؟ وقد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر — قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا .. وقال آخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر .. وقال آخر : وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدا .. فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له .. ولكني أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » (٤) .

وهو ﷺ الذى يقول : إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق .. أو كما قال ﷺ : وما حرم رب العالمين شيئا إلا وأحل في مقابله أشياء — والأصل في الأشياء الإباحة إلا ما جاء نص بتحريمه — وهنا أصل من أصول الفقه الإسلامى — وما حرم الحق — تبارك وتعالى — على عباده شيئا إلا إذا كان له صلة بفساد « البدن والنفس أو العقل أو المال أو العرض أو الدين » .

ولو تتبعنا — باستقصاء — كل المحرمات لوجدناها تتصل اتصالا مباشرا بهذه القواعد الخمس — وسواء أعلمنا — بعقولنا القاصرة — علة هذا التحريم أم لم نعلمها ، فهو — سبحانه — يعلم من خلق ﴿ هو أعلم بكم ؛ إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم ﴾ ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟ ﴾ ... ﴿ والله يعلم المفسد من المصلح ... ﴾

(١) الباءة : مونة النكاح من قدرة بدنية ومالية .. الخ .

(٢) وجاء : حفظ وصيانة .

(٣) أى عدوها قليلة .

(٤) رواه الشيخان والنسائى . راجع كتاب اللؤلؤ والمرجان ( فيما اتفق عليه الشيخان ) .

ألم تترك البشرية أضرار كثير من المحرمات بعد أن أثبتت الاكتشافات العلمية  
الطبية الحديثة ماتجره من وبال على الفرد والمجتمع !!!؟

وحسبنا — في هذا المقام — أن نلمح إلماحات سريعة إلى ما أثبتته الطب  
الحديث من وجود الفيروس الضَّار في لعاب الكلب والذى لا يموت في درجة حرارة  
فوق المائة ويقضي عليه التراب في ملح البصر ؟ — وقد كانوا من قبل يسخرون من  
قول الذى لا ينطق عن الهوى حديثه : « إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله  
سبع مرات إحداهن بالتراب » أو كما قال .. ثم الدودة الشريطية أو الوحيدة  
كما يقولون في الخنزير ؟ ألم يثبتوا أخيراً جداً أن في أحد جناحي الذبابة من الدواء  
ما يطهر مائتى لتر من اللبن ويعقمه (١) ؟ .. وكانوا يستخفون بحديث : « إذا وقع  
الذباب في إناء أحدكم فامقلوه (٢) ثم انقلوه ؛ فإن في أحد جناحيه داء وفي  
الأخر دواء » أو كما قال من علمه هذا ؟ ﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾

ألم تحرم ألمانيا ، وأمريكا الخمر وجيشت الجيوش (٣) لذلك ؟ لما علموه من  
أضرار تصيب الفرد والمجتمع .. ولكنهم أخفقوا .. وهذا سر من أسرار التدين .  
آيات من كتاب الله الكريم تقضي على شرب الخمر عند المسلمين قضاء مبرما  
فما أن تليت الآيات — من سورة المائدة — حتى بلغ القارىء ﴿ فهل أنتم  
منتهون ﴾ حتى قال صحابي جليل ممن كانوا في مجلس شراب بالمدينة المنورة وفي  
يده كأس شرب بعضها .. إلا وقذفها ولم يتمها قائلاً : انتهينا ربنا .. انتهى ربنا ثم

(١) نقلا عن مجلة الفيصل التى تصدر بالرياض ولقد قرأته بعينى رأسي ولكني نسيت رقم العدد ومن أراد  
المزيد فليراجع كتاب « سلسلة الأحاديث » الضعيفة والموضوعة للشيخ ناصر الدين الألبانى وقد نقل  
خلاصة محاضرة ألقاها أحد الأطباء في جمعية الهداية الإسلامية في مصر حول هذا الحديث . قال فيها :  
« يقع الذباب على المواد القذرة المملوءة بالجراثيم التى تنشأ منها الأمراض المختلفة فينقل بعضها بأطرافه ،  
ويأكل بعضها، فيتكون في جسمه من ذلك مادة سامة يسميها علماء الطب بـ « مبيد البكتريا » وهى تنقل  
كثيرا من جراثيم الأمراض ولا يمكن لتلك الجراثيم أن تبقى حية أو يكون لها تأثير في جسم الإنسان في حال  
وجود « مبيد البكتريا » وأن هناك خاصية في أحد جناحي الذباب : وهى أن يحول البكتريا إلى ناحيته ..  
وعلى هذا فإذا سقط الذباب في شراب أو طعام وألقى الجراثيم العالقة بأطرافه فإن أقرب مبيد لتلك الجراثيم وأول  
واقي منها هو : « مبيد البكتريا » الذى يحمله الذباب فإذا كان هناك داء فدواؤه قريب منه ، وغمس الذباب  
كله كافٍ لقتل الجراثيم التى كانت عالقة وكاف في إبطال عملها .. ا.هـ . بتصرف .

(٢) اغمسوه .

(٣) راجع كتاب الإيمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوى . ومحاضرات الشيخ الدكتور ( صيدلى )  
عبد المجيد الزنداني (أشرطة تسجيل ) .



صارت طرقات المدينة أنهارا من الخمر التي سكبت وأريقت فورا ...  
هل كان صلى الله عليه وسلم متخرجاً في « أكاديمية » علمية ؟ هل تلقى علم النفس في  
مدرسة ؟ هل درس علم الاجتماع أو الطب أو ... إلخ ؟ لا .. ﴿ إن هو  
إلا وحي يوحى .. علمه شديد القوى ... ﴾ .

إنه الدين الذي أنزل عليه .. وإنها العقيدة .. إنها المنهج الإلهي دين الفطرة  
﴿ ... لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ .

ثم لماذا تنصاع هذه البشرية الضالة لتعاليم الأطباء المعالجين .. ؟ أو المهندسين  
المخترعين الذين يضعون مع كل آلة يصنعونها « كتالوجا » ينظم سيرها  
ويصون (١) أجهزتها ؟ .. ثم لا يذهب صاحب سيارة المرسيديس لإصلاحها عند  
وكالة « البيجو » مثلا ولا صاحب النظارة المعطوبة إلى النجار ؟ ؛ .. إلخ .. لماذا  
يؤمنون بالتخصص حتى في الطب : طب بشري .. وطب بيطري ، ثم الطب  
تخصصات : عيون وأنف وأذن وحنجرة ومسالك . إلخ .. لماذا ؟ ﴿ والله المثل  
الأعلى ﴾ ثم ينكصون على أعقابهم خاسرين عندما يحرم الخالق — سبحانه —  
حراما لصيانة هذا المخلوق — صنعته — ولتسيير حياة مصنوعه ومخلوقه ؟ ليس  
هذا من الغباء والحمق والجهالة ؟ ... ! إنه البعد عن منهج الله ﴿ واتقوا الله  
ويعلمكم الله ﴾ ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب .. أو ألقى السمع  
وهو شهيد ﴾ !!!

ويطول بنا السرد ويشق علينا التعداد .. فالطلاق ، وتعدد الزوجات وإقامة  
الحدود .. إلخ ، كل أولئك كان محل رجوع إلى الإسلام وأحكامه وإشادة به من  
العلماء المنصفين ، والباحثين المعتدلين ، ومكان تقدير واعتراف بفضل أحكام  
العقيدة الإسلامية .

شبيهة الإسلام : تجدون في دينكم دائرة الحلال واسعة جدا جدا على طرفي  
نقيض من دائرة الحرام ، فهي ضيقة جدا جدا .. فعلى سبيل المثال —  
لا الحصر — أحل الله البيع — في جميع مجالاته — وحرم الربا — بكل  
ميادينه — مما يظلم في مظانة من كتب الفقه — وأحل النكاح بل دعا إليه —  
كما أسلفنا — لدرجة الجمع بين أربع — حتى الكنايات — بشرط العدل بينهن

(١) راجع كتاب « ماذا خسر العالم بإخطاط المسلمين » وكتابتنا : حاضر العالم الإسلامي .

﴿ وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ... ﴾ أباح جميع المطاعم والمشروبات — كما قدمنا — وما أكثرها — حتى طعام أهل الكتاب ، .. ثم حرم الخمر ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخقة والموقوذة والمتريدة والطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيت وما ذبح على المنصب ﴾ ... الخ . ﴿ ... الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويجعل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ .

وهكذا ... وفي قانون المجتمع جعل القوامة للرجل على المرأة — تبعاً للتكوين الخَلْقِي والاستعداد الفطري لكل منهما (١) ولكنه حدّ لكل حدوداً ، وجعل لكل حقوقاً وعلى كلٍّ واجبات ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ... ﴾ .

وإلا فلماذا لا يلد الرجل ويرضع ويفطم ؟ ... ! إنها الفطرة . « وكل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

وللحفاظ على ناموس الفطرة يقول معلم البشرية « لعن الله المشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » .

واسمحوا لي أن أدلف إلى لمحّة من الواقع الأليم وأكشف اللثام عن الحقيقة المرة فأهمس في أذن المتشبهين والمتشبهات من أبناء الإسلام ... هل يجب الجنس الخشن فتاة خشنة ؟ هل يجب الجنس الناعم فتى ناعماً يخدش الهواء خديه ويدمي العمل بنانه !!!؟

ستكون الاجابة قطعاً — ولو بحديث النفس أو الهمس — ما أقبح المرأة المسترجلة والرجل المتخث المتكسر ..! فما بالكم ( بالمُتَسَوِّن ) !!!؟

﴿ ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ... للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن .. واسألوا الله من فضله ... ﴾ .

(١) راجع كتاب الإسلام وبناء المجتمع للدكتور أحمد العسال وشبهات حول الإسلام للأستاذ محمد قطب .

فتية الإسلام : كونوا صرحاء مع أنفسكم .. ما النتيجة — وأنتم في كليات علمية عملية — إذا اجتمع سالبان ؟ فلا شيء.. أو التقى موجبان ؟ فالتدمير (١) ... أليس هذا قانون الكهرباء ( سالب وموجب ؟ ) إنها القطرة .. إنها طبائع الأشياء .. تختل النتيجة باختلال موازينها .. إن جميع الأشياء ... — بما فيها الإنسان — تتصرف وفق منهج الله تصرفا لا إراديا ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار .. وكل في فلك يسبحون ﴾ حتى الملائكة إلا الثقلين ( الإنس والجن ) فلهما تصرف إرادى نتيجة للنفخة الآلهية من روح الله ، ووفقا للحرية التى وهبها لهما . هما فقط اللذان يستطيعان اختيار البديلات ، ومنهج الله ينحصر فى « افعل ولا تفعل » وقد جعل الله — سبحانه — للنوعين « الإنس والجن » مشيئة خاصة داخل مشيئته — سبحانه — ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ مما ليس هذا محله وللتفصيل فى قضية الجبر والاختيار (٢) . نرجى الحديث .

﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ﴾ ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ ... ﴿ إنا هديناه السبيل : إما شاكرا وإما كفورا ﴾ ﴿ وهديناه النجدين ﴾ ﴿ يأيا النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم ... ﴾ ﴿ والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ فلنعتبر الطريق إلى محل الشاهد . فلهذا الموضوع « القضاء والقدر » محل آخر — إن شاء الله — ولنأخذ الإنسان مجالا لذلك ... أعضاء هذا المخلوق تتصرف تصرفين .. تصرفا لا إراديا — ولا حساب عليه ، لأنه جبرى — ككل المخلوقات .. مثل تفتح العين ، وضربات القلب ، وغمض العين وانطباق الجفنين عند النوم .. الخ . وهكذا جميع الأعضاء .. ولابد من أن يكون التصرفان لأى عضو من الأعضاء — اللا إرادى ، والإرادى — وفق منهج الله ، ليحدث الانسجام للنفس

(١) إذن : فلا بد للانتاج الصحيح من اجتماع السالب والموجب الحلال ...

(٢) راجع : عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي ، والإيمان والحياة للدكتور القرضاوى . ونظام الإسلام : العقيدة والعبادة للمبارك .

الإنسانية .. ولأخذ مثلا واحد لعضو واحد ، لنقيس عليه بقية الأعضاء ( العين مثلا .. تنفتح في الطريق لترى العدو والصديق والطريق السوي من بؤرة يقع فيها أو سيارة تدهمة أو عمود نور يصدم به ... الخ .

فإذا وقعت العين على فتاة مثلا — عفوا — فلا حساب عليه .. ، إذ له الأولى وعليه الثانية .. وأقصد بالأولى غير الطويلة .. فإن طالت كانت الثانية فهي عليه لأنها إرادية وليست وفق منهج الله .. لأن رسول الله ﷺ حكى عن رب العزة قال .. « النظره سهم مسوم من سهام إبليس فمن تركها من مخافتى أبدلته بها إيمانا يجد حلاوته في قلبه » أو كما قال . فإذا ترك الثانية من مخافة الله أحس الانسجام لتصرف العضو التصرفين وفق منهج الله .. أما إذا لم يتركها أحدثت نكتة سوداء في نفسه فحدث الشد والجذب بين العضو ونفسه .. ثم التكرار ، ثم عضو وعضو وآخر وآخر .. الخ ، ثم يحدث التدمير النفسي ؛ فيكون القلق النفسي والاضطراب العصبي ثم .. ثم .. الجنون .. أو الضياع والخنفسة والهيبية .. الخ .

هكذا تماما كما تضع ( فيشة ) جهاز كهربي قال صانعه في الكتالوج « تيار ١١٠ — فلو وضعت في ١١٠ حدث الانسجام والإرسال والنور و .. و .. الخ . وإذا وضعت في تيار ٢٢٠ دمر الجهاز ولو كان الجهاز صمم على ٢٢٠ ووضع في ١١٠ فلن يعمل ، أو يعمل عملا ناقصا غير مجد وهذا هو سر أزمة المثقفين التي تحدثنا عنها سلفا .. بل وسر أزمة الأفراد والجماعات من أسر ومجتمعات إقليمية ومجتمعات دولية .. فلن ترى البشرية أمنا ولا رخاء ولا طمأنينة ولا عدالة ولا مساواة و .. ولا .. الخ .. إلا بالعودة إلى منهج الله .. وبالمناسبة أنقل إليكم بعض أبيات لشاعر عربي مسلم يعتبر على أبناء العروبة والإسلام ... فيقول (١) :

شباب العرب يازين الشباب	ويا أشبال آساد غضاب
معي عتب أوجهه إليكم	وقد تصفو المودة بالعتاب
أرى منكم فريقا حين يمشي	يحك بأنفه ظهر السحاب
كليث الغاب — في صلف وتيه	وليس لدى القراع بليث غاب
لزهو النرد قد خلقت يدها	وليست لليراع ولا الكتاب

(١) قالما عن شباب ١٩٢٥ م تقريبا فتخيّلوا ماذا كان يقوله اليوم ؟

زهرة الرد قد خلقت يداه  
تفنن في محاكاة العذارى  
وليس بمحكم عملا شريفا  
وأرسل شعره المضغوط يحكي  
بأثواب تحاكي الطيف لونا  
وكم من لمة شابت وهانت  
وإن يجلل فتاهم قلب أنثى  
ليوم كريمة كان الشباب  
عجبت من الفتى يبدو ، فتبدو  
أيها الإخوة الأحباب : أليس على حق في عتابه ؟

ولهذا يؤكد القرآن الكريم هذا المبدأ الاجتماعي العظيم ﴿ الرجال قوامون على النساء ﴾ مع المساواة في التكاليف وفي الثواب وفي العقاب — كما سنفصله — إن شاء الله — في الباب الثالث « وأنت أيتها الأخت المسلمة » هذه رسالتك ﴿ إن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ .

وصدق الله العظيم ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .  
ويقول الشاعر المسلم مثنيا على كرائم المسلمات السابقات :  
فلو أن النساء كمثل هدى (٢) لفضلت النساء على الرجال  
فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال !..  
أرايتم كيف يضرب الإسلام بسهم وافر في وضع المدينة والحضارة- موضع التقدير ، والأخذ بأسبابها موضع الاعتبار ؟ — في حدود الدائرة التي رسمها الحق — تبارك وتعالى — وفي إطار الشريعة السماوية ؟ ..

(١) وماذا كان يقول اليوم ؟ شعره المنكوش يحكي رأس العبد أو فرشاة البلاط مثلا ؟ ... من يدري .  
(٢) يقصد أم المؤمنين خديجة — رضی الله عنها — ومثيلاها كعائشة وسائر أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ونسبيهن والخنساء ... الخ .

ومن ثم فقد دعا إلى البحث العلمي — دوئما حدود (١) — وحث على الاكتشاف والاختراع دوئما قيود ﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض ﴾ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴿ .. وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم . ﴾ ﴿ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ .. ﴾ ﴿ .. آتَوْنِي زُبْرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدْفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتَوْنِي أَفْرَغَ عَلَيْهِ فِطْرًا فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ، وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ... ﴾ ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ... أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٢) .

﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾

وصدق الرسول العظيم « لا طلعت عليّ شمس يوم لم أزد فيه علما » وقد سبق تحقيق الحديث « .. ومن الجبال جُدَّدٌ بيض وجرم مختلف ألوانها وغرايب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك » ثم أعقب ذلك .. ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ « سورة فاطر » ويضيق بنا المقام عن سوق الآيات والأحاديث التي تحث على العلم والإنتاج حتى ولو عند قيام الساعة ﴿ إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدَيْ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ، فَاَسْتَطَاعَ أَلَّا تَقُومَ حَتَّى يَغْرُسَهَا ، فَلْيَغْرُسْهَا فَلَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ ﴾ (٣) .

وسنوضح — إن شاء الله — عند الحديث عن « اعرف تاريخ أمتك » مقدار استجابة المسلمين الأوائل لداعي العلم في القرآن والسنة حتى برزوا في كل فن وسبقوا في كل علم وسادوا في كل مجال ؛ فعزوا وسادوا وملثوا العالم علما وعدلا ورحمة وأمنا وسلاما وطمأنينة ورخاء وسعادة .. لم تكن عندهم جامعات ولا « أكاديميات » علمية .. ولكنها العقيدة الإسلامية : ثورة إنسانية تحريرية شاملة تبدأ في ضمير الفرد وتنتهي في محيط الجماعة — كما أسلفنا — كانوا رعاة

(١) في دائرة الخلال التي رسمها — سبحانه —

(٢) راجع ماقلناه سلفا في هذا المجال وأعدناه للتأكيد فالقرآن لا يخلق على كثرة الرد .

(٣) ذكره علي بن عبد العزيز في المنتخب باسناد حسن عن أنس — رضى الله عنه — « عمدة القارى في

شرح صحيح البخارى » « ليدر العينى — باب الحرث والزراعة وراجع في مثله كتيب : قيسات من

الرسول للأستاذ محمد قطب .

إبل وشاة فصاروا — بهذه العقيدة — رعاة دول ومجتمعات — بحثوا واكتشفوا وترجموا وطوروا ، تفننوا ؛ فكانوا أساتذة العالم ورواد الحضارة ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ .. إنها الثقافة الرائدة كما علمتم ، وما علماء العالم — اليوم — إلا عيال على مخترعاتهم وابتكاراتهم — كما ستعلمون بعد — إن شاء الله — فلست ألقى الكلام على عواهنه ، وإنما حوادث التاريخ خير شاهد .. والأعداء أنفسهم يشهدون بذلك ولكن مركب النقص غالباً ما يعترى المهزومين داخلياً — نتيجة الثقافة الحمقاء ، والتقليد الأعمى ، وذكاء العدو — في إخفاء الحقائق وطمس المعالم — ولكن لا بد للشمس من شروق ، وللكبوة من نهوض ، وللحق أن يسود .. ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ .

﴿ وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ :

ما أجمل الإسلام وأعظم مبادئه ، وما أحكم نظامه ، وأسلوبه في الحياة . ! قولوا — أيها الإخوة — للملاحدة والعلمانيين الماديين ، والإلحاعات المقلدين جربوا هذا الدين — ولو كنظام — كما سنعرض له بشيء من التفصيل فيما بعد — حتى تحسوا حلاوة مذاقه ، انه الدواء المحرب — وأنتم تعلمون ذلك — فلماذا تخشونه ؟ لأنه يضرب على أيدي المفسدين العابثين الهدامين أعداء البشرية . ولماذا تحاربونه ؟ أمن أجل أن يقضي على ظلمكم واستبدادكم ؟ أم لأنه يقذف بالحق على الباطل فيدمغه ؟ أم لأنه مصدر الأضواء الكاشفة ، وأنتم لاتعيشون إلا في الظلام ؟! ولا تصطادون إلا في الماء العكر ؟ .. !

إنه طبق في بلادكم حقبة من الزمن وصنت إلى ثمانية قرون (٢) إلا قليلا ، فكان النور ، وكان العلم ، وكانت المعرفة ، وكان الأمن والسلام ، وكانت المدنية والحضارة — لأن الذي صد قلبه عن الإيمان عاش آمنا تحت ظلال الإسلام الوارفة لقاء خنوعه وتسليمه ودفع دراهم قليلة مقابل الدفاع عنه وحمايته فكان حرا في عقيدته آمنا في سره متفرغا ليشعل فتيله من قناديل المسلمين الفاتحين في جامعات طليطلة وقرطبة أليس كذلك ؟ ..

(١) راجع في ذلك تطور الفكر عند المسلمين للدكتور محمد الصادق عفيبي ، ونوابغ علماء العرب والمسلمين للدكتور على الدفاع .

(٢) بالاندلس .

إذن فما لكم تتظاهرون سافرين على قتله ، وتتكلمون ظالمين ضده — على اختلافكم فيما بينكم وصدق الله العظيم ﴿ .. بأسهم بينهم شديد .. تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾ .. لأنه أحسن اليكم في محنتكم والظلام الذى كنتم تعيشون فيه ، وأنقذكم من الظلم ، وخلصكم من الرق والعبودية والإقطاع والكهنوتية ، وصكوك الغفران ؟ ولكن الحق يدملأ قلوبكم على الإسلام وأهله ، فتكرتم للمعروف وأسأتم للمحسنين — وصدق الأثر الكريم : اتق شر من أحسنت إليه (١) .

وصدق الشاعر :

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني  
وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

بئسما أنتم عليه من خلق ..! أهذه هي المدنية ؟ ..! إن أبسط قواعد الإنسانية أن تعترف بالجميل لمن أحسن إليك ، وألا تعض اليد التى امتدت لإنقاذك ... ولكنه التعصب (٢) الأعمى ، والحقد البغيض ، وصدق أحكم الحاكمين ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ... ﴾ ﴿ ... قد بدت بغضاء من أفواههم، وما تخفى صدورهم أكبر .. ﴾ ﴿ و قد كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ... ﴾ (٣)

شبية الإسلام . بقايا جنود الحق ، وكتائب الرحمن — وهذا أمل كل مسلم غيور : لاتخذ عنكم الوثبة العلمية الخاطفة التى اختطفها منكم أعداؤكم — فى غفلة منكم — حين انصرافكم عن دينكم .. لاتأخذنكم المظاهر البراقة ، فالدور لكم والتاريخ يعيد نفسه ﴿ وتلك الأيام نداؤها بين الناس ﴾ .  
ولكن الحرية لاتمنح ، وإنما تؤخذ — إن أحسنتم الاقتداء ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ إن غيرتم ما بأنفسكم ونبذتم التقليد الأعمى ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا

(١) ، (٢) راجع كتاب : التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام للشيخ محمد الغزالي .  
(٣) وذلك من الدراسات الميدانية القرآنية — كما أسلفت — وهى إشارات غيبية لحقائق علمية ( فهل من مدكر ؟ ) والله أسأل أن يوفقني لأحراجها فى كتاب .



مابأنفسهم ﴿ إن تمسكتم بمبادئكم « تركت فيكم ماإن تمسكتم به لن تضلوا  
بعدي أبدا كتاب الله وسنتي » أو كما قال ﷺ .

عاصرنا الذرة والفضاء .. فأى مسلم صنع لنا قمرا صناعيا ؟ اللهم إلا على  
مستوى الأفراد — مثل فاروق الباز عالم الفضاء وأمثاله — وتستقطبهم الدول التي  
تخرجوا في جامعاتها وتتيح لهم المناخ العلمي المناسب وتمنحهم المركز الأدبي  
المناسب وتعقد لهم العطاء وتعمى بصائرهم بالمادة فلا يخدمون دينهم بل يخدمون  
دنياهم فأصبحوا علمانيين متجنسين بجنسيات الدول التي استقطبتهم فكانوا غرباء  
عن دينهم وأوطانهم .. فنحن نستورد كل شيء ولم نحاول أن ندخل عصر  
الصناعة وأموالنا تضيع هباء في القمصان المزركشة و .. الخ .. ولتتنا نحن نصنع  
الأشياء وإنما نستوردها !!!

أما أعداؤنا أعداء الإسلام فستعرف عما قليل أن أمريكا لديها قاعات علمية  
باسم المخترعين المسلمين العرب القدامى ؛ اعترافا بفضلهم . بل لو ذهب مسلم  
إلى بلادهم ليتعلم ثم تفوق في علمه أغروه بالبقاء — كما أسلفت ليحتكروه ..  
فلا يشذ ويعود إلينا إلا كل متمسك بدينه معتز بوطنه — وقليل ما هم .. !

لا ياشباب محمد ﷺ دينكم لا يحرم الأخذ عنهم — في حدود ماينفعكم  
ولا يصادم عقيدتكم ، ولن يضركم بعد ذلك متربص ﴿ إن الله يدافع عن الذين  
آمنوا ﴿ ﴿ إن تصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴿ (٢)

يأتباع رسول الله .. ياسلالة الأجداد ... ياورثة الأنبياء .. الدور لكم فخذوا  
بالأسباب ، وعودوا إلى بارتكم فالله معكم ولن يترك أعمالكم فسيروا على بركة  
الله ، ودعوا الكلاب تبح والقافلة تسير .

ياشبابنا المثقف ﴿ .. والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ، والذي خبث  
لا يخرج (٢) إلا نكدا ﴿ ... ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم  
بركات من السماء والأرض ... ﴿ . أكمل الآية وتأملها جيدا في  
سورة الأعراف .

(١) من باب التغليب لأن الخطاب للذكر والأنثى على حد سواء .

(٢) وذلك من الدراسات الميدانية القرآنية كذلك .

وقد وعدكم الله ولن يخلف الله وعده ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات (١) ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ؛ يعبدونني لا يشركون بي شيئا .. ﴿ أجل .. ﴿ يعبدونني لا يشركون بي شيئا ﴾ ... في ضوء قوله — سبحانه — ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر .. والله عاقبة الأمور ﴾ .

إليكم يا شبابنا المثقف أسوق هذه الكلمة وأرسل هذه الرفرة الحارة وسوف أكشف اللثام عن هذه الحيرة فيما بعد — إن شاء الله — ونضع أيدينا معا — في ضوء كتاب الله ، وسنة رسول الله — على المخرج من هذه الظلمة فأنتم أشبال الدعوة ، وعليكم يقع العبء الأكبر في هذا الدور .. فكونوا عند حسن الظن والله يهدينا وإياكم سبيل الرشاد .. آمين .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه والتابعين والحمد لله رب العالمين .



(١) وذلك من الدراسات الميدانية القرآنية كذلك .

# الباب الثاني

## أيها الشباب المسلم ... هذه رسالتك

### الفصل الأول : العقيدة الإسلامية

على هامش العقيدة — يقظة على أذان الفجر — من أنت ؟ ومن خالقك ؟  
رسالة المخلوقات — حقيقة بديهية — أصناف الناس — من أي صنف أنت ؟  
وعرفت ربك — ثم اعرف عدوك — واعرف تاريخ أمتك ولكن لماذا تكون العقيدة  
هي الإسلام ؟ .

### الفصل الثاني : مع الملاحدة والعلمانيين

مع الملاحدة والعلمانيين — القبر<sup>١</sup> سؤاله ونعيمه وعذابه — الحشر —  
الحساب : القنطرة والصراط والشفاعة والجنة ونعيمها والنار وعذابها أشرط الساعة  
وعلاماتها — إجمال واجب لتعميق العقيدة — نقاط على الحروف — تنقية  
الشفاعة — منكرو البعث وسخف مزاعمهم — عيود على بدء : ولكن لماذا تكون  
العقيدة هي الإسلام ؟ ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ الدين بدأ مع  
خلق الإنسان ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ فتح باب التوبة أمام  
البشر .

### الفصل الثالث : المعجزات

حقيقة المعجزة — الكرامة — معجزة القرآن وكيف تختلف ؟ معجزة القرآن  
العالمية — تمزيق القرآن حواجز الغيب — القرآن وأحداث المستقبل — القرآن  
والعلم — القرآن وحقائق الكون — التصادم بين العلم والقرآن — دوران الأرض  
في القرآن — القرآن والإعجاز التشريعي — تعليق لا بد منه .  
﴿ وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ﴾ .



## على هامش العقيدة

سنحاول في هذا الباب — إن شاء الله — إلقاء الضوء على العقيدة الإسلامية أى بيان وتوضيح مدى أهمية الإيمان الإسلامي في حياة البشر .. فهل هو على هامش الحياة ؟ أم هو ضرورة إنسانية .. لغوية عقلية فكرية ثقافية اجتماعية سياسية .. الخ ؟

وإذا كان ضرورة إنسانية .. فلماذا ؟ وكيف ؟ وما سر وجودنا فمن أين جئنا ؟ ولماذا أتينا ؟ وإلى أين نسير ؟ وما رسالتنا في الحياة — كإنسان مسلم — ؟ وما الطريق إذن ؟

أى .. لماذا أكون مسلماً ؟ وما محتويات هذا الإسلام ؟ وكيف أكون مسلماً ؟ تفصيل إجمالي للعقيدة — من الوحي والنبوت وأسماء الله الحسنى وصفاته الأزلية وحياة القبر — نعيمه وعذابه — والآخرة ، وما فيها من البعث والنشور ، والموقف ، والحساب ، والشفاعة والقنطرة والجنة والنار .. الخ ( الإلهيات — النبوت — السمعيات ) ثم لمحات سريعة عن نظام المجتمع المسلم ، وأصول التشريع ومنابعه ، والفكر الإسلامي وتطوره لدى المسلمين .. ؛ إذ ليس من موضوعات بحثنا ..

كل همننا في هذا البحث أن نرد الأفكار الشاردة إلى الصواب ، والعقول الجامحة إلى التفكير والتدبر ، والقلوب الخاوية الحائرة إلى الأمن والطمأنينة ؛ إذ الأمن هو هدف كل إنسان ، حتى قال بعضهم (١) : —

لو لم يكن هناك إله لخلقنا إلهاً وعبدناه ، لثلا يسرق اللص متاعي ، ولثلا تخونني زوجتي .. ألم يقل رب العالمين ﴿ .. الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ؟ ﴾ .

(١) من علماء القرن العشرين في الغرب وغير المسلمين . راجع كتاب الإيمان والحياة د . يوسف القرضاوى ( المقدمة ) .

وقال عز من قائل لأب البشر آدم عليه السلام :

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنْتَ لَا تَنْظُمَٰ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ . . . !! ﴾ — كما أسلفنا — فمنذ خلق الله الأرض ومن عليها والإنسان يبحث عن الأمن في كنف الخالق وهذه غريزة فطرية يتساوى فيها الإنس مع الجن . وجميع الكائنات الحية .

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبَحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ . . . ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبَحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ . كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ . . . ويحكي القرآن الكريم مقالة الهدهد لسليمان عليه السلام ﴿ ... وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ فاعتبر السجود للشمس شركاً وإلحاداً .. ثم هو يصحح العقيدة فيقول : ﴿ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يَخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فالفطرة ثم الحواس الظاهرة والباطنة ثم العقل .. كل ذلك يهdy إلى الخالق ويقود إلى العقيدة . ولكن العقل يخطئ . ويصيب .. ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ .. ﴾ فإذا سئلوا . لماذا تعبدون الأصنام ؟ قالوا .. ﴿ إِنَّمَا نَعْبُدُهُمْ لِيَقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ .. ﴾ ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَّوْا لِلَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ .

وهذه طبيعة البشر في كل حين إلى يوم القيامة .. وهكذا قال « يورى جاجارين رائد الفضاء السوفيتى الأول » — كما سنفصله بعد — إن شاء الله — ولكن الوحي السماوي يصحح خطأ العقل فيرده إلى الأمن الحقيقى في ضلال التوحيد .

فلما كان الإيمان بالله قضية الإنسان المصيرية . بل هو الحياة كما قال رب العالمين — سبحانه — ﴿ أَوْ مِنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَىٰ بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ؟ كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ لما كان كذلك كان لا بد من التفكير فيه للوصول إلى الأمن . فهذا أبو التوحيد إبراهيم الخليل — عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم — يحكي عنه القرآن ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَىٰ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ؟ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مُلَكَّوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وليكونَ من الموقنين .. فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لأحب الآفلين .. فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي — فلما أفل .. قال لئن لم يهدني ربي لأكوننَّ من القوم الضالين .. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون .. إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين . وحاجته قومه .. قال : أتأجؤني في الله وقد هدان ؟ ولا أخاف ماتشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون ؟ ... وكيف أخاف ما أشركتم ؟!!! ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا ؟ فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعملون ؟!!! ﴿

فأى الفريقين أحق بالأمن ؟ الأمن الذي ينشده كل البشر .. الأمن على النفس ، الأمن على المال ، الأمن على العرض ... إلخ .. فينشده عند الذي يظن فيه القوة والقدرة على إخضاع الأقوياء من البشر ، فلا يظلمون غيرهم ، أو يجلب لهم المنفعة .. فمنهم من رأى ذلك عند البقرة ؛ لأنها تأتيهم باللبن فعبدها ، وكذا المعز ومنهم من رأى ذلك في الشمس فعبدها ، ومنهم من عبد القمر ، ومن عبد البحر ومن عبد النار .. إلخ .. وكل ذلك من خطأ العقل .. ولذلك يقول إبراهيم لقومه — وهم كثرة ، ومعهم قوة الأرض التي عبدها — ولكنهم خائفون من إبراهيم وإبراهيم وحده ، وقلة مؤمنة — ولهذا يتحداهم ويقول القرآن الكريم ﴿ فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ؟ ... ﴾

قذفوه في النار — وهم خائفون — وهو غير خائف ؛ لأن معه خالق النار فيظل فيها وهي تتأجج ومن طبيعتها الإحراق ولكنها ليست إلهاً فخبيت ظنهم ولم تجلب لهم الأمن .. أما رب إبراهيم فهو الإله الحق ، أمرها فانصاعت .. ﴿ يانار كونى بردا وسلاما على إبراهيم ﴾ بردا .. وسلاما .. إذ لو كانت بردا وتلجا فلم تكن سلاما .. فتحرق الحبال ولا تستطيع إحراق الثياب والبدن وإبراهيم في غاية الأمن والطمأنينية حتى يأتيه الأمين جبريل فيقول له « ألك حاجة ؟ » فيقول إبراهيم : « أما لك فلا » .. فيقول : « أربك ؟ » فيقول : « علمه بحالى يغنيه عن سؤالى » ثم يخرج من النار بعد ذلك وكان عند ربه يطعمه ويسقيه .. فهبت الذين كفروا !!! ولهذا يعقب القرآن الكريم عقب السؤال « فأى الفريقين ... الآية » فيقول جوابا على ذلك ﴿ الذين آمنوا ولم يَلْبِسُوا

إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ﴿

وهذا موسى عليه السلام ... يقول أصحابه ﴿ إنا المدركون .. قال كلا ؛ إني معي ربي سيهدين ﴿ إن معي ربي .. فهو آمن ، وفرعون الذى يقول : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴿ .. لا يستطيع هذا الإله المزعوم المزيف أن يقول للماء انتظر حتى أمر وألحق بموسى ومن معه ، ولم يستطع أن يجعله ينطبق على موسى .. لماذا ؟ لأنه ليس بإله ، أما الله — سبحانه — فينجى موسى ومن معه أجمعين . ثم يفرق فرعون وقومه ويجعله مثلاً للآخرين ، وهكذا كل الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حتى يقول فرعون آخر الأمر ﴿ آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴿ (١) فلا آمن ، ولا سلام ، ولا طمأنينية ، ولا عدل ، ولا مساواة ولا رخاء ولا سعادة ، إلا تحت ظلال ( لا إله إلا الله محمد رسول الله ) ...

فهذه العقيدة — عقيدة التوحيد — هى الإيمان الحق .. أما الإيمان بالوطنية أو القومية أو الأرض أو الجنس أو .. أو .. الخ .. فلا تسمى عقيدة ولا تسمى إيماناً .. قل هى فكرة أو نظرية أو رأى .. أما العقيدة الحققة فهى عقيدة التوحيد ؛ لأنها تحمل لغز الوجود وتفسر سر الحياة والموت ، وتجيّب على الأسئلة التقليدية الحائرة ( من أين جئت ؟ ولماذا أتيت ؟ وإلى أين أسير ؟ ومن ربي ؟ وما رسالتى ؟ .. الخ ) فلن تجد إجابة شافية إلا فى هذه العقيدة الإسلامية الخالدة التى هى رسالة جميع الأنبياء .. ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ .. ﴿ ووصى بها إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ يابنَيَّ : إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ فإذا ما ألقينا الضوء على هذه العقيدة وأجبنا على هذه الأسئلة الحائرة نكون قد بلغنا الهدف ، ودلفنا إلى الإيمان بمعرفتنا هذا المدخل للعقيدة ، ونكون قد حددنا موقفنا ، وعرفنا البشرية أنه لا بد للإنسان من عقيدة .. ولكن لماذا تكون العقيدة هى الإسلام ؟ ف ( الحمد لله الذى هدانا لهذا . وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ) .

(١) أقر القصة فى كتاب الله الكريم وما أكثر ما ذكرت بأساليب المعجزة — والآية فى سورة يونس رقم ٩٠ ﴿ وجاوزنا بنى إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الفرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾



واليكم يا شباب الأمة الإسلامية تساق هذه الكلمات المتهادية وسط التيارات الفكرية المعاصرة الجارفة التي تغزونا من الشرق والغرب على حد سواء كالسيل العرم — في حملات متتابعة — مركزة ونشيطة ، منتظمة ومدروسة ، مسددة بإحكام إلى صميم قلوبنا ، حيث هي معاقل توحيدنا، والقضاء عليها هو الغاية المقنعة والهدف المستتر وراء الغزو العسكري تارة ، ونشر المدنية تارة أخرى ، وحماية الأقليات أحيانا كثيرة ، والمحافظة على الأمن والسلام الدوليين أحيانا أكثر .. ثم إنهاض الدول النامية أخيرا — وليس آخراً — يتخلل كل ذلك تبشير (١) من جانب ونشر الإلحاد من جانب آخر .. ولهذا الهدف المشترك اجتمع الأعداء .. وعلى هذه الغاية تحالف اللصوص — رغم اختلافهم في المبادئ والعقيدة .. ولكنه الكيد للإسلام وإلا فكيف يضيع دم المسيح هدرا؟ (٢) دم ربهم يضيع هباءً ويبرىء النصارى بنى يهود من دمه؟ فليكن ولا تقوم للمسلمين قائمة ﴿ بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى .. ﴾ أجل ... اختلاف في كل شيء .. ثم اتفاق على شيء واحد .. ألا وهو قتل هذا الدين ومحو هذه العقيدة .. هدف ماهم بيالغيه ، وغاية لن تتحقق .. ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله مم نوره ولو كره الكافرون ﴾ ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ .

إن هذه العقيدة نسيج وحدها .. إنها جيش من نوع فذ يغزو بسرعة ، ويسيطر في هدوء ، ويدمر مايقف في طريق زحفه ومدته .. إنها شبح يهرب الأفاكين .. إنها نار تحرق الظالمين ، ونور يضيء الطريق للمهتدين .. إنها سلاح من نوع غريب لا يغلب مهماتكسر فهو لايفنى ولا يبید . بل سرعان مايلم شتاته من جديد يهرم حامله ويشيخ — وهو شاب صنديد — يظل حيا ينبض حتى يأتي من يحمله من جديد ... إنها كائن حي وخلية متجددة ... إنها نووية ذرية ... (٣) إنها عقيدة ربانية ؛ أخفقت كل الأسلحة الكافرة في القضاء عليها ..

(١) راجع كتب : ماذا خسر العالم بالمحطات المسلمين للشيخ ابي الحسن الندوي . الغارة على العالم الإسلامى

للأستاذ محب الدين الخطيب ، وحضارة العالم الإسلامى .

(٢) وهذه عقيدة النصارى ولكن القرآن يقول ﴿ وما قتلوه وما صلبوه .. ﴾ .

(٣) ان جاز لنا ان نستعير هذه الأساليب .

فليجربوا أسلحة أخرى . فقد تقتل الفكرة (١) بالفكرة ، فهبت الريح الكريهة  
 بالأفكار المسمومة والنداءات المحمومة ، فاستقطبت بعض العناصر الضعيفة  
 والبراعم ذات الجذور الهشة فانجذب إليها السذج والبسطاء — ونسوا أن العقيدة  
 غير الفكرة والنظرية والرأى — فوقفت العقيدة شامخة سامقة لاتزعزعها العواصف  
 الهوج وظلت في العقول السليمة والقلوب المؤمنة كريات دم بيضاء تتلعب كل  
 جرثومة غريبة .. صحيح قد تصاب بالوعكة — أستغفر الله — قد يصاب بعض  
 أصحاب هذه العقيدة — أما هي فتظل حية باقية إلى أن يكتب الشفاء لحاملها  
 فيبدأ الصراع من جديد — وأمام هذا التحصين الإلهي — تفتق بأساليبه  
 المختلفة — عن سلاح جديد يصيب هذا الكائن الحي — العقيدة الإسلامية —  
 بالشلل تارة ، والتشوية تارة أخرى أو بالتخدير والجمود أحيانا .. المهم هو تعجيز  
 هذا الكائن عن الحركة والانتشار والمد الذي لايتوقف !!

وقد نجحوا فعلا — إلى حد بعيد — ككل سلاح جديد استعملوه من  
 قبل — ولكن إلى حين !!!

فإلى متى يا شباب ؟ إلى أن يحمل هذا الكائن شباب فتى قوي .. قوي في  
 كل شيء ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ قوة نكرة — والنكرة شائعة في  
 كل أفراد الجنس أي قوة ، كل قوة !!!

أيها الإخوة : إن هذا الكائن حي في أعماقكم يناديكم ويستصرخكم من  
 داخلكم .. أنا باق .. أنا حبيب .. حلوا وثاقى ، فكوا إسرائى .. إن الخدر بدأ  
 يزول عنى ... انطلقوا بى أحقق لكم المعجزات .. أسترد لكم مأخذ منكم ...  
 أظهر مادنسه الصليبيون بأرضكم ، والملاحدة والханقون بساحتكم انطلقوا بى في  
 الآفاق أرفرف بالسلام ، وأحقق العدل والأمن والطمأنينة والرخاء والمساواة والهدوء  
 والعلم المؤمن ، وأعيد للعالم الوثام ، وأسبح بخالق الأنام ، ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله  
 بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ  
 قلوبهم ويتوب الله على من يشاء ﴾ (٢) .

(١) لأنهم يحسون الإسلام فكرة — لاعتقده — فهو من باب المشاكلة اللفظية، وقد عرفت الفرق بين الرأى  
 أو النظرية ، أو الفكرة ، وبين العقيدة — وراجع ذلك في كتاب : الإيمان والحياة .  
 (٢) راجع المعجم المفهرس لآيات القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقي .

يا شباب : إنها عقيدتكم (١) .. إنها لا إله إلا الله محمد رسول الله .

أخى المسلم :— هذه هي عقيدتك السليمة ، إنها العهد والميثاق بينك وبين خالقك ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا ؛ أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين (٢) أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذريةً من بعدهم .. أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؟ ﴾ صدق الله العظيم .

أخى المسلم :— هذه العقيدة وهذا الميثاق هو رسالتك في هذه الحياة ﴿ وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون ﴾ ومعرفة حقيقة هذه الرسالة ومبادئها هو ما سنعالجه معا — إن شاء الله — ولكن على هيئة أضواء كاشفة فقط وعلامات على الطريق فحسب ، لترتاده أنت بنفسك في أمان واطمئنان فلعلنا نصحو على أذان فجر جديد — إن شاء الله — .

### يقظة على أذان الفجر :

في الفترة — من تاريخ أمتنا — التي غفوناها ، وطال فيها رقادنا واستسلامنا ، نشطت الجرائم — كما عرفنا سلفا — فتغيرت الأحوال وانعكست الأوضاع ، واختلط الحابل بالنابل والحق بالباطل ، وشوهت الحقائق ، وشاهدت الرؤية ، فنتكب به كثير من شبابنا الطريق ؛ بغية البحث عن شيء يملأ فراغ قلوبهم ويصحح ما متلأت به عقولهم من أوهام ، فخلب أنظارهم بريق الشعارات وطفرة العلم الخاطفة التي سبقنا بها الأعداء أيام إيقاظنا لهم من رقادهم ؛ فنهلوا من علومنا ومعارفنا وترجموا وطوروا ، ثم شغلتنا أموالنا وأهلونا وأخذتنا نشوة النصر فرحنا في سبات عميق ، وانحسر المد الإسلامي فانحسر ظله وتقلصت أطرافه ، وتفرقت أمتة شيعا وأحزابا ودويلات — سهل التهامها — وتخلفنا عن ركب الحضارة وواكبوها ، (٣) فانهر السدج والبسطاء من المسلمين بالتفوق « التكنولوجي » حتى ظنوا — خطأ — أو قل : إنهم انساقوا وراء الدعوة الفاجرة التي تقول بأن

(١) راجع كتاب معركة المصحف للشيخ محمد الغزالي .

(٢) أول الانحراف عن المنهج غفله ثم تقليد أعمى ( راجع شريط منهج الله ) للشيخ محمد الشعراوي وكل ذلك من الدراسات القرآنية التي يقدمها القرآن للمسلمين — وهم عنها غافلون —

(٣) راجع ماقلناه في هذا الصدد بكتاب « حاضر العالم الإسلامي » .

الدين معطل لركب الحضارة ومثبط لهمم الباحثين ، ومخدر للشعوب . وكذبوا ، فإن ديننا ينبذ الجمود ويشور على الركود الجسمي والفكري والقلبي ، وصدق رسول الله ﷺ « لا طلعت عليّ شمس يوم لم أزد فيه علما » « من سلك طريقا فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة » أو كما قال ﷺ أقول : سحر بهذه الطفرة المراهقون فكريا حتى أصيبت أفكارهم بالشلل وعقولهم بالخدر ، وقلوبهم بالوهن ، وأجسادهم بالترهل والتكرش — ولكن إلى حين ... ؛ فقد أذن فجر جديد يشي يصبح جديد .. فقد نشطت الدعوة الإسلامية — رغم كل ماقوبلت — وتقابل به — من محاولات آثمة — لافي جنبات العالم الإسلامي فحسب .. بل في أرجاء المعمورة ، فهنا رابطة العالم الإسلامي ، وهناك المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ومنظمات عالمية ، ومراكز إسلامية ومؤتمرات دولية — وإن كانت لا تشكل مدّا إسلاميا مشابها للمد الأول ، وإنما هي مؤشرات لظاهرة صحية — والأهم من كل هذا صحوة دينية في معظم البلاد الإسلامية تجتاح الشاب — لظاهرة صحية — فتيانا وفتيات — بالرغم من كل المعوقات الإعلامية

المختلفة — مما يبشر بميلاد فجر جديد .. فهي على أي حال — معالم في الطريق .. (١) .

وكأني بكل هذه المؤشرات الدولية والفردية تصرخ فينا وتقول : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق .. ؟ ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ، فظال عليهم الأمد ، فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾

﴿ .... إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله .. وتلك الأيام نداؤها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ﴾ (٢) .

أقرأ الآيات بإمعان وتدبرها في سورة النساء من ١٣٢ إلى آخر السورة وأنت ترى العجب العجيب ....

(١) راجع كتاب الدكتور يوسف القرضاوي الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف .

(٢) وهذا أيضا من الدراسات الميدانية .

من أنت ؟ :-

أيها المسلم : (١) إذا أردت أن تعرف رسالتك في هذه الحياة فاعرف نفسك أولاً .....

وجه لنفسك هذا السؤال .. من أنا ؟ فسوف تسمع داخلك .. من أعماق نفسك تلك الإجابة الفطرية .. أنت خلق من خلق الله — سبحانه — خالق السموات والأرض وما بينهما ... أنت الآدمي تراي الأصل ، طيني المنشأ .. ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجن من مارج من نار .. ﴾ .. ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون .... ﴾

أنت الذى حبك ربك فخلقك فى أحسن تقويم ، أنت الذى آثرك خالقك فسواك فعدلك فى أى صورة ماشاء ربك !!!؟

برغم أنه جعل من الماء كل شيء حي إلا أنه خصك من دون الأحياء فأنشأك خلقاً آخر ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغه فخلقنا المضغه عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر .. فتبارك الله أحسن الخالقين .. ﴾ ويفاجأ الملاحدة — بعد عشرات القرون — بأن علوم التشريح والتحليل الطبية والحفريات تثبت أن الإنسان من طين .. مكونات جسمه هى مكونات الأرض .. وإذا مات الإنسان .. خرج منه آخر شيء نفخ فيه من روح الله — وهو روحه — ثم يجف دمه وماؤه فيتصلب ويكون ذا رائحة كريهة ، ثم يتفتت ويعود إلى أصله الترابى .. وصدق الله العظيم ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار .. وخلق الجن من مارج من نار ﴾ .. وهكذا يقول إبليس : « أسجد لمن خلقت طينا ؟ .. » « .. خلقتنى من نار وخلقته من طين » .. واقرأ بتدبير قوله تعالى ﴿ .. الذى جعل لكم الأرض مهذا وسلك لكم فيها سبلا ، وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى .. كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى (٢) .. منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ .

(١) وبآيتها المسلمة .

(٢) أى لأدلة وبراهين لأصحاب العقول .

قف طويلا — متأملا عند قوله تعالى ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى .. ﴾ ثم اربط بين هذه الحقيقة والتي قبلها .. ﴿ كلوا وارعوا أنعامكم ﴾ .. فالطين لا يتغذى إلا على الطين والروح لا تتغذى إلا على الروح .. فهل إذا جعت ثم صليت وسبحت وأتيت من الروحانيات الشيء الكثير فهل يذهب عنك الجوع ؟ كلا : أما إذا أكلت تفاحة مما يخرج من الأرض أو عنبا أو موزا .. إلخ ، فذهاب الجوع مؤكد. لاحالة ، وإذا أصابك هم أو غم أو كآبة أو حزن أو أرق .. إلخ ، — مما هو نفسى — .. فهل إذا أكلت قنطارا من الموز أو طنا من التفاح . أذهب عنك ما ألمَّ بنفسك آلا . قم فصل ركعتين أو استعد بالله من الشيطان الرجيم أو استغفر الله يذهب عنك فورا .. وصدق رسول الله العظيم الذى كان يقول لصاحبه بلال — رضى الله عنه — عن الصلاة : « أرحنا بها يا بلال » وكان صلى الله عليه وسلم إذا حَزَبَهُ أمر فزع إلى الصلاة .. وصدق الله العظيم ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ... ﴾

أعتقد أنك الآن على بينة من أمرك — والحمد لله رب العالمين — ولكن كيف ترد على من ارتكست فطرته وتكر لأصله وألغى عقله وقال : بأن الإنسان أصله قرد !!!؟

لاشك أن نظريته التى هى أو هى من بيت العنكبوت لن تثبت أمام عقيدتك وأمام الحقائق العلمية الحديثة الدامغة من حفريات وتشريح .. ؛ حيث إن الكفار مثله — وهم علماء تقنيون — عثروا على حفريات لِقَدَمِ إنسان ثبت وجوده قبل وجود القرد بملايين السنين .. والتشريح أثبت أن جمجمة القرد مستطيلة والإنسان شبه مستديرة .. وهزمونات كل فصيلة تختلف اختلافا بينا . ثم وجه إليه السؤال الآتى : إن نظرية الارتقاء والتطور تكون فى جنس واحد مثلا تصير النطفة علقه ثم مضغة ثم المضغة عظاما ثم .. ثم الخ ماجاء وصفه فى كتاب الله الحكيم .. أو نظور الذرة أو القطن مثلا ونهجنه فنحسن سلالته ، أو البهائم كذلك بالتهجين العلمى ، فالعجل البقرى هو هو لا يصير كبشا ولا الذرة تصير قمحا .. ولا النخل يصير بطيخا ..

ثم اسأله سؤالا بدهيا — كان يجب أن يسأله لنفسه لو كان يعقل — لماذا لم يتطور القرد الحالى ؟ وماذا كان أصله ؟ ولماذا لم يتطور الإنسان ؟ .. فليكن

هو إن شاء قردا وإن شاء خنزيرا أو حمارا . ولكن أتدرى — أخي المسلم — مامنشأ النظرية ؟ ... إن داروين يهودى صهيونى النزعة والفكر (١) ككل اليهود — مصاب بعلة الإسقاط التى يقول عنها علماء النفس — وهى الانسلاخ من الصفة غير المرغوبة وخلعها على الغير — فلما وصفهم الله فى قرآنه بأنهم حمير .. ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ... ﴾ خرج من أصلابهم من يقول فى سفر التكوين محرفاً للتوراة : « إن الأميين (٢) خلقهم الله حميراً ليركبهم اليهود » ولما قال رب العالمين ﴿ .. جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت .. ﴾ خرج من يقول بأن الإنسان قرد .. (٣) ولما وصفهم — سبحانه — بقوله ﴿ ضُرب عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله .. ﴾ قالوا والنصارى .. « نحن أبناء الله وأحباؤه .. » فقال رب العالمين لرسوله ﷺ ﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق .. ﴾ (٤)

أتدرى : لما استعمرهم « بختصر » . حكم عليهم بماذا ؟ بتطويل شعورهم وسوالفهم فخرج من صلبهم من يصنع الهية والخنفسة ليقلدتهم الأغبياء وقد كان !!!

أعرفت الآن من أنت ؟

أنت الذى كرمك الله وفضلك على كثير من خلقه ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ... ﴾ .

أنت الذى جعلك الله خليفة فى أرضه ، وبأهى بك ملائكته ﴿ .. وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة .. قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال إني أعلم

(١) وإن كان إنجليزى المولد نصراني الديانة .

(٢) الأميون فى عرفهم كل من عداهم .

(٣) فاستغلوا نظريته أسوأ استغلال — كعادتهم ليخدم مخططاتهم .

(٤) راجع ماقلته مجملاً فى أول الكتاب .. ففى التكرار فائدة عظيمة . كما قيل : « فى الاعادة إفادة » ثم كتاب : الإسلام ونظرية داروين .

ملا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين .. قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم . فلما أنبأهم بأسمائهم . قال : ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴿

أنت الذى سخر لك الخالق كل ما فى الكون .. ﴿ سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه .. ﴾ حتى ملائكته الأطهار سخرهم لخدمتك — أنت أيها الآدمي الترابي — حتى جعل منهم حفظتك .. ﴿ إن كل نفس لما عليها حافظ .. ﴾ ﴿ وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين .. يعلمون ما تفعلون ... ﴾

وجعل منهم من يستغفر لك . ومن هم ؟ إنهم حملة العرش ... ﴿ .. الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا ... ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما .. فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم .. ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم .. إنك أنت العزيز الحكيم .. وقهم السيئات ومن تق السيئات يؤمنذ فقد رحمته .. وذلك هو الفوز العظيم .. ﴿ ولكن .... ما أظلمك أيها الإنسان ! .. تلغى عقلك وتصم أذنيك وتغمض عينيك وتغلق قلبك وتعطل أحاسيسك .. وكل ما فى الوجود يناديك .. أنا خلق من خلق الله سخرنى ربي لخدمتك .. ثم يقول الجاحدون .. لست أدرى كيف جئت ولا من أين أتيت (١) ويقول آخرون إن هى إلا أرحام تدفع وأرض تبلع

(١) راجع ماقلته سلفا على لسان إيليا « أبو ماضى » وقرأ ماروى عن عمر الخيام فى الرباعيات .. وهو يقول بعد انتهاز فرصة العمر وقضاء الشهوات :

لبست ثوب العيش لم أستشر	وحررت فيه بين شتى الفكر
وسوف انضو الثوب عنى ولم أدرك	لماذا جئت أين المفر ؟ ...
ثم هو فى النهاية — ككل الشاكين — من أمثال طه	حسين ومصطفى محمود و .. الخ يقول :
ان تفصل القطرة من بحرهما	ففى مداه منتهى أمرها
تقسارت يارب ما بيننا	مسافة البعد على قدرها
يا عالم الأسرار علم اليقين	يا كاشف الضر عن البائسين
يا قابل الاعذار عدنا إلى	ذلك فاقبل توبة التائبين



وما يهلكنا إلا الدهر .. وصدق الله العظيم ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس .. لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل .. أولئك هم الغافلون .. ﴾

وستعرف الكثير عن صفات هؤلاء عندما نتحدث عن أصناف الناس ﴿ قتل الإنسان .. ما أكفره !!! من أى شيء خلقه ؟ من نطفة خلقه فقدره .. ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره .. ثم إذا شاء أنشره .. كلا لما يقض ما أمره .. فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صبينا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقصبا . وزيتونا . ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا ... متاعا لكم ولأنعامكم ﴾ صدق الله العظيم . وبلغ رسوله الكريم .

هل عرفت أيها الإنسان من أنت ؟ أنت ذرة — من خلق الله — في هذا الكون ﴿ هل (١) أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا .. إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نتليه فجعلناه سميعا بصيرا .. إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾ .

أخي المسلم : أعتقد أنك عرفت من أين جئت ؟ وما حقيقتك ؟ وهذه الحقيقة تسلمك إلى حقيقة أخرى هي « لماذا جئت » وستعرف ذلك تفصيلا — إن شاء الله — عند الحديث عن رسالة الإنسان في الحياة . أنت قبضة من تراب لكنها قبضة تختلف عن القبضة التي ثبتت في أذهان الماديين من الحيوانية والمادية التي يتكون منها جسم الإنسان في نظرهم ( مادة بدون روح ) ولا نفخة من السماء يتميز بها هذا الكائن الفريد !! إنهم في نظر أنفسهم — حيوان متطور —

أما الإنسان في نظر العقيدة الإسلامية فهو قبضة من طين نفخ فيها رب العالمين من روحه — كأسلفنا — فأنت أيها الإنسان مخلوق كريم على الله ، خلقه في أحسن تقويم وصوره فأحسن صورته ، خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وميزه بالعلم والإرادة — كإدمت — (٢) وقد عمدت إلى

(١) الاستفهام هنا تقيري — والمعنى قد أتى .

(٢) راجع كتاب الإيمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوى فصل : الإيمان وكرامة الإنسان . وكتاب الشهيد سيد قطب خصائص التصور الإسلامى ومقوماته .

التكرار لتثبت هذه الحقيقة — التي تخفى على الكافرين — في الذهن البشري حتى يدلف القارئ إلى الحقيقة العظمى وهي معرفة الله .

### ومن خالقك ؟

أيها الإنسان : إذا عرفت نفسك عرفت خالقك .. وقدما قال العربي البدوي — وهي مقالة كل إنسان سوي الفطرة — « البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير .. أفلا يدل الخلق على أن الله هو اللطيف الخبير ؟ » ﴿ .. ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله . ﴿ إلا إن كل شيء في الوجود يناديك .. أنا خلق من خلق الله .

وفي كل شيء له آية .. تدل على أنه الواحد

سبحانه سبحانه !!! ﴿ خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا .. وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون ، وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سرهم وجهرهم ويعلم ماتكسبون ﴿ .

سبحانه سبحانه .. ! ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو .. ﴿ (١) ثم انظر إلى أيك إبراهيم الخليل إمام التوحيد .. ﴿ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ﴿ الآيات (٢) لتعرف كيف استعمل عقله واستغل هذه الجوهرة العظيمة — العقل — الذي كرمه الله به على كثير من خلقه حتى توصل إلى معرفة الله .

سبحانه سبحانه !!! ﴿ فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ﴿ ... الآيات (٣) .

سبحانه سبحانه !!! ﴿ فسبحان الله حين تمشون وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ، يُخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيى الأرض بعد موتها ، وكذلك تخرجون ... ﴿ (٤)

(١) اقرأ إلى آخر الآيات من ٥٩ إلى ٦٧ من سورة الانعام .

(٢) اقرأ إلى آخر الآيات من ٧٤ إلى ٨١ من سورة الانعام .

(٣) اقرأ إلى آخر الآيات من ٩٣ إلى ١٠٤ من سورة الانعام .

(٤) اقرأ إلى آخر الآيات من ١١ إلى ٢٨ من سورة الروم .

وغيرها وغيرها كثير في كتاب الله ولا تكاد تخلو سورة منه إلا وفيها إشارة إلى وجوده ووحدانيته وكما له ولو لم يكن فيه إلا سورة الإخلاص لكفت العاقل العادي من البشر في الوصول إلى معرفة خالقه — سبحانه — بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ﴾ صدق الله العظيم .

وأنت أيها المسلم — والله الحمد والمنة — لست في حاجة إلى مزيد من الأدلة ؛ فقد آمنت بوحدانيته ، وصدقت برسالة رسله وأنبيائه ، وخاتمهم — ﷺ . وآمنت بالبعث والنشور .. كلها علامات على الطريق ، وأسلحة تدفع عنك أذى الملحددين ، ومكر الجاحدين ، ولؤم المبشرين .. بل وتحرس السنة المنتظعين والشاكين بالبيان الساطع والحجة الدامغة ، وتعشي أبصارهم وينقلب إليهم البصر خاسئا وهو حسير وتقول لهم — في عزة الموحدين ومنطق المؤمنين : ﴿ هذا خلق الله ... فأروني ماذا خلق الذين من دونه ؟ .. ! بل الظالمون في ضلال مبين ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلَ فَاسْتَمِعُوا لَهُ .. إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا — وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ . وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّبَابُ (١) شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ .. ضَعْفُ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ... مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، إِنْ اللَّهَ لَقَوْا عَزِيزٌ !!! ﴾ .

وبعد هذه الجولة التفكيرية القصيرة جدا جدا تستطيع أن تقول — في ثقة — الآن عرفت لماذا أتيت إلى هذا الوجود ؟ ولماذا خلقت ؟ .. أو تؤخر الجواب قليلا إلى حين ... حتى تعرف رسالة المخلوقات ثم أصناف الناس ، ثم من أى صنف أنت ؟ .. فسأوافيك بشيء من التأملات الكونية — وما أكثرها لا من باب الترف العلمي بل من باب الصفاء الروحي والاطمئنان النفسى والدواء

(١) وتجب هنا وقفة تأمل .. لماذا ضرب الله — عز وجل — بالذباب مثلا ؟ كان الجواب خافيا على كثير حتى اكتشف الطب أن أى مخلوق آكل يمكن استخلاص المأكول منه من المعدة أو الحوصلة .. الخ إلا الذباب فان ما يتناوله يتحلل في الفم مباشرة ولا يمكن استخلاصه منه واستقاذه — « ضعف الطالب والمطلوب » وصدق الله العظيم ﴿ سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق .. أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد .. ؟ ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم .. ألا إنه بكل شئ محيط ﴾ .

الفكري والتسلح العقدي لتدفع بالحق — الذين تدين به — باطل السفهاء  
والحمقى بمعرفتكم لخالقكم .

### رسالة المخلوقات :

إن كل مخلوق — في هذا الوجود — من غير بنى آدم — يؤدي رسالته التي  
خلقه الله لها على الوجه الأكمل . وهي تسيحه وتحميده وتقديسه — جل  
شأنه — ﴿ ويسبح الرعد بحمده ، والملائكة من خيفته .... ﴾

﴿ ... والطيور صافات كل قد علم صلاته وتسيحه ... ﴾ ﴿ وإن من  
شيء إلا يسبح بحمده ... ولكن لا تفقهون تسيحهم ﴾ ﴿ ألم تر أن الله  
يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال  
والشجر والدواب ... وكثير (١) من الناس وكثير حق عليه العذاب ..! ومن  
بين الله فما له من مكرم ، إن الله يفعل ما يشاء ﴾ ﴿ ويجب هنا الوقوف طويلا  
وقفة تعجب ، ثم تأسف وتخزن على ابن آدم — الذى كرمه الله وفضله على كثير  
من خلقه .. بل وسخر له كل ما خلق ﴾ .. سخر لكم ما فى السموات وما فى  
الأرض جميعا منه ﴾ — كما أسلفنا منذ قليل فارجع إليه لعلك تدرك قيمة تكرار  
هذه الآيات ﴿ قتل الإنسان .. ما أكفره ﴾ ! وخاب ظنه فى الإفلات من  
عذابه ، اعتمادا على رحمته أو سفها وحمقا ، فسبحانه ﴿ غافر الذنب وقابل  
التوب شديد العقاب ﴾ ﴿ وكثير حق عليه العذاب ﴾ ﴿ ومن بين الله  
فما له من مكرم ، إن الله يفعل ما يشاء ﴾ ﴿ فمهل الكافرين أمهلهم  
رويدا ﴾ .

أعود — بعد هذا الاستطراد الذى دعت الضرورة — فأقول : الكائنات كل  
الكائنات تؤدي رسالتها كاملة حتى إبليس اللعين ﴿ قال : أنظرنى إلى يوم  
يبعثون قال : إنك من المنظرين .. قال : فما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك  
المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم  
ولا تجد أكثرهم شاكرين .. قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعد منهم  
لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾ ﴿ وما قصر الرجيم اللعين فى رسالته — وسيظل

(١) جميع الخلائق بلا استثناء . وفى جانب الإنسان .. « وكثير من الناس » لا كل الناس .

هكذا إلى يوم البعث — يوم يسخر من متبعيه : ﴿ وقال الشيطان لما نقضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجتم لي فلا تلوُموني ولوموا أنفسكم .. ما أنا بمصرحكم وما أنتم بمصرحي إني كفرت بما أشركتمون من قبل .. إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾

ليت الإنسان المغرور الكفور قلد الهدهد في مقالته لسليمان — عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتمم التسليم (١) ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله .. وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ .. ﴿ خاشعا متصدعا من خشية الله . !!! ﴾ أما الناس ... فقد قُذت قلوب أكثرهم من صخر ... ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة .. وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله .. وما الله بغافل عما تعملون ﴾ . وأسفاه .. أنت يا ابن آدم والجن فقط الصنفان اللذان امتازا من المخلوقات .. أنتما فقط ﴿ فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير ﴾ ويأويل الكافرين من عذاب الله ﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾ .. اللهم اجعلنا من الذين يرجون رحمتك ويخافون عذابك .

ولو استباح بعض الجن لنفسه أن يكفر بنعمة الله فهو من ذرية إبليس ﴿ .. كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ فما كان للإنسان أن يجحد نعمة خالقه — وقد حذره — ﴿ .. أفستخذونه وذريته أولياء من دوني — وهم لكم عدو ؟ بس للظالمين بدلا ﴾ ..! مع أن الصالحين من الجن قالوا : ﴿ إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنوا به ولن نشرك بربنا أحدا ، وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ﴾ والآيات من سورة الجن . بل ودعا بعضهم إلى توحيد الله .. ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضي ولّوا إلى قومهم مُنذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم . ومن لا يجيب داعي

(١) راجع ماقلناه سلفا في هذا المجال لتعميق الفكرة في قلبك .

الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين ﴿ الآيات إلى آخر سورة الأحقاف .

حتى الدعوة إلى الله فقهها الجن .. ويقول الشذاذ من سبى آدم : المسيح ابن الله — عزيز ابن الله .. إن الله ثالث ثلاثة .. الخ هذا الهراء بل وكثير منهم فاسقون ينكرون وجود الله — وهم من خلقه — ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾

﴿ اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم . وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً .. ﴾ ويقول المسيح عليه السلام — كما يحكى القرآن الكريم .

﴿ ... سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ... إن كنت قلته فقد علمته .. تعلم ما فى نفس ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب .. ماثلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فىهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد .... ﴾ الخ سورة المائدة .

وصدق الرسول الكريم فيما يحكىه عن رب العزة قال مامعناه : « إني والإنس والجن في نيا عظيم ... أخلق ويُعبد غيرى ، وأرزق ويُشكر سواي .. خيرى إلى العباد نازل وشرهم إلى صاعد ... أتقرب إليهم بالطاعات — وأنا الغني عنهم ، ويتبعصون إلى بالمعاصى — وهم أحوج شىء لى لى — من أقبل على من بعيد من بعيد تلقيتهم من قريب ، ومن أعرض عنى منهم من قريب ناديتهم من بعيد ... أهل ذكرى أهل مجالستى ، وأهل شكرى أهل زيادتى ، وأهل طاعتى أهل محبتى ، وأهل معصيتى لأقنطهم من رحمتى .. إن تابوا إلى فأنا حييهم فأني أحب التوابين وأحب المتطهرين وإن لم يتوبوا إلى فأنا طيبهم أبتليهم بالمصائب ، لأطهرهم من الذنوب والمعائب . الحسنة عندى بعشر أو أزيد ، والسيئة عندى بواحدة أو أعفو ..! حلمى سبق مؤاخذتى وعفوى سبق عقوبتى ورضائى سبق غضبى .. وأنا أرحم من الوالدة بولدها .. » .

أخى المسلم : ألسنت معي في أن الإنسان ظلوم كفار ؟ !!.. وأنه قد انحط بنفسه — المكرومة — عن الحشرات والحيوانات ، حيث بلغ به جهله وعدواته

لنفسه أن كل مخلوق يؤدي رسالته على الوجه الأكمل — كما أسلفت — وهو لم يكتف بضلاله بل أضل غيره ولم يبلغ لأخيه الإنسان مبلغ الغلظة الحشرة لأخواتها ﴿ قالت غلظة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴾ ولا فقه الهدهد ولا الجن الصالح .. وجدير بعلماء الحيوان والنبات والبحار والأنهار والأفلاك والتربة .. إلخ أن يوضحوا للآدميين — مثلهم — كيف تقوم هذه المخلوقات بوظائفها وكَم هي تؤدي رسالاتها في ممالكها .. ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ ﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم . ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون !!! ﴾ ولكني أعود فأقول : ﴿ قتل الإنسان .. ما أكفره !!! ﴾ .

حقيقة فطرية :-

بعد هذا الاستعراض لرسالة جميع المخلوقات في هذا الوجود نصل إلى حقيقة حتمية : وهي أن الإنسان مخلوق ، بل مخلوق مكرم ... إذن فلا بد له من عقيدة يدين بها .. وهو منذ وجوده على ظهر هذا الكوكب يبحث عن الله .. لماذا ؟ . لأن قضية الإيمان ليست هامشية على حافة وجوده . أو نافلة بل هي حيوية بالنسبة له ... بل هي قضية مصيرية ؛ فكل إنسان في الوجود ينشد السعادة المنبثقة عن الأمن والاستقرار والطمأنينة .. وصدق الحق تبارك وتعالى إذ يقول لآدم : ﴿ إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تصحى ﴾ .. ويقول بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا ربَّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ .. بعد قوله في سورة الفيل ﴿ .... فجعلهم كعصف مأكول ... ﴾ ﴿ لإيلاف قريش ... ﴾

فالعقيدة قضية مصيرية بالنسبة له .. ولذا يقول كثير من الفلاسفة والحكماء من غير المسلمين « لو لم يكن هناك إله لخلقنا إلهًا وعبدناه لأنه لو لم يكن فيه إله لسرق اللص متاعى ، وخانتنى زوجتى فهو يبحث دائما عن الأقوى الذى يؤمنه .. فبدأ يبحث عن هذه القوة .. عن الإله الذى يؤمنه .. ولكنه كثيرا ما كان يخطئ .. وجد هذه القوة أحيانا فى الشمس أو القمر أو النجوم أو البحر أو النهر أو البقرة — كما أسلفنا .. إلخ . ماظنه مصدر قوة أو منفعة فعبده ، وكثيرا

ماصنع أصناما بيديه وعبدها لتقربه إلى الله زلفى .. ومن ثم كانت رسالة الأنبياء .. لهداية البشرية الضالة إلى نور الحق والهدى والإيمان بالله خالق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم .. إلخ . وكلها مسخرات بأمره — سبحانه .

وهاكم الخليل إبراهيم أبو التوحيد .. ﴿ وإذ قال إبراهيم (١) لأبيه آزر أتخذ أصناما آهة ؟!!! .. إني آراك وقومك في ضلال مبين .. وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين .. فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي .. فلما أفل قال لأحب الآفلين .. فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي . فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربي لأكونن من القوم الضالين .. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي .. هذا أكبر .. فلما أفلت .. قال يا قوم إني بريء مما تشركون .. ﴿ من سورة الأنعام .

\* \* \*

### رسالة الإنسان :

ولقد عرفنا فيما سبق .. أن وجود الله سبحانه .. من البدهيات التي تدركها الفطرة ، وليس من مسائل العلوم المعقدة ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء ، واقترب المسافة جدا قد يعطل الرؤية ؛ لما اختلف على وجوده مؤمن ولا ملحد .. ﴿ أفي الله شك فاطر السموات والأرض ؟ ﴾ ... ﴿ لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ والبيئة الأنانية شديدة الخطورة على الفطرة ، فهي تشوهها ، وتورثها من العلل ما يجعلها تعاف العذب وتسيف الفج ، ولئن كنا في عصر عكف الإنسان فيه على هواه ، وذهل عن أخراه ، وتكر لربه فإن ذلك يقع على أم ناصيته ولن يضر الله شيئا ... ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير

(١) وهنا يحسن التكرار ... كما أسلفت ، لتعميق المفاهيم الإسلامية والتصورات المنهجية ..

وللحرية الحمراء باب \* بكل يد مضرجه يدق

أولى بذى الصبر أن يحظى بحاجته

ومدمن القرع للأبواي أن يلجا



علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله .. له في الدنيا خزي .. ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ﴿ .. ﴾ ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فإن إصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه .. خسر الدنيا والآخرة .. ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله مالا يضره ولا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير .. ﴿ .

وقد اقترنت حضارة الغرب التي تسود العالم اليوم بنزوع حاد إلى المماراة في وجود الله ، والنظر إلى الأديان — جملة — نظرة تنقص أو قبولها كمسكنات اجتماعية لأنصارها وقد عرفت طرفا من أزمة المثقفين ، وعرفت أن المحنة التي يعانها العالم اليوم هي أزمة روحية منشؤها الكفر بالمثل العليا التي جاء بها الدين من الحق والإنصاف والتسامح والإخاء — فلا نجاة له مما ارتكس فيه إلا بالعودة إلى هذه المثل الربانية يهتدى إليها بفطرته — كما يهتدى الجنين إلى سبيله الفريخ من بيضته وإن كان علماء اليوم بدؤوا يعترفون بوجود الله عن طريق علومهم أمثال « هنري لنك » طبيب النفس وعالم النفس التحريبي وقد ألف كتابا أسماه « العودة إلى الإيمان » طبع في أمريكا ٤٧ مرة ، والعلماء الثلاثون في علوم الكون المختلفة الذين عادوا إلى الإيمان وألفوا كتابا أسموه « الله يتجلى في عصر العلم » (١) وإن كان إيماننا بالله ولكن ليس على طريقة رسول الله .. والإيمان الصحيح : لا إله إلا الله محمد رسول الله — على طريقة رسول الله ﷺ —

ومتى هدي العالم إلى الفطرة هدي إلى الإسلام ، فإن الإسلام دين الفطرة — كما علمت — وقد عرفت أيضا رسالة المخلوقات في هذا الوجود ، وعرفت من أين أتيت ..؟! ولا شك أنك تحب أن تعرف — على الأقل ؛ لترد على الملحددين وتدعو الجاحدين — لماذا جئت .. ؟ وإن كنت بحكم إسلامك الفطري والتقليدي لأبويك .. ونشأتك في مجتمع مسلم تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر تردد على الفور قول الله عز وجل ... ﴿ لا يسأل عما يفعلون وهم يسألون ﴾ . ولكن لا بد حين ترشد .. أن تعتقد ذلك عن عمق وقناعة قلبية وعقلية ، حتى تستطيع دفع زيف المبطلين وشبه الملحددين فتقول في

(١) راجع كتاب الدكتور يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة « باب بين العلم والإيمان » .

وثوق المؤمن ، ومنطق العاقل « منشأ حياتنا هذه ودوامها يقومان على جملة ضخمة من القوانين الدقيقة ؛ يحكم العقل باستحالة وجودها هكذا ... جزافا ومصادفة ..

فوضع الأرض أمام الشمس مثلا .. ثم على مسافة معينة لو نقصت قيد شعرة ، لاحترق كل الأحياء .. ولو بعدت قدر فتيل لعم الجليد وجه الأرض وهلك الزرع والضرع .. أفنظن إقامتها في مكانها ذلك ؛ لننعم بحرارة مناسبة قد جاء خبط عشواء ؟ ... وهكذا حركة المد والجزر واتصال البحر بالنهر .. هذا ملح أجاج وذلك عذب فرات دون أن يبغى أحدهما على الآخر ﴿ بينهما برزخ لايبغيان ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الرحمن علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان .. الشمس والقمر بحسبان . والنجم والشجر يسجدان . والسماء رفعها ووضع الميزان ... ﴾ . أكمل إلى آخر السورة .. واختلاف النبات ألوانا وطعوما وروائح في تربة واحدة يسقى بماء واحد ﴿ وفي الأرض قطع متجاورات . وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد .. ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ .  
وحياة الأسماك وأشكالها وألوانها وحياة الحشرات .. ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون .. ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذلك يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ .

وخلق الإنسان الرائع البنيان الهائل الكيان ﴿ .. في أى صورة ماشاء ربك .. ؟ .. ﴾ ثم خلق هذا العالم الفسيح الرحيب . أكل ذلك وجد صدفه .. ؟ .. لماذا لم يطلب منى إذا رأيت طائرة أو صاروخا أن أتصور حديدا صهر نفسه وتشكل على هيئة قلب وجناحين ومحركات وذيل .. إلخ . ووضع فيها الوقود بعد تركيب نفسها أو نفسه . ثم انطلقت أو انطلق تلقائيا دون قائد .. إلخ .

إن إحالة هذه الأمور على المصادفات ضرب من الوهم والخيال والدجل العلمي أو الخيل العقلي يرفضه أولو الأبواب والأفهام .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ سبح اسم ربك الأعلى .. الذى خلق فسوى ..  
والذى قدر فهدى . والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى .. ﴾ سبحانه  
سبحانه .. ﴿ علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ لنفرض أن العقل الألكترونى وجدت  
فى ساحته ورقة مكتوب عليها اسم عمر — مثلا — فماذا يعنى هذا ؟ يعنى أحد  
أمرين .. أقرهما إلى البداهة أن خبيراً به أعطاه هذه المعلومات فطبعها وقذفها .  
الأمر الثانى .. أن حروف الاسم تجمعت وترتبت وتلاقت هكذا جزافاً .. فإن  
الفرض الأخير من الناحية العلمية ما يأتى (١) .

الابتداء بكتابة العين أو سقوط حرفها — وحده — على الورقة دون وعي يجوز  
بنسبة ١ إلى ٢٨ وهو عدد حروف الهجاء العربية .

وسقوط حرف الميم والراء معا يجوز بنسبة ١ إلى ٢٨ × ٢٨ ونزول الحروف الثلاثة  
هكذا بعوامل الصدفة المحضة — يجوز بنسبة ١ - ٢٨ × ٢٨ × ٢٨ × ٢٨ أي  
بنسبة ١ - ٢١٩٥٢ .

وليس أغبى — فكراً — ممن ترك الفرض الوحيد المعقول — ويؤثر عليه فرضاً  
آخر — لا يتصور وقوعه إلا مرة واحدة من بين اثنتين وعشرين ألف مرة تقريباً .  
والصدف حين تخط على القرطاس كلمة عمر — أقرب إلى الذهن من تصور  
الصدف هذه تخلق قطرة فى المحيطات الغامرة أو حبة رمل فى الصحاري  
الشاسعة .. أ.هـ. — بتصرف .

إن العلم بريء من مزاعم الإلحاد ومُضادُّ لما يرسل من أحكام بلهاء ...  
﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ .

وعرفت أيضاً أن الله — سبحانه وتعالى — قال ﴿ إني جاعل فى الأرض  
خليفة ﴾ وهذه رسالته فى الحياة — ثم قوله — سبحانه — ﴿ سخر لكم مافى

(١) من كتاب عقيدة المسلم للغزالي — بتصرف .

وراجع فى هذا المجال بتوسع بعض الكتب التى ألفت للاستدلال على وجود الله من خلال علوم التقنية  
ومنها على سبيل المثال ١ — تريع الدائرة لآنى جعفر الطوسى . ٢ — الأنوار لعبد الله بن مسلم الدينورى .  
٣ — مدرسة بغداد الفلكية . ٤ — فانفذوا لاتنفذون إل بسطان . ٥ — المسلمون وعلم الفلك للشيوخ  
الصراف . ٦ — مؤلفات جمال الهندى . ٧ — ماكنبه توماس أرنولد . ٨ — ماكنبه نظمي لوقا بعد  
إسلامه و .. مع الله فى السماء لأحمد زكى . — ومع الله فى الأرض .

السموات وما في الأرض جميعاً منه .. ﴿ — ثم قوله سبحانه ﴿ أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾ إذن فلا بد لوجودك من حكمة ولخلقك من سبب ثم تفتح قلبك على قوله سبحانه ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ ثم تظهر أمامك الحقيقة التي لا مرء فيها والرسالة العظمى التي خلقت من أجلها ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون .. ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يعطموهم .. إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين .. ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ألم .. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين .. أم حسب الذين يعلمون السيئات أن يسبقونا ؟ .. ساء ما يحكمون !! من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت .. وهو السميع العليم ﴾ .

وهنا نعقل الأثر الكريم .. « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم .. فوالله لتموتن كما تمانون ، ولتبعثن كما تستيقظون . ولتحاسبن على ما تعلمون . ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً .. وإنها لجنة أبداً . أو لنار أبداً .. » . وحياة البرزخ جزء من الدنيا وحلقة في السلسلة إلى الآخرة فهو إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار — كما سنفصله بعد — ولا يعلم حقيقة الحياة في القبر إلا الله — سبحانه — ولا نعلم عنه إلا ما عرفنا عن رسول الله ﷺ — فالأموات لهم عالمهم الخاص .. وقد سئل الإمام السيوطي — رحمه الله — هل يعلم الأموات بزيارة الأحياء وبما هم فيه ؟ فأجاب : نعم يعلمون بذلك .. روى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من حديث عائشة رضي الله عنها — قالت : قال رسول الله ﷺ « ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عليه إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم » وروى ابن عبد البر في الاستبصار والمهيد من حديث ابن عباس — رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام » (١) .

(١) صححه أبو محمد عبد الحق .

وحيثذ تفقه أن الدنيا معبر إلى الآخرة، وممر إلى جنة أو نار ومزرعة للباقية الخالدة .

وأدركت إدراكا جازما أن العالم — كل العالم — محتاج إلى الله — .. قد يشرف المهندسون والبناءون على تشييد عمارة ضخمة ثم ينفضون أيديهم منها أو يموتون عنها وتبقى العمارة بعدهم أمدا بعيدا ﴿ والله المثل الأعلى ﴾ إن هذه العمارة لم تخلق من عدم ، والفعلة فيها لم يزيدوا على أن ضموا حجرا إلى حجر ثم انتهى عملهم إلى هذا الحد .

أما بناء الكون الفسيح الرحيب وتشييد سقفه المحفوظ — بلا عمد — وتمهيد أرضه وتقدير أقواتها وتهيتها لل عمران ، فهو عمل آخر — أساسه الإبداع المطلق . وكأ أن العالم في وجوده — احتاج إلى ربه — فهو في بقاءه يحتاج إليه لحظة لحظة .

ولا توجد ذرة في الأرض ولا في السماء تستمد وجودها من ذاتها حتى يتصور استغنائها بنفسها .. ﴿ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ؟ .. ولو شاء لجعله ساكنا .. ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ، ثم قبضناه إلينا .. قبضا يسيرا .. ﴾

إن هذا الإمداد الإلهي وحده هو الذي قام ويقوم بما ترى .. قياما لا تتوهم معه غفلة ولا تفريط ولا فتور ، وإلا لهلكنا واختل كل شيء ... ؟؟ ... الفارق بين وجودنا ووجود الله .. أن الله تبارك وتعالى .. وجوده واجب له من ذاته .. وأما نحن .. فليس لنا من ذواتنا من شيء قط .. إن منحنا نعمة الوجود بقينا ما بقيت معارة لنا .. وإلا اختفينا فلم يمسكنا شيء ﴿ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا .. ولئن زالتا (٢) إن أمسكهما من أحد من بعده ... ﴾ . ومن هنا .. نعرف أن لله صفات كثيرة — توضح معالم كماله ووحدانيته وجلاله .. نذكر منها مايلي — على سبيل المثال — لا الحصر .

﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ فمخالفته للحوادث ظاهرة وبديهية تقضى بأن بين المخلوق وخالقه أمدا بعيدا، وأن الخالق لا يشبه شيئا من خلقه —

(١) أى ما أمسكهما وما يمسكهما من أحد من بعده .

لا في ذاته ولا في صفاته — وقد وصف الله — سبحانه — نفسه بصفات كثيرة من الصعب علينا إدراك حقيقتها على النحو الذي ندرك به أمورنا المعتادة .. بل هذا مستحيل ..

فمن أين للمخلوق التافه — الذي لا يعرف كنه نفسه — أن يعرف كنه خالقه العظيم .. بل إن الإنسان عاجز عن إدراك حقيقة الوجود المادي الذي نعيش فيه فكيف يعرف ما وراءه من غيب ؟ ..

فإن قيل إن الله سميع وبصير ، فليس بأداة كأداتنا ، فشأن الألوهية أسمى مما تتصور الأذهان الكلييلة والعقول القاصرة .. نعوذ بالله من زيغ القلوب ﴿ .. هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات .. فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله .. وما يعلم تأويله إلا الله .. والراسخون في العلم يقولون آمنا به .. كل من عند ربنا . وما يدكر إلا أولو الألباب ﴾ ﴿ .. والله للأسماء الحسنى فادعوه بها .. وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون .. ﴾

وأنا شخصيا أؤثر مذهب السلف وأرفض أن يشتغل العقل الإسلامي بالبحث المضني فيما وراء المادة ، وأرتضى قبول الآيات والأحاديث التي تضمنت أوصافا لله جل شأنه — دون تأويل أو تكييف أو تمثيل أو تعطيل ..

وعلى هذا فقس جميع ماورد في كتاب الله وسنة رسوله من أسماء وصفات لله عز وجل الخالق البارئ المصور الملك — القدوس السلام المؤمن — المهيمن — العزيز — الجبار — الوهاب — الرزاق — الغفور الودود .. الخ .

كل المخلوقات — جليلها وادقيقها — يقوم بالله عز وجل — الرحمن الرحيم (١) أما الله فقام بنفسه ، مستغن بذاته عما سواه ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ والمستقرى لحوادث التاريخ لا يجد دعوى يؤبه لها من أحد يزعم أنه إله مع الله .. والذين فهم ذلك عنهم ، إما متهمون أبرياء كبعض الرسل والأنبياء والملائكة وإما

(١) راجع كتابي .. عقيدة المسلم ، وركائز الإيمان ... للشيخ الغزالي وكتاب الإيمان للإمام ابن القيم — رحمه الله .

مخلوقات لا تحس ولا تعقل — كالأحجار والأبقار والكواكب — وإما حكام سفلة كَفَرَاءِة مصر وأشباهم .

وقد قام العلماء ببحوث جدلية ، ليثبتوا أنه ليس هناك مع الله إله آخر وإن كان الواقع العلمي ينطق بذلك — فنحن في عالمنا المادى لم نجد هذا الآخر المزعوم ، وفيما وراء المادة لم يحاول هذا الآخر أن يتصل بنا .

والمرسلون قاطبة أكدوا — راحداً بعد الآخر — أنهم جاءوا بوحي من الله رب العالمين ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ... ﴾ فما أحرص هذا الإله الآخر عن ذلك التحدى ، ليشكو ما وقع به من ظلم !!! الحق — الذى لا مرأى فيه — أن الملك كله لله .. وأن الالهة الأخرى الموهومة ليست إلا خيالات عقول مريضة وأسماء لامدلول لها أبداً .. ﴿ ألا إن لله من فى السموات ومن فى الأرض ، وما يتبع الذى يدعون من دون الله شركاء ، إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخوضون ﴾ ..

﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله .. إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون ﴾ ..  
﴿ لو كان فيما آلهة إلا الله لفسدنا .. فسبحان الله رب العرب عما يصفون ﴾ ..

على أن نظام العالم لم يطرأ عليه فساد فى سمائه أو أرضه .. وسنن الكون ماضية ماضية قاطعة بصدورها عن إله واحد فرد صمد ... لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ... واحد لانظير له ولا شبيه ولا مثل .. أحد .. لأبعاد له ولا أجزاء ﴿ قل هو الله أحد ... الله الصمد .. لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ... ﴾ .. ولكن .. ﴿ قتل الإنسان .. ما أكفروه .. ﴾ .. مقالة واحدة يقولها الأقدمون .. فى جاهليتهم الأولى — وهى نفسها يرددها الجاهلون فى جاهلية القرن العشرين — ﴿ .. فإذا ركبوا فى الفلك دَعُوا الله مخلصين له الدين .. فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون .. ﴾ .

( يورى جاجارين رائد الفضاء الأول السوفيتى ) يركب قمره الصناعى فيبهر .. فيعترف قائلاً .. عرفت الله .. ثم يضرب ويضغط عليه من أسياده رجال الحزب

الشيوعي .. فيتراجع ويقول .. لقد طفت بالأرض ، تسعين مرة فلم أر الذي يقال عنه إنه الله !!! آ.. وصدق الله العظيم ... ﴿ فلما نجأهم إلى البر .. إذا هم يشركون .. ﴾ ثم يرد عليه صحفى: لو أن ذبابة طافت حول الكرملين، ثم قالت: أين الذى يقال عنه إنه خرو تشوف؟ أكننا مصدقها !!؟

لقد كثر فى القرآن ضرب الأمثال وسوق الأدلة العقلية المنطقية الواقعية ..

﴿ ... هل يسمعونكم إذ تدعون ؟ .. أو ينفعونكم أو يضرون ؟ .. ﴾  
.. ﴿ إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، ولا سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم .. ولا ينبئك مثل خبير .. ﴾ .

وأفاض القرآن فى استقصائه للمعانى التى تصون الوجه من دنس الشرك وفى مخاطبة العاطفة الإنسانية بأسلوب رائع فى رفته واضح فى غايته ﴿ أرباب متفرقون خير ؟ .. أم الله الواحد القهار .. !!!؟؟ ﴾ .

﴿ وضرب الله مثلا .. رجلاً فيه شركاء متشاكسون ، ورجلاً سلماً لرجل ... هل يستويان مثلا ؟ .. الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون .. ﴾ .

والحق أن التوحيد روح الإسلام ، وجوهر عقيدته ، ومحور عبادته المنوعة ومبدأ يسرى فى تعالجه كافة سريان الماء فى النبات أو الأعصاب فى البدن (١) .

فإذا اعتقدت أن الله واحد كامل وموجود حتى باق - أول بلا بداية آخر بلا نهاية - ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ ..

لا بد أن تدرك أنه إذا وجد خالق ومخلوق ، ومعبود وعابد .. فلا بد أن تكون عبادة ( افعل .. ولا تفعل ) .. تكاليف — يثبت بها العابد انصياعه وطاعته لمعبوده .. فهل تتصور جامعة بمدير وموظفين — دون دراسة ﴿ والله المثل الأعلى ﴾ وهل تتصور دراسة بدون مدرسين ؟ وهل تتصور جامعة — بمدير

وموظفين مصرفين لأموال المدير .. ومدرسين لدارسين بدون مادة تدرس وتكاليف وتمازير ومعامل ؟ .. الخ .. وهل تتصور دراسة وتكاليف بدون امتحان وتمييز بين المحسن والمسيء؟ .

للتنتقال من صف إلى صف ومن شهادة إلى شهادة؟ الخ ثم (ماجستير) ثم (دكتوراه) .. الخ . فكيف يتصور العاقل خلقاً بلا خالق؟ .. وعباداً بدون عباده ، ومكلفين بلا .. تكليف ..؟ .. وتكليفاً

للتنتقال من صف إلى صف ومن شهادة إلى شهادة؟ الخ ثم (ماجستير) ثم (دكتوراه) .. الخ . فكيف يتصور العاقل خلقاً بلا خالق؟ .. وعباداً بدون عباده ، ومكلفين بلا .. تكليف ..؟ .. وتكليفاً

(١) اقرأ كتاب العبادة فى الإسلام .. د . يوسف القرضاوى .



بلا مبلغين عن الخالق المعبود وتكاليف بلا كتاب وكتاباً بلا مفسر ومفصل ومعلم  
يترجم الأقوال إلى أعمال ليكون قدوة . وكيف نتصور جامعة بكل هذه المقومات  
ثم لا يكون امتحان واختبار ثم نجاح ورسوب وتقديرات .. إلخ !!!؟

إذا كنت لاتتصور هذا العيب .. فكيف تتصور معبودا بلا عبادة ، ولا كتباً  
ولا ملائكة ولا رسلاً — مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد  
الرسال — بلا وعد ولا وعيد ولا حساب ولا نشور ولا جنة ولا نار بعد البرزخ  
من حساب القبر ونعيمه وعذابه — إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر  
النار ... إلخ .

فكيف نصدق قول المخبولين .. إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا  
إلا الدهر .. !!!؟ ..

### ﴿ ما خلقتنا السموات والأرض وما بينهما لآعين ... ﴾

إذن — فلا بد من وجود هذه الحقيقة البديهية ﴿ الله ﴾ ولا بد للإنسان من  
عقيدة وهي : « الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، والقضاء  
والقدر خيره وشره ، حلوه ، ومره — من الله تعالى .. » على ما سنفصله — إن  
شاء الله —

### أصناف الناس :

إذن — فبعد هذا العرض السريع عرفت من أين جئت .. ؟ ولماذا أتيت .. ؟  
وإلى أين تسير ... !!!؟

وما قدمناه لك هو ركائز رسالتك .. هو مبادئ عقيدتك — أيها المسلم —  
وعليك أن تعرف أصناف البشر وخصائص هذا الإنسان المعقد شديد التعقيد  
لتحدد مسيرتك وتكون مؤمناً ، والناس في هذه الحياة أصناف ثلاثة : (١)

### الصنف الأول :

صنف ألغى عقله ، ونسي فطرته ، وأهل آدميته ؛ فتنكب الطريق إذ  
الحياة — في نظره — لعب وهو وزينة وتفاخر ، وتكاثر في الأموال والأولاد

(١) أصناف الآدميين منذ خلق الله الأرض ومن عليها إلى يوم يرثها ومن عليها — ان لم يكن في علم الله شيء  
وراء ذلك — وأقرأ في تصنيفهم أوائل سورة البقرة .

﴿ كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يبيح ، فتراه مصفرا ثم يكون حطاما .. وفي الآخرة عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان .. وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .. ﴾ .. الحياة في عرفهم ، ظلم وسطو ، وسيطرة ، واستعباد .. وتحالف مع الشيطان .. كل هم الواحد منهم أن يعيش الحياة طولا وعرضا ، ليتخّم نفسه ولو بامتصاص دماء إخوانه في الإنسانية ليشبع غريزته الحيوانية ولو على حساب الأبرياء من بنى جلده ، لولا أنك ترى أن الحيوان قد ترفع عن هذه الهيمية فترى القطعان المتجانسة من الوحوش تسير في هدوء بل تتعاون فيما بينها على دفع عادية قطع من جنس آخر أو تجتمع على إيقاع فريسة للجميع ...

حتى إن الأسد لا يأكل ولا يفترس إلا إذا جاع ، فإذا شبع ترك بقية الفريسة للضعاف من سباع الطير والوحوش الأخرى ، ولكن ما أظلم الإنسان لأخيه الإنسان !!! .. يفترسه ويستولي على طعامه وشرايه ومسكنه وأرضه بل ويطرده منها .. ولا يبقى لمن دونه شيئا — ولا حتى الاستقرار الآمن — بل إن هذا الظلوم الكفار لا يفترس إلا إذا شبع .. السبع لا يفترس إلا إذا جاع .. أما الآدمي فلا يفترس إلا إذا شبع واستغنى ﴿ إن الإنسان لظلم كفار ﴾ . ﴿ إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ .

هذا الصنف من البشر المتوحشين استبدت به المطامع والشهوات واستعبده هواه فدار في فلكه ، وسجد في محرابه ، يفعل ما يوافقُه وينفذ كل ما يرضيه ثم لا يهيمه — بعد ذلك — ما قتل من فضائل أحيي من رذائل واقترب من آثام ﴿ أفرايت من اتخذ إلهه هواه ، وأضله الله — على علم — وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة .. فمن يهديه من بعد الله .. ؟!!! ﴾ .

﴿ واتل عليهم نبأ الذين آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثل كمثل الكلب .. إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .. ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فأفصص القصص لعلهم يفكرون !!! ﴾ (١) .

(١) وهذه أيضا من الإفادة في الإعادة فليس التكرار فيها ملاما .. فإن القرآن لا يخلق من كثرة الرد .

﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون .. ولو علم الله فيهم خيراً لأصمهم ، ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون ﴾ (١) .

أولئك شرارُ الخلق ... وهؤلاء يقال لهم يوم القيامة : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمَعْتُمْ بِهَا .. فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴾ ..

﴿ من كان يريد حرث الآخرة نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ، ومن كان يريد حرث الدنيا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وما له في الآخرة من نصيب .. ﴾ .. ﴿ ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة .. فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء ؛ إذا كانوا يجحدون بآيات الله .. وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون .. ﴾ .

﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون .. ﴾ الخ الآيات من أوائل سورة البقرة إلى الآية ٣٩ ..

#### الصف الثاني :

وهو الذي لا يحس من وجوده إلا أنه موجود .. كائن يدب على الأرض يسعى على قدمين .. فهو موجود كمفقود .. حي كميئب .. لم تشعر الدنيا بوجوده — حين وجد فيها — كما لم تشعر بخروجه حين يخرج منها .. فهو صرخة في واد .. وذرة في فلاة .. وريشة في مهب الريح .. إنه الإمعة — الذي عرفت طرفاً من أخلاقه سلفاً — وهؤلاء يوم القيامة يقولون .. ﴿ ربنا أرنا اللذين أضلنا .. من الجن والإنس ... نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ﴾ .. ﴿ إذ تبرأ الذين اتَّبَعُوا من الذين اتَّبَعُوا وَرَأُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسَأَلْتُمُوهُم كَمَا تَدْرِكُونَ الْبُحْرَانِ فَمَا يَنْصَرِفُونَ إِلَّا لَدُنْ أَعْيُنِنَا صَوْلَاتٌ طَبَّعْنَاهَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِلَّا لِمَنْ شَاءَ اللَّهُ فَمَا يَنْصَرِفُونَ ﴾ (٢) .

ثم هؤلاء وهؤلاء يتبرأ منهم الشيطان الذي أغواهم وأضلهم وأعماهم .. ﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم

(١) راجع سورة الانفال والنساء المتكررة فيها بعد هذه الآية .

(٢) راجع كتاب مشاهد القيامة للشهيد سيد قطب .

فَأَخْلَفْتُكُمْ ، وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي .. فلا تلموني ولوموا أنفسكم .. ما أنا بمُصْرِخِكُمْ وما أنتم بمُصْرِخِي .. إني كُفرتُ بما أشركتمون من قبل ... إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴿ ﴾ كمثل الشيطان إذا قال للإنسان اكفر .. فلما كفر .. قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ﴿ ﴾ .

الشيطان يخاف الله رب العالمين . و ﴿ قتل الإنسان ... ما أكفره !!! ﴾ . فبئس الأناسي هم .. ببيغاوات حمقى .. يقتلون كل جديد — دون هدف إلا التقليد الأعمى .. وقد عرفت دعواهم في ذلك كما أسلفنا (١) ... هم أشباه رجال ، وأشباه نساء ، بل أشباه حيوانات ..

وإذا أشار محدثاً فكأنما .. قد يقهقه أو عجز تلمظ

تكسر وانشاء ، واستخذاء ، ميوعة وانحلال .. عالة على المجتمع .. عوالق ، طحالب .. متسلقات .. ﴿ صم بكم عمى فهم لا يعقلون ﴾ لا إرادة لهم ولا عزيمة لديهم ، ولا هدف ولا غاية ، فبطن الأرض خير لهم من ظهرها .. يابوهم .. لو كانوا يعقلون .. ﴿ ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ﴾ .. ﴿ قل بثما يأمركم به إيمانكم ، إن كنتم مؤمنين ﴾ .. ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً .. إن يدعون من دونه إلا إناثا ، وإن يدعون إلا شيطانا مريداً لعنه الله ، وقال لا تأخذن من عبادك نصيباً مفروضاً ، ولأضلنهم ولأمنينهم ولأمرتهم فليبتكن آذان الأنعام ولأمرتهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبيناً .. يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً .. أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً .. ﴾ .

### الصف الثالث :

أما هذا الصف فهو الذي عرف طريقه واحترم آدميته ، وكرم نفسه وقدر خلافته ، فاستغل الجوهرة الكريمة التي فضله الله بها العقل الذي هو مناط

(١) راجع فصل الإسلام والمدنية ...

تكليفه — وهو مدار حسابه ومحيط اختياره — فإذا سلبه — بوجه من الوجوه — سقط عنه التكليف — كما سنيين في القضاء والقدر — أقول : حَكَّم عقله وزكى نفسه ﴿ ونفس وما سواها فأطَمَّها فجورها وتقاهها .. قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ . كما سنوضح ذلك في أقسام النفس عند الحديث عن .. ( اعرف عدوك ) — هذا الصنف من الناس قد لبي النداء واستجاب للفطرة ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ سارع إلى الهدف ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين — الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم .. ومن يغفر الذنوب إلا الله — ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم الله ﴾ وفي القرآن الكريم صور مشرقة جليلة أعدت للمؤمنين على النقيض مما أعد للكافرين . والجاحدين . والمنافقين (١) .

وهذا الصنف من البشر عرفوا أن الحياة الدنيا متاع الغرور فأخذوا منها بقدر ما يعيشهم ويقتيمهم ؛ ليتزودوا للآخرة ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب ﴾ . وأيقنوا أن متاع الدنيا قليل وأن الآخرة هي دار القرار فسأبَقُوا إلى مغفرة من ربهم وجنة أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ، وخاتمهم المبلغ عن ربه .... الذى قال : « بادروا بالأعمال سبعا ، فهل تنتظرون إلا فقرا منسيا ؟ .. أو غنى مطغيا ؟ .. أو مرضا مفسداً ؟ .. أو هرما مُقنّداً ؟ .. أو موتا مجهزا ؟ .. أو الدجال ؟ .. فالدجال شر غائب يُنتظر ، أو الساعة ؟ .. والساعة أدهى وأمر !!! » أو كما قال .

هذا الصنف عرف أن رَحَى الإسلام دائرة فدار مع كتاب الله حيث دار وتتبع سيرة سيد الخلق وسار حيث سار ، واقتدى بالسلف الصالح الأبرار .. هو ألا إن رَحَى الإسلام دائرة فنوروا مع الكتاب حيث دار ... ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان .. فلا تفارقوا الكتاب .. ألا إنه سيكون عليكم أمراء

(١) استمتع بذلك في كتاب مشاهد القيامة وأنت ترى وتحس هذه المشاهد للشهيد سيد قطب .

مُضلون .. يرضون لأنفسهم مالا يرضون لكم ، إن أطعتموهم أضلوكم وإن عصيتموهم قاتلوكم .. قالوا فماذا نفعل يا رسول الله ؟ .. قال كما فعل بأصحاب عيسى بن مريم — نُشروا بالمناشير ، وحملوا على الحُشْب .. فوالذي نفسى بيده لموت في طاعة الله خيرٌ من حياة في معصية الله ) أو كما قال .. ﷺ فقهاوا ذلك ، فوضعوا الآخرة نصب أعينهم ، ووضعوا الدنيا دبر آدانهم وتحت أقدامهم ، واستعدوا لجمع المهر الغالى « ألا إن سلعة الله غالية .. إلا إن سلعة الله الجنة ... » أو كما قال ﷺ .

قرأوا بقلوبهم — ﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا .. أئنا تكونوا يُدْرِكُكُمُ الموتِ .. ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ (١) استلهموا قول المصطفى الكريم « مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ » — ولم يقل كل هم (٢) جعل الله فقره بن عينيه وفرَّق شمله ولم يأت من الدنيا إلا ماقدَّر له ، فلا يسمى إلا فقيراً ، ولا يصبح إلا فقيراً .. ومن كانت الآخرة أكبر هم ، جعل الله غناه في قلبه ، وجمع شمله وأتته الدنيا وهى راعمة ، وجعل الله قلوب المؤمنين تَهْفُو إليه بالود والرحمة وكان الله إليه بكل خير أسرع » أو كما قال ﷺ . علموا أن عباد الرحمن — هم ﴿ .. الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون .. قالوا سلاماً ﴾ .. و ... و ... إلى آخر ما وصفهم به ربهم في قرآنه في سورة الفرقان .. (٣) وما سنعرض له — بشيء من التفصيل — عند حديثنا عن المجتمع المثالي في ظلال الإسلام — إن شاء الله — فهموا رسالتهم في دنياهم — وعرفوا كنه أنفسهم ، وسر وجودهم ، ووظيفة حياتهم وغاية وجودهم ونظرة الله إليهم وعرفوا مآلهم ومصيرهم فتصرفوا وفق منهج الله (٤) فسعدوا في دنياهم ، ويوم القيامة يقال لهم .. ﴿ ادخلوا الجنة ، أنتم وأزواجكم تحبرون .. ﴾ .. ﴿ أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات نعيم على سرر متقابلين ، يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة

(١) راجع ( ص ٢٦٣ ) من كتاب عقيدة المسلم للغزالي ..

(٢) لأن الله تعالى قال ( ولا تنس نصيبك من الدنيا ) ..

(٣) إلى آخر سورة الفرقان ، وأواخر سورة الفتح ..

(٤) كما سنوضح ذلك باسهاب عند بيان منهج الله ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ .

للشاربين .. لافيا غول ، ولا هم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين  
 كأنهن بيض مكنون ﴿ (١) .. وقد أعد لهم في هذه الجنات مالا أذن سمعت  
 ولا عين رأت ولا خطر على قلب بشر .. اللهم اجعلنا من أهلها مع الأنبياء  
 والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . واجعلنا من الذين تمتعهم  
 بالنظر إلى وجهك الكريم من الذين تجرى تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم  
 فيها .. سبحانه اللهم وتحييتهم فيها سلام .. وآخر دعواهم أن الحمد لله رب  
 العالمين .. « آمين » فإذا كان الإنسان بذلك من التفكير والتدبير والمال والوقت  
 والتخطيط والإعداد والجهد والأسفار .. إلخ .. لتحقيق عرض زائل من الدنيا  
 قليل لقضاء شهوة أو التجاوب مع نزوة عارضة أو نزعة شيطان منتهية قد تعقبها  
 ندامة أو يكون فيها حتفه .. أفلا يبذل قصارى جهده لتحقيق سرور دائم ونعيم  
 خالد ؟ .

﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .. !! ﴾  
 ﴿ ... ومثل هذا فليعمل العاملون !!! ﴾ .

والمقام يضيق عن وصف هذا الصنف الثالث من البشر بكل مافي الآدمية من  
 بشر .. وهذا الصنف من الناس بكل مافي هذه الكلمة من أنس ، وسنا ،  
 واستئناس وسمو وتكريم وكل مافي الإسلامية من سلام ، والإيمانية من أمان  
 ﴿ أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ .

و — من أى صنف أنت . ؟ ..

والآن — أخى المسلم — أعرفت نفسك .. ؟ ثم من أى صنف  
 أنت ؟ ... بالقطع لست من الصنف الأول — ولكن من أى الصنفين  
 الآخرين تحب أن تكون ؟ .. أعتقد أن عقلك الواعى المستير وفطرتك  
 السليمة وتاريخك الحميد وطبيعتك النقية الطاهرة تنحاز بك إلى الصنف الثالث  
 بلا شك — إذا لم تكن منه حقيقة — ﴿ ... ولكن الله حبيب إليكم الإيمان  
 وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان .. أولئك هم  
 الراشدون .. فضلا من الله ونعمة .. والله عليم حكيم .. ﴾ .

(١) راجع مشاهد القيامة في القرآن لسيد قطب — رحمه الله .

( الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ) .

## وعرفت ربك ...

أخى المسلم : إنك — بحق — لو عرفت نفسك من أين جئت ؟ .. ولماذا خلقت ؟ وإلى أين تسير .. ؟ . لعرفت الله — عز وجل — استفتت قلبك استوح فطرتك ، استعمل عقلك .. حواسك .. خلجات نفسك التى بين جنبيك ، حينئذ تجد الله تجاهك ، تجد آثار قدرته وعظمته فى الرياح اللواقح فى الجبال الرواسي فى الجوار المنشآت ، فى البحر كالأعلام .. فى النبات ، فى الزهر ، فى الكواكب ، فى السحاب المسخر بين السماء والأرض فى الزلازل فى البراكين .. فى الذرة .. فى الأقمار الصناعية .. فى الصواريخ .. ماكان ، وما هو كائن وما سوف يكون ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق .. أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ؟ ﴾ .. بلى ... ﴿ .. أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ .. بلى وهو الخلاق العليم .. إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون .. فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ وإليه ترجعون ﴾ .. فى الغواصات فى الأسماك وحيوانات ونباتات البر والنهر .. فى الدبابات وحاملات الطائرات ، فى المدرعات والطوربيدات والقاذفات والشفرة والرادار .. والتلسكوب و .. و .. إلخ ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ... ﴾ ﴿ يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان .. ﴾ (١) فى نفسك .. فى أجهزة جسمك الجهاز الهضمي والدموي والدورى والبولى والتناسلي والعظمى والنفسى .. والبصري والسمعي والدفاعى .. و .. و .. ﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ (٢) إنك إذن ستقول : ... أنت أنت الله .. ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك .. فقنا عذاب النار .. ﴾ .

أخى المسلم .. معرفة الله سبحانه وتعالى .. مركوزة فى كل طبع واسمها الكرم

(١) راجع معنى السلطان فى ظلال القرآن — وكتيب الشيخ محمد الصواف .

(٢) راجع كتب الطب محراب الإيمان للدكتور خالص كنجو وآيات الله فى كتب جمال الفندى ، وأحمد زكى أحمد الغمري والمترجمات .. إلخ .



معروف في كل لغة . واختلاف الأجناس والألسن والألوان لم يصرف الأفتدة والأنظار عن هذه الحقيقة الواحدة .. بيد أن هذه المعرفة المتصلة برب العالمين لم تأخذ امتدادها الكامل وسماتها الراشدة ولم تترأ من الأوهام وتبعد عن الأهواء إلا عندما تلقاها الناس مصفاة من ينابيع الوحي وسعوا آياتها تتلى من أفواه الأنبياء ولكن ذلك لم يمنع الكثير ممن لم يدخلوا في نطاق الرسالات الأولى أو لم تبلغهم على وجه صحيح هدايات القرآن الكريم أن يفكروا في الله من تلقاء أنفسهم وأن يطلقوا لعقولهم أعنة البحث والفلسفات الإلهية بالكثير من هذه الأفكار كما أن علماء الكون في العصر الأخير قد تكلموا عن الله — في حدود ما هداهم إليه البحث الجرد في آفاق الطبيعة وأسرارها وقوانينها — كما أسلفت — (١) .

والفلاسفة القدامى والمحدثون قد سمو الله الصانع والعقل الأول وواجب الوجود وسبب الأسباب وغير ذلك من الأسماء التي اصطلحوا عليها .. وكما أن للعلماء والمحدثين تصورات في الألوهية إبتس عليهم فيها الحق بالباطل — كما سنرى — وعلّة هذا اللبس .. أن هداية السماء لم تصحب العقل في سيره ... ومن ثم أقر العقل بالمبدأ الواجب وأخطأ في التفاصيل المتعلقة به .

المهم أن العقل الذكي والبحث النزيه ، والفكرة المبرأة عن الغرض ، المستقيمة على الفطرة تتأدى بأصحابها — حتماً — إلى الله وتفقههم خاشعين أمام الشعور الغامر بعظمة الله وجلاله ..

... وإن من الغباوة والبلادة أن يظنّ السفهاء من الناس أن الإيمان وليد استغلاق الذهن . أو أن استبحار العلوم واتساع المعارف الإنسانية يخذش قاعدة الإيمان ويوهي الصلة بالإله الديان — سبحانه — ويجدر لي أن أنقل لك هنا بعض ماساقه فضيلة الشيخ محمد الغزالي في كتابه عقيدة المسلم نقلا عن كتاب ( الدين والعلم ) للمشير أحمد عزت باشا مع تعليقات يجب الرجوع إليها ..

وقد شرح « لابلاس » دليل الحركة الكونية وأبان قوة هذا الدليل في حسم الشبهات التي يُثيرها الجاحدون فقال :

( أما القدرة الفاطرة فقد عينت جسامة الأجرام الموجودة في المجموعة الشمسية

(١) وهذا من فوائد الإعادة المختلفة الأسلوب والتصوير .

وكثافتها ، وثبتت أقطار مداراتها ، ونظمت حركاتها بقوانين بسيطة (١) ولكنها  
حكيمه ، وعينت مدة دوران السيارات (٢) حول الشمس ، والتوايح حول  
السيارات بأدق حساب ، بحيث إن هذا النظام المستمر إلى ماشاء الله لايعرؤه  
خلل ... !!

هذا النظام المستند إلى حساب يقصر عقل البشر عن إدراكه والذي يضمن  
استمرار المجموعة إزاء مالا يعد ولا يحصى من المخاطر المحتملة ، لايمكن أن يحمل  
على المصادفات في نظر « لابلاس » إلا باحتمال واحد في أربعة « تريوليونات »  
وما أدراك مألربعة « تريوليونات » ؟ .. إنه عدد من كلمتين ولكن لايمكن أن  
يحصيه المحصون إلا إذا لبثواخمسين ألف عام يعدون الأرقام ليل نهار على أن يعدوا  
في كل دقيقة ( ١٥٠ ) عددا .

هذا واحد من الأمثلة التي سيقت وانظر الصفحات من ٢٦ إلى ٤٤ من  
كتاب عقيدة المسلم لتعرف ماقاله .. ( هرشل ، وسبنسر ، وأينشتين ،  
وكليفن .. ) أما بوخنز وبروسيه فيجيب عليهما « كميل فلامريون » متهمكا  
بالمادية التي ينزعان إليها وينتزع اعترافهما من ثانيا أدلتها المادية ( والحق أن  
الإلحاد الذي يشيع بين طوائف المتحذلقين والمتنطعين لايستند — ألبته — إلى ذرة  
من المعرفة أو التفكير السليم .

فإذا كانت حركة المرور في الحج — مثلا — تتطلب فرقة من الجنود ، وفرقا  
من الكشافة وطائرات الهليكبتر — وإلا لسرت الفوضى وتضخمت الحوادث —  
فهل يستغرب القول بقدرة منظمة مشرفة على الألوف من الكواكب السيارة في  
الفضاء ... بل الملايين . وإن شئت فقل البلايين — وهل يعتبر القول بأن  
المصادفات المحضة هي التي تتولى هذا التنظيم . هل يعتبر إلا لغوا ومجونا  
وسخافة ؟؟ ..

﴿ وهو القاهر فوق عباده .. ﴾ ﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر ﴾  
وكثير من الباحثين وعلماء الكون اعترفوا بوجود الله عن طريق الدراسة والبحث  
وأفكار أولئك الباحثين لو أنها حظيت بتعاليم الوحي ومشت في هدى الشريعة

(١) المراد اليسيرة لأن البسط : الاتساع ومنه سميت الأرض البسيطة .

(٢) الكواكب والنجوم السيارة في الفضاء .

الإسلامية لاستقامت مع ماذكر القرآن الكريم عن الله — عز وجل — من صفات وما نسب إلى ذاته العظمى من نعوت الجلال والجمال والقدرة ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا ... ﴾ .

وحسب أولئك — وإن لم يعرفوا الحق كاملا — أن لاح منه بريق ، فأقروا ولم ينكروا ولئن صدقوا ما عرفوا إنهم لأهل الإيمان الصحيح الكامل لو أتيت لهم آياته ، ويسرت لهم رسالاته .. أى لو أتيت لهم معرفة الإسلام الصحيح من خلال الكتاب والسنة ... إلى الإيمان بالله على طريقة رسول الله — فهل بعد هذه الجولات أيكون في الله شك ؟ .. حاشا لله !! ثم في ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقضائه وقدره .. ؟ ..

فالملائكة لا يحصى عددهم إلا خالقهم وهم نورانيون أبرار ﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ .. ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ وما نعلمهم — ولو أراد الله لأعلمنا غيرهم — جبريل الأمين ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين ﴾ فهو ملك الوحي من الله إلى رسله . ورضوان خازن الجنة ، ومالك خازن النار وميكائيل المنتزل بالأرزاق من عند الله ، وإسرافيل نافخ الصور وعزرائيل قابض الأرواح ، ورفيق وعتيد الموكلان بكل واحد من البشر ومنكر ونكير محاسب القبر .. ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو .. وما هي إلا ذكرى للبشر ﴾ حين قال سبحانه عن النار : ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ (١) . وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا .. ليستيقن الذين أوتوا الكتاب .. ﴿

﴿ عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا .. ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ؟ .. كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو — وما هي إلا ذكرى

\* وقد سماه القرآن ملك الموت بصفته لاباسمه .

(١) تسعة عشر ملكا ؟ أو فريقا من الملائكة ؟ ..

للشعر .. ﴿ حتى قال أبو جهل اللعين - من حمقه وجهالته - أكفيكم تسعة  
وعليكم عشرة !!! إِنَّهُ الغباء وعمى البصيرة وما ألصق كنيته به !!!

حملة العرش .. ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية .. ﴿ (١) ولا يقوى  
البشر على لقاء الملائكة ؛ إذن فلا بد من بشر مختارين مصطفين لهم قدرات  
خاصة معدون لنقل الرسالة وتبليغهم إلى إخوانهم من البشر .. ﴿ هو الذي  
بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب  
والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين .. ﴿ .

وكان كل رسول يبعث ليعدل من سلوك البشر الذين انحرفوا بعد انتقال  
الرسول السابق إلى الرفيق الأعلى ويذكرهم بالمنهج الإلهي والميثاق الذي أخذه رب  
العالمين على بنى آدم من ظهور آبائهم - كما أسلفت ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى  
آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم .. ألست بربكم ؟ .. قالوا  
بلى شهدنا .. أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين .. أو تقولوا إنما  
أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم .. أتقبلنا بما فعل المبطلون .. ﴿  
وكانت الاتصالات البشرية في جنات الأرض رهينة المواصلات البدائية فكان كل  
قوم لهم عاداتهم وتقاليدهم وانحرافاتهم واختلاف مشاربهم ونزعاتهم فكان كل نبي  
أو رسول يرسل لقومه خاصة حتى ختم الله الرسالات بمحمد ﷺ - لعلمه -  
سبحانه - أن البشرية ستكون في جهالة عامة وعدوى الانحراف تنتقل بسرعة على  
مانفصله في رسالة سيد البشر وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ - عند  
حديثنا في فصل ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴿ - إن شاء الله - وكان  
كل نبي يبعث في قومه يؤيد بمعجزة خارقة للعادة مما برع فيه قومه ، ليصدقوه وهو  
بشر يوحى إليه .. بشر مثل كل البشر .. ولكنه بشر يوحى إليه معصوم من  
المعصية - كما سنوفيه حقه عند حديثنا عن إعجاز القرآن الكريم - إن شاء  
الله - وكل رسول معه منهج ليسير ويصون حركة حياتهم ويؤهلهم للحياة الآخرة  
الباقية ييشرهم وينذرهم ويصف لهم الآخرة يوم البعث والحساب ويذكرهم يوم  
النشور ويصف لهم العذاب والنعيم المقيم ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم  
إلينا لا ترجعون ؟ .. ﴿ ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب

(١) ثمانية فرق أو ثمانية كتائب .... إلخ .

سليم ﴿﴾ وأزلفت اللجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين .. ﴿﴾ الخ ..

وهذه هي رسالة البشر أجمعين ومنهج الأنبياء قاطبة: إنها رسالة العلم والإيمان ..  
ولقد صدق « أينتشتين » فيما قال : إن العلم بلا إيمان يمشی مشية الأعرج ..  
والإيمان بلا علم يتلمس تلمس الأعمى فهل تريدون أحسن من هذا التلاق بين عقول  
العلماء وبين القرآن الكريم الذي يقول لنا ﴿﴾ إنما يخشى الله من عباده  
العلماء ﴿﴾ .

ولا يسعنا في هذا المقام — إلا أن نقول — خاشعين ؛ .. أنت أنت الله (١)  
من قوله .. (إذا ما اتجه الفكر في السموات حيث انتشرت النجوم في الليل وإذا  
ما كل البصر فيما لانهاية له من الآفاق المظلمة وإذا ما خشعت النفس خشعتها  
من رهبة السكون الشامل فإنك تشرق بوجهك الكريم من خلال الآفاق ، ويسمع  
صوتك في ذلك السكون الشامل وتمس بعظمتك النفس الخاشعة المطمئنة .. حينئذ  
تبدو الآفاق المظلمة كأنها باسمه مشرقة ويتحول السكون إلى نبرات مطربة ..  
تبعث من كل صوب وحينئذ تتغنى النفس الخاشعة لتقول : .. أنت أنت الله ..  
إلى أن يقول .. وإذا ما بين الدنيا إنسان وبيئته ، إذ ينظر إلى المال فيلقاه فانبا ..  
وإلى الجاه فيلقاه ذابوا .. وإلى الأمانى فيلقاهازائلة وإلى الآمال فيجدها باطلة ،  
وإلى الشهوات فيراها خادعة كاذبة ، وإلى المسرات فيجدها آفلة غارية ..  
إذ ذلك يستغنى عن المال والجاه ، وتشل في نفسه حركة الآمال وبين جاه يدول ،  
وأمل يزول لايملاً النفس إلا ذكرك ، أنت أنت الله ... ! الخ تسييحاته  
الخاشعة ..

ثم اعرف عدوك :

لاشك أنك — أحي المسلم — بعد هذه الجولة التفكيرية القصيرة جدا جدا  
في ملكوت السموات والأرض وقد عرفت نفسك من أين أتيت ؟ ولماذا جئت ؟ ثم  
إلى ربك المرجع والمصير .. ﴿﴾ .. منها خلقناكم وفيها نعيدكم .. ومنها نخرجكم تارة  
أخرى .. ﴿﴾ .

فعرفت خالقك وعرفت الطريق إلى الله !!!

(١) راجع ما كتبه منصور فهمي في كتاب خواطر نفس .

ومن مبادئ رسالتك أن تعرف عدوك ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خذُوا  
 حذركم .. ﴾ وعدو الإنسان الأول هو إبليس اللعين ﴿ .. فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا  
 فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقَلْنَا اهْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ .. وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ  
 مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ .. ﴾ قد عرفت ذلك في رسالة المخلوقات — فالعداء بين  
 إبليس والبشر عداء قديم وهو مستمر إلى يوم القيامة ، وهو عدو لئيم يجيش  
 جيوشه ويجند أوليائه وقبيله من الجن والإنس (١) لإغواء البشر — وهذه  
 رسالته — وهو يجيدها ويتفانى في سبيلها — ومن أجلها عصى ربه وهو شديد  
 العداوة وخطره عظيم لأنه ينفذ مخططه في الستر والخفاء ولهذا حذرنا الله منه  
 فقال .. ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ وقال ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ  
 حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ .. ﴾ ولكن من  
 رحمته — سبحانه — أن جعل سلطانه على الذين يتولونه ﴿ إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ  
 عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ .

ثم هو في منتهى الذلة والمهانة أمام المؤمنين الصادقين ﴿ فَقاتلوا أوليائه  
 الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا .. ﴾ ..

بل هو نفسه يقول : ﴿ .. وما كان لِي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم  
 فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم .. ﴾ .

ورضى الله عن أمير المؤمنين عمر — يقول عنه رسول الله المصطفى الكريم ..  
 « لو سلك ابن الخطاب شعبا لسلك الشيطان شعبا آخر » .

فطريق هزيمته سهل ميسور ﴿ وإما يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعًا فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ  
 إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ  
 مُبْصِرُونَ .. وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ وأنت أيها المسلم —  
 بصفة خاصة محارب من الشيطان — كادمي — ومن شياطين الإنس كمسلم —  
 وقد عرفت طرفا من هذه العداوة فيما سبق فأعداؤك من شياطين الإنس — على  
 اختلاف مذاهبهم ومبادئهم وألسنتهم وألوانهم — قد اتفقوا جميعا على محاربة  
 الإسلام في شخصك والقضاء عليه بشتى الطرق — وماهم ببالغيه — ..

(١) ﴿ .. وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ .

وهؤلاء إذ يئسوا من تكفيرك دسوا لك السم في الدسم ، وفتوك عن دينك ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتين لهم الحق .. ﴾ فانت أيها المسلم بين شقى الرحى — عدوك يعاشرك ، ويرافقك إذا رضيت مرافقته ومعاشرته — وهو أبعده ما يكون منك إذا تسلحت ضده بسلاح الإيمان ، وصدق الرسول المصدق الكرم ﷺ « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم من العروق ، فضيقوا مسالكة بالصوم » وصدق الله العظيم ﴿ ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ﴾ .. والحصانة منه ميسورة .. ﴿ قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس من شر الوسواس الخناس ، الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ﴾ .. وأما أعوان إبليس فهم إما من ضعاف الإيمان من الذين يخالطونك ويعاشرونك فهم لا يحسون عداوة بينك وبينهم لأنهم إخوانك .. هم مرضى فموقفك منهم ذو شقين :

(١) أن تتبعد عن العدوى حتى لا تنتقل منهم إليك .

(٢) أن تبذل كل مافى وسعك لتخليصهم من مرضهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن تكون لهم عوناً على الشيطان — وتردد دائما : نحن نكره الشر ولا نكره الشرير .

وفى هذا المجال يقول القرآن الكريم ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ .. ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره .. وإما يُنسىٰك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين .. ﴾

وأما أعداء عقيدتك فكن منهم على حذر ، فهم يترصدون بك الدوائر فيكون لك المؤامرات فلا تنس عداوتهم مهما اختلفوا فى مراتبها ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا . ﴾ .. وقد عرفت بأسهم من تكفيرك ثم لجوءهم إلى تخريب عقيدتك فى قلبك بأفكارهم المسمومة ليجعلوك مخدر الإيمان والعقيدة فلا تعرف معروفا ولا تتكر منكرا ، ففتت همة الدعوة إلى الإسلام فى نفسك وهى من صميم رسالتك ودعوتك — وتميت فى قلبك جذوة الشهادة فى سبيل الله وهى التى كانت تقض مضاجعهم كانت ولا تزال مبعث قلقهم ومصدر

شقاوتهم .. وقد نجحوا في ذلك إلى حد بعيد .. أضف إلى ذلك أننا نسينا الله  
فأنسانا أنفسنا .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ..

## واعرف تاريخ أمتك : .. (١)

ومن الواجب عليك أن تعرف تاريخ أمتك — لامن أجل أن تتباهى — فقد  
عرفت أن الفتى من يقول هأنذا .. لامن يقول كان أبى ، ولا من قبيل اجترار  
الماضى أو التحسر على مافات .. ﴿ لكيلا تأسوا على مافاتكم .. ولا تفرحوا  
بما آتاكم ﴾ .. بل من باب الاعتبار والاتعاظ واليقين بأن الإسلام دين الدنيا  
والآخرة — دين المدنية والحضارة والكشف والاختراع لادين التأخر والرجعية (٢)  
وإليك الأدلة الساطعة والبراهين الدامغة باعتراف الأعداء أنفسهم — والفضل  
ماشهدت به الأعداء —

(١) يقول المؤرخ « روزى » والأستاذ « نكلس » في كتابهما : أنشأ العرب  
في إسبانيا جامعات متعددة منها جامعة قرطبة وغرناطة وطليطلة وأشبيلية — وفي  
الأخير ترجم أحد الرهبان التوارق إلى اللغة العربية ، وانكب القساوسة وأتباعهم  
المسيحيون — الذين تركهم الإسلام وما يدينون — على دراسة اللغة العربية  
وهجروا اللاتينية .. فما أجمل سماحة الإسلام والمسلمين (٣)

(٢) وقال جوستاف لوبون في كتابه ( حضارة العرب ) قال حرفيا : يرجع  
الفضل — كل الفضل — في حضارة أوروبا إلى العرب ..

وحين ازدهرت الحضارة الإسلامية في بلاد الأندلس — في القرنين التاسع  
والعاشر للميلاد كانت المراكز العلمية عبارة عن أبراج يسكنها سادة أنصاف  
متوحشين .. وكانت الطبقة المستتيرة في النصرانية رهبان جهلة .  
وفي القرن الحادى عشر شعرت بعض دول أوروبا بالحاجة إلى نفص تجنار

(١) راجع كتاب معالم في الطريق للشهيد سيد قطب ، فصل التصور الإسلامى والثقافة .

(٢) راجع ماقيل في الإسلام والمدنية .

(٣) راجع كتاب ( التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ) للشيخ الغزالي . وكتاب ( ماذا خسر العالم  
باحتفاظ المسلمين ) للشيخ الندوي . و ( حضارة الإسلام ) تعليق شكيب ارسلان .



الجهل ، فطرقوا أبواب العرب ، حيث كانوا وحدهم سادة العلم ، ودخل العلم أوروبا بواسطة الأندلس وصقلية وإيطاليا وفي سنة ١١٣٠م أنشأ « ريموند » رئيس الأساقفة في طليطلة مدرسة للترجمة قامت في ثلاثة قرون متوالية بنقل أشهر مؤلفات العرب إلى اللاتينية ومنها مؤلفات الفخر الرازي ، وابن سينا وابن القاسم وابن رشد .. بل إنها نقلت كتب اليونان التي كان المسلمون قد ترجموها إلى لسانهم العربي<sup>(١)</sup> .

٣ - ويقول الأستاذ « سيديو » إن بيت الإبرة - البوصلة - ليست من اختراع الصينيين .. بل ه من صنع العرب .. وإن الأرقام الهندية عليها أرقام العرب ، العمليات الحسابية وكانت تسمى بالخوارزميات - نسبة إلى الخوارزمي .. والعرب أول من استعمل الكسور العشرية .

والخوارزمي منشىء علم الجبر ، وأول كتاب له فيه « الجبر والمقابلة » ووجدت نسخة مخطوطة أخيراً في « اكسفورد » وكان قد ترجمها إلى اللاتينية من قبل « روبرت شسير » ونشرها أخيراً وعلق عليها الدكتور مصطفى مشرفة والدكتور محمد موسى أحمد .. وكذلك نشأ علم حساب المثلثات علماً عربياً وأول من ألف فيه جابر بن الأفلح سنة ١١٥٤م .

٤ - وأما الأستاذ « دريرا » بجامعة نيويورك فيقول في كتابه « المنازعة بين الدين والعلم » إن اشتغال المسلمين بالعلوم يرجع إلى فتحهم الإسكندرية سنة ٦٣٨م - سنة ٥١٦هـ ، ولم يمض عليهم قرن حتى استأنسوا جميع الكتب العلمية اليونانية ، فلما آلت الخلافة إلى المأمون صارت بغداد عاصمة العلم العظمى في الأرض ، والمأمون نقل دفعة واحدة من المخطوطات اليونانية حمل مائة بعير واشترط في الصلح أن يتسلم مكتبة من مكتبات القسطنطينية إلى أن قال : إن جابر بن حيان جعل الكيمياء علماً مستقلاً ذا أصول وقواعد .. والعرب أول من اكتشفوا تركيب الأدوية واكتشفوا القلويات والنوشارد ونترات الفضة والراسب الأحمر وعمليات التلويب والتقطير والترشيح والترسيب والتكلس وكثيراً من المواد النباتية والصيدلية التي لا تزال تحمل الأسماء العربية ، والعرب أول من أدخل صناعة الورق إلى أوروبا .

(١) راجع كتاب الدكتور على الدفاع : نبغاء علماء المسلمين .. والموجز وتطور الفكر عند المسلمين للدكتور محمد الصادق عفيفي .

٥ - أما السير « وليم اوسكر » فيقرر في كتابه « تطور الطب » إن العرب قد اشعلوا سراجهم من قناديل اليونان ثم بلغت مهنة الطب عندهم من القرن الثامن إلى الحادى عشر بمكانة لا تكاد تجد لها مثيلاً فى التاريخ وكان المرجع الأول للطب فى أوروبا .

ولقد خرجت الأندلس المرجع الأكبر فى الجراحة وتجبير العظام وهو « أبو القاسم الزهراوى » وكتابه فى الجراحة « التعريف لمن عجز عن التصريف » وترجم إلى اللاتينية فى القرن الخامس عشر ، وله كتاب آخر فى الآلات الجراحية ومنها جهاز استخدم فى فتح المثانة لإخراج الحصا .

٦ - وإليكم يا شبيبة الإسلام ما يقوله « شارلتون » إن ابن سينا والخيام ابتدعا طرقاً لاستخدام الوزن النوعى ، وإن الخازن اخترع آلة لمعرفة الوزن النوعى للسوائل ، وإن البيرونى عرف الكثافة والوزن النوعى لسبعة عشر معدناً وفى الميكانيكا كتب موسى بن شاكر كتاب الحيل ويجوى مائة تركيب ميكانيكى ويذكر نظرية الجاذبية فيقول عنها : إن ثابت بن قرة تكلم عنها قبل « نيوتن » بمئات السنين حيث قال : « إن المدرة تعود إلى أسفل لأن بينها وبين الأرض مشابهة فى كل الأغراض والشئ يتجذب إلى ما هو أعظم منه ، وشبيه الشئ منجذب إليه » .

٧ - تقدير أمريكا للطب العربى الإسلامى : وقد خصصت جامعة « برنستون » جناحاً باسم الرازى وأنشأت معهداً لتدريس العلوم العربية وللبحث عن المخطوطات العربية فى الطب وغيرها لنشرها .

ابن سينا : وقد اكتشف ابن سينا أمراضاً كثيرة منها على سبيل المثال - الانكلستوما - ولقد سبق فرويد فى العلاج بطريقة التحليل النفسى ، وله فى ذلك قصة طريفة جداً .. فقد دعى إلى عيادة فتى مريض حار الأطباء والنطاسيون فى معرفة علته .. وبعد أن فحصه العلامة ابن سينا وتحقق من سلامة جميع أعضائه الجسمية استدعى عريفاً من عرفاء المدينة وتناول يد الفتى يجس نبضه ويرقب وجهه وطلب إلى العريف أن يسرد أسماء الأحياء فى المدينة ففعل حتى إذا ذكر اسم حى معين اضطرب نبض الفتى فطلب إليه أن يذكر أسماء العائلات فى ذلك الحى ، وعندما ذكر واحدة منها إزداد نبض الفتى اضطراباً واصفر وجهه .. فطلب ابن سينا من العريف أن يذكر أسماء بنات هذه العائلة ففعل - وعندما نطق باسم فتاة بعينها منهن أغمى على الفتى ،

فعرف ابن سينا العلة فالتفت إلى أهل المريض وقال : زوجوه هذه الفتاة فهي الدواء .

٨ - وقد كانت الأندلس قلعة طالبي العلم من أوروبا وكانت جامعاتها نماذج أنشئت على نسقها جامعات أوروبا - فجامعة باريس أنشأها « أوهيلارب » لأول مستشرق انجليزي بعد أن تعلم في جامعات الأندلس من سنة ١١١٠ إلى ١١٢٠ م ، حيث ترجم من العربية إلى الإنجليزية مبادئ إقليدس وكتاب الخوارزمي في الحساب . وجامعة نابولي أنشأها « فريدريك الثاني » على نسق جامعة قرطبة سنة ١٢٢٤ م .

٩ - وأما سيديو المؤرخ الفرنسي : فيؤكد أن قانون نابليون منقول عن كتاب فقهي في مذهب الإمام مالك - رحمه الله - ( هو شرح الدردير على متن خليل ) .

ثم يستورد المسلمون القانون على أنه فرنسي الأصل .. لا حول ولا قوة إلا بالله .

١٠ - وقال : « أرنتس رينان » معدداً فضائل العرب في الرحلات والجغرافيا يذكر أنهم أول من قاس محيط الأرض - رغم وجود الآلات العصرية الحديثة - ويقرر أن الفرق بين مقياسهم والمقياس العصري هو ١٦ كيلو فقط .. ( ستة عشر كيلو متراً فقط ) يا للروعة !! .

وأشار إلى الإدريسي ومؤلفه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » وأول من رسم الأرض على شكل كرة من الفضة - كما أشار إلى ابن ماجه الملقب بأسد البحار - ومؤلفاته وذكر بأنه ريان « فاسكودي جاما » وطاف معه حول الأرض في رحلة بحرية - كما أشار إلى أن العرب اكتشفوا أمريكا قبل « كريستوفر كولومبس » بثلاثة قرون ...

ومن أكد ذلك : الدكتور « هوى لين » أستاذ النبات بجامعة « بنسلفانيا » بأمريكا و« نارفيت » في كتابه « مجموعة الأسفار » . مستدلاً برسالة من كولومبس نفسه أرسلها من هايتي سنة ١٤٩٨ م ، مشيراً فيها إلى كتب ابن رشد .. وهكذا أيها الإخوة .. أنتم سادة العالم وأساتذته في كل علم

وفن .. فلا تنبهروا بما حولكم فهو منكم وإليكم ، ولكن ثوبوا إلى رشدكم وعودوا إلى ربكم تستعيدوا مجد آبائكم فلن تصلوا إلى ذلك إلا بما وصل به أجدادكم فيما وصلوا فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ وليس معنى هذا أن العلم سينزل عليكم من السماء .. لا .. فقد انقطع الوحي ، ولكن بقيت رسالة الموحى إليه ﷺ فعوضوا عليها بالنواجذ فلقد قامت الحضارة على الدين الإسلامي .. والدين الإسلامي منذ القدم ضرورة اجتماعية وسياسية ونفسية ولغوية .. وبغيره تصبح المجتمعات البشرية أقرب إلى الحيوانية منها إلى الإنسانية .. وقد يقول قائل : وهل تقدم غير المسلمين عائد إلى تقواهم ؟ فأقول لا .. إنما هو من باب الأخذ بأسباب العلم .. كما أن بعدهم عن الدين ليس سبيلا إلى العلم كما يدعى العلمانيون ، وإنما هو ابتلاء من الله لنا .. وسنة الحياة - مقدمات تسلم إلى نتائج .

إذن بعد كل هذه المقدمات لا بد للإنسان من عقيدة وتلك نتيجة حتمية ولما كان لا بد للإنسان من عقيدة - كما أسلفنا - .. كان السؤال الذى يطرح نفسه هو : ولكن - لماذا تكون العقيدة هي الإسلام ..؟..

\* \* \*

# الفصل الثاني

## مع الملاحدة والعلمانيين

ولماذا تكون العقيدة هي : الإسلام ؟ .

ولعل فيما أسلفنا خير مدخل لما نريد التحدث فيه من كمال ما شرع الله الخالق — وخصوصا بعد هذا الاستطراد في التحدث عن نبوغ العلماء المسلمين وإسهامهم في الحضارة بمبتكراتهم العلمية<sup>(\*)</sup> في شتى مجالات الحياة لطردهم الشبهات التي يثيرها الملاحدة والعلمانيون ضد الدين — بعامة — والدين الإسلامي بخاصة — زاعمين — وهما وخيالاً — أن الدين يعطل الإنتاج وورق المجتمع ويكسبون من وراء الإلحاد والعلمانية الحرية الشخصية ، والصحة النفسية ، والعقلية ، والعمل لرفاهية الحياة الدنيا والتقدم المطرد والملاحدة والعلمانيون يدعون إمكان الاستغناء بالعلم المادي والنفسي عن الدين ؛ لأن الدين :

(١) يحيد من الحرية الشخصية بما فيه من قيود الحلال والحرام ( افعل ولا تفعل ) وأن الدين والدنيا ضرتان — إن أرضيت إحداها أغضبت الأخرى .

والدين الإسلامي يقول لهم : نحن نختلف معكم في مفهوم الحرية الشخصية وفي نتائجها .. فإن كنتم تريدونها بهيمية همجية شهوانية بلا حدود ولا قيود فهذا مالا يقوله عاقل ، لأن الحرية الحقيقية هي التي لا يكون فيها عدوان على حريات الآخرين .. فالإسلام لا يحرم الحرية الشخصية — في حدود شرع الله — وهو ألا يكون الإنسان أسير شهواته ، ونزعاته تصرفه كالبهائم والوحوش يعب من الشهوات ويعتدى على الأعراض والنفس والمال والفرد والجماعة والمشاعر لدى الآخرين فذلك بعيد كل البعد عن معنى الإنسانية فالإسلام يريد لها حرية مقيدة

(\*) والتعبير الدقيق باكتشافاتهم العلمية لأن كل مُكتشف أساسه موجود في الكون منذ بداية الخلق والإنسان يكتشف ﴿ سترهم آياتنا في الآفاق ﴾ .

بحريات الآخرين حتى يتم الانسجام الأسري والاجتماعي والدولي ، ولتتصور طريقا عاما أخذ فيه كل فرد حريته المزعومة من سكر وعريدة وتهور فماذا تكون النتيجة في جزئية واحدة مثلا فلنتخيل حرية السير دون تقييد بإشارات المرور كل يسير حسب هواه من غير احترام للإشارات ماذا تكون النتيجة ؟ دماء تنهمر وحوادث تحطم ونفوس تزهر وأرواح بريئة تنفق ومصالح تتعطل .. الخ .. هب أنك تسكن مع زميل في غرفة واحدة لك حريتك وله حريته — وهو يفتح الراديو أو التلفاز ويدخن النرجيلة ويأتي بزملائه المنحرفين مثله يلعبون الشطرنج أو النرد .. الخ .. وأنت تريد النوم فقد جعل الله الليل لباسا والنهار معاشا .. وأنت ترجوه يأخى .. عندى امتحان غدا .. وأحب أن أنام فهل تسمح بالخروج أنت وزمرك ؟ !! فيقول يأخى هذه حريتي وأنا لى نصف الغرفة .. فماذا تكون النتيجة ؟ لو أنك استعملت كذلك أنت حريتك وقمت من فورك وأحضرت بنزيننا وأشعلت النيران فى الحجرة ؟ .. حرية .. حرية شخصية !!! فى الهلاك والدمار والخراب .. ولكن الإسلام يريد لها حرية منظمة لاعدوان فيها على حرية الآخرين .. وعلى هذا فقس جميع الأمور .. وماينطبق على الأفراد ينطبق على الأسر والمجتمعات الإقليمية والدولية .. لو انفلتت الحرية لأكل القوي الضعيف والغنى الفقير والخيث الطيب .. صار المجتمع غابة .. البقاء فيها للأقوى لا للأصلح .. كما هو واقع الآن فى جنبات العالم .. هيبه — خنفسه — دعاة — ظلم — استبداد — رق مقنع — استعمار — فجور — دمار — دماء .. كل قوي مسلح يريد أن يخضع الآخرين لفكره .. لمبادئه .. لهواه . لسلطانه . فتكون المصادمات .. ضياع .. لا أخلاق لادين لاقيدوا لحدود — لأمل .. حتى قال بعض المعتدلين فكروا من الغربيين أنفسهم : « إن هذا الجيل بلا حدودو بلا قيود بلا أمل » .. نعم بلا أمل .. خرج عليهم فرويد اللعين ، وداروين المشعوم — اليهودي — وكارل ماركس ولينين — الملحدان (١) — الأول بنظريته الجنسية البحتة ، والثانى بقريديته الخسيسية . والأخيران بإلحادهما وماديتهما — فكانت الطامة العالمية بالأزمة الأخلاقية (٢) .

(١) وهما أيضا يهوديان .

(٢) راجع كتاب : مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب .

« حيوانية قردية مادية » فماذا بقي للروح .. حيوان ذو نزوة بهيمية لاينظمها بالصوم ولا بالعفة ولا بالزواج لأن التنظيم يولد الكبت والكبت يخرب النفس .. افتحوا باب الغريزة لتحل مشكلة الشباب .. افتحوا الباب على مصراعيه .. حتى كان السفاح على قارعة الطريق في الدول الغربية الرجل والمرأة يتسافحان على قارعة الطريق فلو رمقتهما بنظرة إزدراء ، قيل لك كن مؤدبا أتركهما يقضيان شهوتيهما ، لاتقطع عليهما انسجامهما ولا تكن فضوليا ولا تجرح حريتهما .. إذن لماذا تطلقون لهما العنان ؟ آ وتبحرون عليّ لأني انظر إليهما .. ارفعوا المنظر من الطريق فلا يكون فضول .. منطقتك سليم والحق معك .. ولكن عند من .. ؟ المهم .. هل حلت الأزمة ؟ هل استقام الشباب ؟ .. هل أُعطي الصحة النفسية والعقلية ؟ . المؤشر يشير الى الانحدار الأخلاقي والتفكك الأسرى والاجتماعي والاضطراب النفسي والعصبى والقلق والحيرة فى اجتياح الشباب .. ما الحل ؟ .. الجنس — الحيوانية — اللادينية .. افتحوا لهما بابا آخر لعل الجنتين لايتلفان من طول الممارسة .. افتحوا لهما باب اللواط .. حتى أحل مجلس العموم البريطاني زواج الفتى من الفتى بقرار ثم سرت هذه النزعة سريان النار فى الهشيم .. فقد تنسّون الرجل فى كل شيء « ملبسا وحديثا » وسلوكا إلخ .. واسترجلت المرأة حتى سئم كل جنس من جنسيته وكل نوع من نوعيته .. هل حلت الأزمة ؟ .. بلادة .. وخمول وفجور وبطالة .. هل حلت الأزمة ؟ ..

افتحوا بابا اخر من المشهيات والمغريات « المسابح لممارسة الجنس والأفلام السينائية و( الفيديو ) لونابارك ، نادى العراة .. إلخ » هل حلت الأزمة ؟ . لا .. وألف مرة لن تحل .. إلا .. بالرجوع إلى منهج الله (١) كل المخلوقات الكونية تتصرف تصرفا واحدا غريزيا .. فطريا .. الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض وأجهزة جسم الإنسان .. تصرفا واحدا — فقط — إجباريا إلا الإنسان والجن فلهما تصرفان : واحد إجبارى — ككل المخلوقات — والثانى إرادي وكل ذلك وفق منهج الله .. فإن كان التصرف الإجبارى والتصرف الاختيارى وفق منهج الله حصل الانسجام النفسى .. مثلا ( فتح العين إجبارى والنظر بهما إلى

(١) راجع ماقلناه سلفا من تصرف الجوارح لأن فى الاعادة إفادة .. ولقد أعدت المثال نفسه لتعيش أنت بنفسك وتطلق لحيالك الإسلامى العنان .

المحرمات اختياري . فإن غض البصر عن رؤية الحرام حدث الانسجام في العضو .. أما لو كان الاختياري على هواه ولم يغمض العين عند المحرمات حدث التضاد والشد والجذب ووقع عدم الإنسجام النفسي « النظره سهم من سهام إبليس .. فمن تركها من مخافتى أبدلته بها إيمانا يجد حلالته في قلبه » .. أو كما رواه صلى الله عليه عن رب العزة .. وهكذا كل الأعضاء .. الشم والبطن — اللسان — والفرج و .. و .. في منهج الله فقط الدواء الشافي — وهذا هو كمال شرع الله أخطأتم في مفهوم الحرية الشخصية وفي نتائجها ومردودها في المجتمع والفرد .. فالشرع عملية تنظيم ليسير دولاب الحياة منتظما — بحرية شخصية عاقلة متزنة — ثم نعالوا بنا أيها المخادعون .. ألم تكن لديكم في حياتكم العادية قيود وقوانين يصنعها الحاكم للمحكوم ؟ .. الظالم للمظلوم ؟ .. القوى للضعيف ؟ .. الغني للفقير ؟ .. قوانين المرور — التعليم — التجارة — المخدرات — الجوازات — الحرب — التملك — الضرائب — الجمارك — المحاكم — الخ ... ثم لماذا أنشأتم المحاكم والقضاء والدفاع ؟ .. مادامت الحرية — الشخصية — مفتوحة فلماذا التقاضي ؟ .. والتحاكم ؟ .. لماذا ؟ .. لماذا تحدون من حرية الحرية ؟ .. أم إنه إذا كانت القيود من الظالم للمظلوم ومن القوى للضعيف كان حرية .. وإن كانت من الحق — سبحانه — للخلق — كانت مصادمة للحرية الشخصية .. القضية العقلية تقول « ردوا الأشياء إلى أصلها .. وردوا الصنعة إلى صانعها .. وردوا النفس إلى بارئها » .. اعطوا القوس بارئها ( والله المثل الأعلى .. ) . في حياتكم العادية تخصصات .. لا يتكلم في الاقتصاد طبيب العيون ، ولا يتكلم في الطب رجل الأعمال وطبيب الأنف والأذن والحنجرة لا يجبر العظام ومدرس الميكانيكا لا يدرس الهندسة المدنية .. الخ . فلماذا الدين كل من هب ودب يتكلم فيه .. ؟ . إنها مهزلة إنسانية ثم قال إن الدين والدنيا ضربتان ؟ إنهما صنوان .. فالدين هو الحياة .. ﴿ .. أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها .. ؟ كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ﴾ .

(٢) الصحة النفسية والعقلية .. يفقدها المرء بكبت الحرية الشخصية — كما تقدم — وقد عرفنا انه خسرها ببعده عن الدين .. بل خسرها والآخرة .



وفقدتها كما يزعمون — بالجري وراء اللامعقول .. وراء الغيبات .. الله .. صفاته .. السمعيات .. حساب القبر .. اليوم الآخر .. المحشر .. الجنة .. النار .. الملائكة .. ونحن لانؤمن إلا بالمعقول المحسوس ، والعلم طريقه ما وراء المادة ( الغيبات ) .

ونحن نقول هل حللتم ( فوجدتم في مختبركم ان الله غير موجود ؟ ) حاش لله ليس الله مادة .. أنتم مجانين ، فإن قلتم نحن عاقلون .. فأروني عقولكم .. ( لا كهرباء مثلا ) فإن قلتم لابل فيه كهرباء بدليل هذه الأنوار وهذه الأصوات تبعث من الراديو والأجهزة .. الخ .. إذن فأروني حقيقة . الكهرباء ﴿ والله المثل الأعلى ﴾ يا أصحاب العقول القاصرة لاتدرك الصنعة صانعها .. ؟ هل الباب يدرك النجار والحديد ؟ إذا كنتم لاتعرفون أنفسكم فهل تستطيعون إدراك ذات خالقكم ؟ .. ( موسى — عليه السلام — أراد أن يريخ قومه فطلب رؤية ربه فقال له الله ﴿ لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ﴾ .. إبراهيم عليه السلام قال ﴿ رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن .. ؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي — قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهم جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا .. واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ .

وهل نتائج العلم حقيقية ؟ أنتم تؤمنون أنها ظنية — نسبية — تقريبية ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ .. وهل تعرفون بواطن الأمور ﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ﴾ .. هل تعرفون الميكروب وكيف يسير في الدم ؟ .. هل تعرفون ظواهر المرض وأعراضه فقط ؟ .. ﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى .. ﴾ .

ومن قال لكم إن العلم والإيمان لا يجتمعان .. كل ذلك حزازات كنسية والإسلام منها برىء .. أول آية نزلت على رسولنا ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم .. ﴾ .. اغتررتم وقلتم : إن العلم المادى يسيّر طريق حياة الجسد ويخدمها .. والنفسي يحل مشكلات النفس .. فلا حاجة إلى الدين .. فهل حللتم الأزمة النفسية والأخلاق عندكم ؟ .. تكالبت الأمراض من كل

جانب — رغم تفوق علوم الطب وأصبحت لديكم العيادات النفسية أكثر من العيادات البدنية .. فلماذا هذا الانحدار؟ هل حللت الأزمة؟ .. أم يتفاهم خطبها يوماً بعد يوم؟ .. اسألوا هنرى لنك عالمكم الأمريكى الطبيب النفسى .. ماذا قال — بعد تجارب سنوات ..؟ .. أكثر من ٧٠٪ من أسباب الأمراض النفسية والعقلية مرده إلى الخواء الدينى .. اسألوا ديل كارينجى — العالم النفسانى الدكتور العظيم — صاحب كتاب (دع القلق وأبدأ الحياة) ماذا قال؟ .. صدر كتابه بيتين من الشعر:

كاد القلق يجعلنى هباءً لأن قدميَّ افتقدتا حذاءً  
إلى أن قابلت من يومين رجلاً بلا ساقين

يعنى (كل من شاف بلاوى الناس هانت عليه بلوته) كما يقول المثل الشعبى .. عالم نفسانى .. دكتور .. الخ .

سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما — بدينه الفطري وعقيدته الإلهية ومنهجه الربانى يقول «مأصبت بمصيبة إلا وكان لى فيها ثلاث منح ..»  
الأولى: «أنها ليست فى دينى» .. ولم ولن يعرفها ديل كارينجى ولا أضرابه .  
إن لم تكن المصيبة فى الدين — حمر — زنا — فجور — إلحاد — الخ . فهى تهون .

الثانية: «أنها ليست أكبر منها» .. وهاتيك هى التى فهمها العلامة النفسانى د . ديل كارينجى لأنها مادية .

الثالثة: والتى لم يعرفها ولن يعرفها إلا المؤمنون المسلمون «أنى أرجو عليها ثواب الله» .. يرجو على المصيبة ثواب الله .. ﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يظنون مؤثماً يعيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح .. إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ .. وصدق رسول الله ﷺ «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل .. يتلى الرجل على قدر دينه .. فإن كان فى دينه قوة اشتد بلاؤه .. وإن كان فى دينه رقة ابتلى على قدرها ... أو كما قال رسول الله ﷺ حتى الشوكة يشاكها فهى فى سبيل الله» هذه هى تربية الإسلام: الدنيا فى نظر المسلم الحق معبر وممر — كما قلنا سلفاً — فمن أحسن المقدمات سعد

بالتأنيح — فالمسلم ذو أمل ينتظره ﴿ جنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .. ﴾ أما الكافر — ما مآلة؟ دنيا فقط .. فليغترب ماشاء فليظلم ما أتبع له من الظلم فليعب من الشهوات — قدر طاقته .. إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبتلع وما يهلكنا إلا الدهر ﴿ وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحى وما نحن بمبعوثين ﴾ لكن المسلم عنده ﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى .. ولا تظلمون فتيلًا ﴾ ﴿ ما عندكم ينفذ وما عند الله باق ﴾ وصدق الله العظيم في حديثه القدسي « إني لأجمع على عبدى خوفين وأمينين إن أمنتى في الدنيا أخفته في الآخرة .. وإن خافنى في الدنيا أمنتى في الآخرة » فماذا يحتاج من الدنيا .. خمر .. خمر الآخرة أشهى وأشفى ﴿ لذة للشاربين لافيا غول ولا هم عنها ينزفون ﴾ .. ﴿ وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون ﴾ ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن ولم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ﴾ سورة محمد .

والدنيا مامقدارها . ؟ . يقدر عمر الإنسان فيها ٦٠ سنة ؟ ٧٠ سنة ؟ .. ﴿ وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ .. والنعم فيها دائم والعذاب فيها دائم فليتحمل العاقل الأريب .. عشرات السنين لينعم الآف السنين .. إلى الأبد .. إلى أن يشاء الله رب العالمين .. هذه هي نظرة المسلم .. أما الكافر .. ﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم ﴾ .. ولذا يقول الرسول الكريم « المسلم يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء (١) .. »

### حياة البرزخ :

﴿ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ .. عذاب القبر ينتظرهم وحساب الملكين شديد ( والقبر إما روضة من رياض الجنة وإما

(١) أي لابرقة في طعامه .

حفرة من حفر النار) (١) والسؤال الخطير مَنْ رَبُّكَ؟ .. وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ ..  
وما دينك؟ .. وما اعتقادك؟ .. وما الذى عشت ومت عليه ..؟

فيقول المؤمن: الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيي والكعبة قبلتي والصلوات  
فريضتي والمسلمون إخواني وإبراهيم الخليل أبى وأنا عشت ومت على قول لا إله  
إلا الله محمد رسول .. أما الكافر فيقول .. هاها كان الناس يقولون كذا وكذا ..  
فتعيش روحه معذبة ويعذب جسده بعداها .. ومدة القبر علمها عند ربنا ينتظره  
الحشر ونفخ إسرافيل فى الصور النفخة الأولى ليموت جميع الخلائق وتنتهى الدنيا  
وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات .. ﴿ إذا الشمس كورت .. وإذا النجوم  
انكدرت .. وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش  
حشرت . وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت . وإذا الموءودة سئلت  
بأى ذنب قتلت .. وإذا الصحف نشرت .. وإذا السماء كشطت .. وإذا  
الجحيم سعرت .. وإذا الجنة أزلقت .. علمت نفس ما أحضرت .. ﴾ إلى  
آخر سورة التكويد ثم الانفطار .. والمطففين .. والغاشية .. وكل السور المكية ..  
الحاقة .. والقارعة .. والواقعة .. والزلزلة .. الخ من مشاهد القيامة الرعبية وفى  
المقابل لأهل الإيمان ﴿ وأزلقت الجنة للمتقين ﴾ .. (٢)

### الحشر :

وهول الموقف يوم القيامة .. ﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته  
وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يُغنيه .. وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة  
مستبشرة .. ووجوه يومئذ عليها غبرة .. ترهقها فترة .. أولئك هم الكفرة  
الفجرة .. ﴾

تبعث الخلائق حفاة عراة غرلا (٣) يوم القيامة ( كما ولدتهم أمهاتهم ) . وتقول  
أم المؤمنین عائشة رضى الله عنها وعن أبيها — أو تكشف الحرة عن عورتها ؟ ..  
فيقول يا عائشة مامعناه كل مشغول بنفسه . ﴿ يوم ترونها تذهل كل مرضعة  
عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم

(١) راجع كتاب الروح لابن القيم الجوزية وما كتبه الشيخ حسن أيوب وما سجل فى الاشرطة .

(٢) راجع فى ظلال القرآن ومشاهد يوم القيامة للشهيد سيد قطب .

(٣) من غير ختان .

بسكاري ولكن عذاب الله شديد ﴿ تكون الشمس دانية من العروس والعرق يغطي جسم من في الموقف كل حسب عمله .. منهم من يكون إلى عقبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم إلى سرتة ومنهم إلى صدره ومنهم إلى رقبته ومنهم من يغطيه ويكتم أنفاسه فلا هو يموت ولا هو يحيى — كأهل النار — والعياذ بالله — ﴿ وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم سوء ولا هم يحزنون .. ﴿

« سبعة يظلمهم الله ، في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل .. وشاب نشأ في عبادة ربه (١) .. ورجل قلبه معلق بالمساجد .. ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه .. ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه .. ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين .. ورجل ذكر الله تعالى خالياً ففاضت عيناه بالدموع » أو كما قال رسول الله ﷺ .

الحساب :

### القنطرة — الصراط — الشفاعة

موقف صعب رهيب يتمنى كل واحد الانصراف ولو إلى النار ثم على القنطرة يقتص لكل ذى حق من ظالمه حتى ليقصص من الشاة القرناء لأختها العضاء .. الخ .. وهناك الصراط وهو أدق من شعرة الرأس وأحد من السيف فمن الناس من يجتازه كالبرق ومنهم كالحصان ومنهم كالريح ومنهم كالسحفاة ومنهم من تتخطفه كالليب من جهنم فيهوي فيها — والعياذ بالله — والميزان يوم لا يبخس الناس شيئاً « ... وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسين ﴿ .

﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مالهدا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .. ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحداً ﴿ .. ﴿ فأما من أوتى كتابه يمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابه .. إني ظننت أنى ملاق حسابه . فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية وأما من أوتى كتابه

(١) أى وشابه (إنما النساء شقائق الرجال) فالنساء كالرجال في كل هذا .

بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حساييه .. ياليتها كانت  
القاضية .. ما أغنى عني ماله هلك عني سلطانيه . خذوه فغلوه ثم الجحيم  
صلوه . ثم في سلسلة ذراعها سبعون ذراعاً فاسلكوه .. ؛ إنه كان لا يؤمن  
بالله العظيم ﴿ إلى آخر الحاقة (١) .

### الشفاعة :

ثم الشفاعة وتعرض على سائر الأنبياء فيقول كل نبي : لست لها لست لها  
حتى تعرض على محمد ﷺ فيقول أنا لها ثم يسجد تحت العرش فيناديه ربه  
يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعط فيقول : يارب أمتي .. فيكون هو  
أول الداخلين إلى الجنة وأمه أول الأمم (٢) .

### الجنة ونعيمها والنار وعذابها :

وهناك في الجنة درجات وفي النار دركات هناك الرؤية العظمى لرب العالمين  
يوم يتجلى لعباده الصالحين المصلحين المتقين ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها  
ناظرة ﴾ ﴿ وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة  
ترهقها فترة أولئك هم الكفرة الفجرة ﴾ وهناك المنافقون في الدرك الأسفل من  
النار ومكان يقال له الأعراف ﴿ ... وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون  
كل بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون .  
وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴾  
الآية ٥٣ من سورة الأعراف . وينادي أصحاب الجنة أصحاب النار إنا وجدنا  
ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ فيقولون نعم . ولكن لا يعنهم  
ذلك شيئاً .. وينادي أصحاب النار أصحاب الجنة ﴿ وينادي أصحاب النار  
أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله .. قالوا إن الله  
حرمهما على الكافرين .. ﴾ .

﴿ وهم يصطرخون فيها .. ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل

(١) راجع تفسير ابن كثير العظيم ، وظلال القرآن ومشاهد القيامة وأرجو أن أوفق لوضع كتاب في البرزخ

ويوم القيامة لأن الناس في حياتهم غافلون فإذا ماتوا انتبهوا .

(٢) وسأوفيك في آخر الحديث بتفصيل يوضح حقيقة الشفاعة وينفي عن مدلولها بعض ماحتواه من

غموض وسوء فهم .

أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير .. فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴿ ﴿ .. وما هم منها بمخرجين .. ﴿ ﴿ ... كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ، ليدوقوا العذاب .. ﴿ ﴿ .

في كل من الجنة والنار من النعيم والعذاب مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴿ وعندما يصرح للسان بالكلام يقول لبقية الجوارح : بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل !! ويكفى أن نعلم أن أقل أنواع العذاب للكافرين فيها عذاب أي طالب عم الرسول ﷺ وهو خفان من قطران يلبسهما فيفور دماغه غليانا من شدة النار في الحفين وأن أقل أنواع النعيم نعيم أبناء الكفار الذين ماتوا صغارا وأهل الفترة وهو الأعراف بين الجنة والنار أو الطواف بالأباريق والكئوس على المعتمدين في الجنة . اللهم اجعلنا من أهلها — وكتاب مستقل لا يكفي في هذا المجال وأحيل القارئ على كتاب الله وسنة رسول الله ففيهما الغناء ثم كتاب مشاهد القيامة للشهيد سيد قطب ففيه بعض الغناء .. وكذلك في ظلال القرآن وكتب التفسير المعتمدة ..

### أشراط الساعة وعلاماتها :

كل ذلك يسبقه علامات للساعة التي تأتي بغتة ، حتى يعد كل امرئ عمله لها يعد الأعمال للجزاء بالإيمان والطاعة ومداومتها والتوبة والإكثار من العمل الصالح .. وصدق رسول الله المصطفى الكريم ﷺ : « يا أبا ذر أحكم السفينة فإن البحر عميق وأكثر من الزاد فإن السفر بعيد ، وخفف الحمل فإن العقبة كئود ، وأخلص العمل فإن الناقد بصير » .. أو كما قال ﷺ ومن علاماتها .. أن تلد الأمة ربتها — أي تختل موازين الأمور — وأن يستطيل رعاة الشاة بهم في البنيان ، وأن تنقض عرى الإسلام عروة عروة فأولها نقضا الأمانة وآخرها نقضا الصلاة ...

مابالكم ؟ إذا كانت رسالة محمد ﷺ من علامات الساعة « بعثت أنا والساعة كهاتين » وأشار بإصبعيه — الوسطى والسبابة — فماذا بعد ذلك !!! ومنها المسيح الدجال ، والدابة التي تكلم الناس ، ثم قتل المسيح — عليه السلام — للمسيح الدجال وهو معروف لذوى البصائر مكتوب على جبهته بين

عينه كذاب ثم يحكم عيسى عليه السلام بمنهج محمد ﷺ ٤٠ سنة حتى لا يكون على وجه الأرض مشرك .. كمتبع محمد — ﷺ — لا كرَسُول فلا رسول بعد محمد — ﷺ — .

و (.. لن تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود .. فيختبئ اليهودي خلف الحجر والشجر (إلا شجر الغرقد) فينادى ويقول يا مسلم: هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله ..) أو كما قال رسول الله ﷺ ومنها خروج الشمس من المغرب وغروبها من المشرق وهذه من العلامات الكبرى .. وتكوير الشمس وانفطار السماء .. ورج الجبال .. الخ ماجاء في القرآن الكريم مفرقاً ومركزاً في أواخره من المفصل وقصاره وخاصة القرآن المكي (١) وبخاصة الجزء ٢٩، ٣٠ الملك والنبأ ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها إنما أنت منذر من يخشاها كأنهم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ﴾ .

﴿ قل إنما علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ... ﴾ .

والآن .. هل أدركت كمال شريعة الله ونقص ما شرع المخلوق الناقص وأدركت أن الشريعة الإسلامية السماوية كان حقا على رب العزة أن يجعلها صالحة لكل زمان ومكان ، وأنها تحمل أسمى وأكمل الحلول لمشكلات البشر (٢) لأنها من عند أحكم الحاكمين الذى خلق الإنسان ويعلم ماتوسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد .. وهو — سبحانه — أدرى بما يصلح تلك الأنفس البشرية من رفق ولين أو زجر أو شدة . ﴿ والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم ﴾ .

﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ ؟

إجمال واجب ، لتعميق مفهوم العقيدة : ؟

وهل تستطيع معي الآن أن تلخص عقيدتك ؟ .. فلنحاول معا .. بالرد على : من أين ؟ ولماذا ؟ وإلى أين .... الخ .

(١) راجع كتاب مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان وأشرطة الشيخ حسن أيوب وكتابه أخيرا وعقيدة المسلم للغزالي والعقائد للشيخ سيد سابق .

(٢) راجع سلسلة « حتمية الحل الإسلامى » د . يوسف القرضاوى .



خلقت من الأرض وفيها أعود ومنها أخرج للعرض والحساب والثواب والعقاب ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ وخلقتم لعبادة الخالق — سبحانه ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون .. ﴾ وإلى البرزخ أسير إلى القبر — بعد حياة تقصر أو تطول ﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلًا .. أينا تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ ﴿ .. وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ﴾ أو من بأن القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار وأن سؤال منكر ونكير فيه حق ، وأن للساعة علامات .. ﴿ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ علامات صغرى وعلامات كبرى ذكرنا طرفا منها — ويطلب الكثير في مظانه (١) والمسيخ الدجال وذهاب الأمانة ونقصان العلم « أي عدم الانتفاع به في الخير واستعماله في الشر » ، والنفخ في الصور للموت ، والبعث ، ثم النشور ثم الحساب ، ثم ورود النار ، ثم القنطرة ، ثم الشفاعة ، ثم الجنة أو النار .. وصدق الله العظيم .

﴿ الله خالق كل شيء — وهو على كل شيء وكيل .. له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون .. قل أفغير الله تأموني أعبد أيها الجاهلون ؟ .. ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين .. بل الله فاعبد وكن من الشاكرين .. وما قدروا الله حق قدره — والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه — سبحانه وتعالى عما يشركون .. ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون .. وأشرق الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون .. ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون .. وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً

(١) في ظلال القرآن ومشاهد القيامة ، وعقيدة المسلم والعقائد للشيخ سيد سابق وإحياء علوم الدين للغزالي — بتحفظ — والروح لابن القيم عن حياة القبر . وعقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي السقا .

حتى إذا جاءوها فُتِحَتْ أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا بلى .. ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين .. قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين .. وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض ننبأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين .. وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين .. ﴿ صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم .

### نقاط على الحروف :

سنتهى من هذه الدنيا ، وستنتهى الدنيا بعدنا — لا محالة — ثم ماذا ؟ نجب أن نقول أولا أو نؤكد ما قلناه قبلا : إن الله — سبحانه وتعالى — مجيد عظيم ، وإن كماله الأسنى لا ترقى إلى كنهه العقول . وأنه أوجد البشر تفضلا وأعطاهم — على ظهر هذا الكوكب أعظم فرصة خطيرة لو أحسنوا استغلالها — وإنه سبحانه وتعالى لم يمنح الخلود في جواره الكريم إلا لمن ينتهزون هذه الفرصة ؛ فترشحهم أعمالهم وأحوالهم للعود إلى الرفيق الأعلى .

إن الله المجيد لا يقبل إلى جواره الأوغاد (١)

إن الله العليم لا يقبل إلى جواره الجهلة ...

إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ..

إن الله نظيف يجب النظافة ...

إن السفلة الذين التصقوا بالتراب ، وعاشوا له ، لن يرتفعوا عنه ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا وكذلك نجزي المجرمين .. لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ، وكذلك نجزي الظالمين ﴾ .

فمن الخير للإنسان أن يعلم علم اليقين ، أن عمره المحدود في هذه الدنيا ان لم يكن وسيلة للتكامل والترقى فلن يشرق غده ولن يخرج منه بطائل .

(١) من كتاب عقيدة المسلم — بتصرف — للشيخ الغزالي .

فالجنة التي وعد الله بها المتقين لا تتسع لخسيس ولا مهين ، وإذا لم يكن الإنسان على حظ من الكمال والفضيلة فلن يجد بها منزلا .

ولما استكبر بها إبليس طرد منها وقال له ربه ﴿ فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين ﴾ .

ولما غفل آدم عن حق ربه ، ووهنت في الخير عزيمته أخرج منها وزوجه ، وعرفهما الله — عز وجل — وعرف ذريتهما من بعدهما أن الجنة مستوى الكمال ، من فقدته لم يبق لها أهلا فمن بقيت في نفسه أثارة من شر وأدركه الموت ولم يتطهر منها حبس على شواطئ الآخرة ، ولم يدخل جنة ربه على تلك الحال !!! .

قال الرسول المصطفى الكريم — ﷺ — « يخلص المؤمنون من النار فيحسبون على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هُذبوا ونُقوا أذن لهم في دخول الجنة » .

ويحسن أن أسرد لكم هذه القصة الطريفة التي يحكيها علي بن أبي طالب — كرم الله وجهه — . فيقول — مامعناه — ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت ثناياه .. فقلت بأبي أنت وأمي يارسول الله ما يضحكك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « اثنان من أمتي جنبيا بين يدي (١) الرحمن فقال أحدهما : يارب خذ لي مظلمتي من هذا .. فقال الرب — سبحانه — اردد علي أخيكَ مظلمته .. فقال : يارب كيف .. ؟ (٢) فقال الرب — سبحانه — ماذا تفعل بأخيكَ ؟ فقال صاحب الحق : فليعطني من حسناته .. فقال الرب — سبحانه — (لمن عنده الحق) فلنعطه من حسناتك .. فقال يارب : قد نفدت حسناتي .. فقال الرب — سبحانه — ( لصاحب الحق ) : ماذا تفعل بأخيكَ وقد نفدت حسناته ؟ فقال : فليحمل عني من أوزاري .. !! « وهنا بكى رسول الله ﷺ حتى اخضلت لحيته بالدموع !! » فسأله علي — رضي الله عنه — بأبي أنت وأمي يارسول الله — ما يبكيك ؟ قال : « إنه ليوم عصيب .. يوم يحتاج الناس فيه أن يحمل عنهم من أوزارهم » (٣) !!! ثم قال : « فأشار

(١) يعني يوم القيامة من باب الاخبار بالمغيبات ....

(٢) لأن الدنيا دار عمل أما الآخرة دار مقر وجزاء فمن أين له برد الحق ؟

(٣) وحديث المفلس مشهور .

الرب — سبحانه — إلى قصور في الجنة .. فقال صاحب الحق : يارب ..  
لأي مَلِكِ هذا ؟ أو لأي نبي هذا ؟ قال الرب — سبحانه — هي يا عبدي  
لمن أعطى الثمن .. فقال : ومن يقدر عليه يارب العالمين ؟ قال الرب —  
سبحانه — أنت يا عبدي .. فتعجب صاحب الحق قائلاً : أنا ؟ وكيف ؟ قال  
الرب — سبحانه — بعفوك عن أخيك .. فقال : أشهدك يارب أني قد  
عفوت عنه .. فقال الرب — سبحانه — خذ بيد أخيك وانطلقا إلى  
الجنة !!!

ولكن كلاً من الصالحين في منزلته المناسبة في الجنة « وقد قلنا إن الجنة  
درجات ، وهذا يدلنا دلالة صريحة على أن حقوق العباد لا يكفرها صوم ولا صلاة  
ولا حج ولا عمرة إلا بردها إلى أصحابها أو عفوهم ...

ولذا يجدر بي أن أسوق هذا الدعاء المأثور : « اللهم إن لي ذنوباً فيما بيني  
وبينك ، وذنوباً فيما بيني وبين عبادك .. فما كان لك منها فاغفره ، وما كان  
لعبادك فتحمله عني » .. وما لعبادك فتحمله عني .. كيف ؟ بإرضاء  
صاحب الحق ليعفو عن أخيه وهذا — في اعتقادي — إذا كان المدين على درجة  
تؤمله لتحمل هذا الحق عنه ومجازاة صاحبة .. فليفهم ... (١) .

أرأيت ؟ لأبد من تهذيب وتنقيه ، فمن لم يستور وينضح ويطلب في الدنيا انتظرتة  
جهنم ، لتكتمل له مانقص ، وتعوضه مافاته .

﴿ أيطمع كل امرئ منهم أن يُدخَلَ جنة نعيم ؟ .. كلا .. إنا خلقناهم  
مما يعلمون ﴾ لقد خلق الإنسان من أصول ، فيها كدر وكثافة وهون . ﴿ من  
حماً مسنون ﴾ — ﴿ من نطفة أمشاج ﴾ (٢) وأمامه في الدنيا فسحة من الأجل  
ينبغي أن يستغلها في ترشيح نفسه للملأ الأعلى ، فيزكي نفسه ويصفي قلبه  
ليوافق ذلك مانفخ فيه من روح الله ﴿ ونفس ومانساها فألهمها فجورها  
وتقواها .. ﴾ (٣) .

فيقهر أهواءه ، ويمسح أكداره ، ويرقق من طويته ، ويسمو بطبيعته ، حتى

(١) بأن كان له عند الله عمل جليل يعلمه هو — سبحانه .

(٢) راجع شرح المفردات في التفسير .

(٣) كما سنوضح بعد عن خصائص النفس الإنسانية ومداخل الشيطان إليه — إن شاء الله .

يطيب ويطهر فإذا جاءته رسل ربه لتنتقله إلى الآخرة ، صدق قول الله — عز وجل — ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ إن هناك أقواما تشتم في أعمالهم تنتن الطين الذي خلقوا منه ، وتلمح في أخلاقهم كدره وسواده !! هؤلاء ليسوا أصحاب الجنة مهما زعموا وأملوا .. !!

يعقد الإسلام صلة وثيقة بين فعل الخير في الدنيا وما يعقبه من سعادة في الآخرة — كما يعقد الصلة نفسها بين اقتتراف الشرور واستحقاق العذاب الأليم وقد يحاول بعض الناس بأساليب ملتوية وعلل مكذوبة — أن يشكك في هذه الصلات القائمة ، ولكن هيهات !! فالجزم لا بد أن يلقي عقوبته ، وأن يواجه الجزاء من جنس العمل .

﴿ إن الله لا يصلح عمل المفسدين ، ويحق الله الحق بكلماته ، ولو كره المجرمون ﴾ .

وعندما يتلاوم العصاة يوم القيامة ، ويحاول كل فريق منهم إلقاء التبعة على الآخر ، ليتصل من الذنب ويفر من العقاب ، عندئذ يقرع آذانهم صوت الحق ﴿ قال لا تخصصوا لديّ وقد قدمت إليكم بالوعيد . ما يبدل القول لديّ وما أنا بظلام للعبيد ﴾ !!! .

والمحسن لا يخلف عنه الوعد الحق ، ولا ينقص مكافأته على صالح عمله ذرة ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا ، وهو العزيز الحكيم ﴾ ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ .

ويجدر بنا أن نلفت الانتباه إلى طائفة من أدعياء العلم بالنصوص الواردة ، وخبثتهم في فصل العلاقة بين العمل وجزائه ، والاحتيال بذلك على تحقير مظهر الخير في العمل الطيب أو مظهر الشر في العمل الفاسد ...

وإن الفسقة قد ينالهم العفو مهما ارتكبوا ، وينشد شاعرهم :

وإني — وإن أوعدته (١) أو وعدته \* لخلف إيعادي ومنجز موعدى .. !!

(١) أوعد : في الشر ... ووعد في الخير .

وعميت بصائرنا عن ذكر الحق — تبارك وتعالى — ﴿... ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد﴾ ... ﴿غافر الذنب ، وقابل التوب شديد العقاب ..﴾ ﴿نبيء عبادي أني الغفور الرحيم ، وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ !!! .

وهذه الفئة الحقيرة أدت عملها في إفساد الأمة وتلوّث المجتمع وإهانة الدين وتعاليمه ...

والله — سبحانه وتعالى — يكذب ذلك بأسلوب صريح .  
﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم .. ساء ما يحكمون﴾ .

﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ..﴾ كتاب أنزلناه إليك مبارك ، ليدبروا آياته ، وليتذكر أولوا الألباب ﴿إن المؤمنين يوقنون بأن عموم المشيئة لايعنى التسوية بين خائن وأمين وأن جواز العفو لايعنى إبطال الشرائع وإهمال القوانين ..﴾

#### تنقية الشفاعة :

يلفظ عوام المسلمين بأحاديث واردة في شفاعة النبي ﷺ لبعض العصاة . وتعلق أولئك العوام ، والدجالين بأحاديث الشفاعة ، يخيل إليك أن قوانين الجزاء بطلت ، وأن نيران الجحيم توشك أن تتحول بردا وسلاما على عصاة المؤمنين . وكثيراً مايفرط هؤلاء الجهال في الفروض ويقعون في أوحم الذنوب ثم يقولون : أمة محمد بخير .. !! وهذا مسلك ساقط وهمة هابطة .

ومحمد ﷺ أول من يستنكره ويحاربه ويحارب أصحابه وينذرهم بأنهم أصحاب الجحيم .

فأما أن الجزاء حق ، وأنه يتناول الذرة من الخير والشر وأنه يعم الناس أجمعين فذلك صريح القرآن الكريم .

﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ والقول بأن قوانين الجزاء توقف بالنسبة لأتباع نبي ماسخف فارغ (١) وقد كذب القرآن

(١) وسوف تناقش ذلك عند الحديث عن تربية الفرد المسلم — إن شاء الله —

الكريم في مواضع شتى مزاعم الأولين والآخريين لما جمحت بهم أمانتهم إلى هذا الوهم الباطل .

ولسنا نرد ماصح من أحاديث الشفاعة .. بل نثبتها في مواضعها التي لاتعدوها حتى لانحرف الكلم عن مواضعه .

روى الشيخان : قال رسول الله ﷺ ﴿ إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةَ مُسْتَجَابَةً ، وَإِنِّي اخْتِيَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي ، فَهِيَ نَائِلَةٌ مِنْكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، مِنْ مَاتَ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا ﴾ هل معنى هذا الحديث أن الشفاعة التي يرجوها الرسول الكريم تنقذ مرتكبي الفواحش والمناكر ممن ماتوا لايشركون بالله دون أن يستوفوا جزاءهم !!؟؟؟

إن الرسول الكريم نفسه يرد هذا الزعم ويبطله .

وقد روى البخارى حديثا يصف فيه أهوال الحشر وأحوال أهل النار قال النبي ﷺ فيه « يضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل ، وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم ، وفي جهنم كالليب مثل شوك السعدان — هل رأيتم شوك السعدان ؟ — قالوا نعم ! فإنه مثل شوك السعدان غير انه لايعلم قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوق بعمله ، ومنهم من يخردل ثم ينجو ، حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل آثار السجود فيخرجون من النار فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا (١) فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تبت الحبة في حميل السيل .. (٢) .

وهذا الحديث يفيد أن المسلمين الذين يعبدون الله وحده قوم سيدخلون النار وأن لهيها سينال ملامحهم فلا يعرفون إلا بآثار السجود .

(١) قشرت جلودهم عن لحمهم .

(٢) وصدق رسول الله ﷺ « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله . قالوا حتى ولا أنت يا رسول الله ؟ .. قال : حتى ولا أنا .. إلا أن يتغمدني الله برحمته » أو كما قال .

وأن رحمة الله فحسب هي التي تدرکہم فتنقذہم مما یعانون من بلاء ثم تغسل أوصارہم الأولى بماء الحياة لينبتوا — بعد — خلقا جديدا يصلح للتعميم ، والرضوان ... فليس للشفاعة هذا النطاق الواسع الذى يبرز به الخطاءون إصرارہم . وما تفيدهم أمانیہم فیہا شیئا ﴿﴾ وإن منکم إلا واردہا كان على ربك حتما مقضيا . ثم تُنجي الذين اتقوا ونذر الظالمین فیہا جثيا ﴿﴾ (١) .

وقد بین الله — سبحانه — أن الشفاعة لاتجدى على كافر ولا على فاسق مثقل بالخطايا — قال الله تعالى ﴿﴾ واتقوا يوما ترجعون فیہ إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا یظلمون ﴿﴾ ﴿﴾ واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شیئا ولا یقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ینصرون ﴿﴾ ﴿﴾ ولا ترزقوا وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا یحمل منه شیء ولو كان ذا قرنی ﴿﴾ . والنفس المثقلة بالخطايا — ولو كانت لرجل من المصلین — لا یفوتها جزاؤها كما رأیت فی حدیث الرسول وهو یصف أمتہ عند اجتيازها الصراط ، فهل من مذكر ؟ .

﴿﴾ یوم یُکشف عن ساق یدعون إلى السجود فلا یستطیعون . خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا یدعون إلى السجود وهم سالمون ﴿﴾ .

والظاهر أن الشفاعة التي یرجوها النبی الکریم إنما تدرك صنفا من الناس تأرجحت موازين الحق والباطل فی أعماله فهو بین السقوط والنجاح .

ونحن فی حیاتنا ننظر إلى التلامذة الذین یقتربون من النہایة الصغری للنجاح نظرة رافة ونمیل إلى منحهم درجة أو درجتین جبرا لنقصهم (١) .

أما الذین یبتعدون عن المستوى الأدنى للنجاح مسافة بعيدة فإننا نحکم بسقوطهم فورا ففعل الشفاعة المنسوبة للرسول الکریم تنقذ أمثال هؤلاء المقارین للنجاة وبهذا التفسیر يتم الجمع بین النصوص .

وقد یكون المقصود من هذه الشفاعة التنويه بمكانة النبی — صلوات الله وسلامه علیه — والإشادة بمنزلته الکری عند الله ...

(١) من کتاب عقيدة المسلم بتصرف .



ومثال ذلك في مجتمعاتنا انه في مناسبات خاصة — كعيد ميلاد الملك (١) أو جلوسه يفرج عن طوائف المسجونين قضاوا أغلب المدد المحكوم عليهم بها ، ويراد إشعارهم بفضل المناسبة التي تستحق العفو والحرية .. ﴿ والله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ﴾ .

وهذه الحرية الممنوحة بالعفو العام ، لاتחדش أصل العقوبة المقررة . ولا يفهم منها أنه لاضرورة لسن القوانين . وبناء المحاكم وتعيين القضاء ، كما يريد أن يفهم ذلك عوام المسلمين وأصحاب البدع والخرافات — من مرتزق التصوف والدجل الديني — ومن أحاديث الشفاعة المنسوبة لنبهم ﷺ والتي تشير إلى أن الله قد يجيب دعاء نبيه — وهو جاث بين يدي ربه — يسأله الصفح عن الأمم الفقيرة من الأولين والآخرين التي أدركها حر الموقف المعنت وألهب عصاتها شواظ من النار المستعرة فهي تضرع إلى الله أن يرفع غضبه وتتردد على أنبيائه جميعا كيما يشاركونهم الرجاء والدعاء . على أنه مهما بلغت منزلته عند الله فلن يتجاوز في الله حد التقرب والتجنب لمولاه وما كان لنبي أن يفرض رأيا أو يقرر حكماً .. ثم مافائدة رسالته ووعده ووعيده؟! .. وما الفرق بين من أطاع ومن عصى ؟ ..

﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ، حتى إذا فُزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ .. قالوا : الحق وهو العلي الكبير ﴾ ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ﴾ ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ — فلا كلام إلا بإذن ولا كلام إلا بصواب ، ومرد الأمر لله الواحد القهار له وحده .. وحده فقط ..

فإذا كان من الناس من يقترب الموبقات المهلكة اعتمادا على شفاعة موهومة فليذكر قول الحق في أهل النار ﴿ ماسلككم في سقر ؟ قالوا : لم نك من المصلين .. ولم نك نطعم المسكين .. وكنا نخوض مع الخائضين .. وكنا نكذب بيوم الدين .. حتى أتانا اليقين .. فما تنفعهم شفاعة الشافعين ..!!! ﴾ .

﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة

(١) وهذه أعياد ماأنزل الله بها من سلطان وهي من البدع المذمومة .

أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يُدعون إلى السجود وهم سالمون فذرفى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملى لهم ؛ إن كيدى متين ﴿ .

ويجدر بنا بعد سوق هذا العرض الواجب نروى حديث الشفاعة العظمى معتقدين أن قارئه لن يتجاوز به حدوده — إن شاء الله — .

عن أنس — رضى الله عنه — أن النبي ﷺ قال : يجمع الله الناس يوم القيامة فيهمون لذلك — وفي رواية — فيلهمون لذلك — فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا ، فيأتون آدم فيقولون : أنت آدم أبو البشر ، خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا . فيقول : لست هُنَاكُمْ فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيى ربّه منها ، ولكن اتنوا نوحا أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون فيقول لست هُنَاكُمْ ، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيى ربّه منها ولكن اتنوا إبراهيم الذى اتخذه الله خليلا . فيأتون إبراهيم ، فيقول لست هُنَاكُمْ ، ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيى ربّه منها ولكن اتنوا موسى — كلمه الله وأعطاه التوراة — قال : فيأتون موسى فيقول لست هُنَاكُمْ . ويذكر خطيئته (١) التي أصاب فيستحيى ربّه منها ، ولكن اتنوا عيسى روح الله وكلمته ، فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هُنَاكُمْ ولكن اتنوا محمدا ﷺ عبدا قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر قال : قال رسول الله ﷺ فيأتون فاستأذن على ربي تعالى — فيؤذن لى فإذا أنا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ماشاء الله . فيقول : يا محمد : ارفع رأسك . قل تُسمع ، سل تعطه واشفع تشفع .. فأرفع رأسى ، فأحمد ربي بتحميد يُعلمنيهِ ربي ، ثم أشفع فيحد لى فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعود ساجدا فيدعنى ماشاء ان يدعنى ثم يقال لى : ارفع يا محمد رأسك ، قل تسمع ، سل تعطه واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأحمد ربي بتحميد يُعلمنيهِ ربي ثم أشفع فيحد لى حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم

(١) علماً بأن الأنبياء معصومون فيما يبلغون عن الله وفى أمور الدين فإذا أخطأوا سدوا عن طريق الوحي بخلاف البشر ولأن رسول الله قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر . فهي من باب حسنات الأبرار سيئات المقرين .

الجنة .. قال : فلا أدري في الثالثة او في الرابعة — قال فأقول : يارب ما بقى في النار إلا من حبسه القرآن ( أى من وجب عليه الخلود ) ( ٢ ) ...

إن أتباع الدين يجب أن يعرفوا أن الحساب الإلهي لا يغفل الذرة من الخير أو الشر . وأن هذه الدقة تنفى كل تصرف ينطوى على الفوضى ، وكل الجزاء جزافا . وقد ندد القرآن الكريم باليهود — لما سرت بينهم هذه الآراء الغريبة حتى ظن عامتهم أن الجنة حكر لهم ولذريتهم — لأمر ما — فأقبلوا على المملذات ( العيش الأدنى ) ينيبونها ويقولون — في يقين . سيغفر لنا؟؟؟

﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ، يأخذون عرض هذا الأذى ويقولون : سيغفر لنا وإن يأتيهم عرض مثله يأخذوه ، ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق ؟؟ — ودرسوا ما فيه — والدار الآخرة

نعم للذين يتقون أفلا تمقنوا به

العمل والجزاء ،  
عوج سلوك ،  
رفع الثقة ،

الله ﴿ ليس  
له من دون

الذي يذير لأن  
نروا منه غير  
الذي يجب  
اتمهيدا له ،  
الذي عواقبه

نواها كتاب  
با — صفرا

هذا الكتاب  
هو الكتاب  
الذي  
هو الكتاب  
الذي  
هو الكتاب  
الذي  
هو الكتاب  
الذي

إلا مما تزودنا به منها . ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى .. واتقون يا أولي الألباب ﴾ .

ولو كان أكثر الناس وطيد الرجاء في حياة مقبلة مأرخص عمره وما احتسب وقته أهون مالمديه من متاع .

ارتحلت الدنيا مدبرة ، وارتحلت الآخرة مقبلة ، ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة — من أبناء الدار المقبلة — لامن أبناء الدار المدبرة فإن اليوم عمل ولا حساب .. وغدا حساب ولا عمل ... (١)

**منكرو البعث وسخف مزاعمهم :**

من العصور الخالية وأقطار الأرض منكوبة بصنف من الناس يظنون أنهم مربوطون بأعباء الحياة كما تربط الحمير بعربات القمامة تظل تدور بها حتى يغلبها الإعياء وتدرکہا الشيخوخة فتموت حتف أنفها أو يطلق عليها الرصاص ثم لا شيء ... أو كالكلب يظل يدور حول نفسه ليمسك ذنبه فتجده دائما لاهثا حتى ينفق (٢) ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتينا آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ... ولو شئنا لرفعناه بها . ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ، إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .. ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص لعلهم يتفكرون .... ﴾ .

روى أن أحد (٣) أولئك المنكرين للبعث جاء بعضهم بالي قد فته بعدما أرمّ وعرضه على رسول الله ﷺ بحسب المغفل أنه سيفحمه بسؤاله « كيف يتحول هذا بعد ذلك إلى بشر سوي ؟ » ﴿ وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ﴾ وهذا الاعتراض صفة للسائل الجهول ترده إلى مكانته التي يتناول فوقها .. ﴿ قال من يحيى العظام وهي رميم ؟ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ .. بلى .. وهو الخلاق العليم .. إنما أمره إذا أراد شيئا يقول له كن فيكون .. فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ﴾ .

(١) راجع كتاب الروح لابن القيم .

(٢) يموت حتف أنفه .

(٣) هو العاص بن وائل فنزلت أواخر يس بعد أن قال له المصطفى ﷺ « بلى ويعطك ويدخلك النار » .

نعم : يحییها المبدع المتفرد فی شئون الخلق والإبداع والإیجاد والتصویر ..  
ودلائل البعث كما قدمنا - ترجع - فی جملتها - إلى لفت أنظار الناس نحو  
حقائق بدهیة مسلمة .

﴿ ویقول الإنسان إذا ما میت لسوف أخرج حیا ؟ .... أولاً یذكر  
الإنسان .. أنا خلقناه - من قبل .. ولم ینك شیئاً !! ﴾ وهذا المخلوق المعاد  
تتكرر صورُهُ تحت أعیننا بصور شتی كل یوم بل كل لحظة - فالرجل -  
والمرأة - من حیث لا یشعر أحد - تصنع غدهه الجنسیة ألوف الألوف من  
الحووانات المنویة فی واحد منها فقط أساس كامل لبشر كامل .

ولعل هذه الكثرة فی إیجاد أصول الحیاة یقصد بها إلى الدلالة علی أن الموجد  
علی درجة من الغنی فی خلق أسباب الحیاة تجعل إنشاء الناس أمراً یسیراً بالنسبة  
إلی قدرته .. ﴿ أفرایتم ما تمسنون ؟ .. أنتم تخلقونه ؟ أم نحن الخالقون ؟ .. نحن  
قدرنا بینكم الموت وما نحن بمسبوقین .. علی أن نبدل أمثالكم وننشئكم  
فیما لا تعلمون ، ولقد علمتم النشأة الأولى فلو لا تذکرون ﴾ ؟ (١)  
﴿ ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ... ﴾ .

وعن أبی رزین العقیلی : قلت یارسول الله : کیف یُعیدُ الله الخلق ؟ وما آیه  
ذلك قال : أما مررت بوادی قومك جدبا ، ثم مررت به بیتر خضرا ؟ قال نعم ؟  
قال : فتلک آیه الله فی خلقه .. ﴿ كذلك یحیی الله الموتی ویریکم آیاته لعلکم  
تعقلون .. ﴾ ﴿ ... والنخل باسقات لها طلع نضید رزقا للعباد وأحیینا به  
بلدة میتا .. كذلك الخروج .. ﴾ (٢) ﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا علیها  
الماء اهتزت وربت وأنبت من كل زوج بهیج ذلك بأن الله هو الحق وأنه یحیی  
الموتی وأنه علی كل شیء قدير . وأن الساعة آتیة لا ریب فیها وأن الله ینبعث من  
فی القبور ﴾ .

والمادة المیتة تتحول - فی كل غذاء نتناوله - إلى خلایا حیة من جسوننا  
یسری فیها الشعور ، وتنتفض بالحركة .. فما معنی استنكار ما یقع شیبیه بیننا

(١) اقرأ آخر سورة « الواقعة » .

(٢) اقرأ سورة ق من أولها إلى آخرها وتدبرها ، فقد حفظها صحابة رسول الله ﷺ من فیه علی المنبر من  
کثرة ما كان یخطب بها .

أبدا؟ هل النشور إلا هذا؟ ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى .. ﴾ .

﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

فكيف يستكثر على من بينى قصرا منيف الشرفات سامق العمد أن بينى كوخا تافها بعد هدمه؟ ﴿ والله المثل الأعلى ... ﴾ ان البعث عقيدة فوق الشبهات ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ .

ولنتبها له بالزاد الطيب من الهدى والتقوى والعفاف ﴿ قل ان تحفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير .. يوم تجد كل نفس ما عملت من خير أو محضرا وما عملت من سوء — تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا — .. ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد .. ﴾

فإذا طلعت عليك شمس يوم من أيام الدنيا بعد نوم مستغرق فاذا ذكر أن هناك يقظة ، سوف تعقب الهجعة المؤقتة في القبر .. يساق بعدها أهل الشر إلى سقر .. ويساق أهل الخير إلى ﴿ .. مقعد صدق عند مليك مقتدر .. ﴾ اللهم اجعلنا من أهل الجنة .. والمزحزين عن النار ياعزيز ياغفار .



(١) وصدق الأثر الكريم « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم فوالله تموتن كما تاملون ولتبعن كما تستيقظون ولتحاسبن على ما تعملون ولتجزون بالإحسان إحسانا والسوء سوءا وإنما لجنة أبدا أو لنار أبدا » أو كما قال .

## عود على بدء : ولكن لماذا تكون العقيدة هي الإسلام !!؟

... وبعد هذه الجولة في باطن الأرض وغياهب القبور وسكرة النشور وأهوال السعير ، ورحمة العلي القدير ، وامتنانه على الصالحين من عباده بالتقريب والسرور : !!.. كان لابد لكل ذى لب أو بصيرة أن يدرك ويوقن أنه لابد لهذا الإنسان من عقيدة — وهذا مما لا يختلف عليه اثنان من ذوى الألباب — ولكن علامة استفهام تقفز إلى الأذهان حائرة ، ( ولكن لماذا تكون العقيدة هي الإسلام ؟ .. ) وهذا يدعونا إلى لفت النظر إلى ماسبق أن سقناه من أدلة على كمال شريعة الله ، حيث لاتجد جوابا شافيا على الأسئلة الأزلية التقليدية الحائرة — ( من أين ؟ ولماذا ؟ وإلى أين ؟ ) . والأسئلة المنبثقة من الإجابة عليها — إلا في هذه الدعوة الإنسانية .. إلا في هذه الرسالة الخاتمة .. ( لا إله إلا الله محمد رسول الله ) ؛ إذ فيها من المميزات الفذة التي لاتوجد في غيرها من أنها : (١)

(١) فطرية ( كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، أو كما قال — ﷺ — .

(٢) واضحة ﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ .

(٣) مبرهنة ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ .

(٤) ثابتة ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

(٥) وسط في :

١ — صفات الإله — سبحانه ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴾ .

(١) راجع كتاب : الإيمان والحياة د / يوسف القرضاوى . عقيدة المسلم للغزالي . والإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت رحمه الله .

٢ — أمر النبوة ﴿ إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى ﴾ (١) .

٣ — علاقتها بالعقائد (٢) .

٤ — التسليم والنظر والقيادة من الشك إلى اليقين .

٥ — قضية الإرادة الإنسانية ( قضية الجبر والاختيار ) ( القضاء والقدر ) .

٦ — القرآن فيها منهج موجه إلى البشرية كلها ، البشرية المتطورة نحو الكمال

في الفكرة والنظرة الموحدة . ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ .

إذ ليس فيها مافى غيرها من العقائد الأخرى من الغموض والتواكل والإبهام

والدجل .. إلخ ... ليس فيها مثل مايقال : اتبعنى — وأنت أعمى .. الجهالة

أم التقوى .. أغمض عينيك ثم اتبعنى إلى الداخل ، لأمنحك صك الغفران ..

وليس فيها من التخريف الدينى مثل الأب والابن والروح القدس إلّاه واحد

٣ = ١ !!!؟ الأب هو الابن !!!؟ ياسبحان الله شيء لا يصدقه عقل .

إنما هى واضحة جلية ، براهينها عقلية ، مقنعة ، ليست « بيزنطية »

ولا « سفسطائية » ثابتة لا تغيير فيها ولا تبديل . ﴿ من أحدث من أمر ديننا

هذا ما ليس منه فهو رد ﴾ أى باطل .. أو كما قال رسول الله ﷺ —

كما سنفصله — بمشيئة الله — بعد قليل ... لا إفراط فيها ولا تفريط . لامغالاة

ولا تنطع ، ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ .. ﴿ كلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾

﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ وصدق رسول الله ﷺ

« الدين يسر لا عسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه » ... وسط فى كل

الأمر وصدق الله العظيم ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على

الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ .

وسط فى أنها تقود من الشك إلى اليقين فلا هى بالتسليم المطلق ولا بالشك

الذى يهلك ويُردى ، وإنما تأخذ بيد متبعيها إلى اليقين الذى لا يخاطله شك

ولا يمازجه ريب ... فلا تحرم السؤال — كما أسلفنا — ليس فيها ( اتبعنى وأنت

(١) وقوله ﷺ « ان الله اصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاى من بنى

هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار » .

(٢) راجع كتاب : التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام للشيخ الغزالي ونحو مجتمع إسلامى للشهيد سيد

قطب وفصل : نحن ندعو إلى عالم أفضل من كتاب دراسات إسلامية للشهيد سيد قطب .



أعمى) ولا (الجهالة أم التقوى) وصدق الله العظيم حيث يقول ﴿... وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى؟ .. قال: أو لم تؤمن؟ قال بلى .. ولكن ليطمئن قلبي قال: فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً . واعلم أن الله عزيز حكيم﴾ .. ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال: رب أرني انظر إليك .. قال لن تراني ، ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني .. فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً . فلما أفاق . قال : سبحانك !! بُتُّ إليك وأنا أول المؤمنين ...﴾ فلم ينكر رب العزة على إبراهيم وموسى عليهما سؤالهما بل أخذ بيديهما إلى اليقين والتسليم المبصر .. ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ...﴾ .

﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض ...﴾ ﴿وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم .. أفلا تبصرون ؟ ..﴾ ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ...﴾ .

﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات .. فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله .. والراسخون في العلم يقولون آمنا به .. كل من عند ربنا .. وما يذكر إلا أولو الألباب .. ربنا لاترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة .. إنك أنت الوهاب﴾ .

وسط في قضية الجبر والاختيار ؛ فمن الناس من قال إن الإنسان مسير — في كل أموره — فمرتكب الكبيرة يدخل الجنة وإن لم يتب ، ومنهم من يقول بأنه مخير في كل شيء ويخلق أفعاله بنفسه ، ومرتكب الكبيرة مخلد في النار . ومنهم من يقول بأنه في منزلة بين المنزلين إلخ .. (١) من آراء المعتزلة والجبرية ، والأشاعرة والماتريدية .. إلخ .. في كتب علم الكلام .

(١) ومن أراد المزيد فيطلب ذلك في مظانه من المراجع التخصصية — قديمة وحديثة — مثل نشأة الفرق د / على سامي النشار أو الفرق الكلامية د / يحيى فرغل .

والحقيقة أن الجواب يكمن في السؤال : هل الإنسان مسير أم مخير ؟ ...  
 إذ لو كان مخيراً — قولاً واحداً — لما جاز السؤال .. ولو كان مسيراً لما جاز  
 السؤال وإنما واقعة يَشِي بان فيه تسييراً وتخييراً .. لونه وطوله وتنفسه ونبضات قلبه  
 ورزقه وأجله ، ونوع والديه .. الخ كل ذلك ليس له فيه اختيار وإلا لقضى نجبه  
 ونفق أثناء نموه ، أما أكله وشربه ومنامه وزواجه وإيمانه وكفره وكل ما تحويه دائرة  
 ( افعل ولا تفعل من حركة حياته ) هو في كل ذلك مخير — هو والجن — الثقلان  
 فقط هما اللذان يستطيعان اختيار البديلات وهما اللذان يستطيعان أن يقولوا لا ..  
 ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس  
 لم يكن من الساجدين ﴾ والاستثناء هنا منقطع فالمستثنى ليس من جنس المستثنى  
 منه .. بدليل قول إبليس نفسه — كما حكى عنه القرآن — ﴿ خلقتني من نار  
 وخلقته من طين .. ﴾ فالجن مخلوق من نار والملائكة أجسام نورانية ... وقد ورد  
 في لسان العرب ... ( قام القوم إلا حصاناً ) ويؤيد ذلك قول الحق — تبارك  
 وتعالى ﴿ .. إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه .. ﴾ والقرآن يفسر  
 بعضه بعضاً فالثقلان فقط هما المكلفون ، وصدق الله العظيم ﴿ سنفرغ لكم  
 أيها الثقلان ﴾ إن لم يكن في علم الله خلق آخر .

ودوائر الأعمال ثلاث : ( شئ يقع فينا وشئ يقع علينا <sup>(١)</sup> وشئ يقع منا )  
 فالأولان فيهما التسيير كالتنفس والصحة والمرض والرزق .. الخ .. أما ما يقع منا  
 فهو دائرة التخيير وعليها مدار الحساب — ثواباً وعقاباً — بشروط سبعة : ست  
 منها مردها إلى العقل وواحد إلى الوحي السماوي ، ثلاثة منها في حديث رفع  
 القلم عن ثلاثة : « عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحلم وعن المجنون  
 حتى يفيق » وثلاثة أخرى في حديث « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان  
 وما استكروها عليه » وكلها يرفع عنها العقاب عند غيبة العقل أو نقصانه  
 أو الحجر عليه .. الخ .. أما السابعة ففي قوله — عز وجل — ﴿ وما كنا  
 معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ ... أفبعد هذا يشك في عدل الله ؟ . بل ما عدا  
 ذلك فهو الظلم بعينه ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ ﴿ وما ظلمناهم ولكن

(١) راجع أشربة الشيخ الشعراوي أو اقرأ ما كتب عنه أخيراً في كتيبات — وسماع الشيخ ألد من قراءة  
 ما كتب عنه .

كانوا أنفسهم يظلمون ﴿ .. ﴾ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴿ السيارة أو الدابة لو ركبها ثم قتلت بها نفسك .. أيوقفون السيارة أو الدابة ويجسسونها ويقتصون منها ؟ أم منك أنت ؟ ... لماذا ؟ لأنها لاتعقل ولا خيار لها وصدق الشاعر حين يصف الجمل فيقول :

وتضربه الوليدة بالهراوى فلا أف لديه ولا نكير !!!

فإن قال قائل : هل يقع في ملكه — تعالى — مالا يريد ؟ نقول له : لقد عرفت شيئا وغابت عنك أشياء .. لقد أردت إرادته — سبحانه — أن تكون لك إرادة ، وشاءت قدرته أن تكون لك قدرة واختيار تستطيع أن تفعل أو لاتفعل .. فإن قيل ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ نقول : شاءت مشيئة — عز وجل — أن تكون لك مشيئة .. فان سلبت المشيئة والإرادة أو الاختيار بأي سبب من الأسباب سقط عنك الحساب ، فإن قيل : كتب على أزلا أننى سأكون شقيا فلم يحاسبني ؟ نقول : لقد أحلت وغالطت .. القضية العقلية ان تطرح الجانب الثاني للسؤال : ولماذا كتب على فلان السعادة ولماذا يدخله الجنة ..

هو سبحانه — جعل لك عينين صالحتين لرؤية الحلال والغض عن رؤية الحرام ، والفتح والغض بمشيئتك وإرادتك .. فلو وقع بصرك على محرم لأول وهله كانت الأولى فهي لك (١) وإن حملقت وأطلت النظر فعدم الغض بإرادتك فكانت الثانية — وهى عليك — وجعل لك لسانا وشفيتين وهداك النجدين ... وقد علم أزلا أن الملعونين أبا جهل وأبا لهب ، وأم جميل باستطاعتهم أن يقولوا كلمة الإسلام كما قالها غيرهم ، وكلمة النفاق — كما فعل عبد الله بن أبي ومن معه — ولو من قبيل تكذيب محمد ﷺ ولكن علم الله أزلا أنهم لن ينطقوها — رغم قدرتهم عليها — لأنهم اختاروها .. هل أجبرهم أحد على النطق بكلمة الكذب ؟ ألم يتحمل رسول الله ﷺ الكثير في سبيل أن يقولوا ؟ .. ألم يتحایل على عمه .. وهو في فراش الموت . ويقول ياأبا طالب قلها أشهد لك يوم القيامة . فكلما همّ بها قال له الملائعين أبو جهل ومن كان معه : دين آبائك ..

(١) راجع ماقلاه سلفا في هذا المقام .

فيتقاس .. وهو الذى قال :

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا  
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذلك ميينا

فشياطين الإنس هم الذين منعوه وأثروا عليه ولكنهم لم يمسكوا بلسانه .. بل هو بمحض إرادته واختياره كفرعون قال بمحض الاختيار حينما قال : ﴿ .. آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ . لولا أن التوبة كانت حين بلوغ الروح الخلقوم فأغلق بابها دونه . فعلم الله الأزلى علم إحاطة وانكشاف ، لاتأثيرى فمثلا — علم الله أن أبا جهل لن يختار كلمة الخير — رغم أن لسانه — ككل البشر — يستطيع أن يقول الخير والشر ولكنه سيؤثر الكفر . فقال سبحانه — اكتبوا ياملائكتى أنه شقى .. وهو هو معنى كتب عليّ الشقاء ؟ .. كما أنه — سبحانه علم ألا أن عمر — رضي الله عنه — سيختار الخير — مع أنه يستطيع أن يقول كلمة الكفر — ولقد قالها من قبل — بل كان يريد قتل محمد وصحبه .. ولكنه اختار الخير والله علمه منه فقال — سبحانه — اكتبوا ياملائكتى أنه سعيد .. وهذا معنى كتب علي السعادة ؟ ... ثم تعالوا بنا لنذكر الحقيقة .. هل أعلمنا الله وأطلعنا على الغيب أننا سنختار كذا ؟؟ .. نحن لانعرف إلا بعد الوقوع فى المعصية أو عمل الخير .. وهذا معنى « اللي انكتب على الجيين لازم تشوفه العين » فى المثل الدارج .. فهل علم الله الأزلى أثر فى سلوك الفرد ؟ لا ... ( علم الله فأراد فقدر فأمر الملائكة أن يكتبوا وفق علمه الانكشافى لما سيكسبه العبد والقدرة يسرت له الطريقن على السواء ... تماما كما لو حدث مثلا أن رئيس القسم قال لى اختر طلابك تحريريا وضع لكل درجته المناسبة تبعا لما يكتب كل منهم فى الامتحان فقلت له مثلا ﴿ والله المثل الأعلى ﴾ — أنا — بخيرتى لطلابى أعرفهم واحدا واحدا ففلان سيأخذ مثلا ( ممتاز ) وفلان ( جيد جدا ) وفلان ( جيد ) وفلان ( مقبول ) وفلان ( ضعيف ) فلم يقتنع . فقلت اعمل لهم أنت الاختبار وضع لهم الدرجات المناسبة وبعد ظهور النتيجة عنده — التحيرية — وجدها مطابقة تماما لما أخبرته به — ﴿ والله المثل الأعلى ﴾ فهل علمنى بنتائج طلابي أثر فى سلوكهم ؟ ... لا . وهذا مثل تقريبي لتفسير الكتابة الأزلية فإن مدار الحساب

على القدرة والاختيار اللذين وهبهما الله للإنس والجن .. وهذا هو تفسير القرآن الكريم لمسألة القضاء والقدر ﴿ .. وأما ثمود فهديناهم .. فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ .

﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين .. ﴾ ﴿ إننا هديناه السبيل .. إما شاكرا، وإما كفورا ﴾ ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعرسى ﴾ ﴿ يأأيها النبی : قل : لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ﴾ ﴿ وأنبئوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون ... واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن السخارين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين .. بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين .. ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ؟ .. وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم .. لا يمسهم سوء ولا هم يحزنون !! ﴾

وعن الكتابة الأزلية ورد في كتاب الإيمان باب الإيمان بالقدر — المجلد الأول ص ٣١ مشكاة المصابيح ٨٢ عن ابن سعود — قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق الصدوق — « إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم مضغة مثل ذلك (١) ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات — فيكتب ( عمله ، وأجله ، ورزقه ، وشقي أو سعيد ) ثم ينفخ فيه الروح فالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » متفق عليه .

(١) وقد أثبت الطب الحديث أن الجنين يتحرك في بطن أمه بعد أربعة أشهر !! فمن علمه هذا؟ (علمه شديد القوى) .

وهذا هو ماقرنناه سلفا من أن علم الله المحيط الكاشف الأزلي الذى لا يطلع عليه العباد هو الذى يحدد الكتابة الأزلية الواردة فى الحديث .. ياملأكتى سبق علمى أنه سيختار الخير فاكتبوا أنه سعيد ... أو أنه سيختار الشر فاكتبوا أنه شقى وهكذا فى الرزق والأجل وقمة الإيمان بالإيمان بالغيب والتسليم بالقضاء والقدر .

﴿ ... والراسخون فى العلم يقولون : آمنا به .. كل من عند ربنا .. وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾ وأول صفات المتقين ﴿ ... الذين يؤمنون بالغيب ﴾ (١) .

ولذا يجب على المسلم أن يكون من الراسخين وينزل على حكم رسول الله ﷺ ( إذا ذكر القدر فأمسكوا ) .. ويتفل المسلم عن يساره ويستعيد بالله من الشيطان الرجيم « لاتفكروا فى ذات الله فتهلكوا ولكن تفكروا فى مخلوقاته » أو كما قال رسول الله ﷺ .

ومن مميزات هذه العقيدة أن القرآن فيها منهج موجه إلى البشرية كلها .. البشرية المتطورة نحو الكمال فى الفكر نحو النظرة الموحدة ( وحدة الكون والإنسان والحياة ) — المنبثقة من وحدة الخالق — سبحانه — ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا ﴾ ﴿ ... إذن لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض .. ﴾ ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذن لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا ... سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ﴾ .

### وحدة الكون :

هذه الوحدة الكونية المخلوقة ذات وحدات متجانسة ودورات متشابهة ( كدورة المياه ، ودورة الرياح ، ودورة النبات ، والكواكب والنجوم السيارة .. الخ . كلها وحدات تتباين لتتحد وتفترق لتلتقى ؛ وتتمايز لتكون وحدة الكون المخلوقة للخالق الواحد الأحد المبدع المصور (٢) وما أصغر شأن موطننا فى

(١) راجع صفات المتقين فى أول سورة البقرة .

(٢) راجع كتاب العدالة الاجتماعية للشهيد سيد قطب فصل : طبيعة العدالة الاجتماعية فى الإسلام وكتابه : خصائص التصور الإسلامى ومقوماته . وتفسير القرآن .

الفضاء بالنسبة إلى سائر مافي الكون من مواد والذي يستحق التسجيل أن القرآن والعلم يتركان أثرا واحدا — ولا أقول أثرا متشابها — من عظمة الله وتنزيهه وتمجيده .

إن صورة الألوهية في بعض الأديان (١) دون ماينبغي بكثير للذي ﴿ خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غناء أحوى ﴾ ..

وإنه لشيء ممجوج مكروه أن يتصور مبدع السموات والأرض قد تحدد في جسد الإنسان أو حيوان . كما يزعم بعض المغفلين في معتقداتهم البدائية التائهة البليدة كالحلاج وأشباهه ممن يقولون : « مافي الحبة إلا الله » فهذا خبل عقلي ودجل ديني وشعوذة ممقوتة .. ومن يؤطون البقر ويعبدون الكواكب .. الخ .

إن القرآن الكريم يحدثك الله العلي الكبير فيشعرك بأن قدرته وراء النواة التي تتكون منها نخلة وهي في الوقت نفسه وراء الفجر الذي يشق الظلمة ليتحول نهارا وظهرا .. ﴿ إن الله فائق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون .. فائق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا .. ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ .

وهي هي من وراء كل حبة تنبت شجرة وكل شجرة تترعع فيها براعم تصير فروعاً ذات أوراق ﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ وهي هي من وراء آلاف الملايين من البشر لكل فرد قلب يجيش بالرضا أو القلق أو الفرح أو بالحزن ، أو بالرجاء أو باليأس .. إنخ ماترى مما يشغل كل قلب من هذه القلوب ؟ .

من وراء ثلاثة آلاف مليون جسد — الآن في العالم — تغلي الحياة في أعضائهم ويجرى الدم في عروقهم ، وتنقبض وتنبسط بالزفير والشهيق رئاتهم .. ما أكثر هؤلاء .. ومع ذلك فالله من ورائهم محيط ، ولأمورهم مدير ، وفوقهم قاهر ، وعليهم قيوم ، هم وحدهم ؟ كلا — هم والأصول التي انحدروا منها والفروع التي تنشأ عنهم إلى ماشاء الله — جل جلاله — .

(١) لأنها حرفت وبدلت وتناولتها يد البشر بالتغيير والتبديل .. ولقد قررنا سلفا أن الأديان السماوية كلها اصلها واحد « الإسلام » ان الدين عند الله الإسلام . وكما سنوضح بإسهاب — إن شاء الله .

هم وحدهم ؟ — كلا .. وعوالم الأحياء الأخرى التى تزحم البر والبحر وتنتشر فى ملكوت نجهل منه أكثر مما نعرف ﴿ وله ماسكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم ﴾ مأوضح شئ فى عالمنا هذا ؟ الشمس فى حجمها الضخم وما يضطرم فى كيانها من نار ونور ؟ إن الحرائق المستعرة فى جوفها وسطحها ترمى باللهب على مسافات هائلة ... وهى بعض مظاهر الجبروت الإلهى فى التكوين .

فهل بعد ذلك يضعف الإحساس بالخالق ويقوى الإحساس بال مخلوق ؟!!!  
إن الشعور بالوجود الإلهى يجب أن يكون عامرا لدى أولى الأبواب . لكن الكون شئ غير صاحبه ، والعالم شئ غير الله ، ومعرفتنا بالله فيما أوجد لانعنى أن الموجد هو الموجود .. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

فمن السنخف أن يرتكس الفكر الإنسانى فى هذه الحمأة .. ثم الآلة شئ غير من اخترعها ، والقصر شئ غير من بناه .. وقد خلقنا الله وكلفنا ورتب على تكاليفه مثوبات وعقوبات ، وأنزل بذلك كتبنا وبعث بها رسلا .. فكيف نجرؤ على وصفه بالهزل والتزوير كله ؟ .

﴿ .... إنه لقول فصل وما هو بالهزل .. إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا ... فمهل الكافرين أمهلهم رويدا .. ﴾ .

ومن العجائب أن بعض المتصوفة من المسلمين قد انزلق إلى هاوية الفلسفة بوحدة الوجود — من غير تفرقة بين وحدة المخلوق ووحدة الخالق — وينسب إلى الخلاج قوله :

سبحان من أظهر ناسوته      سيرسنا لاهوته      الشاقب  
ثم بدا فى خلقه ظاهرا      فى صورة الآكل والشارب  
حتى لقد عاينه خلقه      كلحظة الحاجب بالحاجب

وقد دفع هذا الخلاج دمه ثمن هذا الحمق ...  
ولست أدرى كيف يقول مسلم — بل كيف يقول عاقل — بوحدة الوجود إن كان حقا يؤمن بالله ويصدق بالمرسلين ؟!!!

لو كانت الأرض لؤلؤا ومرجانا ماصح أن تكون ذاتا لله .. فكيف وهى إلى جانب ذلك حصى وبعرا ؟ ولو كانت زهرا فهناك الشوك ولو كانت وفاء وأمانة



فهناك الغدر والخيانة (١) .

وأظننى قد أوضحت بُعدَ البون بين الإحاطة الإلهية التى يحسها المؤمنون ووحدة الخالق والمخلوق التى يتوهمها الخراصون ...

ومن هنا فسيرة المجاذيب من المتصوفين الذاهلين عن الوجود المادي نعدها نحن حالات مرضية لأمارات صحية ...

فإذا انضم إلى هذا الدهول مايقال من فناء عن النفس أو فناء فى الله ، وما يضيفه الخيال الهزيل المعتل — فى مثل هذه الحالات — من صور حلول أو اتحاد .. إلخ كل ذلك لايمكن وصفه إلا بأنه اختلال فى القوى العقلية والمعنوية .. أو ضرب من الخيال ، أو الخبل ..

إن المتفانى فى عشق امرأة لايجوله الهيام إلى ضلع منها أو جهاز بولى أو تناسلى فى بدنها ... ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون إلا كذبا ﴾ والإيمان صراط مستقيم لايتحمل ذرة من الاعوجاج .. !!

ولنا فى رسول الله أسوة حسنة ؛ فهو المثال الأكمل للمعرفة التامة والإقبال العظيم على الله يؤخذ من سيرته صلى الله عليه وسلم .. فإن انتباهه المشدود إلى الله — تبارك وتعالى — مأوهى حسه بالحياة ولا علائقه بالخلائق ..

إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم : (١)

نزل القرآن الكريم فى ليلة مباركة هى ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر وهى فى رمضان المبارك شهر القرآن شهر الرحمة والتوبة والغفران .. شهر الرسالة التى نزلت على محمد — عليه السلام — التى هى رحمة للعالمين .. مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾

مواكب الرسل والأنبياء :

ولتوضيح هذه الرحمة العامة يلاحظ أن مواكب الرسل بعثها الله للوجود رحمة منه — سبحانه . لعباده .. كل رسول يأتي برحمة .. كيف ذلك ؟ .. إذا نظرنا

(١) راجع فى ذلك — باطناب — كتاب : ركائز الإيمان لفضيلة الشيخ محمد الغزالي ( فصل ) وحدة الوجود بحرافة .

(٢) ولنا لقاء مع إعجازه بعد قليل .

إلى الإنسان الأول ونظرنا إلى العالم الآن نخرج بحقيقة هامة هي أن الذى يزيد فى المستقبل إذا رجعت اليه فى الماضى فإنه يكون أقل .. فإذا نظرنا إلى السكان مثلاً وتكاثرهم نجد أنهم فى السبعينيات قد زادوا عن الستينيات ، وفى الستينيات قد زادوا عن الخمسينيات والأربعينيات وبذلك يزداد التكاثر مع مرور السنين .. فإذا مشينا بخط عكسى .. عكس الزمن فإن هذا الخط يجب أن يقل ويستمر فى النقصان حتى نصل إلى نقطة البداية .. نقطة لا بد أنه قد بدأ منها التكاثر البشرى الذى نشهده (١) ... وهذه النقطة هى بداية الخلق الآدمى ذلك أن الرسم البيانى التنازلى الذى سنعدده عن زيادة السكان لا بد أن يصل بنا إلى نقطة البداية .. ولكن يتكاثر هؤلاء ويزدادون فى العدد .... ولا بد أن يكون هناك ذكر وأنثى ، فلو كانت البداية ذكراً بمفرده أو أنثى بمفردها لما حدث هذا التكاثر .. وهذا هو ما أخبرنا به القرآن الكريم عن بداية الخلق .. ﴿ خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها .. وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ﴾ بث من الذكر والأنثى ومن ذريتهما كان هناك رجال ونساء قاموا بعملية البث أيضاً (٢) وهكذا كل رجل وامرأة تمَّ بواسطتهما إضافة خلق جديد للبشرية حتى حدث هذا التكاثر .. وعلى ألوف السنين ومئات الألوف وصلت البشرية إلى هذا العدد الهائل من الخلق الذى يعيش فى الأرض الآن . نأتى بعدئذ إلى نقطة هامة جداً .. إن هذا الإنسان الذى خلقه الله الذى عمر الأرض وأقام كل مانشاهده الآن من مدينة وحضارة وكان يجب أن تكون هناك وسيلة مالتفاهم بين هؤلاء البشر ، فبدون وسيلة للتفاهم لا يمكن أن تقوم حضارة .. ولا أن يتم تعايش .. فكانت هذه الوسيلة هى اللغة أو الكلمة .. واللغة كما يقول العلماء هى بنت المحاكاة . ماتسمعه الأذن يتكلم به اللسان .... فإذا ولد الإنسان أصم لا يسمع فإنه لا ينطق .. إذن ليست اللغة فصيلة دم ولا هى بيئة ولا هى جنس ولا هى وراثه .. بل — كما قلنا — ماتسمعه الأذن يتكلم به اللسان فهو أنثى إذا أتيت بطفل فرنسي أو أمريكى أو هولندي أو أفريقي أو من أى جنس فى العالم .. ثم وضعته فى بيئة تتكلم العربية وتركته دون أن يسمع غير اللغة العربية نطق هذه اللغة بالرغم

(١) من شرائط تسجيل الشيخ العظيم محمد متولى الشعراوى — بتصرف —

(٢) « وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين »

من أن أصله وجنسه ودمه ووراثته ليست عربية .. ولو كان الطفل من بلد عربي ومن أصل عربي ولا يسمع العربية فسيتكلم اللغة العامية التي تسمعها أذنه .. إذن فلا جدوى مطلقاً من النطق بألفاظ لها مدلول ومعنى إلا إذا كانت قد سمعت أولاً فلو أنك أتيت بشخص أجنبي لم يسمع العربية ونطقت أمامه بألفاظ عربية فإنه لا يفهم شيئاً وذلك بالنسبة للعربى الذى تنطق أمامه ألفاظاً غير عربية فإنه لا يفهم ايضاً .

نعود بعد ذلك إلى بداية العالم .. إذا كان قد ابتدأ العالم من ذكر وأنثى — كما دللنا على ذلك — فكيف تكلمنا؟ وكيف تفاهما؟ لا بد أنهما سمعا شيئاً اعتادت عليه آذانهما فنطق لسانهما، وتكلمنا به .. ولكن كيف سمعاً وهما الأول والبداية؟ ومن سمعا؟ إذن لا بد ان يكون هناك سمع ليس من جنسيهما ... لأنهما الأصل — فى الجنس البشرى — ومن لا يسمع لا ينطق — كما عرفنا — إذن لا بد أن الله — سبحانه — قد كلم آدم فسمع ... وكلم آدم حواء فسمعت وبدأت اللغة ، لغة التخاطب والتفاهم نقلاً عما علمه الله — هذا واقع مادامت الإنسانية كلها قد بدأت من ذكر وأنثى ، وكان بين الذكر والأنثى تفاهم ، فلا بد أنهما سمعا الكلام .. وهنا يأتي قول الحق — سبحانه وتعالى — ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ .. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ .... ﴾ ليشرح لنا ما حدث ، فالله — سبحانه — علم آدم الأسماء أى اللغة التى يتحدث ويتفاهم بها ...

ومن معجزات القرآن الخالدة أن ذلك لا يزال هو المتبع حتى الآن — رغم مرور هذا الوقت الطويل ، وهذا التقدم العلمى الضخم فى العالم .. فلا وسيلة لتعليم طفل أن يتكلم إلا بأن نبدأ معه بتعليمه الأسماء ، ولا نبدأ بأن نعلمه الأحداث أو أى شىء آخر ... إنما نعلمه الأسماء أولاً ... أول شىء نقول هذا قلم .. وهذه كراسة ، وهذا أسد ، وذاك رغيف ، وهذا طعام وهذا شراب وهذا نور وهذا ظلام ... إلخ . وبعد أن يتكلم الأسماء تصبح الاشتقاقات من الأسماء أو أخذ الأحداث منها عملية سهلة .. إذن عندما يقول الحق — تبارك وتعالى — ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ يجب أن نعرف أن الله قد علم آدم لغة الكلام

أولاً .. وأن لغة الكلام حتى عصرنا هذا تبدأ بتعليم الأسماء — كما أخبرنا الله — سبحانه — في القرآن الكريم .

● الدين بدأ مع خلق الإنسان :

ثم نمضى بعد ذلك .. بعد أن أخبرنا الله — سبحانه وتعالى — بقصة تعليم الأسماء لنعرف كيف نتكلم ونتفاهم في الأرض ... قال .. ﴿ اهبطوا منها جميعاً ﴾ وهي المهمة الأولى للإنسان والتي حددها — سبحانه — بقوله ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ وأكمل الله — سبحانه وتعالى — حديثه لآدم فقال ﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا يحزنون ﴾ وفي آية أخرى ﴿ فمن أتبع هُداى فلا يضل ولا يشقى ﴾ إذن بعد خلق الله للإنسان وتعليمه وسيلة التعبير عما في نفسه لغيره جاء الدين ( تعليم الدين أو المنهج ) .. وهذا الدين لتنظيم حركة خلافة الإنسان في الأرض .. والمفروض أن ينقل آدم الدين لأولاده بما علمه الله من لغة الكلام ، وأن يقوم الأبناء — بدورهم — بنقل الدين إلى أبنائهم .. وهكذا .. إلا أن علم الدين يختلف عن كل العلوم الأخرى — التي هي فروع (١) عنه — ذلك أن التعليم في النواحي الأخرى كالكيمياء والطبيعة والهندسة .. الخ لا يقتضى الإنسان أن يغير سلوكه في الحياة — على مقتضى ما علم — بمعنى أنه يكفي أن يستوعب النظرية ويفهمها ويطبقها — ولو كان كافراً — فإذا كان مسلماً كان لزاماً عليه أن يتعلم هذه النظرية ليستغلها لخدمة البشرية للبناء لا للهدم وللدفاع لا للإغارة . لإعلاء كلمة الله — لا لكسب مغنم زائل — كما قلنا سلفاً في علوم التقنية والخطأ المشهور والصواب المهجور — فارجع إليه .

نقول يكفي أن يستوعب النظرية ويفهمها ويطبقها .. أما حياته فهو حر فيها .. يفعل ما يريد ولا يفعل مالا يريد . أى أنه لا يطلب منه شيء يقيد حركته في الحياة ، ولكن عندما يعلم فروع الدين فيتعلم شيئاً يؤثر في سلوكه وحياته فنقول له . افعل هذا ولا تفعل هذا وتأتى كلمة لا تفعل لتتصادم مع هوى النفس وشهواتها .. إذن فمهمة العلوم الأخرى هي نقل المعلوم إلى المتعلم ولكن في علوم

(١) راجع فصل خطأ مشهور وصواب مهجور في أول الكتاب .

الدين — كما تعرف عليها هكذا للتصنيف — فإننى أنقل المعلوم إلى المتعلم وأطالبه بأن يصوغ حركته فى الحياة وفق ماقدره الله من ( افعلى ولا تفعل ) ولذلك عندما يقال أن علم الدين قد فشل فليس معنى ذلك أن الناس لا تعرف أحكام الدين .. ولكن معناه أنها لا تطبق هذه الأحكام .

ونظرا لأن الدين يتدخل فى حركة الحياة لينظمها ب « افعلى ولا تفعل » والنفس دائما لا تقبل ما يقيد هواها وشهواتها ، فيبدأ الأبناء الذين سمعوا من آدم ومن بعدهم من ذريتهم يبدؤون يتناسون شيئا مما أمر به الله ، ومع مرور الزمن يزداد هذا التناسى والتراخي فيما طلبه الله من خلقه ، فيرسل الله — سبحانه وتعالى — رسولا إليهم ليذكرهم بالمنهج الذى بدأ مع الخلق كما تقدم — ولو ظلوا محافظين عليه — كما أنزله — لما احتاج البشر إلى الرسل ولكن يأتي رسوله ليذكر ، ثم ينسى الناس ، وتمر فترة يتركون فيها دين الله فيأتى رسوله الآخر ليذكر — وهكذا .. بل إنه فى بعض الأزمان بعث الله أكثر من رسول واحد فى نفس الوقت مثلما حدث مع إبراهيم ولوط ، وموسى وهارون ، وقد يأتي رسول إلى بيعة محتاجة للتذكير بمنهج الله ، ولا يأتي إلى قوم آخرين يعيشون فى نفس الوقت ولكن فى بقعة أخرى ويتبعون منهج الله اتباعا سليما ...

إذن فالديانات كلها تهدف إلى بقاء المنهج الإلهى الذى صاحب الإنسان الأول حتى ينظم حركة حياته فى الأرض وتأتى الرسل لتذكر من نسي أو انحرف أو خالف هذا المنهج من ذرية آدم ...

ذلك لأن المنهج يتطلب سلوكاً يتعارض مع شهوات النفس ثم تحدث الغفلة والنسيان والانحراف ..

ولقد عبر المصطفى — ﷺ — بالثَّوْمَةِ — وهى الغفلة عن المنهج أو تعاليم الدين — فقال : « ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت » وهو الحرق الخفيف » ومعنى ذلك أن الرجل — أو المرأة — يغفل عن دينه فتقبض الأمانة من قلبه أى إشعاع الإيمان فيظل أثرها مثل أثر الوكت .. ( ثم ينام النومة ) أى يغفل مرة أخرى ( فيظل أثرها مثل أثر المجل ) وهو ما يحدث عندما تضع جمرة مشتعلة على يدك — ( كجمر دحرجته على رجلك فنفظ فتراه منتبرا وليس به شيء ) ...

هذه كيفية دخول الغفلة إلى النفس البشرية ينم عن هذا قليلا .. وفي حديث آخر عن حذيفه قال : قال رسول الله - ﷺ - « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا أى بطريقة نسج الحصير (١) فأيا قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء .. فأيا قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تكون على قلبين .. على أبيض مثل الصفا ولا تضره فتنة مادامت السموات والأرض والآخر أسود مُرباد لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً ، وذلك هو الرآن الذى قال الله فيه ﴿ كلاب . ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون ﴾ (٢) أى انتهت صلتم بالله بغفلتهم الكاملة عن أحكام الدين .

٠ إن مواكب الرسل كلها جاءت لكى تذكر بالمنهج والعهد الأول الذى أخذ على آدم والذى عبر عنه الله - سبحانه - بقوله ﴿ فإما يأتينكم منى هدى ﴾ لكن الغفلة تطراً على القلب ، ومن رحمة الله يرسل رسولا يذكر الناس بالمنهج (٣) .

### ● ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾

وسيدنا محمد ﷺ جاء على فترة من الرسل ، ونلاحظ أن رسالته لم تكن لقوم معينين ، ولا لجنس بشرى معين ، خلافا للرسل السابقين .. فيقول الله - سبحانه - لنبيه ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ ثم يقول ﴿ للناس كافة ﴾ فأخذت رسالته ﴿ هنا عمومية المكان . ثم يقول الله تعالى : ﴿ خاتم النبيين ﴾ فأخذت هنا عمومية الزمان أيضا فلزم أن يكون التشريع لكل زمان ولكل مكان ولكن لماذا جاءت رسالته ﷺ عامة لها عمومية الزمان وعمومية المكان وهذا أيضا من إعجاز القرآن ، ذلك أن الله - سبحانه - فى علمه أن آفات البشر كلها ستصبح موحدة ذلك أن العالم كلما تقدم وتحضر ازداد اتصالا - كما أسلفنا - ومن هنا كان لكل مجتمع آفاته الخاصة وأمراضه وانحرافاتة وغفلته عن الدين وكانت الرسل تأتى إلى هذه المجتمعات لتذكر بمنهج الله ولكنها

(١) أو عوداً عوداً من المعاودة .

(٢) رواه مسلم .

(٣) راجع ماقلنا سلفا ، ففى الاعادة إفادة - لأنها ثوب آخر وإستيعاب أشمل .

كانت ترسل إلى مجتمع بعينه — كعاد وثمود وقوم لوط ، وأصحاب الأيكة وقوم تبع ... إلخ . بل كما قلت .. في بعض الأحيان كان يرسل ربنا — سبحانه — أكثر من رسول في نفس الزمان ، هذا ليعالج آفات مجتمع ، وذلك ليعالج آفات مجتمع آخر .

كان هناك انعزال . وكان الانعزال يجعل الداءات مختلفة ، ثم يتم إرسال الرسل إلى كل مجتمع ليذكر أهله .. ولكن الآن وبعد أن التقى العالم وارتقى توحدت الداءات أو أصبحت كلها دائرة واحدة — فيحدث الحادث في جانب من الأرض فتعرفه جنبات الأرض كلها بعد دقائق ، فتوحد الآفات وتوحد الآفات يقتضى توحيد الرسالة وما دام رسول الله ﷺ خاتم النبيين فمعنى ذلك أن الدين الذي سيأتي لأبد أن سيعالج آفات العالم ، وأنه سيكون رحمة للعالمين في كل زمان ومكان حتى تقوم الساعة .

فمعنى هذه الآية ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ أنه لا توجد قضية في العالم تمس حياة البشر إلا وهو موجود في منهج الله ما يعالجها ، نحن نقول يعالج ، لأن التشريعات عندما تأتي تعالج واقعا موجودا في المجتمع وفسادا انتشر واستشرى . ولذلك فهي تعالجه لتشفي الناس منه وبعد ذلك عندما نتبع تعاليم الله لا يأتي لنا الفساد ، ولا الآفات . ولا أمراض المجتمع وفي هذه الحالة يكون الدين وقاية لنا من آفات المجتمع وانحرافاته ، ولذلك يقول الله — سبحانه — في القرآن ﴿ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ شفاء يعالج الانحرافات والفساد في المجتمع ، ورحمة أى أن يمنع أن تأتي الداءات إلى المجتمع وذلك عين الرحمة فهو وقاية وعلاج .

رسول الله ﷺ جاء للعالمين عموما — زمانا ومكانا — بمبادئ .. هذه المبادئ — رحمة للعالمين ومعنى الرحمة أننا لو اتبعناها لن يقع فساد في المجتمع يضطرنا إلى أن نعالج .. وعندما نغفل عن هذه المبادئ يوجد لهذه الغفلة آثار ضارة في المجتمع .

فنبدا بالتفكير في العلاج فنكتشف أننا تركنا مبدأ كذا ومبدأ كذا مما أمر الله به فنبدا العلاج بمنهج الله . وحينئذ نسجد لله شكرا ونقول صدق الله العظيم ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ ومعنى هذا كأن الله — تعالى — قال :

إنَّك أرسلت بمنهج من عندنا لتبينه للناس لو أنهم اتبعوه لعمتهم الرحمة بحيث لا يوجد شقاء إنسانى فى المجتمع ولا فساد ...

والدين ليس موضوعه الآخرة فحسب بل هو ينظم حركة الحياة للإنسان فى الدنيا لأنها مزرعة الآخرة .. إنها وسيلة لغاية .. إنها ممر إلى مقر تعاليم الدين مقصود بها الأحياء الموجودون بالدنيا مصداقا لقوله تعالى ﴿ لينذر من كان حيا .. ﴾ والجزء على الشئ هو عين موضوعه ، ولذلك فإن الدين لا يقتصر على الغيبات فقط فالغيبات يصدقها من آمن بالله لأنها جاءت من الله .. أما غير المؤمن فليس له إلا واقع الحياة ولا بد أن يبين لنا واقع الحياة .. ولذلك نجد القرآن الكريم يفسر ذلك تفسيراً دقيقاً فيقول ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإنه له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً ؟ قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها .. وكذلك اليوم تنسى .. وكذلك نحزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه .. ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴾ فقول الله — عز وجل — ﴿ معيشة ضنكا ﴾ هذا فى الدنيا وذلك يدل على أن تعاليم الله نزلت لتحمى الإنسان من ضنك وشقاء المعيشة فيها ، والشقاء البشرى ليس اقتصادياً فحسب .. لا يتعلق بالمال وحده ومعنى ضنك المعيشة ضيقها ، والضيق فى المعيشة له أسباب متعددة ... فقد يملك الإنسان أموالاً طائلة ومع ذلك يضيق ذرعا بحياته ، ذلك أن جوانب النفس البشرية شتى قد يُشبع المال جانباً منها وتبقى الجوانب الأخرى فى ضيق وشقاء .. ولذلك قد نرى إنساناً غنياً ثرياً ثراءً فاحشاً وقد يرغبه ظرف من ظروف الحياة أن ينتحر .. لماذا ؟ ونضرب مثلاً لذلك بالسويد (١) وهى أعلى دول العالم فى نصيب الفرد من ترف الحياة ومع ذلك فإن الإحصاءات تقول إنها من أعلى دول العالم نسبة فى الانتحار والأمراض العصبية والعقلية والنفسية .. فالمسألة ليست مسألة مادة فحسب ، وشقاء الحياة لا يجب أن يؤخذ على أنه فقط جانب المال .. بل هناك جوانب أخرى متعددة تسبب لصاحبها شقاء إنسانياً أكثر من قلة المال ..

(١) راجع كتاب الإيمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوى باب أثر الإيمان فى حياة الفرد (الإيمان والسعادة) .



فإذا خالفنا المنهج انكشفت العورة ﴿ فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما .. ﴾ ونكون الآن قد وصلنا إلى أن رسول الله ﷺ جاء عاما لجميع الأزمنة والأمكنة بمبادئ هي الرحمة .. لو اتبعت لنجونا من الشقاء في الدنيا وأخذنا الجزاء في الآخرة .. وهذه هي الرحمة ..

وكل هذا يفسر لنا ما حدث لأبينا آدم وهو أن الله — سبحانه — كلفه في الجنة ليدر به على حياته في الدنيا فنهاه وزوجته أن يقربا الشجرة وكان قد كلف إبليس بالسجود له فأبى فطرده من رحمته وأنظره إلى يوم الدين ...

ولكن آدم وزوجه رسبا في الامتحان ثم تابا وأتابا إلى ربهما فغفر لهما ﴿ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ ثم أهبطهما إلى الأرض ومعهما إبليس وهو عدو لهما ولذريتهما إلى يوم القيامة .. إلخ .. والقصة معروفة ...

الشاهد أن الدرس الذي تلقاه آدم .. ﴿ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما .. ﴾ يعني أن العورة قد ظهرت عند المخالفة .. فأى عورة في مجتمع من المجتمعات إذا بحثت عن أسباب انكشافها وجدت أنها حدثت بسبب مبدأ من مبادئ الله عطل في الأرض ، ولو لم يحصل ذلك لما وجد الجمال في الكون فإذا كان المستقيم وغير المستقيم أمرهما سواء في الدنيا لا يكون هذا جمالا ؛ فبضدها تتميز الأشياء ..!! ولو أن الطالب المجتهد والطالب غير المجتهد نجحا لا يكون ذلك جمالا في الحياة بل إنه يكون جمالا يورث قبحا ، لأنه قد تساوى المحسن والمسيء وبذلك لن يجتهد أحد ولن يحسن أحد ، فلو لم يوجد الشقاء والفساد في البيئات التي تبتعد عن منهج الله لما كان ذلك جمالا ولا شهادة للدين . إن الشهادة للدين أن الجماعة التي تبتعد عن منهج الله يحدث لها شقاء وداءات وفساد وانحراف ، وبذلك يدلل الله — سبحانه — في الحياة ومن واقع تجربتها — على صدق منهجه وتعاليمه ، وصدق رسول الله ﷺ — حين قال لأصحابه « خمس أعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهن :

\* ما ظهرت الفاحشة في قوم يعمل بها فيهم علانية إلا ظهرت فيهم الأسقام والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم .

\* وما منع قوم الزكاة إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا .

\* وما ينحس قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة

وجور السلطان .

\* وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيه إلا جعل الله بأسهم بينهم .  
\* وما حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلط عليهم عدوهم فاستنقذوا بعض ما في أيديهم » أو كما قال ﷺ .

### ● فتح باب التوبة أمام البشر :

إلا أن هناك معنى أوسع أود إضافته .. ذلك أن السماء قبل الرسالة المحمدية كانت لا تطلب من الرسل إلا مجرد البلاغ وهي التي تتولى تأديب المخالفين — في الدنيا وقد ذكر ذلك ربنا — سبحانه — في القرآن ﴿ ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا ﴾ الخ . لكن محمداً — ﷺ — حينما جاء بالرسالة جعل الإسلام هو الذي يقوم بتأديب المخالف في الدنيا — بإذن الله — فمن يعصى تعاليم الله فإن له معيشة ضنكا في الدنيا — غير عذاب الآخرة .. ولا إهلاك ولا صيحة .. الخ .. لذلك كانت رسالة محمد رحمة للعالمين لأن الله أخرج عقوبة الكافر إلى يوم الدين ..

كانت رسالة محمد ﷺ رحمة للعالمين للكافر وللمسلم ذلك أن السماء لم تعجل بعذابهم في الدنيا كما كانت تفعل من قبل وتركت لهم فرصة التوبة ﴿ ... وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ... ﴾ ﴿ ... إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب .. فأولئك يتوب الله عليهم ، وكان الله عليما حكيما .. وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن .. ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما ... ﴾ .

فقد أرسل الله — سبحانه — نبيه محمداً ﷺ رحمة للعالم كله دون تمييز بين مؤمن وغير مؤمن رحمة من عذاب السماء في الدنيا وليفتح أمامهم أبواب التوبة فيغفر لهم في الآخرة .. ولا يسعنا إلا أن نردد في خشوع .. ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ .

\* \* \*

# الفصل الثالث

## المعجزات

المعجزة (○) معناها وضرورتها :

من حق الناس أن يسألوا كل رجل يزعم أنه مرسل لهم من عند الله :  
مادليلك على صدق قولك ؟

فإذا قدم لهم الدليل المقنع على صحة رسالته قبلوه واستمعوا له ، وإلا كذبوه  
وتركوه ، كما حدث من نوح لقومه وصالح إلى ثمود وموسى إلى فرعون وعيسى إلى  
بنى إسرائيل ... (١) .

وقد لوحظ أن أكثر الأمم — برغم ماسبق إليها من آيات باهرة — لم تستجب  
للحق ولم تسلم بدعوى المرسلين ، لاعن قصور في الأدلة التي تسندهم بل عن  
عنادٍ وتبجح . ﴿ الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا  
بقربان تأكله النار !!! قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم  
قتلتموهم إن كنتم صادقين !! ﴾ والدليل على صدق آية دعوى قد يكون بأمور  
خارجة أو يكون بحقيقتها في نفسها فقد يزعم أحد الناس أنه مهندس ويقول دليلي  
أنى أستطيع أن أمشى بقدمي على الماء أو أطير بجناحيّ فإذا فعل سلمنا له ..!  
وقد يقول : دليلي أن أبني فعلا — عمارة مدعمة الأركان أو أصل بين  
شاطئين — مثلا — بجسر متين فإذا فعل فقد دلل بقدرته الهندسية على أنه

○ حاشية . باختصار شديد ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتب التوحيد ليعرف بالتفصيل .  
المعجزة : الكرامة — الإرهاص — الاستدراج .. إلى آخر ما في هذا الباب من الحقائق وسنكتفي هنا  
بالعرض السريع .

(١) تفسير ابن كثير ، وفي ظلال القرآن ، كتاب تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية للدكتور  
محمد الطيب النجار — ط ١ دار الطباعة المحمدية .

مهندس يقينا .. بل قد تستريح النفس إلى هذا الاستدلال أكثر من راحتها إلى البراهين الخارقة .

قال ابن رشد : « إن دلالة القرآن على نبوة محمد ﷺ ليست كدلالة انقلاب العصا حية ولا إحياء الموتى وإبراء المرضى » .

قال تلك — وإن كانت فعلا لا تظهر إلا على أيدي الأنبياء وفيها ما ينفع الجماهير من العامة إلا أنها مقطوعة الصلة بين النبوة وأهداف الوحي ومعنى الشريعة ..

أما القرآن فدلالته على صفوة النبوة وحقيقة الدين مثل دلالة الإبراء على الطب .. ومثال ذلك ، لو أن شخصين ادعيا الطب فقال أحدهما : الدليل على أني طبيب أني أطير في الجو ... وقال آخر : دليلي أني أشفي الأمراض وأذهب الأسقام .. لكان تصديقنا بوجود الطب عند من شفى من المرض قاطعا ، وعند الآخر مقنعا فقط .. أ . هـ من عقيدة المسلم — بتصرف .

فالمعجزات إذن قد تكون ذاتية في الرسالة وقد تكون خارجة عن جوهرها والتفاوت بينها واسع النطاق باختلاف البيئات التي ظهرت فيها والرسالات التي اقترنت بها وقد كان التعويل في العصور الأولى على الخوارق المادية فحسب .. أما ما تضمنته الأديان من حقائق فكانت منزلته ثانوية .

حتى جاء الإسلام فغض من شأن الإعجاز المادى .. ونوه بالإعجاز العقلى العقلى والقيم المعنوية للرسالات .

وقرر إلى جانب ذلك أن الخوارق التي دعمت الديانات القديمة لم تمنع التكذيب بها — أولا — فلا معنى لطلب التصديق بها أخيرا .

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَبَ بِهَا الْأَوْلُونَ ، وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا . وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً ﴾ الآيات .. إلى ..  
﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ .. الاسراء .

ومن ثم اتجه تأييد الأنبياء وجهة أخرى . أ . هـ من كتاب عقيدة المسلم (1)

(1) للشيخ محمد الغزالي .

## \* حقيقة المعجزة :

والفرق شاسع بين المعجزة والكرامة .. فالمعجزة أمر خارق للعادة يسوقه الله على يد رسول أو نبي لإثبات صدقه وأن تكون مما لا يستطيع البشر الإتيان به وأن تكون مما نبغ فيه القوم وبرعوا فيه .. لماذا ؟ حتى لا يقال بأن الرسول قد تحدى قومه بأمر لا يعرفونه ولا موهبة لهم فيه .. فالتحدي يجب أن يكون فيما نبغ فيه القوم ، حتى يكون للتحدي قيمته .. ولذلك نلاحظ في معجزة كل رسول أنها جاءت فيما نبغ فيه قومه وأنها جاءت لتهدم ما يتخذونه إلهاً من دون الله .

\* أما الكرامة فهي أمر خارق للعادة يجريه الله على يد ولي من أوليائه تكريماً ورحمة به وتقديراً لاتباعه لأمر الله والسير على نهج الرسل وعدم انحرافه عن دعوتهم ليكون قدوة لغيره في العمل والجهاد والطاعة ...

والوليُّ شرعاً: هو ما ذكرت أوصافه في القرآن الكريم ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .. الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ .

كعمر رضى الله عنه مثلاً — حين قطع كلامه في خطبته ونادى : ياسارية : الجبل الجبل ... وبينه وبين القائد سارية مئات الأميال .. وسمعه سارية فأنحاز إلى الجبل كما أمره بلزومه فنجأ بحيشه .. فرأى عمر بنور الله وسمع سارية بأذن الله .. وصدق الرسول الكريم فيما يبلغ عن رب العزة « من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه .. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى عليها ، ولئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه .. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته » أو كما قال ﷺ في الحديث القدسي .

أما الدجل الدينى وخرافات أدعياء التصوف فالإسلام منه برىء وقد رأت عائشة رضى الله عنها (١) أحد هؤلاء الأدعياء يسير متلكماً بهمهم ويتمم ،

(١) وقيل غيرها . راجع كتب : بين يدي عمر — لخالد محمد خالد .. وعبقريه عمر للعقاد — والإصابة في معرفة أحوال الصحابة .

ويحوقل ، ويتعوذ ، ويسمّل ، ويطلبق ، ويجعفل .. الخ .. مما يردده المهاويس من أدعياء التصوف حول المساجد والأضرحة ، وأصحاب عجل السيد البلوي ، وتيس « أبو مسلم » و « الفول النابت للسيدة سكينه » .. الخ : رآته وقد وضع مسبحة ألفية في رقبته وليس عمامة ملونه مثل القفة فوق رأسه تماما كما يصنع الدراويش حول أضرحة الحسين والشافعي والرفاعي — رحمهم الله فسألت عنه : فقيل لها : إنه ولي من أولياء الله الصالحين ..

فقلت : والله إنه لمنافق وكذاب .. كان عمر بن الخطاب إذا مشى أسرع وإذا تكلم أسمع وإذا أطعم أشبع وإذا ضرب أوجع .. وإذا دخل الصلاة بكى !!! هكذا قال عمر — رضى الله عنه — حينما رأى واحداً مثل هؤلاء يطاطيء رأسه ويتكلم في همس ومسكنة وذلة — مصطنعة : علاه بدرته ثم قال له : لاثبت علينا ديننا أماتك الله ... (١) .

ثم نعود إلى المعجزة فنقول : إنها كانت فيما برع فيه القوم .. فإبراهيم عليه السلام — مثلاً — جاء في قوم ألفوا عبادة النار والسجود لها والتقدّيس وعبادة الأوثان ، وأبوه كان يصنع الأصنام ويبيعها ويؤجج النار ويقوم على خدمتها — والنار طبيعتها الإحراق — ﴿ ماتذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ﴾ . يلقي فيها إبراهيم فتحرق الحبال ولا تؤثر في ملابسه ولا جسده ... (٢) .

وكانوا يريدون من هذا — الإله المزعوم — أن يؤدّب المتطاول عليها والذي كان يسخر منهم ؛ لأنهم يعبدونها .

وكانت المعجزة لافي أن ينجو إبراهيم ؛ إذ لو أراد أن ينجيه من النار لأحمدتها ، أو مامكنهم من القبض عليه ، ولكن مشيئته — سبحانه أن تظل النار ناراً متأججة .. محرقة .. مدمرة — وأن يؤخذ إبراهيم عياناً أمام كل الناس .. ويقذف في النار ...

وهنا يعطل ناموس الكون ، وقانون الطبيعة ﴿ قلنا .. يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم .. وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخرسين !!! ﴾ .

(١) وفي هذا القدر كفاية فالحديث عن هنا يطول .

(٢) راجع ماقلناه سلفاً ففي التذكرة ذكرى وفي المراجعة عبرة وفي الإعادة إفادة .

لو أن إبراهيم نُجِّي بأنه هرب — مثلاً — لقالوا لو أمسكناه لأحرقناه ولكن إبراهيم لم يهرب ، والأمطار لم تنزل والنار متأججة وإبراهيم لم يحرق فكان إلههم قد تحلى عنهم جميعاً قائلاً لهم : « لست إلهاً كما زعمتم إنما أنا خلق من خلق الله خاضع لمشيئة الله وإرادة الله .. فعندما يقول الإله الحق للمخلوق ﴿ يانار كوفى برداً وسلاماً ... ﴾ تتعطل خاصية الإحراق .. وتقف قوانين الكون ونواميس الطبيعة عاجزة أمام قدرة الله خاشعة مسبحة بحمد ربه قائلة سبحانه فأنت أنت الله !!!

وموسى — عليه السلام — جاء وقومه قد برعوا في السحر فجمعهم لميقات يوم معلوم وقال السحرة بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون .. اعتمدوا على عزة ذليل مخلوق دعوى يقول : أنا ربكم الأعلى ﴿ ... فاستخف قومه فأطاعوه ... ﴾ وكان بإمكان القادر — سبحانه — أن يأمر موسى بضرب الحيات بعصاه فيقتلها أو يمسكها بيديه ويطوعها ويستأنسها بالصفير أو الزفير — كما يفعل السحرة — ولكن تتعطل نواميس الكون ويتحرك الجماد وتنقلب العصا حية وتلقف ما يافكون . ﴿ فألقى السحرة سجداً قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ﴾ .

والبحر الذى كان يعبده أقوام آخرون واتخذوه إلهاً — كما قدمنا فى مستهل الكتاب ... (١) فعبده — من دون الله — فضربه موسى بعصاه العادية التى يهش بها كل الرعاة على أغنامهم ، ويتوكأون على مثلها .. ضربه ﴿ فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ وهنا تتعطل قوانين الطبيعة وطبيعة الماء السيولة فتتوقف ولا يستطيع فرعون — الإله المزعوم — أن يعيد قانون الكون فيعيد للماء سيولته فيطبق البحر على موسى ومن معه .. أو يعطل قانون طبيعة الماء فيقول له توقف عن السيولة ولا تنطبق عليّ . ولكن هيهات فهو مخلوق ضعيف لا يسهه إلا أن يثوب إلى رشده ويتوب إلى ربه ليسبح بحمده خاشعاً يقول : أنت أنت الله ﴿ ... آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ... ﴾ إلا أن باب التوبة قد أغلق فى وجهه ؛ لأنها كانت عند بلوغ الروح الحلقوم ... ﴿ الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين !!؟ فالיום

(١) عند حديثنا عن البحث عن الله ضرورة إنسانية .

ننجيك ببدنك لتكون لمن خلقك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ﴿ ولو كان القصد نجاة موسى وقومه لكان ذلك بإهلاك فرعون وقومه على دوابهم أو كان سير موسى والمؤمنين معه على الماء وعجز فرعون عن خوض البحر .. ولكن قال هو وقومه: آه لولا البحر لقتلناهم .. ولكن الحكيم الخبير العليم بخلقه يريد أن يتعظ من يجيء بعد فرعون ﴿ .. فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين .. ﴿ يدخلون البحر وراء موسى ومن معه وينطبق الجزء الذي فيه فرعون وقومه ويظل جزء موسى مفتوحا حتى يَنْجُو وَيَنْجُوا جميعا — بعد خوفهم وهلعهم لعدم علمهم بحقيقة المعجزة قائلين لموسى : ﴿ ... إنا لمدركون !!! ﴿ .. لأن هذا قانون البشر فالبحر أمامهم وهم في وسطه والعدو وراءهم فلا مناص .

﴿ قال كلا .. إن معي ربي سيهدين !!! ﴾ كلا .. بالقطع .. لن يصلوا إلينا .. لن يستطيعوا .. لماذا ؟ لـ ﴿ إن معي ربي سيهدين !!! ﴾ والمعجزة في المعية هنا لم ينج بقانون البشر ولم يقل سنصعد جبل (١) كذا أو كذا وإنما قال بملء فيه كلا .. ﴿ إن معي ربي سيهدين ﴾ بقانون آخر !!!

وهكذا عيسى — عليه السلام — جاء والقوم وقد برعوا في الطب .. فجاءهم بمعجزة من جنس ما برعوا فيه فأبرأ الأكمه والأبرص ، ثم تسامى إلى شيء آخر لم يصلوا إليه .. فأحيا الموتى — بإذن الله وأنبأهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ، ومن قبل قد جاءهم على غير مثال سابق جاءهم من غير أب ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب .. ﴿ وَخَلَقَ مِنَ الطين كهيئة الطير ثم نفخ فيها فكان طيرا بإذن الله .

وهكذا . فالمعجزة انتقال المسألة من قانون الطبيعة والإنسان إلى قدرة الله ... ﴿ اضرب بعصاك البحر فانقلب ... ﴾ بالفاء بترتيب وتعقيب بلا مهلة — تغيير مفاجيء لأنها قدرة ﴿ كن فيكون !!! ﴾ ﴿ فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم ... ﴾ ﴿ ... وألقى

(١) وقد فعل ذلك ابن سيدنا نوح : ﴿ يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين .. قال : سأوي إلى جبل يعصمني من الماء .. قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم .. وحال بينهما الموج فكان من المفرقين ﴿ وعند الإزادة العليا ﴿ وقيل يأرض ابلى ماءك ويسماء أفعلى .. وغيض الماء وقضي الأمر .. واستوت على الجودي ، وقيل بعدا للقوم الظالمين .. ﴿ الله أكبر !!!



ما في يمينك تلقف ما صنعوا ﴿ ﴿ ﴾ ... أدخل يدخل في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى ﴿ ﴾ .

\* معجزة القرآن .. وكيف تختلف ؟ ..

على أنه يلاحظ أن معجزة القرآن تختلف عن معجزات الرسل السابقين — عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم — معجزات الرسل خرقت نواميس الكون ... وتحدث قوانين الطبيعة .. وأثبتت أن الذي جاءت على يديه صارت عنده خبراً إن شاء صدقه وإن شاء لم يصدقه — ولو لم يرد في القرآن لكان من الممكن أن يقال إنها لم تحدث ...

إذن فالمعجزة الكونية المحسة تقع مرة واحدة . ومن رآها آمن بها ومن لم يرها تصبح خبراً بعد عين .. ولكن معجزة النبي محمد ﷺ عقلية باقية خالدة يستطيع كل واحد أن يقول : محمد رسول الله — وهذه معجزته وهي القرآن (○) .

فقد جرت سنة الله في أنبيائه جميعاً أن يؤيدهم بالمعجزات الواضحة المحسة وأن يسوق على أيديهم من خوارق العادات ما يلفت الأنظار ويستهوى الأفتدة ثم ما ينبي معالم اليقين وعناصر الاستقرار ودواعي الطمأنينة في النفوس . وكانت معجزات الأنبياء شيئاً آخر غير الرسائل التي يبشرون بها ويدعون إليها فطب عيسى غير إنجيله وعصا موسى غير توراته ..

إلا أن الله شاء أن يجعل معجزة محمد ﷺ معجزة الرسالة الأخيرة الخاتمة — شيئاً لا ينفصل عن جوهرها .. فجعل حقائق الرسالة ودلائل صحتها كتاباً واحداً ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ عدا ما زوده به ربه من معجزات كونية كثيرة كأنشقاق القمر ، وتصدع إيوان كسرى وإخماد نار فارس ونبع الماء من بين أصابعه وتظليل الغمام له وحنين الجذع إليه ، والإسراء والمعراج .. الخ (١) .

وجعل من أصول الدعوة وأساليب عرضها البرهان الأكبر للدعوى الرسالة

○ من أشرطة الأستاذ العظيم الشيخ الشعراوي بتصريف

(١) راجع كتيب ( شذرات من معجزات الرسول ﷺ ) للشيخ حسين محمد مخلوف . وكتب السيرة .

والسناد الأعظم لصدق صاحبها ﷺ .

فآي القرآن الكريم — بما تضمن من دساتير العدالة الخلقية والاجتماعية والسياسية ، وبما تغرس في الطباع من آثار الأدب والتربية والاستقامة — هي رسالة الإسلام ومعجزته .

أعظم مافي هذه الآيات أن الفطرة الإنسانية تجد فيها مجالها الحيوي الفذ وتجد في جوهرها المتنفس الطلق الحر .

ومن ثم كان القرآن كتابا إنسانيا ، وكان نبي القرآن إنسانا كاملا ، وكانت رسالة الإسلام في موضوعها وأهدافها إنسانية بحتة .

ولذلك توجه القرآن — مباشرة — إلى العقل البشرى يخاطبه ويفك عنه أصاره ويرد إليه اعتباره .

وأكد القرآن أن أصحاب هذا العقل وحده هم الذين يستطيعون فهمه وتبين معانيه ..

﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كم هو أعمى ؟ إنما يتذكر أولى الألباب ﴾ بل إن أصحاب هذا العقل وحده هم الذين يفهمون رسالة الوجود ويفقهون أسرار الكون ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الألباب ﴾ .

فلتكن إذن معجزة نبي الإسلام الخالدة عقلية ..

وما دام البشر يحترمون عقولهم ، فستبقى لهذه المعجزة قيمتها .. أجل .. ستبقى لهذه المعجزة قيمتها مابقي العقل أنفس شيء في الحياة ، وما استلهم الناس عقولهم في الحكم على الأمور وفي قيادة الإنسانية إلى آفاق الترقى والكمال !!! غير أن هذا المنطق لم يكن ليلقى القبول الواجب له — عند أعراب الجزيرة ، وبقايا القرون الأولى ، وصرعى الأوهام والخيالات .

إذن كان أقصى مايفكر فيه هؤلاء هو أن يشاهدوا خارقا يقرب قلب البرّ بحراً ، والجُدّد البيض من الجبال في مكة مروجاً خضراء تتفجر الأنهار من تحتها ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت

كسفا (١) أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء — ولم نؤمن لريك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه — قل سبحان ربي !! هل كنت إلا بشرا رسولا !!! ﴿

ولم يكن شيء من هذا الذي اقترحوه بعزيز على الله وقدرته ﴿ فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ﴿ لكن حكمة الله أبت إلا أن تغالي بقيمة العقل الإنساني الذي أرخصوه وإنه لعزيز على هذه القدرة العليا أن تعطى العقل قدره يصنع شبه المعجزات — إذا ما عُنْتُني به والتُفْتُ إليه — ثم ترك هذا الذي أعطى يضع هباء ، وتستجيب لرغبات الجاهلين الذين سفهوا أنفسهم وأحلامهم وأبوا تحكيم مشاعرهم وعقولهم وطالبوا بمعجزات مادية قليلة أو كثيرة لتصديق نبيهم .

وكان لا بد في معاملة هؤلاء القوم من سلوك منهج يرغم آنافهم على احترام العقل الإنساني لمصلحتهم ولمصلحة الأجيال من بعدهم !!!

فيه كان التحدي ، وعليه كان الرسول الكريم يعتمد في سيرته — مع خصومه وأصحابه طوال حياته .

ومن بعده — إلى يوم الدين — كان — وسيظل — القرآن كتاب الإسلام الناطق بدعوته وحقته معا !!!

إلا أن الحكمة الإلهية اقتضت أن تثبت في طريق الرسول العظيم أنواعا من الخوارق التي أُيد بها النبيون الأولون كما أسلفنا فجاءت هذه الخوارق تحمل طابعا خاصا ينبغي أن نعرفه حتى لا نتجاوز به حدوده الصحيحة .. هذه الخوارق ثانوية الدلالة في تصديق النبوة والشهادة لها .

والطريقة التي أرسلت بها من عند الله تشير إلى أن الحكمة الإلهية لم تعلق عليها كبير أهمية ، ولم تنقص بها من قيمة المعجزة العقلية التي انفرد بها الرسول الأعظم ؛ فقد حدثت جملة من هذه الخوارق بين المؤمنين الذين استقر الإيمان في قلوبهم فعلا ، والذين سبق لهم تصديق النبي ﷺ في دعوته لأنهم أعملوا عقولهم

(١) ﴿ وإذا قالوا : اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴿ هلا قالوا : فاهدنا إليه مادام هو الحق ؟!!!! يا سبحان الله .

واحترموا إنسانيتهم (١) .

وحدث بعض آخر أمام أعين الكافرين بيد أن الصورة التي تم بها تثير الدهشة إذ كانوا يقترحون معجزة فتأتهم أخرى ، أو يأتي ما يقترحون بعد سنين طويلة وعلى وجه يبدو منه أن إجابتهم إلى ما طلبوا لم تقصد أصلا . وربما تهمل مقترحاتهم كلها ، فلا ينظر إليها قط .. فما معنى ذلك (٢) ؟ وما السر فيه ؟

إنها التربية ؛ فمن حق الوالد على ولده أن يضربه على يديه إذا شب عن الطوق ليعتمد على نفسه ويترك الاعتماد على أبيه في الأمور التي تحتاج إلى سعيه وأجهزته التي أمده الله بها .. كتفجير الأنهار وبعض المطالب التي أملاها العناد والسخف من سلسلة هذه المقترحات الطويلة فدعك منها ثم تأمل صنع الله مع عباده ﴿ **ولله المثل الأعلى** ﴾ تماما كما يفعل الأب مع وليده إذا كبر .. هذا صنع المولى — سبحانه — لقد أرضى الإنسانية في طفولتها — بألوانٍ صارخة من الخوارق ، حتى إذا اشتد عودها واستوى فكرها تركها لتستخدم مواهبها الفكرية ، ولتتبن الصواب والخطأ — فإما هلكت عن بينة أو نجت عن بينة ويوم أن تعرف البشرية « العقل » في قبول دين أو رفضه فستعرف من تلقاء نفسها كيف تستغل هذا العقل في تفجير الينابيع وتحويل رمال الصحراء إلى حدائق غناء واستخراج النفط من بين الصخور وأعماق المحيطات والخلجان وتكون هذه المخترعات أدلة متجددة على قدرة الخلاق العليم — سبحانه وتعالى — ولذلك يهتف القرآن عقب مقترحات الكفار ﴿ **قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا** ﴾ ؟! وهنا نقف وقفة تأمل في اختلاف معجزة القرآن عن سائر معجزات إخوانه الأنبياء : فالمعجزات المادية فعل من أفعال الله بعد أن يأذن به الله : البحر انشق لموسى ثم عاد إلى طبيعته بعد ذلك ، ولم تتكرر لأحد بعده .. والنار لم تحرق إبراهيم ثم عادت إلى خاصيتها بعد ذلك ، ولم تتكرر لأحد من بعده ، وهكذا تسخير الريح والجن والطيور .. إلخ .. لسليمان ، وهكذا كل المعجزات .. ولكن

(١) راجع كتيب : شذرات من معجزات ونصائص الرسول ﷺ لفضيلة الشيخ حسين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء — ونور اليقين — وزاد المعاد — وسيرة ابن هشام وفقه السيرة للشيخ الغزالي ود / محمد سعيد البوطي .  
(٢) راجع في ذلك كتاب : عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي .

معجزة النبي محمد ﷺ صفة من صفات الله — وهي كلامه — فالقرآن هو كلام الله المعجز الذي بين دفتي المصحف المتحدى به لفظا وعلما وتشريعا .. المتعبد به تلاوة .

﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾ ﴿ ومن أصدق من الله حديثا ﴾ والفعل

باق بإبقاء الفاعل له .. أما الصفة فهي باقية ببقاء الفاعل نفسه ..

ويلاحظ — كذلك — أن معجزة القرآن اختلفت عن معجزات الرسل اختلافا آخر ... فكل رسول كانت له معجزة ومنهج — كتاب — فمعجزة موسى — عليه السلام — العصا واليد ، وتكليم الله إياه والجراد والقمل والضفادع والدم... إلخ آيات مفصلات<sup>(١)</sup> ومنهجه وكتابه — التوراة — وعيسى — عليه السلام — خلقه من غير أب ، وكلامه في المهد وإبراء الأكمه والأبرص وإحيائه الموتى بإذن الله وخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وإنباؤهم بما يأكلوا وما يدرحون في بيوتهم وإنزال المائدة له من السماء .. إلخ .. منهجه الإنجيل ولكن خاتم الأنبياء ﷺ معجزته عين منهجه .. معجزته الخالدة القرآن الكريم وكتابه ومنهجه القرآن الكريم ، ليظل المنهج محروسا بالمعجزة وتظل المعجزة باقية بالمنهج ليظل محمد مصدقا إلى يوم القيامة .. ومن هنا كانت الكتب السابقة داخلية في نطاق التكليف .. بمعنى أن الله — سبحانه — كان يكلف عباده بالمحافظة على الكتب ﴿ .. بما استُحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ... ﴾ أما القرآن فقد خرج عن نطاق التكليف وصار حفظه إليه هو ﴿ إنا نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .... لماذا ؟ أولا : لأن القرآن معجزة ، وكونه معجزة لا بد أن يبقى — بقاء الرسالة — بهذا النص — وإلا ضاع الإعجاز !!! ثانيا : لأن الله قد استحفظ عباده مناهجه ﴿ .. فنسوا حفظا مما ذكروا به ... ﴾ والذي لم ينسوه كتموا بعضه ، والذي لم يكتموا لَوَّأ به ألسنتهم وحرفوه عن مواضعه .. وهكذا رأينا أنه كان هناك أكثر من نوع من المسخ والنسيان والتحريف ، ثم جاءوا بأشياء من عندهم وقالوا إنها من عند الله ليشتروا بها ثمنا قليلا .... حتى سمو الكتب بأسماء كاتبها : إنجيل متى وإنجيل لوقا وإنجيل برنابا وإنجيل يوحنا وإنجيل بولس وليشع و .. و .. إلخ .

(١) انظر سورة الأعراف .

ومن هنا فإن الله — سبحانه — قرر أن يحافظ على القرآن ...

ولو أخذنا خطين .. خط تطبيق المنهج — القرآن ، والعمل بتعاليمه — وخط المحافظة على القرآن .. لرأينا أن خط التطبيق كلما مرّ الزمن ضعف ، وخط المحافظة عليه كلما مرّ الزمن ازداد .. فلو كنا نطبق المنهج تطبيقا سليما لكان هذا أمرا طبيعيا .. لكن غفلتنا عن تعاليمه — كسلوك في الحياة — لاتتمشى مع ازدياد الحفاظ على القرآن .. نجد القرآن في كل مكان ، في كل منزل ، ومكتب وسيارة وجيب وعلى (١) صدر طفل وآية الكرسي في عنق امرأة (٢) !! حتى غير المسلمين كانوا وسائل لحفظه فنجد شخصا ألمانيا (٣) — مثلا — يفكر في كتابة القرآن كله في صفحة واحدة بشكل جميل بماء الذهب يزين « الصالونات » فلماذا يفعل ذلك مع القرآن الكريم دون أن يفعل ذلك مع الكتب المحرفة السماوية الأخرى وما الذى يجعل دولة كاليابان وإيطاليا تتفننان في طباعة المصحف بشكل جميل أنيق .. وإن ذلك يحدث . لأن الله — سبحانه — يريد أن يدلل لنا على أنه يحفظ القرآن (٤) .

وكلما ابتعدنا عن المنهج ازدادنا في حفظ القرآن والعناية به ليدل على أن الذى يحفظه هو الله وليس القائمون على المنهج .. وكل ذلك تسخير من الله — سبحانه — لكل الطاقات البشرية مسلمة وغير مسلمة لتحافظ عليه وتفنن في وسائل حفظه — دون فقه أو فهم — فنرى المسلم الحق يحفظه في صدره ويتخلق به ويأمر به أهله بل لاترى في سيارته مصحفا محفوظا في علبة من الخمّل ولا في مكتبه . وقد يحمل في جيبه نسخة للقراءة أو في مكتبه نسخة عادية للقراءة كما كان السلف يحفظونه في الصدور والسطور .. أما البعيد عن المنهج يسخره الله لحفظه بوسيلة ما — سيحاسب عليها يوم القيامة حسابا عسيرا — لأنه لم يقف عند حدود الله .... فنرى صاحب سيارة لا يصلح ولكنه يكتب عليها بخط جميل

(١) بصرف النظر عن كون ذلك بدعة يجرمها الإسلام « من علّق تيممة لأتم الله له » .

(٢) أو شاب أو كهل متخفّس مُتَسَوِّون .

(٣) وهو مسيحي مثلا — أو يهودى .

(٤) ومن صنع أجهزة التسجيل الحديثة و « الجراميفون » إلا المسيحيون واليهود وهي من وسائل حفظه

(الله أكبر .. ! ) .

﴿ باسم الله مجربها ومرساها ﴾ والحلاق يكتب على واجهة محله ﴿ وزيناها للناظرين ﴾ وصاحب محل العصير يزين محله بلوحة مذهبة ﴿ ... وسقاهم ربهم شرابا طهورا .. ﴾ وصاحب المطعم يكتب لوحة مموهة بماء الذهب والفضة ﴿ كلوا واشربوا هنيئا ... ﴾ وخنفس مابع مخث يعلق في رقبته سلسلة ذهبية معلق بها مصحف أو آية الكرسي ... إلخ وإن سئل قال في تثن وتكسر : هذه هدية « مامي » مع الأسف .

تفنن في محاكاة العذارى \* وخالفهن في وضع النقاب وهكذا تجلت قدرته — سبحانه — ولا يسعنا إلا أن نهنف بهتاف القرآن الكريم ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

### معجزة القرآن عالمية :

فإذا حددنا هذه العناصر الثلاثة التي تمتاز بها معجزة القرآن الكريم تنتقل بعد ذلك إلى نقطة أخرى ...

القرآن — كما أسلفنا — كلام الله المعجز المتعبد بتلاوته جاء من جنس مانبع فيه العرب — القوم الذين نزل فيهم — قوم محمد — ﷺ — عرفوا بالبلاغة والفصاحة والبيان وحسن الأداء ، وجمال المذاق ، وحلاوة التعبير ، فيتحداهم القرآن في هذا المجال فلما سمعوه انبهروا (١) ولكن العناد أعمى بصائرهم فقالوا — عن سموه الصادق الأمين — ساحر ، وكاهن ، ومعلم ، ومجنون ، وكذاب . وشاعر ... إلخ .

فهل يملك المسحور اختيارا مع الساحر ؟ إذا كان محمد ساحرا — كما زعمتم — وقد سحر الناس الذين آمنوا به — فلماذا لم يسحركم أنتم ، لتتبعوه ؟ ...

إن المسحور لا يخضع للساحر بإرادته .. لا يأتي ليقول له سأصدق هذا الساحر أو أكذب بهذا الساحر .. إنما المسحور مسلوب الإرادة أما الساحر فكونكم تقولون إنه ساحر وأنتم لا تؤمنون به دليل على أنكم كاذبون ..

(١) انظر كتاب التصوير الفني في القرآن الكريم للشهيد سيد قطب — وإعجاز القرآن للرافعي ودستور الأخلاق في القرآن للدكتور محمد عبد الله دراز .

قالوا مجنون .. هل المجنون يكون على خلق ؟ إنك لاتعرف إذا كان المجنون سيثتمك أو يقدفك بحجر !!! لاتعرف ماذا سيفعل معك في الدقيقة التالية فهل يكون المجنون على خلق عظيم كالنبي محمد ﷺ ؟ ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ قالوا شاعر .. محمد لم يقل الشعر في حياته وأنتم تعرفونه والشاعر يختال عجباً وبتيه دلالة على قومه وله راوية أو أكثر وتتناقل شعره القبائل ويطبق خبره الآفاق .. فهل محمد النبي الأمى كذلك ؟ وهل أصابه الشعر فجأة ؟ .. أم أنه دليل الكذب ؟ ...

هو الأمى لم يقرأ كتاب فعلم قارئين وكاتبينا !!!  
فواعجبا لقوم كذبوه ألم يك بينهم يدعى أميناً؟!!

فما جربوا عليه شعرا ولا سحرا ولا كهانة ولا جنونا ولا نقصانا يقدح في شخصيته ولكنه الكفر .. الذي حدث أنهم انهبوا .. ذهلوا — وهم ملوك البلاغة والفصاحة وأساطين البيان فجاءهم بكلام أعجزهم ... وجدوا أنفسهم عاجزين فتخبطوا .. قالوا : ساحر .. مجنون ... قالوا أوصافا لاتخضع لأى منطق لأنهم من هول المفاجأة وقوتها فقدوا الحجة والمنطق ... والقرآن يواصل التحدى أن يأتوا بمثله .. ثم يعنى في التحدى ليقول بعشر سور .. ثم يعنى أكثر فأكثر في التحدى ليقول : سورة من مثله .. كان هذا أول إعجاز للقرآن .. معجزة تَحَدَّتْ القوم الذين نزل فيهم بما نبغوا فيه .. ولكن التحدى في القرآن ومعجزته ليس للعرب وحدهم بل للعالم أجمع .. ومن هنا كان إعجاز القرآن اللغوى هو تحديه للعرب فيما نبغوا فيه .. ولكن القرآن لم يأت للعرب وحدهم والقرآن جاء لكل الأجناس وكل الألسن .. فأين التحدى لغير العرب ؟ ثم هذا الكتاب سيبقى إلى قيام الساعة فلا بد أن يحمل معجزة للعالم في كل زمان ومكان .. ومن هنا كانت معجزات القرآن .. وقت نزوله .. وخلال فترة نزوله .. وبعد نزوله — وهي مستمرة حتى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها — لتظهر لنا آيات الله في الأرض .

### \* تمزيق القرآن حواجز الغيب :

حينما نزل القرآن الكريم تحدى أشياء كثيرة .. أولها أنه مرق حواجز الغيب .. مرق حواجز الزمان والمكان . كيف ذلك ؟ حواجز الغيب ثلاثة أولها حاجز



المكان أى أن أشياء تحدث في نفس اللحظة ولكن لانعرف عنها شيئاً لأنها تحدث في مكان ونحن في مكان آخر ثم هناك حاجز الزمن الماضي وهو شيء حجبنا عنا زمن مضى ، فأنا لم أشهده ، وحاجز المستقبل وهو ماسيحدث غدا ، وأنا لاأعرف ماذا سيحدث غدا ، لأن حاجز الزمان المستقبل قد حجبنا عنى فلم أشهده .. إذا فحواجز الغيب ثلاثة : حاجز المكان وحاجز الزمن الماضي وحاجز الزمن المستقبل ..

فإذ قرأنا القرآن وجدنا أنه يمزق حاجز الزمن الماضي فيخبرنا بما حدث للأمم السابقة ويروي لنا قصص الرسل السابقين مع أهمهم ويحكى لنا اشياء لم يكن أحد يعرفها ، وعلى لسان من ؟ على لسان نبي أمي لم يتعلم في جامعة ولا مؤسسة علمية .. لايقراً ولا يكتب .. يحكى إذن أسرار الماضي ، ويتحدى الذين يكذبونه .. مرق الله له حجاب وحاجز الزمن الماضي وطوى له المسافات ويكفى أن تقرأ في القرآن ( وما كنت ، وما كنت ، وما كنت ) لتعرف كم أخبر الله رسوله بأنباء من غيب الماضي ... ﴿ وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ... ﴾ ﴿ وما كنت لديهم ؛ إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ ﴿ وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا .. ﴾ أى ماكنت هناك يا محمد ولكن الله هو الذي أخبرك ومزق لك حجاب الزمن الماضي ..

﴿ وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون .. وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ماكنت تدري ماالكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا .. وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ ثم مرق الله — سبحانه — حجاب المكان لمحمد — عليه الصلاة والسلام — وجاء في أمر من أشق الأمور وهو حديث النفس .

وقبل أن نبدأ نحب أن نضع في أذهاننا جيدا أن القرآن هو كلام الله المعجز المتعبد بتلاوته ، وأنه يبقى بلا تعديل ولا تغيير ، ولا يجرؤ أحد على أن يمسه أو يحرفه ، ومن هنا فإن هذا الكلام حجة على محمد ﷺ مأخوذة عليه .. فإذا أخبر القرآن بشيء ، واتضح أنه غير صحيح كان ذلك هدماً للدين كله ﴿ ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين

فما منكم من أحد عنه حاجزين .. وإنه لتذكرة للمتقين — وإنا لنعلم أن منكم مكذابين وإنه لحسرة على الكافرين ، وإنه لحق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم ﴿ يقول القرآن ويقول — وقد بينت خطورة مايقول — ﴿ ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ... ﴾ مامعنى هذا الكلام ؟ معناه إمعان في التحدي .. فالقرآن هنا لايقول لهم لقد هتكت حاجز الماضي وأخبرتكم بأبناء الأولين ، ولا يقول لهم سأهتك حاجز المكان وأخبركم بما يدور في بقعة قريبة لاترونها بل يقول سأهتك حاجز النفس ، وأخبركم بما في نفوسكم .. بما في داخل صدوركم بما لم تهمس به شفاهكم ... (١)

وكان يكفى لكى يكذبوا محمدا ﷺ أن يقولوا لم تحدثنا نفوسنا بشيء مثل هذا ... لو لم يقولوها — بالفعل — داخل نفوسهم — لكان ذلك أكبر دليل لتكذيب محمد ﷺ وإعلانهم أنه يقول كلاما غير صحيح ..

إذن فالقرآن فى هتكه لحجاب المكان دخل إلى داخل النفس الإنسانية وإلى داخل نفوس من ؟ إلى داخل نفوس غير المؤمنين الذين يههم هدم الإسلام وقال فى كلام متعبد بتلاوته لن يتغير ولن يتبدل .. قال ﴿ ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاءوك حيوك بما لم يُحيك به الله ، ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول .. حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ﴾ (٢) صدق الله العظيم .. فضح نفوس غير المسلمين فهل هنالك أكثر من ذلك تحديا ؟ ... إنه تحدّ فوق قدرة كل الاختراعات البشرية التى وصل إليها العلم الآن لاختراق حجب المكان والذي علمهم الله إياه ثم بعد ذلك مزق القرآن حجاب المستقبل .

كان لايد أن يكون الحديث عن المستقبل على عدة مراحل .  
المرحلة المعاصرة لنزول الوحي ، لكى يعرف أصحاب الرسالة والمؤمنون لاغير

(١) وهذا من الدراسات الميدانية التى يقدمها القرآن الكريم — وقد عزمت بمشيئة الله على إخراجها فى كتاب — وأسأله العون والتوفيق . آمين .

(٢) والقرآن زاخر بمجاذب كثيرة من هذا القبيل ﴿ ولا تجادل عن الذين يخاتون أنفسهم .. ﴾ . ﴿ إذا جاءك المنافقون ... ﴾ الآيات إلى آخر سورة « المنافقون » تفضح أستار نفوسهم .. و .. و .. وهو كثير .

المؤمنين أنه الحق ، ومرحلة المستقبل البعيد ، لكي يعرف كل عصر من العصور التي ستأتي بعد نزول الوحي أن هذا هو كتاب الله الحق .. ومن هنا كان التحدي ...

بالنسبة للمعاصرين عن أحداث قريبة ، وبالنسبة للعالم عن حقائق الكون كله .. وهنا أحب أن أنبه إلى شيء هام جداً ألا وهو استخدام حرف السين في القرآن فحرف السين كما نعرف في العربية لا يستخدم إلا بالنسبة لأحداث مستقبلية ، والقرآن محفوظ ومتعبد بتلاوته — وسيظل محفوظاً حتى تقوم الساعة .. ومعنى ذلك انه لا يمكن تغييره أو تبديله أو إنكاره من أحد من المتعبدين به ، بل إنه سيظل يتلى هكذا — كما أنزل — إذن فإنباء القرآن بأحداث مستقبلية يسجل هذه الأحداث على قضية الإيمان نفسها ، ويطعن الدين في صميمه ، خصوصاً إذا تبين أن ماتنبأ به القرآن غير صحيح ، ومن هنا فلا بد أن يكون قائل القرآن متأكداً من أن هذا سيحدث له بعد ساعة واحدة فما بالك بعد أيام أو سنوات .. ؟ الجواب ... لأحد ؛ ذلك أن قدرة البشر في صنع الأحداث محدودة .. فقد حجب عنهم الزمن وحجب عنهم المكان .. فلو قلت إنني سأبني عمارة — مثلاً — في هذه البقعة بعد عام ، فأنا لأضمن أنني سأعيش حتى الساعة القادمة ، أو حتى الدقيقة التالية لحديثي .. بل قد لأتم العمارة ... وبذلك لأستطيع الحكم إذا كنت سأوجد هناك أم لا ؟ ..

هذه واحدة .. والثانية : قد تأتي الحكومة — مثلاً — وتبني مستشفى على هذه الأرض أو تقام في هذا المكان سوق أو يقام شارع ..

إذن فلا أستطيع الجزم بشيء مادي سيحدث بعد فترة زمنية محددة .. ولكن الذي يستطيع أن يقول هذا — يقينا — هو الذي يملك القدرة على الزمن والتحكم فيه ... ومن هنا فإنه يستطيع أن يقول — يقينا — إن هذا سيحدث بعد فترة من الزمن — طال أو قصرت — والذي يملك ذلك هو الله — ذو الجلال والقدرة !!!

فإذا كان الحديث عما سيحدث بعد ألوف السنين فإن ذلك فوق طاقة البشر جميعاً ...

ولقد أنبأ القرآن الكريم بما سيحدث بعد أعوام قليلة ، وبما سيحدث بعد آلاف السنين فالذى قال ذلك هو القادر العالم بأن ذلك سيحدث يقينا وهو الله — سبحانه وتعالى — انظر إلى قوله — عز من قائل ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر .. بل الساعة موعدهم — والساعة أدهى وأمر ﴾ .. لقد نزلت سورة القمر هذه في مكة — والمسلمون قلة وأذلة .. حتى إن ابن الخطاب — رضى الله عنه — قال : أى جمع هذا الذى سيهزم ونحن لانستطيع أن نحمل أنفسنا ؟ وهكذا تنبأ القرآن بأن الإسلام سينتصر — فى مكة — وأن هؤلاء الجمع الذين تجمعوا لمحاربة الإسلام فى مكة سيهزمون ويولون الأدبار وتنبأ بها متى ؟ والمسلمون قلة .. وأذلة .. لا يستطيعون حماية أنفسهم ، ويطلقها قضية مسلمة ، ومحمد ﷺ على يقين من أن الذى قالها سيحققها ..

فلو كان القرآن من عند محمد ... أما كان يخشى محمد ألا يتحقق تنبؤه ؛ فتنتار دعوته من أساسها ويتحقق ما اتهموه به من الكذب ؟!!!

﴿ .. لإيأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .. ﴾ وبعد ذلك نجد عجبا .. الوليد بن المغيرة العدو الألد للإسلام ، وأهله ، ولحق وجنده ، والمشهور بكبريائه ، ومكابرتة وعناده .. يأتي القرآن الكريم ويقول : هذا الإنسان العنيد ﴿ سنسمه على الخراطوم ﴾ . أى أنه سيقتل بضربة على أنفه ثم يأتي بعد ذلك فى بدر فنراه قد وُسم على خراطومه — أى ضرب على أنفه — من الذى يستطيع أن يحدد هذا ؟ .. أن يحدد موضع الضربة ومكانها المحدد من الذى يستطيع أن يجزم بما سيحدث بعد ساعة واحدة أو دقيقة .!!!

﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ... إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا . ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا ﴾ !!

سبحانه ..... سبحانه ..... سبحانه .....!!!

﴿ يعلم ما يلج فى الأرض ما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور ﴾ .  
 ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد .. وكل شيء

عنده بمقدار .. عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال — سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ... ﴿ ﴾ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو .. ﴿ ﴾ .

﴿ ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، إن الله عليم خبير ﴾ (١) .

### القرآن وأحداث المستقبل :

بعد ذلك نأتى إلى آية أخرى ، من آيات تحدى القرآن وإعجازه ، وهتكة أستار الغيب ، وحجب المستقبل ...

يقول الحق — تبارك وتعالى — ﴿ تبت يد أبى لهب وتب ... ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى ناراً ذات لهب . وأمرأته حماله الحطاب . فى جيدها حبل من مسد ﴾ هذا قرآن كريم .. وفى من ؟ فى عم رسول الله ﷺ فى عدو الإسلام الأول — الذى قال له حين جهر بدعوته . تبا لك . ألهذا جمعنا ؟ وهزأ به .. أجل لم يكن عبد العزى (٢) يستطيع أن يحارب الإسلام بهذه الآية ؟ ... ألم يكن يستطيع أن يستخدمها كسلاح ضد القرآن . ضد هذا الدين ضد محمد ودعوته التى يزعم بها أنه نبي .. ؟ قالت له الآية : أنت يا أبأ لهب ستموت كافراً . ستموت مشركاً ، وستعذب فى النار أنت وزوجك أم جميل وجزاؤكما من جنس عملكما .. وكان يكفى أن يذهب أبو لهب إلى جماعة المسلمين هو وزوجته ويقول : أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله — يقوفاً نفاقاً يقوفاً رياءً إفحاماً لمحمد وهدماً للإسلام وإبطالاً لتنبؤ ابن أخيه الذى يزعم النبوة — لا يدخل فى الإسلام — يقوفاً ثم يقف وسط القوم ويقول : إن محمداً قد أنبأكم أنى سأموت كافراً وقال هذا الكلام مبلغاً عن الله . وهأنذا أعلن لكم إسلامى ، لأثبت لكم أن محمداً كاذب ...

(١) اقرأ كتاب الله بتدبر وتفكر .. يأتك اليقين . ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ؟ أم على قلوب أقفاها ؟ .. ﴾ ﴿ ان فى ذلك للذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد ﴾ . ﴿ أفلا يتدبرون القرآن . ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيراً ﴾ .  
(١) أبو لهب .

لو كان أبو هب يملك ذرة واحدة من ذكاء ؛ لفعل هذا ﴿ حتم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾ ولكن حتى هذا التفكير لم يجرؤ عقل أبا هب على الوصول إليه بل بقي كافرا ، مشركا ، مخلدا في جهنم ، وفي جيد امرأته جبل من مسد ... (١)

ولم يكن التنبؤ بأن أبا هب سيموت كافرا أمرا ممكنا ، لأن كثيرا من المشركين اهتدوا إلى الإسلام كخالد بن الوليد ، وعمر بن الخطاب ، وعمرو بن العاص وغيرهم كانوا مشركين وأسلموا .. فكيف أمكن التنبؤ بأن أبا هب بالذات لن يسلم — ولو نفاقا — ؟ .

هنا الإعجاز القرآني الذي أخبر بما سيقع من عدو الله ، وتحدهاه في أمر اختياري — كان من الممكن أن يقوله — ومع ذلك كان هناك يقين أن ذلك لن يحدث (٢) لماذا ؟ لأن الذي قال هذا هو القرآن يعلم أنه لن يأتي إلى عقل أبا هب تفكير يكذب به القرآن ... هل هناك إعجاز أكثر من هذا ... ؟

### إعجازه لغير العرب :

نتقل بعد هذا إلى النقطة الثانية : وهي ماذا حمل القرآن لغير العرب — في عصره — ولغير العرب والدنيا كلها — بعد عصره — أى ماذا حمل القرآن من أبناء نواميس الله في الأرض وقوانينه التي كانت غيبا على البشرية كلها في عصره وبعد عصره ؟ .... هناك الأمثلة كثيرة ، والمجال لا يتسع لها كلها ، ولكننا سنحاول أن نبين نماذج منها فيما يختص بالإعجاز في عصر القرآن لغير العرب فقد كان هناك أمتان عظيمتان .. امبراطوريتان متاخمتان للجزيرة العربية هما الفرس والروم .. والروم أمة تؤمن بكتاب — ولو أنهم لا يصدقون برسالة محمد — ﷺ — إلا أن عندهم إيمان بوجود الله والقيم السماوية : أما الفرس فكانوا أهل كفر وإلحاد وعباد النار آنذاك ولا يؤمنون بأى دين من الأديان ... إذن فأيهما أقرب إلى قلوب المسلمين ؟ الروم باعتبارهم أهل كتاب — وأيهما أقرب

(١) وذلك تقرير لما سلف من علم الله المحيط . علم ازالا أن جعل له لسانا ينطق بالإيمان والكفر ولكنه سيؤثر الكفر فقال — عز وجل — اكتبوا ياملائكني أنه شقى ... فلا يستطيع الفكك لأنه سبق عليه الكتاب بمقتضى علمه أنه سيختار الكفر فليدرك .

(٢) مع أن الله جعل له — ككل البشر لسانا وشفقتين وعقلا واردة وقدرة واختياراً .

إلى قلوب الملحدین والكفار ، الفرس باعتبارهم مشركين وكفرة — قامت الحرب بين الدولتين فهزم الروم وانتصر الفرس .. وهنا فرح المشركون ؛ لأن الكفر قد انتصر ، وحزن المؤمنون لأن نوعا من الإيمان قد انهزم ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا قالوا إنا نصارى ؛ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمننا فآكتبنا مع الشاهدين ﴾ ... (١)

وهنا يتدخل القرآن الكريم ليزيل عن المؤمنين هذا الحزن فيقول في كلام — محفوظ متعبد بتلاوته — لا يستطيع ولا يجزؤ أحد أن يغير فيه أو يبدل .. يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ألم . غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين . الله الأمر من قبل ومن بعد . ويؤمنذ يفرح المؤمنون بنصر الله . ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ ثم يمضى القرآن إمعانا في التحدي ﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ما هذا ؟ أ يستطيع محمد ﷺ أن يتنبأ بنتيجة معركة ستحدث بين الروم والفرس بعد بضع سنين ؟ ... فهل يستطيع قائد عسكري مهما بلغت قوته وعبقريته أن يتنبأ بسر معركة عسكرية بعد ساعة واحدة من قيامها ؟ مهما كان نبوغه وخبراته العسكرية ؟ فما بالك أن ذلك يأتي ويقول : إنه بعد سنين تحدث معركة بين الفرس والروم وينتصر الروم ... هل أمن محمد — ﷺ — على نفسه أن يعيش بضع سنين ليشهد هذه المعركة ؟ حتى بلغ أمر التصديق والثقة بأبي بكر الصديق — رضى الله عنه — أنه راهن على تحقق وقوع ماجاء به القرآن الكريم . إذن فقد أصبحت قضية إيمانية كبرى ... هذا هو القرآن ... هذا هو كلام الله وأساس الإيمان كله ... يأتي ويخبر بحقيقة أرضية قريبة ستحدث لغير العرب ، ويقول الكفار إن القرآن كاذب ، ويقول المؤمنون إن هذا صدق ويحدث رهان بين الفريقين !!

ماذا كان يمكن أن يحدث لو أنه لم تحدث معركة أصلا بين الروم والفرس ؟ أو لو أنه حدثت معركة وهزم فيها الروم ؟ ... أكان يصدق القرآن أى إنسان

(١) وذلكم أيضا من الدراسات الميدانية التي يقدمها القرآن الكريم .

أو يؤمن بالدين الجديد؟ ثم إذا كان القرآن من عند محمد فما الذى يجعله يدخل نفسه فى قضية غيبية كهذه لم يطلب منه أحد الدخول فيها..؟ أضع دعوته ودينه الجديد من أجل مخاطرة لم يطلبها أحد؟ أو يجر على نفسه الشكوك حول قضية احتمال النصر فيها غير مضمون ١٠٠ ٪ أضع نفسه فى مأزق لم يعلن له أحد فيه التحدي!!؟

لكن القائل هو الله ... والفاعل هو الله ... ومن هنا كان هو هذا الأمر الذى فى القرآن نزل يقينا سيحدث ، ولابد أن يحدث لأن قائله ليس عنده حجاب الزمان ، ولا حجاب المكان ، ولا حجاب النفس ولا أي لون من ألوان الحجب ، وهو الذى يقول مايفعل ويفعل مايريد ... ومن هنا حدثت الحرب ... وانتصر الروم وتحقق الغيب كما نبه القرآن ....

وهكذا تحدى القرآن الكفار وغير المسلمين فى وقت نزوله ... ولم يتحد الكفار من العرب وحدهم . بل تحدى الكفار وأهل الكتاب من غير العرب بأن أنبأهم بما سيحدث لهم قبل أن يحدث بيضع سنين ( سبع أو ثمان ) تحداهم بهذا علمهم يسلمون ....

إذا انتبهنا إلى هذا نكون قد أثبتنا أن القرآن تحدى العرب وغير العرب فى وقت نزوله — بلفظه ومعناه — للعرب ومعناه لغير العرب . ولكننا قلنا إن القرآن ليس له زمان .. وليس له مكان .. وإنه سيظل حتى قيام الساعة فكيف يمكن أن يتحدى الأجيال القادمة ؟ لابد أن تكون للقرآن معجزة دائمة .. أن يعطى عطاء لكل جيل لم يعطه للأجيال السابقة ... وقد كان .. جاءت فى القرآن أشياء لو أن أحدا أخير بها — وقت نزوله — لاتهم الذين قالوها بالجنون ، ولكنها جاءت للعصور القادمة ... جاءت لتحدى عبر الأجيال إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها !!

### القرآن والعلم :

عندما نزل القرآن كان له أكثر من معجزة وأكثر من وجه للإعجاز تحدى العرب فى بلاغتهم لأنهم أهل الفصاحة والبيان — كما أسلفنا (١) ثم مرق حواجز

(١) راجع كتاب مباحث فى علوم القرآن للشيخ مناع القطان ( الإعجاز اللغوى والتاريخى والتشريعى والعلمى ) .



الغيب الثلاثة : مزق حجاب الزمن الماضي وروى لنا بالتفصيل تاريخ الرسل وحوادث من سبقنا من الأمم وتحدى فيها .. ثم مزق حجاب المكان وروى لنا ما يدور داخل نفوس الكافرين والذين يحاربون الإسلام وماذا يبيتون للمسلمين — في دراسة ميدانية معجزة فضح فيها داخل نفوسهم وسرائرهم ﴿ .. قد بدت البغضاء من أفواههم وما تحفى صدورهم أكبر .. قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾ ولم يجرؤ واحدٌ منهم على أن يكذب القرآن ويقول : لم تهمس نفسي بذلك .. ثم مزق حجاب المستقبل وأخبر بأحداث ستقع بعد شهور ، وأحداث ستقع بعد سنوات .. وتحدى .. وحدث كل ما أنبأ به القرآن ﴿ .. ولا يُنبئك مثل خبير ﴾ (○) ...

ثم بعد ذلك مزق حجاب المستقبل البعيد ، ليعطى الأجيال القادمة من إعجازه ما حملهم — بعد قرون — القرآن — على تصديقه والسجود لله العليم الخبير ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ ولكن القرآن نزل في زمن لو أن هذه المعجزات المستقبلية جاءت تفصيلية لكفر عدد من المؤمنين وارتدوا .. وانصرف آخرون ؛ ذلك أن الكلام كان فوق طاقة البشر وطاقة عقولهم في ذلك الزمان ... إذا كنا نحن — إلى عهد قريب جدا — وحين سمعنا ( الراديو ) المذيع الأول مرة كانت عقولنا الصغيرة تهمس لنا بأن هذا عفرية صندوق من الخشب يتكلم ؟ ..... وهكذا عندما ركب البشر المتخلفون سيارة لأول مرة قال جهالنا هذه جنية ... وقلنا مثل ذلك في الطيارة والغواصة .. الخ .

ومن — هنا وحتى لا يخرج المؤمنون من إيمانهم — وليستمر الإعجاز لأنه لو أنهى جميع المعجزات مرة واحدة لما كفى للقرآن حمل بغير ... ولا انتهى الإعجاز كأى خارقة جاء بها الأنبياء كإبراء الأكمه والأبرص — كما أسلفنا — ولكن القرآن معجزة خالدة لتصديق محمد — ﷺ — وليدوم تصديقه إلى يوم القيامة لأنه خاتم المرسلين وليبقى إخوانه الأنبياء السابقون موثقين إلى يوم القيامة ؛ لأن القرآن الخالد : هو الوثيقة الوحيدة الباقية إلى يوم الدين ... فمعجزاتهم قد انتهت — كما قلنا — لأنها فعل فصارت خيرا ، ولأن مناهجهم قد حرفت وضيعت لأن البشر استحفظوها فضيعوها أما القرآن — كما أكرر للتأكيد

(○) راجع تفسير سورة المنافقون لتعرف كيف فضح الله سرائرهم ..

والتعميق — فهو صفة من صفات الله الأزلية الباقية بلا نهاية ؛ ولأنه معجزة ، ومنهج ، ولأن الله تولى حفظه ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

ومن هنا جاء القرآن بنهايات النظريات .. بقمة نواميس الكون إذا تليت على المؤمنين آنذاك مرت عليهم ولم ينتهوا إلى مدلولاتها العلمية الحقيقية . وإذا قيلت بعد ذلك على الأجيال القادمة عرفوا مافيه من إعجاز — بل وقالوا إن هذا كلام لا يمكن أن يقوله بشر عاش منذ آلاف السنين — فضلا عن كونه أمياً لم يتعلم في جامعة ولا « أكاديمية » علمية .. إذن فلا بد أن القرآن حق — من عند الله — وأن قائله هو الله الخالق (١) . بقيت نقطة ... هل يأتي هذا في الأحكام ؟ الجواب لا ، لأن أحكام الدين ( افعل ولا تفعل ) نزلت كاملة واضحة لاليس فيها ولا إضافة عليها ولا تبديل ولا غموض ، منهج الله كامل فسرت الأحاديث النبوية الشريفة والسنة العملية المضيئة والأحاديث القدسية الوهاجة وشرح وفسر وفصل في عهد الرسول الأعظم تفسيراً كاملاً لاليس فيه ولا عوج ، بحيث أصبح واضحاً لدى كل إنسان يريد أن يعبد الله ، وأن يعيش في الأرض طبقاً لقوانين الله ( افعل ولا تفعل ) وأصبح الحلال بيئاً والحرام بينا .

أما آيات الله في الكون فنلاحظ أنها لم تفسر تفسيراً كاملاً في عهد الرسول ﷺ — حتى لا تكون ملزمة للمسلمين .. لماذا ؟ لأن لها عطاء يتجدد في كل الأجيال ﴿ ... سنزيهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ... أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ؟ .. ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ؟ ألا إنه بكل شيء محيط ﴾ .. ومصدقا لذلك كانوا في عصر النبوة لا يسألونه عن شيء لم ينزل به القرآن ؛ لأنهم صرفوا عن ذلك من صاحب الدعوة — ﷺ — ﴿ يسألونك عن الأهلة هي مواقيت للناس والحج ﴾ . السؤال — كما يعرف بعض المسلمين الملمين بأصول البلاغة — عن حقيقة الأهلة ... ماهي ؟ وكيف تأتي ، وتغيب ثم تعود ؟ من هلال ثم بدر ثم محاق .. إلخ . تكون الإجابة بأسلوب الحكيم ﴿ قل هي مواقيت للناس

(١) انظروا كتاب « هنرى لنك » عالم وطبيب النفس الأمريكى الذى سماه ( العودة إلى الإيمان ) وقد طبع في امريكا ٤٧ مرة وكتاب ( الله يتجلى في عصر العلم ) والذى ألفه ٣٢٢ عالماً من علماء الكون في فروع العلم المختلفة وكتب محمد جمال الفندى وغيرهم الكثير . ومع الله في الأرض ومع الله في السماء لأحمد زكى .

والحج ﴿ صرفوا عن جواب حقيقة السؤال إلى الفائدة لأنهم لن يدركوا حقيقتها .. ثم يسمعون من صاحب الدعوة — في القرآن الكريم — ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْوِمٌ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلِ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ ، عفا الله عنها والله غفور حلیم . قد سأها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين ﴾ .

ومن أجل ذلك كان عمر بن الخطاب (١) — رضى الله عنه — يقرأ مرة سورة ( عبس وتولى ) فحينما جاء إلى قوله تعالى ... ﴿ وفاكهة وأبا ﴾ توقف قليلا يسأل نفسه — وهو العربى العليم بخصائص لغته وكنهها — مامعنى الأب ؟ وبسرعة خاطر المؤمن قال لنفسه « ياولل ابن أم عمر .. ؟ وماذا عليّ إذا لم أفهم معنى الأب ؟ ولم يسترسل مع نفسه في تفسير مالم يفسر القرآن ، وعملا بقوله تعالى ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْوِمٌ ﴾ .

لقد تحدى القرآن العرب بالإعجاز في اللغة — كما قلنا سلفا — ولكن التحدى للعالم لا يمكن أن يكون باللغة ، فاللغات مختلفة وستقوم لهم الحجة — كيف يتحدى بطل العالم في الملاكمة بطل العالم في المصارعة ؟ وهل يطالب الحداد بتصميم عمارة ؟ أو المهندس بعلاج مريض ؟

إن التحدى يكون فيما برع فيه القوم ... إذن بماذا يتحداهم القرآن ؟ الجواب يتحداهم بالعلم .. وكان التحدى مطلقا ... إلى يوم الدين ... قال : أنتم جميعا — على اختلاف أجناسكم وألوانكم — لن تستطيعوا أن تخلقوا شيئا حتى نهاية العالم .. ثم تحداهم بخلق ماذا ؟ بخلق كون كالذى خلقه ؟ ... لا ... بخلق مجموعة شمسية ؟ من عشرات المجموعات الشمسية الموجودة في الكون ... ؟ لا — بخلق شمس أو قمر أو نجم ؟ لا ... إذن تحداهم بخلق كرة أرضية مثلا — كالتى يعيشون عليها ؟ أبدا ... لا بد أنه تحداهم بخلق إنسان ... ؟ أبدا . لقد تحداهم أن يخلقوا ذبابا « ولو اجتمعوا له » — وكأنه سبحانه يقول لهم : إننى أنا الله خالقكم أقول لكم سأعطيكم من العلم وأريكم آياتي في الآفاق وفي أنفسكم

(١) وقيل : إنه أبو بكر — رضى الله عنه — فقيل وقد سئل أبو بكر عن معنى « الأب » فقال : أى سماء تظلنى وأى أرض تقلىنى إذا قلت في كتاب الله مالا أعلم .

وسأقدركم على الابتكار (١) من الموجودات التي خلقتها لكم ، وأعلمكم مالم تكونوا تعلمون ... ولكنكم لن تخلقوا ذبابا ... ولو اجتمع لذلك كل علماء الأرض — في كل العصور — من الإنس والجن والملائكة .. وهكذا تحدى الله البشرية كلها — إلى يوم القيامة — بأن يخلقوا ذبابة واحدة من العدم ...

وقال : إن العلم — الذى ستعبونه من دونى — والذى ستغترون به — وأنا واهبه لكم — هذا العلم وكل القائمين عليه لن يستطيعوا أن يخلقوا ذبابا — ولو اجتمعوا له — ﴿ إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ... ﴾ .. بل ﴿ وإن يسئلبهم الذباب شيئا لا يستقذوه منه ﴾ وإن علمتكم الذرة والدوران حول الحجرة والغوص فى أعماق المحيطات .. إلخ .  
﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ ﴿ ما قدروا الله حق قدره ؛ إن الله لقوى عزيز ﴾ (٢) .

والعجيب أن الإنسان وقد وصل إلى القمر — وقد يصل إلى المريخ — وقد يكتشف أبعد من ذلك — ولكنه عاجز ، وسيبقى عاجزا عن خلق جناح ذبابة — وهو طلب ضئيل جدا بالنسبة لقدرة الله — سبحانه — فى خلق بلايين الكائنات وصدق الله العظيم ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ ﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ﴾ ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ ... ثم أضاف الله سبحانه وتعالى — ﴿ ما قدروا الله حق قدره ﴾ أى أن قدرة الله — سبحانه وتعالى — تفوق كل الحدود — وكل التصورات التى قد ترد على خواطرهم وأنتم لاتعرفون قدرة الله .. ثم تحدى الله بعد ذلك — فى قرآنه — تحدى باستمرار الحياة .. الماء الذى خلق منه كل شىء وقال ﴿ أفرايتم الماء الذى تشربون ؟ أنتم أنزتموه من المزن أم نحن المنزلون ﴾ وقال ﴿ وينزل الغيث ﴾ أى أن الله سبحانه هو الذى يرسل إليكم الأمطار والماء ليسقى الدنيا كلها .. البشر والطيور والوحوش ... والزرع والضرع وكل شىء حي ... هذا الماء تُعب منه البشرية كلها عبًا تجد الإنسان عاجزا عن أن يصنع نهرا ، عن أن يصنع قطرة من ماء ... مع أن عناصر

(١) قلت على الابتكار من الموجودات لأن كل شىء موجود فى الطبيعة التى خلقها الله ونحن لانبكر ولا نخترع وإنما نكتشف .

(٢) راجع ماقلناه فى أول الكتاب من عدم قدرتهم على تخليص ماياخذها الذباب منهم .

تكوين الماء موجودة في الكون أمام العلماء والمساحات الشاسعة من الصحارى محتاجة إلى قطرة ماء (١) .

ثم تحدى الله سبحانه وتعالى البشرية بأن تهرب من الموت ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ ﴿ قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملايقكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ ﴿ ... قل لو كنتم في يديهم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم .... ﴾ . أى أن الله عز وجل - يتحدى - مهما وصلتم من العلم فلن تستطيعوا أن تنجوا من الموت .

إنكم تقولون في العلم الأرضي ، إن الموت يحدث بسبب جرائم كذا « وفيروس » كذا وأمراض كذا ... إلخ ... حسنا - شيدوا برجاً وضعوا فيه إنساناً ، وأبعدوا عنه كل المخاطر من العدوى - التى فى رأيكم وفى نظركم وفى علمكم تسبب الموت .. فلا هو يحارب ولا يمشی فى أى مكان يصاب فيه بجراثى ، ولا يستنشق هواء ملوثاً ويأكل من طعام مطهرو على أحدث الوسائل الصحية ، ويشرب من ماء بعيد عن التلوث ( ماء صالحة - مثلاً - أو صفاً أو .. أو ... إلخ ) والجو الذى يعيش فيه منقى إلى أبعد درجات العلم -- كما تفعلون مع رواد الفضاء ... وهنا نكون قد أبعدنا عن ذلك الإنسان كل مسببات الموت التى نعرفها ... ومع ذلك هل يمكن أن يكتب لإنسان مثل هذا خلود ؟ - رغم أننا منعنا عنه كل أسباب الموت الظاهرية ؟. الجواب ... طبعاً مستحيل .. مستحيل ... مستحيل ...؛ لأن الله هو الذى يحيى والأسباب لا تفعل بنفسها ولكنها تفعل بإرادة الحكيم الخبير القدير !!! ثم تحدى العالم كله - فى القرآن - بخمس مغيبات (٢) ﴿ إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الأرحام ... وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت .. إن الله عليم خبير ﴾ .... تحدى الله بهذه الغيبات تحدى البشرية جمعاء ... ﴿ يسألونك عن الساعة أيا نمرساها فىم أنت من

(١) اقرأ بامعان وتفكر وتدبر - من سورة الواقعة ﴿ نحن خلقناكم فلولا تصدقون ؟ أفأرأيتم ما تقولون ﴾ إلى آخر السورة .

(٢) وهى مفاتيح الغيب .

ذكرها . إلى ربك منتهاها .. إنما أنت منذر من يخشاها كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها .. ﴿ ﴾ .... إنما علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ﴿ ﴾ وينزل الغيث ﴿ ﴾ علمتم تركيب الماء (أوكسجين + هيدروجين) بنسب معينة تعلمونها جيدا معمليا — فهلا أوجدتم قطرة ماء من العدم ؟ تصنعون أمطارا صناعية .. أجل .. لكن هل تقدرؤن على خلق ذلك ابتداء ؟ ... كلا إلى الأبد ..... ﴿ ﴾ ويعلم ما فى الأرحام ﴿ ﴾ أشعة « إكس » علمكم الله إياها وتعرفون ما فى البطن من أجنة ولكن هل تعرفون نوع الجنين ؟ ولو عرفتم فهل تعرفون لونه وأجله ووزقه ؟ وشقى هو أم سعيد ؟ هل تعرفون مدلول كلمة ( ما ) ؟ ( ما فى الأرحام ) عدد شعرات رأسه ... ورموش عينيه .. وطوله وعرضه وهل سيموت فى بطن أمه ؟ أو سيعيش ؟ .. وغبى هو أم ذكى ؟ .. غنى أم فقير ؟ هل سيتزوج أم لا ؟ .. هل سيكون مجنونا أم عاقلا ؟ .. هل ينبج أم لا .. ؟ هل ... هل ... هل .. إلى آخر ماتحت كلمة ( ما ) من مدلولات .. كلا ... كلا ... ثم كلا ... إلى الأبد .... سبحانه ... سبحانه ... سبحانه .. ﴿ ﴾ عالم الغيب والشهادة .. فلا يظهر على غيبه أحدا ... إلا من ارتضى من رسول ﴿ ﴾ .. إلى آخر سورة الجن .

﴿ ﴾ هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم .. فلا تزكوا أنفسكم .. هو أعلم بمن اتقى .. ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ﴿ ﴾ هل ستريح أم ستسخر .. ؟ هل ستنجح ؟ هل سترسب ؟ هل ستزوج ؟ هل ... هل ... هل .. كلا .. أبدية كلا ... مطلقا .. ﴿ ﴾ وما تدرى نفس بأى أرض تموت ﴿ ﴾ فى البر ؟ فى البحر ؟ فى الجو ؟ فى السعودية ؟ فى مصر ؟ فى أمريكا ؟ فى ... فى ... ؟ كلا ... كلا ... مطلقا ... ﴿ ﴾ إن الله عليم خبير ﴿ ﴾ فكأن القرآن تحدى العرب فى اللغة وعندما نزل — حمل — تحديات للعالم أجمع وقال لهم إنكم لن تصلوا إلى كذا وكذا .. إلخ .. مئات التحديات ساقها القرآن للبشرية جمعاء للبشرية — ككل — على مر العصور إلى يوم القيامة !!!

القرآن وحقائق الكون :

وبعد أن تحدى القرآن البشرية جميعا قال ﴿ ﴾ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى

أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ﴿ .  
لم يقل سنريهم آياتنا فى الأرض — ولا فى الأفق بل قال فى الآفاق أى أن  
الله — سبحانه — سىكشف لعباده بعضاً من آياته ليتبين لهم أن هذا القرآن هو  
الحق . وكيف يتبين لهم أنه الحق ؟

ذلك أن حقائق الكون التى سىصلون إليها بعد مئات السنين أو آلاف  
السنين — بنشاطات الذهن (١) — سىجدون القرآن قد أشار إليها إشارات غيبية  
لحقائق علمية — لأن القرآن كتاب علوم . أقول إشارات غيبية لحقائق علمية ،  
لا كما ورد فى شطحات مصطفى محمود (٢) وحيثئذ يتبين أن هذا القرآن هو  
الحق ؛ لأن الذى قال هو الله ، والذى خلق هو الله ومن هنا جاء فى القرآن أن  
الأرض كروية ، وأنها تدور ، وجاء فيه كيفية خلق الإنسان وكيف تعلم  
الكلام (٣) ، وجاء أن هناك ما هو أصغر من الذرة وجاء فيه وصف دقيق  
لما يحدث للجنين — وهو فى بطن أمه — وجاء فيه أن الليل والنهار يوجدان على  
الأرض معا .. وحقائق أخرى كثيرة لا يتسع المجال للحديث عنها (٤) على أننا وقبل  
أن نمضى فى هذا الموضوع إلى نهايته يجب أن نحدد معنى العلم .. العلم لا بد أن  
يمر بمرحلتين :

مرحلة التصور (٥) ثم مرحلة التصديق — ومعنى التصور ، أننا قبل أن نتكلم  
عن أى قضية — إثباتاً أو نفيّاً لا بد أن نكون قد تصورنا الألفاظ التى سنكون منها  
حديثنا .. أعنى كلمة سماء — مثلاً — ماذا تعنى ؟ وكلمة الأرض  
مامعناها ؟ ... وما معنى كلمة زرقاء .. إلخ .. هذا هو مانسميه بالتصور . وليس  
فى هذا نسبة .. فإذا جاءت النسبة .. وهى أن نحكم على شىء بشىء يجب أن  
تكون مسبوقه بعلم التصور .. ننتقل بعد ذلك .. — بإيجاز شديد — إلى مرحلة  
التصديق .. فأنت حين تحدثنى عن حقيقة علمية .. أسألك : أهل هى واقعة ؟

(١) الذى كرم الله به الإنسان .

(٢) أقرأ لعبد المتعال الجبرى : شطحات مصطفى محمود فى تفسيراته العصرية للقرآن الكريم « دار  
الاعتصام » والقرآن فى تفسير عصرى لبنت الشاطيء .

(٣) راجع ماقلناه سلفاً فى هذا المضمار لإثبات أن الدين ضرورة لغوية .

(٤) راجع الكتب التى ذكرتها لك — كمراجع — فى هذا المجال فى أول الكتاب .

(٥) من محاضرات فضيلة أستاذى الشيخ محمد متولى الشعراوى — بتصرف .

فإذا قلت نعم .. أسألك .. أنت جازم فيها ؟ فإذا قلت نعم .. أسألك .. هل تستطيع التدليل عليها ..؟ فإذا قلت نعم .. فهذا هو العلم فليفهم ..

فالعلم نسبة واقعة مجزوم بها .. وعليها دليل ولكن نفترض أنني جازم بالنسبة — وهي ليست واقعة — ... فهذا هو الجهل بعينه .. نسبة مجزوم بها وهي غير واقعة ؟ — وآفة الدنيا كلها الجهل .. فالذى يعرف نسبة أو حقيقة علمية يمكن أن يتعلمها .. ولكن المصيبة في ذلك الذى يجزم أو يصدق في قضية كاذبة .. ثم يقيم الدنيا ويقعدها محاولاً أن يدلل على شيء غير حقيقى .. وهذا ماتعانى منه البشرية .. فإذا تحدثنا عن القرآن والعلم .. فإن العلم هنا هو المراد به علم البشر .. الذى يوجد في زوايا الكون المتعددة ﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ﴾ ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ — ونحن أحيانا ندعى حقيقة علمية وهي ليست حقيقة علمية أو ندعى حقيقة قرآنية وهي ليست حقيقة قرآنية .

الأولى ادعاء حقيقة علمية ... وهي مجرد نظرية وتخمين .. أمر سهل معروف فهناك عشرات من النظريات العلمية ثبت خطأها بعد فترة من الزمن وكانت تمثل مجرد ظن وتخمين .. ولكن ادعاءنا حقيقة قرآنية وهي ليست حقيقة قرآنية ... ماهو ؟ مثلاً — يأتي إنسان ويقول : الأرض مبسطة .. ويستدل على ذلك بأن الله قال ﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي ﴾ أى بسطناها ؛ لأن المد هو البسط .. ولقد فهم خطأ أن هذه حقيقة قرآنية حتى إنه بعد أن خرج الإنسان خارج الغلاف الجوى للأرض ورآها كروية .. فإن هذا الإنسان يرفض تصديق العلم ويقول لا : الأرض مبسطة .. هكذا قال القرآن — وكل ما عدا ذلك كفر — تقول له : إنك أخطأت في فهم الحقيقة القرآنية : وإن الدليل الذى أتيت به لا يخدم ماتدعيه — بل هو ضد ماتدعيه — فالأرض إن كانت مبسطة لا تخرج عن أشياء فهي إما مربعة .. وإما مثلثة ، وإما مستطيلة — وإما متوازية — وإما شبه منحرف ، أو متوازي الأضلاع .. وباختصار أترك لك أن تتصور أى وضع للأرض غير وضع الكرة ، أو شكل الكرة ﴿ والأرض مددناها ﴾ وهي كرة .

إذن مادامت الأرض مسطحة .. فلا بد أن يكون لها حيز .. فإذا جمعت في



آخر السطح لابد أن تصل إلى حافة ... ولكن الله — سبحانه وتعالى — يقول — ﴿ والأرض مددناها ﴾ ومعنى المد أنك أينما ذهبت فوق سطح الكرة الأرضية رأيتها ممدودة أمامك فإذا ذهبت إلى القطب الشمالي رأيت أن الأرض منبسطة وإذا أسرعرت إلى القطب الجنوبي رأيت الأرض منبسطة وإذا ذهبت إلى خط الاستواء وجدت أن الأرض أمامك منبسطة . في أى مكان تذهب إليه من الأرض تراها منبسطة وهذا لا يحدث إلا إذا كانت الأرض كروية .. إذن فقول الله — سبحانه وتعالى — ﴿ والأرض مددناها ﴾ دليل على كروية الأرض ولكن إنسانا أخطأ وفسر ذلك اللفظ على أنه دليل على أن الأرض منبسطة وخرج من ذلك بأن هذه حقيقة قرآنية ... وهي ليست حقيقة قرآنية فإذا ثبت أن الأرض كروية بدا تعارض وهي بين حقيقة كونية وحقيقة قرآنية .

وهنا يبرز دور الجهل في محاولة النيل من كتاب الله ... ولو تعمق ذوو العقول قليلا لعرفوا كروية الأرض .. ودوران الأرض .. مشاراً إليهما في كتاب الله — كما قلنا — بإشارات غيبية لحقائق علمية .. وهذا ماسنعود عليه في موضع آخر قريب — إن شاء الله

كذلك مثلا قول الحق — تبارك وتعالى — ﴿ ويعلم ما فى الأرحام ﴾ يأتي إنسان ليقول : معنى ﴿ ويعلم ما فى الأرحام ﴾ ، أن الله يعلم هل الطفل الذى فى بطن أمه ذكر أو أنثى .. فإذا كان فى نشاط العلم أنهم يستطيعون — بطريقة ما — أن يعرفوا — قبل ولادة المولود بفترة — إذا كان ذكراً أو أنثى .. يقول بعض المتحدلقين إن ﴿ ويعلم ما فى الأرحام ﴾ قد خرجت عن المغيبات الخمس التى اختص المولى — سبحانه — بها علمه يتحدى بها البشر أجمعين ... ويبدأ هنا الجدل .. ولكن السؤال الذى يجب أن يوجه إلى قائل مثل هذا الكلام هو : من الذى أخبرك أن معرفة نوع الجنين : إذا كان ذكراً أو أنثى هو معنى الآية الكريمة ﴿ ويعلم ما فى الأرحام ﴾ من الذى حصر كلمة ( ما ) فى ذكر أو أنثى وهي مطلقة على العموم إنك ادعيت أن «ما» هي ذكر أو أنثى .. وقلت إنها حقيقة قرآنية . ولكن مدلول ( ما ) أكثر من ذلك بكثير ... ذكر أو أنثى حقيقة ، وطويل هو أم قصير حقيقة أخرى ، وأسمر أو أبيض أو أشقر حقيقة ثالثة ، وأستطيع أن أمضى معك إلى مئات بل ألوف الحقائق التى عبر المولى — جل

وعلا — عنها بكلمة ( ما ) في الآية الكريمة — كما قدمت منذ قليل فارجع إليه — إن شئت . (١)

ثم إن الذى يحاول العلم أن يصل إليه بالتحليل مازال فى دور التخمين ولم يصل إلى تعيين بعد ، فبالنسبة للبنات والولد ٥٠ ٪ نسبة معطاة — أى أنك رأيت امرأة حاملا وقلت هذه ستلد بنتا ، فإن قولك صادق بنسبة ٥٠ ٪ فجاء العلم ليضيف على هذه ال ٥٠ ٪ .. ولكن ليقول لنا العلم ماهى أوصاف الجنين .. أو أى شىء منه ليس فيه نسبة معطاة سابقا .. ؟

على أنى هنا أحب أن نقف قليلا حول الضجة التى تثيرها بعض النظريات العلمية .. من إجراء تجارب مأسموه إنتاج أطفال الأنابيب المختبرية .. وبدأ الحديث عن الأطفال الذين سيولدون فى أنابيب الاختبار .. إلخ هذا الكلام ثم انتهت إلى لاشىء ... بل إلى فشل ذريع ... وكذلك الحديث عن خلق المادة الحية .. وما إلى ذلك ، ولقد تحدى القرآن الإنسان أن يخلق ذبابة ، وأعطى الله العلم للإنسان ليصل إلى القمر ولكنه لم يعطه العلم ليخلق جناح ذبابة .. ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ . ثم إن طفل الأنابيب مصنوع من حيوان منوي من ذكر مع بويضة من امرأة .

### التصادم بين العلم والقرآن :

إذن فالتصادم يحدث بين حقائق الكون والقرآن — إذا كان هناك تصادم — يوجد التصادم عندما تدعى حقيقة علمية فى الكون — وهى ليست حقيقة علمية — أو ندعى حقيقة قرآنية — وهى ليست حقيقة قرآنية .

ولكن القرآن لا يمكن أن يصطدم أبداً بحقيقة علمية ثبتت بالتجربة ، لأن قائل القرآن هو الله وخالق العلم والعلماء .. هو الله — سبحانه وتعالى — وخالق الكون هو الله —

إذا انتهينا إلى ذلك يكون علينا أن نوضح نقطة صغيرة قبل أن نمضى فى حديثنا . ان الذين يقولون : إن القرآن لم يأت ككتاب علم صادقون .. ذلك أنه كتاب أنزل ليعلمنا الأحكام ، ولم يأت ليعلمنا الجغرافيا أو الكيمياء أو الطبيعة

(١) راجع ما قلنا سلفاً ص ١٩٦

وفي الوقت ذاته حين نقول أن القرآن ذكر في معجزاته ما لم يصل العلم إلى كثير منه حتى الآن فهذا صحيح أيضا . بمعنى أن هذه المعجزات هي ما تنتهي إليه حقائق الكون .. فالقرآن وإن لم يأت ليعلمنا الطب - مثلا - إلا أنه يأتي فيمس قضية طبية يجزئى بدقائقها ولا يصل إليها الطب إلا بعد مئات السنين أو ألوف السنين كقول الحق - تبارك وتعالى ﴿... وإن يسلمهم الذباب شيئا لا يستقذوه منه ...﴾ فلم يكتشفوا أن الذباب هو المخلوق الوحيد الذى يتحلل الطعام فى فمه إلا قريبا جدا منذ سنوات فقط ... يجزئنا فى الجغرافيا - مثلا - ويمس قضية هامة لا نعرفها إلا بعد ألوف السنين كأن يقول المولى - عز وجل - ﴿ ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا ﴾ ؟ فلم نكتشف أن الجبال كالأوتاد فعلا ، - إذ الجزء الذى فى باطن الأرض أطول بكثير من الجزء الذى فوق سطح الأرض - إلا فى العصر الحديث ومنذ سنوات قلائل فقط - مع علمنا السابق بأن الوتد يكون جزؤه الذى فى باطن الأرض أطول من الذى على سطحها وإلا لما أمسك الخيمة واقتعلتها الرياح .. وكذلك فى كل علوم الدنيا - مما يضيق المقام عن سرده - أى أن ما ينتهى إليه من الحقائق ، قضايا الكون الأساسية - الحقائق التى خلق على أساسها الكون يمسه القرآن على أنها حقائق علمية - سواء وصلت إليها أنت بالعلم أم لم تصل ...

ولنبداً باستعراض بعض الحقائق :

الحقيقة الأولى .. كروية الأرض - مثلا - وأعتقد أنه فى عهد النبى ﷺ - لم يكن أحد من البشر يعرف شيئا عن كروية الأرض .. أو لم يكن ذلك قد وصل إلى علم أحد وهنا يأتي القرآن ويقول : ﴿ والأرض مددناها .. ﴾ ويلاحظ دقة القرآن فى ألفاظه حيث اختار اللفظ الوحيد المناسب للعصر الذى نزل فيه والعصور القادمة ..

فكلمة مددناها تعطى المعنى للاثنتين معا .. عندما يقول ﴿ والأرض مددناها .. ﴾ أى بسطناها ... لا تنشأ مشكلة لأن الأرض تظهر أمام الناس منبسطة فى ذلك الوقت .. فإذا مر الزمن وثبت أن الأرض كروية ... نجد هذا اللفظ هو المناسب تماما وهو الذى يصف لنا بدقة كروية الأرض . ثم نتأمل قول الله تعالى ﴿ يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ﴾ ... لماذا

استخدم الله - كلمة يكور ، في تعبيره ؟ وكلام القرآن الصادر من الله دقيق في تعبيره دقة متناهية - لماذا استخدم الله - سبحانه - لفظ يكور ولم يقل يبسط الليل والنهار - ما دامت الأرض منبسطة - أو يغير الليل والنهار أو أى لفظ آخر .. إنك لو جئت بشيء ولففته حول كرة فتقول إنك كورت هذا القماش - مثلا - أى جعلته يأخذ شكل الكرة الملفوف حولها .. وإذا أردت من إنسان أن يصنع لك شيئا على شكل كرة فتقول له خذ هذا ثم كوره .. أى تصنعه على شكل كرة ... فمعنى قول الله - سبحانه - ﴿ يكور الليل على النهار ﴾ أى يجعلهما يحيطان بالكرة الأرضية .

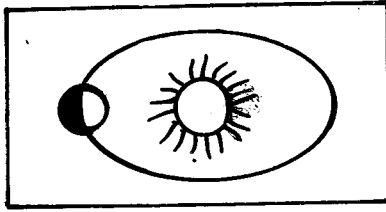
ومن إعجاز القرآن أن الليل والنهار مكوران حول الكرة الأرضية في كل وقت أى أن الله لم يقل يكور الليل ثم يكور النهار . ولكنه قال ﴿ يكور الليل على النهار ﴾ واستخدام كلمة ( على ) تستحق وقفة ، لتصور مدى انطباق . ( يكور ) على كروية الأرض وأنت تقرأ أو تسمع ( يكور الليل على النهار ) ومعناه أنهما موجودان في نفس الوقت حول الكرة الأرضية ... وهذا ما أنبأ به القرآن منذ أربعة عشر قرنا .. ولم يصل إلى علم البشر إلا في الفترة الأخيرة .. وقضية كروية الأرض هذه مسها القرآن في أكثر من موضع ... لماذا ؟ لأنها حقيقة كونية كبرى ...

ثم نتأمل - بعد ذلك قول الله عز وجل - ﴿ ولا الليل سابق النهار ﴾ ومن هنا فإنه يرد على قولهم بأن النهار يسبق الليل قائلا : لا .. لا النهار يسبق الليل ولا الليل سابق النهار - ﴿ .. وكل في فلك يسبحون ﴾ .. وهذا إعلان لهم بأن الأرض كروية وأن الليل والنهار موجودان في وقت واحد على سطحها .. فلو أن الأرض مبسوطة فإن الأمر لا يخرج عن حالتين ...

الحالة الأولى : أن الله قد خلق الشمس مواجهة للأرض المسطحة .. وفي هذه الحالة يكون النهار موجودا أولا .. ثم يغيب الله الشمس ، فيأتى الليل ثانيا .. أو أنه خلق الشمس غير مواجهة لسطح الأرض .. وفي هذه الحالة يكون الليل موجودا أولا ثم تطلع الشمس على السطح فيأتى النهار .. ولا يخرج الأمر على هذين الشئيين .. فعندما يقول الحق - تبارك وتعالى - ﴿ ولا الليل سابق

النهار ﴿﴾ أى أنه ينفى كلية أن النهار يسبق الليل .. أو أن الليل يسبق النهار ، حيث إنهما لا يسبق أحدهما الآخر .. منذ متى ؟ ..... منذ خلق الله الأرض ، ولا يتأتى هذا في عالم الأحجام أبداً إلا إذا كانت الأرض مكورة .. فحين خلق الله الشمس والأرض وجد الليل والنهار معا فنصف الأرض المواجه للشمس نهار ، والنصف الآخر صار ليلاً ثم دارت الأرض فأصبح الليل نهاراً والنهار ليلاً وهكذا .

إذن فالآية الكريمة ﴿﴾ ولا الليل سابق النهار ﴿﴾ تعطينا حقيقة قرآنية وهي أن الأرض مخلوقة على هذه الصورة الكروية ، والعلم يعطينا حقيقة علمية أن الأرض كروية .



كروية الأرض تجعل خلق النهار في النصف المواجه للشمس وخلق الليل في النصف البعيد عن الشمس متزامنين .. أما دوران الأرض حول محورها فيكور الليل والنهار ، ويكور النهار على الليل .. ﴿﴾ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴿﴾ .

### \* دوران الأرض في القرآن :

نأتى - بعد ذلك - إلى قضية أخرى .. وهي دوران الأرض .. هل يستطيع أحد أن يحكم على مكان - هو جالس فيه - والمكان يتحرك - بما فيه هو ؟ إنك لا تستطيع أن تدرك أنه متحرك .. لماذا ؟ لأنك لا تعرف حركة المتحرك إلا إذا قسته مع شيء ثابت ، ولا شيء ثابت ، لأن الأرض كلها تدور والمواقع فوق سطحها ثابتة .. لأننا عندما نجلس - مثلاً - في حجرة مغلقة تماماً - وهي تدور بنا جميعاً - وموقعنا عليها ثابت لا يتغير ، إلا إذا فتحنا نافذة - مثلاً - ونقيس حركة الحجرة على شيء آخر ثابت - كعمود مثلاً - أو شجرة ومن ثم لا نستطيع أن نعرف حركة المتحرك إلا إذا قسناه إلى شيء ثابت .. ومن يستطيع أن يقيس الأرض كلها إلى شيء ثابت ليعرف حركتها ؟ ..

لا أحد يستطيع ما دام لا يدرك الحركة ..

يأتى القرآن الكريم ليقول : ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ﴾ تحسبها .. معناه كان ذلك حسابنا وليس حقيقة ، لأن هذه الجبال التى تراها أمامك جامدة ثابتة لا تتحرك هى ليست كذلك .. فإن الله يريد أن يقول لنا : إن هذه الجبال الراسخة أوتاد الأرض التى تبدو أمامك جامدة ثابتة صلبة لا تستطيع أن تفتتها أنت ولا أن تزيلها .. هذه الجبال الرهيبة تمر أمامك مر السحاب - وأنت لا تدرى ثم إنك عندما تشاهد الجبال وتقول وأنت تسمع أيضا هذه الآية كيف تمر هذه الجبال مر السحاب ؟ وهى ثابتة أمامى لا تتحرك ؟ يقول الحق تبارك وتعالى - لا تتعجب ﴿ صنع الله الذى أتقن كل شئ إنه خبير بما تفعلون ﴾ .. فإن قيل هذا فى الآخرة .. نقول : إن الأرض لن تكون نفس الأرض وإن الجبال ستمور ، مصداقا لقول الحق - تبارك وتعالى - ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ، وبرزوا لله الواحد القهار .. ﴾ ﴿ يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا ﴾ .

ثم هل يكون فى الآخرة حسابان ؟ أبدا .. الآخرة ترى فيها الحقائق ترى فيها كل شئ عين اليقين ، وتعرف كل شئ على حقيقته .. الجنة والنار والثواب والعقاب وكل شئ !!!

إذن فقول العزيز الحكيم ﴿ .. تحسبها جامدة ﴾ معناه : أنك وأنت أمام هذه الجبال واهم - لأنك تظن أنها جامدة - وهى تمر مر السحاب - ثم يكون بعد ذلك استخدام الله - سبحانه وتعالى - كلمة « مر السحاب » كما قلت : إن اختيار الألفاظ فى القرآن دقيق .. دقيق جدا - إلى حد الإعجاز .. « مر السحاب » لماذا لم يقل الحق - تبارك وتعالى - مثلا - مر الرياح ؟ أو مر العواصف ؟ أو مر الأمواج ؟ أو أى لفظ آخر ؟! لأن السحاب لا يتحرك بنفسه . بل تدفعه قوة ذاتية هى قوة الريح .. فحين يتحرك السحاب من مكان إلى مكان آخر لا ينطلق بذاته ويمضى ، بل تأتى الرياح وتحمله من المكان الذى هو فيه إلى مكان آخر وهكذا ..

فكأن الله - سبحانه - يريد أن يقول لنا : انتبهوا .. فإن حركة الجبال ليست حركة ذاتية كحركة الأرض وليست حركة ذاتية كحركة الرياح فهى لا تتحرك بذاتها أى لا تنتقل من مكانها على سطح الأرض إلى مكان آخر على سطح

الأرض .. لا .. فإن مكانها ثابت ، ولكنها تمر أمامكم مر السحاب .. أى تتحرك بحركة الأرض - تماماً كما تتحرك السحب بالرياح - وإلا فلماذا لم يقل الله عز وجل - وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تسير ؟ أو ، وهي تجرى ؟ أو هي تتحرك ؟ أو وهي تمر من مكان إلى مكان آخر ؟ أبدا .. استبعد كل الألفاظ التى تعطى الجبال ذاتية الحركة .. أى أن الذى يتحرك - ذاتيا - هو الأرض - والجبال تتبع هذه الحركة - وهي تمر أمامك مر السحاب الذى يملك ذاتية الحركة .

هل رأيت دقة التعبير المعجز ؟ ودقة التصوير لدوران الأرض فى القرآن !!؟ هل كان من الممكن أن يقول محمد ﷺ هذا الكلام ؟ أو يصل إلى هذا العلم ؟ ألا يعتبر هذا إعجازاً حين يقول العلماء : إن الأرض تدور حول نفسها فنقول : هذه الحقيقة مسها القرآن .. بل وأعطى تصورا وتصويرا مفصلا فيها !!؟ ان كل شئ على الأرض يتبع الأرض فى حركتها الذاتية بما فى ذلك الجبال الشاهقة الضخمة .. ذلك فى الدنيا - طبعاً - لأن فى الآخرة ينسف الله الجبال نسفاً - ولا يكون هنالك حساب .. يكون هناك يقين فكون القرآن يخرق حجاب المستقبل ، ثم بعد ذلك يمس قضايا كونية بما يثبت نشاط الذهن أربعة عشر قرناً فهذا يدل على أن القرآن اخترق حجاب المستقبل للبشرية كلها .. ولكن بعض الناس يجادل فى خلق الإنسان .. وهي محاولة للإضلال وإنكار آيات الله فى الكون .. وهذا أيضاً من إعجاز القرآن وجود هؤلاء المضلين !!

﴿ ها أنتم هؤلاء تدعون لتتفقوا فى سبيل الله فمنكم من ييخل ومن ييخل فإيما ييخل عن نفسه .. والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ .

ولقد أودع الله فى الإنسان كثيراً من الغرائز التى تعتمل فى النفس وتؤثر عليها فى اتجاهات الحياة ، ولكن كان العقل الرشيد يعصم صاحبه من الزلل فإن النزعات النفسية المنحرفة تطغى على سلطان العقل ، ولا يستطيع العقل أن يكبح جماحها فى كل حال (١) .

(١) راجع ما قلناه - سلفاً - فى مراتب الهداية « الفطرة - الحواس الظاهرة والباطنة ، والعقل - وهو أعلاها ، ولكنه يخطئ ويصيب - والوحى السماوى هو الذى يصحح خطأ العقل فهو أعلى المراتب على الإطلاق ، لأنه من عند الذى لا تأخذه سنة ولا نوم .

## \* القرآن والإعجاز التشريعي :

لهذا كان لابد لاستقامة الإنسان من تربية خاصة لغرائزه ، تهذيبها وتنميتها وتقودها إلى الخير والفلاح ..

والإنسان مدني بطبعه - فهو في حاجة إلى غيره ، وكذلك غيره في حاجة إليه ، والعمران البشري يفرض تعاون الإنسان مع أخيه الإنسان كضرورة اجتماعية ، ودوافع الأثرة وحب النفس والسيطرة يدفعان الإنسان إلى ظلم أخيه الإنسان ، لدرجة أن الوحوش الضارية - وبخاصة السبع ملك الوحوش - لا يفترس إلا إذا كان جائعا حتى إذا شبع ترك ما تبقى منه للوحش الصغير وسباع الطير .. أما الإنسان فلا يظلم أخاه المسلم إلا إذا شبع (١) ، أما إذا كان جائعا فلا يستطيع الافتراس وإذا شبع لم يترك الفضلات لأخيه الذي هو أضعف منه ، فما أظلم الإنسان لأخيه الإنسان !!! كما حققنا ذلك سلفا .

فلو تُرك أمر الناس فوضى دون ضوابط تحدد علاقاتهم وتصون حقوقهم وتحفظ حرمتهم لصار أمرهم فوضى ..

ولذا كان لابد لأي مجتمع بشري من نظام يحكم زمامه ويحقق العدل بين أفرادهِ ، وبين تربية الفرد وصلاح الأمة وشائج قوية لا تنفصم عراها ، فإن ذلك يقوم على تلك .. فصلاح الفرد من صلاح الجماعة ، وصلاح الجماعة متوقف على صلاح الفرد ...! وقد عرفت البشرية منذ عصور التاريخ ألوانا شتى من المذاهب والنظريات ، والنظم والتشريعات التي تستهدف سعادة الفرد في مجتمع فاضل ولكن واحداً منها لم يبلغ حد الروعة والإجلال مبلغ القرآن - إن جازت لنا هذه المقارنة - في إعجازه التشريعي .

فإن القرآن يبدأ بتربية الفرد ؛ لأنه لبنة المجتمع ، وقيم تربيته على تحرير وجدانه وتحمله التبعية وعلاقته بنفسه وأهله وأسرته وجيرانه وعلاقته بربه ثم بمجتمعه ، فيحرره - بعقيدة التوحيد - التي تخلصه من سلطان الوهم والخرافات ، وتفكك إيساره من ذل العبودية وشهواته ، ونوازعه ، وغرائزه ؛ حتى يكون عبداً خالصاً لله الخالق المعبود ويستعلي عما سواه ؛ فالحاكمية له ، وهو الذي يحى ويميت ويغنى ويفقر ويرزق ويُشقي ويُسعِد .. ولن يستطيع أحد مهما بلغ من قوته وجبروته أن

(١) « إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » .



ينفعه أو يضره إلا بإذن الله ... فلو تحرر الإنسان من زيف هذه العبودية لغير الله لأصبح لا يخشى في الله لومة لائم فهذه أكمل عقيدة في العقل وأكمل عقيدة في الدين ...

﴿ قل هو الله أحد \* الله الصمد \* لم يلد ولم يولد \* ولم يكن له كفواً أحد \* ﴾

﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ .

﴿ كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴾ .

﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ﴾ .

﴿ وكان الله على كل شيء قديراً ... ﴾ .

﴿ والله بصير بما يعملون ﴾ .

﴿ ألا إنه بكل شيء محيط ﴾ .

﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ .

﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ .

ويؤكد القرآن وحدانية الله بالحجج الدامغة التي تقوم على المنطق العقلي السليم فلا تقبل المراء والجدل ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سيلا ﴾ .

إذا صحت عقيدة المسلم كان عليه أن يأخذ بشرائع القرآن في الفرائض والعبادات وكل عبادة مفروضة يراد بها صلاح الفرد لكنها مع ذلك ذات علاقة بصلاح الجماعة (١) فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والجماعة فيها واجبة - على الرأي الراجح إلا لعذر شرعي ، وهي شرط في الجمعة والعيدن ، والذي يصل منفرداً - ولو في صحراء وحده - لا يغيب عن شعوره آصرة القرني بينه وبين الجماعة الإسلامية في أقطار الأرض (إياك نعبد) لا أعبد - ( وإياك نستعين ) لا أستعين ( اهدنا الصراط المستقيم ) لا اهدني ، وفي التشهد

(١) راجع كتاب : العبادة في الإسلام للدكتور يوسف القرضاوى .

( السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ) لا علمي ولا على أبنائي وأهلي - مثلا - فهو يستقبل مع المسلمين - في مشارق الأرض ومغاربها - قبة واحدة ، ويتجه إلى رب واحد ، وحسبه أن يقف هذا الموقف خمس مرات في اليوم والليلة - عدا النوافل - لتمتدح حياته بشرع الله ومنهجه ويتمثل الوازع الأعلى نصب عينيه ما بين كل صلاة وصلاة ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت ... ﴾ .

والزكاة تقتلع من النفس جذور الشح وعبادة المال وسلطان الدنيا وهي مصلحة للجماعة تحقق التكافل (١) وتوجد الألفة ووحدة الجماعة صفا وهدفا وغاية ووسيلة .

والحج سياحة روحية وترويض للنفس على المشقة والجندية وتفتح البصيرة على أسرار الله في خلقه وهو مؤتمر عالمي للمسلمين للتشاور والتعارف والوحدة .

والصيام ضبط النفس وشحذ لهممها وعزيمتها وتقوية للإرادة وحبس للشهوات ومظهر اجتماعي يعيش فيه المسلمون شهرا كاملا على نظام واحد في طعامهم وشرابهم وصيامهم كما تعيش الأسرة في بيت واحد .

والجهاد صبر وقوة وعزة وحراسة للدعوة وأمان وشهادة ، وجهاد النفس محتاجة إليه كل فريضة مما سبق .

وقد حض القرآن على الفضائل المثلى التي تروض النفس على الوازع الديني وتربية الضمير كالصبر والصدق والحلم والعدل والإحسان والعفو والتواضع والتعاون على البر والتقوى ... إلخ ....

ومن تربية الفرد ينتقل الإسلام إلى بناء الأسرة لأنها نواة المجتمع فشرع القرآن الزواج استجابة لنداء الجنس وإبقاء على النوع الإنساني في تناسل طاهر عفيف نظيف (٢) يقوم على الود والرحمة والسكن النفسى والمعاشرة بالمعروف ومراعاة

(١) راجع : « العدالة الاجتماعية في الإسلام » للشهيد سيد قطب - « ومشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام » « وفقه الزكاة » للدكتور يوسف القرضاوى .

(٢) انظر كتاب : الإسلام وبناء المجتمع - للدكتور أحمد العسال وكتاب نحو مجتمع إسلامي للشهيد سيد قطب .

الفروق الجنسية وخصائص كل من الرجل والمرأة الملائمة لكل منهما وجعل ذلك من آياته .

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ .

﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ .

فقد جعلها الله من آياته .

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ .

ثم يكون نظام الحكم الذى يسود المجتمع المسلم وقد قرر القرآن قواعد الحكومة الإسلامية فى أصلح أوضاعها فهى حكومة الشورى والمساواة ومنع السيطرة الفردية المستبدة أو الحزبية المقتيبة أو الشيوعية البغيضة . ﴿ وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾ ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ ﴿ يأياها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ حتى العلاقة العادلة مع أهل الذمة ﴿ قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ﴾ .

وهى حكومة تقوم على العدل المطلق لا يتأثر بحب الذات أو عاطفة القرابة أو الدين أو العوامل الاجتماعية والفوارق الطبقية .

﴿ يأياها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلوأوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ كما لا تؤثر فى هذا العدل شهوة الانتقام من الأعداء المبعوضين ﴿ يأياها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ .

والتشريع في الحكومة الإسلامية - ليس متروكا للناس فالشريعة هي التي توجد المجتمع الإسلامي لا المجتمع الإسلامي هو الذي يوجد المنهج - كما تفعل القوانين الأرضية ؛ فقد قرره القرآن . والخروج عنه كفر وظلم وفسق .

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ .

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك الظالمون ﴾ .

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ .

﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ .

وقرر القرآن صيانة الكليات الخمس الضرورية للحياة الإنسانية : النفس والدين والعرض والمال والعقل ورتب عليها العقوبات المنصوص عليها في الفقه الإسلامي بالجنايات والحدود (١) .

﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب .. ﴾ .

﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ .

﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ﴾ .

﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ﴾ .

﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا

أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ... ﴾ .

وقد قرر القرآن العلاقات الدولية في الحرب والسلام بين المسلمين وجيرانهم ومعاهدتهم وهي أرفع معاملة عرفتها البشرية في عصور الحضارة الإنسانية إلى يوم القيامة - فلم ولن تبلغ البيان السامق أو تطاوله (٢) .

(١) راجع كتابي : التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالتشريع الوضعي .

« والإسلام وأوضاعنا القانونية » للشهيد عبد القادر عودة .

(٢) راجع قبسات من الرسول لمحمد قطب .

وختلاصة القول : أن القرآن دستور سماوى تشريعى كامل يقيم الحياة الإنسانية على أفضل صورة وأرقى مثال ، وسيظل إعجازه التشريعى قرينا لإعجازه العلمى وإعجازه اللغوى إلى الأبد ، ولا يستطيع أحد أن ينكر أنه أحدث فى العالم أثرا غير وجه التاريخ .. - ولو كره المبطلون - .

### \* تعليق لأبد منه :

ويجدر بى فى هذا المقام ختاماً لحديثى عن القرآن وإعجازه أن أنقل بين يدى القارئ كلمة للعالم الجليل « مصطفى صادق الرافعى » لتقطع على الملحدىن - الشاكىن المشككىن فى القرآن - منهج الله - طريق الغواية وتردهم إلى مراتب الإيمان الخضر ودوحته الفيحاء وظلال القرآن الوارفة وأضواء السنة المطهرة العطرة النواحة الأريج الباهرة الضياء الساحرة السحر الحلال .. يقول العالم الجليل فى كتابه « تحت راية القرآن » \_ ردا على إلحاد « طاحىن » الذى اشتق اسمه « طه حسين » للنملة - فى كتاب هو « كلىة ودمنة » ص ٣٥٧ .

إن فرقا بعيدا بين النظرىن العلمى والعقلى .. فالمذهب العلمى طرق إلى غايات بعىنها قد انتهت إليها هذه الطرق أو طرق أخرى لا تزال ....

أما المذهب العقلى فىبنا هو ىمشى إذ هو يطير ... إذ هو ينساح كما ينساح الضوء فلا ضابط له إلا من جهة كونه كلاما معقولا أو لا معقول ..

إلى أن قال ص ٣٥٨ فالعلم على هذا من وسائل الإيمان التى تؤدى إليه فى الغاية - لا فى الطريقة - بشرط أن يكون العقل سلىما صحىحا ، فزعم « طاحىن » ( أنه لا يلتقى مع الدين وأنه لىس لالتقائهما من سبىل ) .. إنما هو مبنى على ما فى عقله من التناقض وعلى ما فى نفسه من المرض !!!..

إن هناك حقىقتىن تلوان بالدىن علوا كبرىا حتى يفوت العلم أو العقل معا ويخضعهما جمىعا ..

فالأولى : أن العقل لا ىدرى كيف يعقل ولا كيف يفهم ، وما العلم - فى هذا بأعلم منه فععمل هذه الخارقة المجهولة ( - هو الدلىل على وجودها - وهى

بعد معرفة غير معروفة ) .

والثانية : أننا نخضع لنواميس كثيرة متضاربة لا يعرف العقل ولا العلم ما في كنهها وذاتها ولكن ما يقع من أثر من آثارها - توازنا واختلالا - هو الدليل لإثباتها ... وهى - كذلك - معرفة غير معروفة .. فليس مع هاتين الحقيقتين ما يمنع العقل والعلم أن يخضعا للدين ... وما للدين إلا إقرار الإلهية والاستدلال عليها بآثارها - وهى معرفة غير معروفة بالذات - ومتى تناول الدين شعون الناس والحياة وشق طرق الاجتماع والمعاملة - كما عندنا في ديننا الحنيف - فقد توثقت الصلة بينه وبين العلم ووجب التوفيق بينهما فيما يختلفان عليه (١) ... وإلا كان أحدهما لغوا وعيثارا .. أ . ه وطبعاً ثبت بالقطع حقيقة الدين في هذا ؛ فيلغى العلم العايب .. لذلك لم يكن هناك فرق بينهما ، حيث إن العلم الحق يهذى إلى الدين الحق ، والدين الحق يهذى إلى العلم الحق - كما قال العالم الجليل الدكتور الصيدلى عبد المجيد الزندانى .

ويقول رحمه الله (٢) في ص ٣٦١ في نفس الموضوع :

هنا سر من الأسرار العجيبة .. وذلك أنه قد وضح أن النبى - ﷺ - قد قبضَ ولم يفسر من القرآن الكريم إلا قليلاً جداً جداً (٣) وتركه للعصور وعلومها وآلاتها ، .. فلو هو فسر لثبتت ألفاظ القرآن على معنى واحد ، فناقضت العلم ولكن ذلك وجهاً يتطرق منه إلى الطعن في الإعجاز ، وفي الدين نفسه ، إذ لا يسع الرسول - ﷺ - إلا أن يفسر للعرب على قدر أفهامهم وذرائعهم القليلة .. فإذا تقدم العقل وانكشفت الحقائق أصبح ذلك لغوا أفلا يكفى هذا المعنى سبباً لوجوب التأويل - كما هو معنى من أظهر معاني الإعجاز ؟؟؟!!!!

أ . ه رحم الله الرافعى وأمثاله رحمة واسعة وهدى الصالحين إلى الطريق المستقيم .

وخير ما يستعاد - في هذا الزمان وعلى مر العصور - حديث نبى الرحمة الذى ﴿ ما ينطق عن الهوى - إن هو إلا وحى يوحى ﴾ الذى يقول :

(١) راجع كتاب الإيمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوى « باب : بين العلم والإيمان » .

(٢) أى مصطفى صادق الرافعى .

(٣) وهذا لا يتعارض مع ما قررناه سلفاً من أن الرسول الأعظم لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا وقد فسر

القرآن تفسيراً لا يبقى معه غموض « من حيث التشريع وكالدين وتمام النعمة » .

« ستكون فتن كقطع الليل المظلم فسأله على - كرم الله تعالى وجهه - وما المخرج منها يارسول الله ، قال - صلى الله عليه وآله « كتاب الله تبارك وتعالى ؛ فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ما تركه من (١) جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصرط المستقيم وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشعب معه الآراء ، ولا يشعب منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن - إذ سمعته - أن قالوا ﴿ إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشاد ﴾ من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » رواه الترمذى (٢) .

هذا .. والقرآن الكريم - من باب العلم - فليس هذا من عناصر البحث الذى نحن بصدده - (٣) .

١١٤ - سورة .

٦٢٣٦ - آية .

٢٠٠ - آية أحكام .

٠٠٧٠ - آية أحكام مدنية وتجارية وملحقاتها .

٠٠٣٠ - آية أحكام جنائية وعقوبات واجراءات .

٠٠٢٠ - آية فى مجموعة الاجراءات المدنية وملحقاتها .

والباقي قصص وتوحيد وآيات كونه .

(١) وفى رواية « مَنْ » .

(٢) عن كبرى البقنات الكونية د / محمد سعيد رمضان البوطى .

(٣) عن مباحث فى علوم القرآن للشيخ مناع القطان .

﴿..وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ..  
ولكن تصديق الذي بين يديه﴾

وأخيراً - وليس آخراً - وبعد هذه الجولة الحاطفة في مرابع الإعجاز اللانهاى نسجل عجز البشرية عن الإحاطة بكنه القرآن وأسراره .. وإنما هى علامات على الطريق فالقرآن بخصائصه الموضوعية والتعبيرية (١) بهذا الكمال فى تناسقه وبهذا الكمال فى العقيدة التى جاء بها ، وفى النظام الإنسانى الذى يتضمن قواعده وبهذا الكمال فى تصوير حقيقة الألوهية ، وفى تصوير طبيعة البشر وطبيعة الكون وطبيعة الحياة ... لا يمكن أن يكون مفترى من دون الله ؛ لأن قدرة واحدة هى التى تملك الإتيان به : هى قدرة الله ... القدرة المحيطة بالأوائل والأواخر بالظواهر وبالباطن وتضع المنهج المبرأ من القصور والنقص ، ومن آثار الجهل والعجز ....  
﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ...﴾ .

ما كان من شأنه أصلاً أن يفترى ، فليس الافتراء هو المنفى ولكن جواز وجوده هو المنفى وهو أبلغ فى المنفى وأبعد ....

(ولكن تصديق الذى بين يديه) من الكتب السابقة تصديقها فى أصل العقيدة وفى الدعوة إلى الخير ( وتفصيل الكتاب ) الواحد الذى جاء به الرسل جميعاً من عند الله . تتفق أصوله وتختلف تفصيلاته .. وهذا القرآن يفصل كتاب الله ويبين وسائل الخير الذى جاء به ووسائل تحقيقه وصيانه .. فالعقيدة فى الله واحدة ، والدعوة إلى الخير واحدة ، ولكن صورة هذا الخير فيها تفصيل والتشريع الذى يحققه فيه تفصيل يناسب نمو البشرية وقتها ، وتطورات البشرية بعدها ، بعد أن بلغت سن الرشد فخطبت بالقرآن خطاب الراشدين ولم تخاطب بالخرافق المادية التى لا سبيل فيها للعقل والتفكير .. ولا يغض ذلك من شأن المعجزات المادية وهى أكثر من أن تحصى ولا تقل شأنًا عن معجزات الأنبياء السابقين ﴿ لا ريب فيه من رب العالمين ﴾ تقرير وتوكيد لنفى جواز افتراءه عن طريق إثبات مصدره ﴿ من رب العالمين ﴾ أم يقولون افتراءه .

(١) من « الظلال » للشهيد سيد قطب ج ٣ الشروق ص ١٧٨٤ بتصرف .



بعد هذا النفي والتقرير فهو إذن من صنع محمد ، ومحمد بشر ينطق باللغة التي ينطقون بها ، ولا يملك من حروفها إلا ما يملكون ﴿ ألف لام ميم ﴾ ﴿ ألف لام را ﴾ ﴿ ألف لام ميم صاد ﴾ .. الخ .. فدونهم إذن ومعهم من يستطيعون بجمعهم - فليفتروا كما افترى ( بزعهم ) محمد ، فليفتروا سورة واحدة لا قرآنا كاملا : ﴿ قل فاتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ وقد ثبت هذا التحدى وأثبتنا عجزهم - فيما سبق وما يزال ثابتا وسيظل إلى يوم يعثون ) أ . ه وقد قلنا سلفا إن الذين يدركون بلاغة هذه اللغة ويتذوقون الجمال الفنى والتناسق فيها يدركون أن هذا النسق من القول لا يستطيعه إنسان ، وكذلك الذين يدرسون النظم الاجتماعية والأصول التشريعية ويدرسون النظام القرآنى يدركون أن النظرة فيه إلى تنظيم الجماعة الإنسانية ومقتضيات حياتها - من جميع جوانبها والفرص المدخرة فيه لمواجهة الأطوار والتقلبات فى يسر ومرونة - كل أولئك أكبر من أن يحيط به عقل بشرى واحد ، أو مجموعة العقول فى جيل واحد ، أو فى جميع الأجيال ....

ومثلهم الذين يدرسون النفس البشرية ووسائل الأصول إلى التأثير فيها ونوجيها ثم يدرسون وسائل القرآن وأساليبه .

فليس هو إعجاز اللفظ والتعبير وأسلوب الأداء وحده - كما قررنا سلفا ووضحناه - بالأدلة النقلية والعقلية وواقع الحياة - ولكنه الإعجاز المطلق الذى يلمسه الخبراء فى هذا وفى النظم والتشريعات والنفسيات .. وما إليها .

ومع تقدير العجز - سلفا - عن بيان حقيقة هذا الاعجاز ومداه والعجز عن تصويره بالأسلوب البشرى ومع تقدير أن الحديث المفصل عن هذا الاعجاز فى حدود الطاقة البشرية هو موضوعات كتب مستقلة - قديما وحديثا - ذكرنا بعضها - كإعجاز القرآن ، وظلال القرآن وأضواء البيان . وتحت راية القرآن وغيرها كثير فسأحاول هنا أن ألمم إلمامة خاطفة تبلور ما قلته سلفا فى هذا المضمار .. وأحيل القارىء على قراءة الأمهات فى هذا المجال ليزداد إيماننا وحصانة وقوة عارضة .

يقول الشهيد المرحوم في ظلال القرآن (١)

إن الأداء القرآني يمتاز ويتميز عن الأداء البشرى .... إن له سلطانا عجيبا على القلوب ليس للأداء البشرى حتى ليبلغ أحيانا أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفا ...

.... وهناك حوادث عجيبة لا يمكن تفسيرها بغير هذا الذي نقول ... وإن لم تكن هي القاعدة ولكن وقوعها يحتاج إلى تفسير وتعليل ... ولن أذكر نماذج مما وقع لغيري ولكنني أذكر حادثا وقع لي (١) وكان عليه معي شهود ستة ... وذلك منذ حوالي خمسة عشر عاما (٢) كنا ستة نفر من المنتسبين إلى الإسلام على ظهر سفينة مصرية تمخر عباب المحيط الأطلسي بنا إلى نيويورك من بين عشرين ومائة راكب وراكبة أجنب ليس فيهم مسلم ، وخطر لنا أن نقيم صلاة الجمعة على ظهر السفينة والله يعلم ... إنه لم يكن بنا أن نقيم الصلاة ذاتها أكثر مما كان بنا حماسة دينية إزاء مبشر كان يزاول عمله على ظهر السفينة ، وحاول أن يزاول تبشيره معنا وقد يسر لنا قائد السفينة - وكان إنجليزيا - أن نقيم صلاتنا ، وسمح لبحارة السفينة وطهايتها وخدمها - وكلهم نوبيون مسلمون - أن يصلي منهم معنا من لا يكون في « الخدمة » وقت الصلاة - وقد فرحوا بهذا فرحا شديدا - إذ كانت المرة الأولى التي تقام فيها صلاة الجمعة على ظهر سفينة .... وقمت بخطبة الجمعة وإمامة الصلاة والركاب الأجانب معظمهم متخلفون يرقبون صلاتنا .... وبعد الصلاة جاءنا كثير منهم يهثوثنا على نجاح القداس ... لقد كان هذا أقصى ما يفهمونه من صلاتنا ... ولكن سيدة من هذا الحشد - عرفنا فيما بعد أنها يوغسلافية مسيحية هاربة من جحيم ( تيتو ) وشيوعيته - كانت شديدة التأثر والانفعال تفيض عيناها بالدموع ولا تتمالك مشاعرها .... جاءت تشد على أيدينا بحرارة وتقول : في - إنجليزية ضعيفة - إنها لا تملك نفسها من هذا التأثر العميق بصلاتنا هذه ، وما فيها من خشوع ونظام وروح ... وليس

المفتدين

(١) اتى كلام الشهيد .

هذا موضع الشاهد في القصة ، ولكن ذلك كان قولها : أى لغة هذه التى يتحدث بها ( قسيسكم ) ؟؟ فالمسكينة لا تتصور أن يُقيم الصلاة إلا رجل دين - كما هو الحال عندها في مسيحية الكنيسة - وقد صححنا لها هذا الفهم وأجبناها ، فقالت : إن اللغة التى يتحدث بها ذات إيقاع موسيقى عجيب وإن كنت لم أفهم منها حرفا ثم كانت المفاجأة الحقيقية لنا وهى تقول ولكن ليس هذا الموضوع الذى أريد أن أسأل عنه .. إن الموضوع الذى لفت حسي هو أن الإمام كان يردد في أثناء كلامه - بهذه اللغة الموسيقية فقرات من نوع آخر غير بقية كلامه - نوع أكثر موسيقية وأعمق إيقاعا .. هذه الفقرات الخاصة كانت تُحدثُ فيّ رِعدةً وقشعريرة .. إنها شيء آخر ... كما لو كان الإمام مملوعا من الروح القدس .. حسب تعبيرها المستمد من مسيحيتها .

وتفكرنا قليلا ثم أدركنا أنها تعنى الآيات القرآنية التى وردت في أثناء الخطبة وفي أثناء الصلاة وكانت مع ذلك مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة .. من سيدة لا تفهم مما نقول شيئا .. ويسترسل الشهيد فيقول : وليست هذه قاعدة كما قلت - ولكن وقوع هذه الحادثة ووقوع أمثالها مما ذكره لى غير واحد ذو دلالة على أن في هذا القرآن سرا آخر تلتقطه بعض القلوب لمجرد تلاوته ، وقد يكون إيمان هذه السيدة بدينها وفوارها من الجحيم الشيعى في بلادها ، قد أرهف حسها بكلمات الله على هذا النحو العجيب ...

ولكن ما بالنا نعجب وعشرات الألوف ممن يستمعون إلى القرآن من عوامنا لا يفترقون فهم لغة القرآن عن هذه السيدة اليوغسلافية كما نشاهد من المسلمين غير الناطقين بالعربية كالباكستانيين والأتراك والأفغان بل والأمريكان وغيرهم كثير ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ ولقد أردت أن أقدم للحديث عن القرآن بسلطانه هذا الخفي العجيب قبل أن أتحدث عن الجوانب المدركة التى يعرفها - أكثر من غيرهم - ممن يزاولون فن التعبير ومن يزاولون التفكير والشعور .

إن الأداء القرآنى يمتاز بالتعبير عن قضايا ومدلولات ضخمة في حيز يستحيل على البشر أن يُعبِّروا فيه بين المدلول والعبارة والإيقاع والظلال والجو ومع جمال التعبير دقة الدلالة في آن واحد ؛ بحيث لا يغنى لفظ عن لفظ في موضعه وبحيث

لا يجور الجمال على الدقة ، ولا الدقة على الجمال ، ويبلغ من ذلك كله مستوى لا يدرك إعجازه أحد ، كما يدرك ذلك من يزولون فن التعبير وفعلا لأن هؤلاء هم الذين يدركون حدود الطاقة البشرية في هذا المجال ... ومن ثم يتبينون بوضوح أن هذا المستوى فوق الطاقة البشرية قطعاً .

وينشأ عن هذه الظاهرة - ظاهرة أخرى - في الأداء القرآني - هي أن النص الواحد يحوى مدلولات متنوعة متناسقة في النص ... وكل مدلول منها يستوفى حظه من الوضوح والبيان ... دون اضطراب في الأداء أو اختلاط بين المدلولات ... وكل قضية ولها حقيقة تنال الخير الذي يناسبها ، بحيث يستشهد بالنص الواحد في مجالات شتى ... ويبدو في كل مرة أصيلاً في الموضوع الذي استشهد به فيه وكأنما هو مصوغ ابتداء لهذا المجال ولهذا الموضوع ... وهي ظاهرة قرآنية بارزة لا تحتاج منا إلى أكثر من الإشارة إليها ( ولو راجع القارئ المقتطفات الواردة في التعريف بهذه السورة لوجد أن النص الواحد يرد للدلالة على أغراض شتى - وهو في كل مرة أصيل في موضعه تماماً - وليس هذا إلا مثالا - وللأداء القرآني طابع بارز كذلك في القدرة على استحضار المشاهد والتعبير المواجه كما لو كان المشاهد حاضراً بطريقة ليست معهودة على الإطلاق في كلام البشر ، ولا يملك الأداء البشري تقليدها لانه يبدو - في هذه الحالة - مضطرباً غير مستقيم مع أسلوب الكتابة وإلا فكيف يمكن للأداء البشري أن يعبر على طريقة الأداء القرآني مثلاً في مثل هذه المواضع .

﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال : آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ وإلى هنا قصة تحكى ... ثم يعقبها مباشرة خطاب موجه في مشهد حاضر ﴿ الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ؟ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية .... ﴾ ثم يعود الأداء للتعقيب على المشهد الحاضر ﴿ وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون .... ﴾ .

ثم يستطرد الشهيد في سوق هذه الأمثلة الباهرة : التي أفاض فيها في كتابه

( التصوير الفنى فى القرآن ) - ط دار الشروق . إلى أن يقول : وهو أسلوب متميز تماما من الأسلوب البشرى . وإلا فمن شاء أن يمارى فليحاول أن يعبر على هذا النحو ثم ليأت بكلام مفهوم مستقيم . فضلا عن أن يكون له هذا الجمال الرائع ، وهذا الإيقاع المؤثر وهذا التناسق الكامل . !!! هذه بعض جوانب الإعجاز فى الأداء نلم بها سراعا .. ويبقى الإعجاز الموضوعى والطابع الربانى المتميز من الطابع البشرى فيه .

إن هذا القرآن يخاطب الكينونة البشرية بجملتها ، فلا يخاطب ذهنها المجرّد مرة وقلبها الشاعر مرة ، وحسها المتوفز مرة ... ولكنه يخاطبها جملة ويخاطبها من أقصر الطرق ، ويطرق كل أجهزة الاستقبال والتلقى فيها مرة واحدة كلما خاطبها ... وينشئ فيها بهذا الخطاب تصورات وتأثرات وانطباعات لحقائق الوجود كلها ... لا تملك وسيلة أخرى من الوسائل التى زاولها البشر فى تاريخهم الطويل أن تنشئها بهذا العمق ، وبهذا الشمول ، وبهذه الدقة وهذا الوضوح ، وبهذه الطريقة ، وهذا الأسلوب أيضا .

ثم يسترسل الكاتب الشهيد بفقرات مقتبسة من كتابه ( خصائص التصور الإسلامى ومقوماته ) القسم الثانى تعين على توضيح هذه الحقيقة وهى تتحدث عن المنهج القرآنى فى عرض مقومات التصور الإسلامى فى صورتها الجميلة أنقلها هنا بنصها - لترباط فقار الموضوع فى ذهن القارئ ، وحتى لا أقطع عليه سلسلة أفكاره ؛ إذا أنا أحلته عليها ... فيقول - رحمه الله - ونفع بكلماته - فهو رائد على الطريق ... وأبرز خصائص هذا المنهج فى العرض أنه يمتاز عن كل المناهج :

أولا :

بكونه يعرض الحقيقة كما هى فى عالم الواقع فى الأسلوب الذى يكشف كل زواياها وكل جوانبها ، وكل ارتباطاتها وكل مقتضياتها .. وهو مع هذا الشمول لا يعقد هذه الحقيقة ولا يلفها بالضباب ، بل يخاطب بها الكينونة البشرية فى

كل مستوياتها ولم يشأ الله - سبحانه - رحمة منه بالعباد .. أن يجعل مخاطبتهم بمقومات هذا التصور الذى تنشئه عقولهم وقلوبهم هو الذى يحدد لهم طريقة تعاملهم مع الوجود كله ويحدد لهم كذلك طريقة اتجاهاهم لتعلم أى علم ولطلب أية معرفة .. لهذا السبب لم يجعل الله إدراك هذه العقيدة متوقفا على علم سابق ، ولسبب آخر هو أن الله يريد أن يكون هذا التصور الذى تنشئه حقائق العقيدة هو قاعدة علم البشر ومعرفتهم - بما أنه هو قاعدة تصورهم وتفسيرهم للكون من حولهم ، ولما يجرى فيه ولما يجرى فيهم - كى يقوم علمهم وتقوم معرفتهم على أساس من الحق المستيقن الذى ليس هنالك غيره حق مستيقن ؛ ذلك أن كل ما يتلقاه الإنسان وكل ما يصل إليه عن غير هذا المصدر هو معرفة « ظنية » ونتائج « محتملة » لا « قطعية » حتى ذلك العلم التجريبي ؛ فطريق العلم التجريبي هو القياس لا الاستقراء ، والاستقصاء فما يتسنى للبشر الاستقصاء والاستقراء فى أية تجربة - هذا على فرض صحة جميع الملاحظات والاستنتاجات والأحكام البشرية على الظواهر ... إنما قصارى العلم أن يقوم بعدد من التجارب ثم يقيس على نتائجها ، والعلم نفسه يسلم بأن النتائج الناشئة عن هذا القياس ظنية محتملة لا يقينية قطعية ذلك بالإضافة إلى أن كل تجربة على حدة تقوم على ترجيح أحد « الاحتمالات » لا على القطع الحتمى . فلم يبق من علم مستيقن يمكن أن يحصل عليه البشر إلا بالعلم الذى يأتيهم من عند العليم الخبير ، والذى يقصه من يقص الحق وهو خير الفاصلين .

## ثانيا :

بكونه مبرأ من الانقطاع والتمزق المحلوظين فى الدراسات « العلمية » والتأملات الفلسفية والومضات « الفنية » جميعا ، فهو لا يُفرد كل جانب من جوانب « الكل » الجميل المتناسق بحديث مستقل . كما تصنع أساليب الأداء البشرية وإنما هو يعرض هذه الجوانب فى سياق موصول ، يرتبط فيه عالم الشهادة بعالم الغيب وتتصل فيه حقائق الكون والحياة والإنسان بحقيقة الألوهية ، وتتصل فيه

الدنيا بالآخرة ، وحياة الناس في الأرض بحياة الملائة الأعلى ... في أسلوب تتعذر مجاراته أو تقليده ، لأن الأسلوب البشرى عندما يحاول تقليده في هذه الخاصة تبدو فيه الحقائق مختلطة مضطربة غامضة ، غير واضحة ولا محددة ولا منسقة كما تبدو في هذا المنهج القرآنى الكريم .

وهذا الاتصال والارتباط في عرض جملة الحقائق في السياق القرآنى الواحد قد يختلف فيه التركيز على أي منها بين موضع وموضع . ولكن هذا الترابط يبدو دائما ؛ فعندما يكون التركيز في موضع من السياق القرآنى مثلا على تعريف الناس برهم الحق تتجلى هذه الحقيقة الكبرى في آثار القدرة الإلهية الفاعلة في الكون والحياة والإنسان في عالم الغيب وعالم الشهادة سواء ... وعندما يكون التركيز في موضع آخر على التعريف بحقيقة الكون تتجلى العلاقة بين حقيقة الألوهية وحقيقة الكون ويتطرق السياق كثيرا إلى حقيقة الحياة والأحياء وإلى سنن الله في الكون والحياة وعندما يكون التركيز على « حقيقة الإنسان » تتجلى ارتباطها بحقيقة الألوهية بالكون والأحياء ، وعالم الغيب وعالم الشهادة على السواء ... وعندما يكون التركيز على الدار الآخرة تذكر الحياة ، وترتبطان بالله وبسائر الحقائق الأخرى وكذلك عندما يكون التركيز على قضايا الحياة الدنيا ... إلى آخر هذا النسق من العرض الواضح الملائح في القرآن .

### ثالثا :

بكونه مع تماسك جوانب الحقيقة وتناسقها يحافظ على إعطاء كل جانب من جوانبها في الكل المتناسق مساحته التي تساوى وزنه الحقيقي في ميزان الله - وهو الميزان - ومن ثم تبدو حقيقة الألوهية وخصائصها وقضية الألوهية والعبودية بارزة مسيطرة محيطية شاملة حتى ل يبدو أن التعريف بتلك الحقيقة وتجليه هذه القضية هو موضوع القرآن الأساسى .. وتشغل حقيقة عالم الغيب بما فيه القدر والدار الآخرة ، مساحة بارزة ، ثم تنال حقيقة الإنسان وحقيقة الكون وحقيقة الحياة أنصبه متناسقة تناسق هذه الحقائق في عالم الواقع .. وهكذا لا تدعم

حقيقة من الحقائق ولا تهمل ولا تضيع معالمها في المشهد الكلى الذى تعرض فيه الحقائق ، وكما أن هذه الحقائق لا يطنى بعضها على بعض في التصور الإسلامى ذاته - كما بينا في فصل « التوازن في القسم الأول حيث لا ينتهى الإعجاب بالكون المادي ودقة نواميسه وتناسق أجزائه وقوانينه إلى تأله كمؤله العوالم المادية والأكوان الطبيعية قديما وحديثا !!! ولا ينتهى الإعجاب بعظمة الحياة واهتدائها إلى وظائفها وتناسقها مع نفسها ومع المحيط الكونى إلى تأليهها - كأصحاب المذهب الحيوى .. ولا ينتهى الإعجاب بالإنسان وتفردته في خصائصه والاستعدادات الكامنة في كيانه المنطلقة في تعامله مع الكون إلى تأليه الإنسان - أو العقل - في صورة من الصور كالمثاليين في عمومهم .... ولا ينتهى الإجلال للحقيقة الإلهية في ذاتها إلى إنكار وجود العوالم المادية أو احتقارها أو احتقار الكائن الإنسانى - كالمذاهب الهندوكية والبوذية والنصرانية المحرفة - كما أن هذا التوازن هو طابع التصور الإسلامى ذاته فكذلك هو طابع منهج العرض القرآنى ... لمقومات هذا التصور والحقائق التى يقوم عليها بحيث تبدو كلها واضحة في المشهد الفريد الذى يرسمه لكل في السياق القرآنى الواحد .. وهى خاصة لا يملكها الأداء الإنسانى .

#### رابعاً :

بتلك الحيوية الدافقة المؤثرة الموحية مع الدقة والتقرير والتحديد الحاسم وهى تمنح هذه الحقائق حيوية وإيقاعاً وروعة وجمالاً لا يتسامى إليها المنهج البشرى في العرض ولا الأسلوب البشرى في التعبير - ثم هى في الوقت ذاته تعرض في دقة عجيبة ، وتحديد حاسم ، ومع ذلك لا تجور الدقة على الحيوية والجمال ، ولا يجور التحديد على الإيقاع والروعة !!!

ولا يمكن أن نصف نحن في أسلوبنا البشرى ملامح المنهج القرآنى فنبلغ من ذلك ما يبلغه ذوق هذا المنهج - كما أنه لا يمكن أن نبلغ بهذا البحث كله عن « خصائص التصور الإسلامى ومقوماته » شيئاً مما يبلغه القرآن في هذا الشأن ... وما نحاول تقديم هذا البحث للناس إلا لأن الناس قد بعدوا عن القرآن



بعدهم عن الحياة في مثل هذا الجو الذي تنزل فيه القرآن ، ولم يعودوا يزاولون تلك الملابس ، ولا يعانون تلك الاهتمامات التي كان يزاولها ويعانيها من كانوا ينتزل عليهم القرآن . بينما هم ينشئون المجتمع المسلم في وجه كل الملابس القائمة حينذاك ، ومن ثم لم يعد الناس قادرين على تذوق المنهج القرآني ذاته ، والاستمتاع بخصائصه ومذاقاته ( أ . ه ) .

انتهت المقتطفات ... والقرآن يقدم حقائق العقيدة - أحيانا - في مجالات لا يخطر للفكر البشري - عادة - أن يلم بها ، لأنها ليست من طبيعة ما يفكر فيه عادة أو يلتفت إليه على هذا النحو .

من هذا القبيل - على سبيل المثال - لا الحصر - ما جاء في سورة الأنعام في تصوير حقيقة العلم الإلهي ومجالاته ..

﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ .

فهذه المطارح المترامية الخفية والظاهرة ، ليست مما يتوجه الفكر البشري إلى ارتيادها على هذا النحو وهو في معرض تصوير شمول العلم مهما أراد تصوير هذا الشمول . ولو أن فكرا بشريا هو الذي يريد تصوير شمول العلم لاتبه اتجاهات أخرى تناسب اهتمامات الإنسان وطبيعة تصوراته وذلك بالنظر إلى هذه الآية القصيرة من أي جانب فنرى هذا الإعجاز الناطق بمصدر هذا القرآن ننظر إليها من ناحية موضوعها فنجزم للوهلة الأولى بأن هذا كلام لا يقوله بشر ؛ فليس عليه طابع البشر ..!! إن الفكر البشري - حين يتحدث عن مثل هذا الموضوع - موضوع شمول العلم وإحاطته - لا يرتاد هذه الآفاق ... إن مطارح الفكر البشري وانطلاقاته في هذا المجال لها طابع آخر ولها حدود . إنه ينتزع تصوراته التي يعبر عنها من اهتماماته .. فما اهتمام الفكر البشري بتقصي وإحصاء الورق الساقط من الشجر ، في كل أنحاء الأرض ؟

إنها مسألة لا تخطر على بال الفكر البشري ابتداء . لا يخطر على باله أن يتبع ويحصي ذلك الورق الساقط في أنحاء الأرض ... ومن ثم لا يخطر له أن يتجه هذا

الاتجاه ، ولا أن يعبر هذا التعبير عن العلم الشامل !!! إنما الورق الساقط شأن  
يخصيه الخالق ويعبر عنه الخالق !

وما اهتمام الفكر البشري بهذا الإطلاق ؟ ﴿ ولا رطب ولا يابس ﴾ إن  
أقصى ما يتجه إليه تفكير البشر هو الانتفاع بالرطب واليابس مما بين أيديهم ..  
فأما التحدث عنه كدليل للعلم الشامل فهذا ليس معهودا في اتجاه البشر  
وتعبيراتهم كذلك ! إنما كل رطب وكل يابس شأن يخصيه الخالق ويعبر عنه هذا  
الخالق !..!

ولا يفكر البشر أن تكون كل ورقة ساقطة وكل حبة مخبوءة وكل رطب وكل  
يابس في كتاب مبین ، وفي سجل محفوظ ... فما شأنهم بهذا ؟ وما فائدته لهم ؟  
وما احتفالهم بتسجيله ؟ إنما الذى يخصيه ويسجله هو صاحب الملك ، الذى  
لا يند عنه شيء فى ملكه .. الصغير كالكبير ... والحقير كالجليل ، والمخبوء  
كالظاهر والمجهول كالمعلوم ، والبعيد كالقريب !!

إن هذا المشهد الشامل الواسع العميق الرائع .. مشهد الورق الساقط من  
شجر الأرض جميعا ، والحب المخبوء فى أطواء الأرض جميعا ، والرطب اليابس فى  
أرجاء الأرض جميعا ... ان هذا المشهد : كما لا يتجه الفكر البشرى إليه  
ولا الاهتمام البشرى ، وكذلك لا تلاحظه العين البشرية . ولا تلم به النظرة  
البشرية .. إن هذا المشهد إنما يتكشف هكذا بجملته لعلم الله وحده ، المشرف  
على كل شيء المحيط بكل شيء الحافظ لكل شيء الذى تتعلق مشيئته وقدره بكل  
شيء ... الصغير كالكبير والحقير كالجليل ، والمخبوء كالظاهر والمجهول كالمعلوم ،  
والبعيد كالقريب ...

والذين يزاولون الشعور ويزاولون التعبير من بني البشر يدركون جيدا حدود  
التصور البشري وحدود التعبير البشري أيضا ، ويعلمون - من تجربتهم البشرية -  
أن مثل هذا المشهد لا يحظر على القلب البشري .. كما أن مثل هذا التعبير  
لا يتأق له أيضا ... والذين يمارون فى هذا عليهم أن يراجعوا قول البشر كله ،  
ليروا إن كانوا قد اتجهوا مثل هذا الاتجاه أصلا ...!!!!

وهذه الآية وأمثالها فى القرآن الكريم تكفى وحدها لمعرفة مصدر هذا الكتاب  
الكريم ....

إن طريقة القرآن الكريم في مخاطبة البشرية لتدل بذاتها على مصدره ..  
إنه المصدر الذي صور منه الكون كله ، فطريقة بنائه هي طريقة بناء الكون ، فمن  
أبسط المواد الكونية تنشأ أعقد الأشياء والأشكال وأضخم الخلائق .. الذرة يظن أنها  
مادة بناء الكون ، والخلية يظن أنها مادة بناء الحياة .. والذرة على صغرها معجزة في  
ذاتها ، والخلية - على ضآلتها - آية في ذاتها .. وهنا في القرآن يتخذ من أبسط  
المشاهدات المألوفة للبشر مادة لبناء أضخم عقيدة دينية وأوسع تصور كوني ...

والمشاهدات التي تدخل في تجارب كل إنسان : النسل ، الزرع والماء  
والنار والموت .. أى إنسان على ظهر هذه الأرض لم تدخل هذه المشاهدات في  
تجاربه ؟ أى ساكن كهف لم يشهد نشأة حياة جنينية ونشأة حياة نباتية ،  
ومسقط ماء ، وموقد نار ، ولحظة وفاة ، من هذه المشاهدات التي رآها كل  
إنسان ينشأ القرآن العقيدة ، لأنه يخاطب كل إنسان في كل بيعة .. وهذه  
المشاهدات البسيطة الساذجة بذاتها هي أضخم الحقائق الكونية ، وأعظم  
الأسرار الربانية فهي - في بساطتها - تخاطب فطرة كل إنسان - وهي في  
حقيقتها موضوع دراسة أعلم العلماء إلى آخر الزمان ولسنا نملك المضي أبعد  
من هذا في بيان طبيعة هذا القرآن الدالة على مصدره .

ففى هذا القدر كفاية .. وصدق الله العظيم ﴿ وما كان هذا القرآن أن  
يفترى من دون الله ... ﴾ (أ هـ) (١) .

﴿ فذلکم الله ربکم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ﴾ !!؟

وبعد : ... ..

فهذه خلاصة العقيدة كلها ، وإنما الدعوة وتكاليفها ، والحق وما ينبغي  
له من قوة ويقين ، ﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك .. ولا تطغوا ؛ إنه  
بما تعلمون بصير ، ولا تركنوا إلى الذين ظلموا ؛ فتمسكم النار وما لكم  
من دون الله من أولياء ثم لا تتصرون ﴾ .

ومن ثم يكون الاعلان الأخير للناس : ﴿ قل يا أيها الناس قد جاءكم  
الحق من ربكم .. فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل  
عليها ، وما أنا عليكم بوكيل ﴾ ..

(١) انتهى من الظلال للشهيد سيد قطب ج ٣ ط دار الشروق من ص ١٧٨٦ - ١٧٩٤ - بتصرف .

وهذا هو ما يؤيد الإجابة على تساؤلنا السابق .. ولماذا تكون العقيدة هي الإسلام ١٩٩٩ .

فاللهم اجعلنا ممن عليها يحيا ، وفي سبيلها يجاهد ، وعليها يموت ، وعليها يلقي الله !!! واحشرنا في زمرة من يقول : الله غايتنا ، والرسول زعيمنا ، والقرآن دستورنا .. والكعبة المشرفة قبلتنا .. والموت في سبيل الله أسمى أمانينا ...

﴿ وآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ..

فهكذا يروض القرآن الكريم التناقض في نفس الفرد بين حرية الإرادة وجبريتها - كما أسلفنا - فيما يختص بموقف الإنسان من الحياة ؛ فيحفظ التوازن كاملا ، ويجعل الإنسان قوة إيجابية فاعلة في هذه الأرض ، ولا يتركه عنصراً سلبياً في نظامها ؛ فالإنسان مخلوق ابتداء ؛ ليستخلف فيها - وهو مستخلف فيها ليحقق منهج الله في صورته الواقعية !!!<sup>(١)</sup> .



(١) راجع الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة - ترجمة الأستاذ محمد خلف الله أحمد ط النهضة

﴿ .... تنزيل من حكيم حميد ..... ﴾

كذلك ننظر إليها من ناحية الابداع الفنى فى التعبير ذاته ، فترى آفاقا من الجمال والتناسق لا تعرفها أعمال البشر ، على هذا المستوى الساحق : ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾ .

آماد وآفاق وأغوار فى « المجهول » المطلق - فى الزمان والمكان ، وفى الماضى والحاضر والمستقبل وفى أحداث الحياة وتصورات الوجدان .

﴿ ويعلم ما فى البر والبحر ﴾ آماد وآفاق وأغوار فى « المنظور » على استواء وسعة وشمول .. تناسب فى عالم الشهود والمشهود تلك الآماد والآفاق والأغوار ، عالم الغيب المحجوب ..

﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ﴾ .. حركة الموت والفناء ، وحركة السقوط والانحدار من علو إلى أسفل ، ومن حياة إلى اندثار .

﴿ ولا حبة فى ظلمات الأرض ﴾ .. حركة البزوغ والنماء ، المنبثقة من العود إلى السطح ، ومن كمون وسكون إلى اندفاع وانطلاق .

﴿ ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ﴾ التعميم الشامل ، الذى يشمل الحياة والموت ، والازدهار والذبول ، فى كل حي على الاطلاق ..

فمن ذا الذى يبدع ذلك الاتجاه والانطلاق ؟ من ذا الذى يبدع هذا التناسق والجمال ؟ من ذا الذى يبدع ذلك كله - فى مثل هذا النصر القصير ؟  
... من ؟ إلا الله !!؟

﴿ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﴾



# الجزء الثاني

## الباب الثالث

وأنت أيتها الأخت المسلمة...

هذه رسالتك !!!

- مقدمة
- الفصل الأول : المرأة قبل الإسلام .
- الفصل الثاني : المرأة في الإسلام .
- الفصل الثالث : المرأة في العصر الحديث .
- الفصل الرابع : أجل ... لقد آن الآوان .
- الفصل الخامس : المرأة والمجتمع « زوج وأختنا وأما وابنة » .





# تَقَرَّرَتَا

## أقسام النفس الإنسانية

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً .. وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيًّا ... ﴾ ﴿ ... وَنَفْسٌ مِمَّا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ... ﴾ .

﴿ ... إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه ، فجعلناه سميعا بصيرا ، إنا هديناه السبيل ، إما شاكرا وإما كفورا ... ﴾ .

﴿ ... ألم نجعل له عينين ، ولسانا وشفقتين ، وهديناه النجدين ... ﴾ .

﴿ من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ، ومن عمل صالحا - من ذكر أو أنثى - وهو مؤمن - فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ .

من هذا المنطلق السامي للمنهج القرآني السامق : تكون المرأة صنو الرجل في الحياة الدنيا وفي الآخرة - قولا وعملا ، سلوكا ومنهجيا ، تكليفا وتشريفا ، عقيدة وشريعة ، عبادة وجزاء - في حدود ما هياها الله لكل منهما من الفطرة والخلقة - مصداقا للأثر الشريف « إنما النساء شقائق الرجال » - وفي حدود ما رسم الخالق - سبحانه - تبعا للفروق الجنسية التي أرادها الله - عز وجل -

﴿ .... الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، يوما أنفقوا من أموالهم ... ﴾ .

وفي ضوء تعاليم منفذ المنهج - ﷺ - « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .. فالرجل راع ومسئول عن رعيته ، والمرأة في بيتها راعية ومسئولة عن

رعيها .. أو كما قال رسول الله ﷺ كما سنفصله - في حينه - بعد إن شاء الله .

إلا أن النفس الإنسانية أقسام وأنواع (١) . ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ فالنفس الإنسانية - إزاء الحق والباطل وتقبل أيهما والدفاع عنه - حسبما يزيكها صاحبها أو يديسها .. وفق ما هياً الله لهذه النفس من قدرة على اختيار الخير أو الشر - بمشيئة مستقلة - في نطاق مشيئة الله - عز وجل ....

﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ... ﴾ ومنحها القدرة على أن تقول للعدو الألد ( إبليس اللعين ) .. حتى إنه ليقول : ... في تبرئه نفسه ، والتصل من جريمته بإلقاء التبعة على الإنسان نفسه : ﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر : إن الله وعدكم وعد الحق .. ووعدتكم فأخلفتكم .. وما كان لي عليكم من سلطان !!! إلا أن دعوتكم ، فاستجبتم لي ، فلا تلوموني ، ولوموا أنفسكم .. ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي ، إني كفرت بما أشركتمون من قبل .. إن الظالمين لهم عذاب إليم ﴾ !!

﴿ .. كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر .. فلما كفر .. قال : إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ﴾ .

﴿ ومن الناس من يتخذ - من دون الله - أندادا ، يحبونهم كحب الله - والذين آمنوا أشد حبا لله - ولو يرى الذي ظلموا - إذ يرون العذاب - أن القوة لله جميعا ، وأن الله شديد العذاب ... إذ تبرأ الذين اتُّبعوا ، من الذين اتُّبعوا ، ورأوا العذاب ، وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتُّبعوا : لو أن لنا كرة ، فنتبرأ منهم كما تبراء منا !!! ، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار ... ﴾ .

(١) الرجل والمرأة .

لذلك كان من النفس الإنسانية - من ذكر وأنثى وتبعاً لتقبلها للخير أو الشر - فاجرة .. أو تقية ... ﴿ فآلهما فجورها وتقواها ... ﴾ دسية .. أو زكته - ﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ .

أما بالسوء ... ﴿ وما أبرئ نفسي ، إن النفس لأمارة بالسوء ... إلا ما رحم ربي ، إن ربي غفور رحيم ﴾ .

أو لومة .. تلوم صاحبها على الانحراف واقتراف الإثم عائدة به إلى مراعى الإيمان والتوبة ... ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة ... ﴾ وهي المنية إلى ربه المحبته له .. ﴿ إن إبراهيم حليم أواه منيب ... ﴾ .

﴿ .. وليعلم الذين أتوا العلم أنه الحق من ربك ، فيؤمنوا به ، فتخبث له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ﴾ .

أو مطموسة محتوم عليها بغشاوة على بصر صاحبها ... ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾ .  
أو مطمئنة : ﴿ يأتيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي !!! ﴾ .

حتى تصير على نفسين : بيضاء نقية ، لا تضرها فتنة - ما دامت السموات والأرض ، وسوداء كالحة لا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا .. ﴿ قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها .. ﴾ .

والرجل والمرأة - في هذا المضمار سواء ... ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ .

وهن - كما قلنا - شقائق الرجال .. كانت هن - في الإسلام بيعة - كما كان

للرجال بيعة ونزلت سورة باسمهن خالدة في القرآن الكريم حتى أعلنها -  
صريحة مدوية في الآفاق إلى يوم القيامة صادقة مصدقة - بخلود المعجزة  
والمنهج - رسول الإنسانية ومعلم البشرية محمد - ﷺ - في حجة الوداع ..

ويسرنى ويسر كل مسلم .. بل كل إنسان يحترم عقله وإنسانيته - أن أنقلها  
بخذافيرها لأنها وثيقة الحق والعدل وتطبيق شريعة المنهج الإلهي في الأرض ، لتخرس  
دعاة حقوق الإنسان المزيفة ومبادئ المساواة - بين الرجل والمرأة - المخربة  
الدمرة ، لأنها مجانبة للفطرة ومصادمة للغريزة والجليلة .. ﴿ إن في ذلك لذكرى  
لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد !!! ﴾ .

وقف - ﷺ - بعرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها خطب  
الناس فقال : بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله - أيها الناس : « إن دمائكم  
وأموالكم حرام عليكم كحرمه يومكم هذا - في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ..  
إلا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي هاتين موضوع ، ودماء الجاهلية  
موضوعة ، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب  
- ( كان مسترضاعا في بني سعد فقتلته هذيل ) - وربما الجاهلية موضوع وأول  
ربا أضع ربانا : ربا عباس بن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله ... فاتقوا الله في  
النساء فإنكم اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، وإن لكم  
عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه .. فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير  
مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف !!! وإني تركت فيكم ما لن  
تضلوا بعد - إن اعتصمتم به - كتاب الله . وأنتم تُسألون ( وفي لفظ :  
مسئولون ) عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت ( رسالات ربك )  
( أديت ونصحت ) لأمتك وقضيت الذي عليك ) فقال بإصبعه السبابة -  
يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس : « اللهم اشهد .. اللهم اشهد » ( ١ )

(١) انتهت كما جاء في رواية جابر عن عبد الله - رضي الله عنه -

# الفصل الأول

## المرأة في جاهلية القرن العشرين

- تمهيد :
- المرأة في اليونان .
- المرأة عند الرومان .
- المرأة في الصين .
- المرأة عند الأثينيين .
- المرأة الفارسية .
- المرأة في أوروبا المسيحية .
- المرأة في أوروبا الحديثة .
- قصور التصور البشرى .
- المرأة العربية قبل البعثة .



## تمهيد

أختي المسلمة - أما وأختنا وعمة وخالة وزوجة وبنات وأختنا - في الإسلام - في الله والعقيدة ..... وأنت ما مكانك من هذه الرسالة الإنسانية ؟ وما دورك في هذه الدعوة الإسلامية ، هداية البشرية ؟؟

● لقد عرفت في رسالة أخيك المسلم : أبا وزوجا وولدا وأخا - في الله والعقيدة - أنك مخلوقة لله - مثله - وأنت صنوه وفيلته (١) الأولى ، وعرفت أن لكل مخلوق رسالة ، والحياة لا تقوم إلا بك ﴿ ... وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ... ﴾ .

ولا تستقيم بدونك ، ولا يعمر الكون إلا بالجنسين معا . ﴿ وتلك سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ .. « سبحانه ، سبحانه » ﴿ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم (٢) فيها ﴾ .. ﴿ أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأناروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ، وجاءتهم رسلهم بالبينات ؟ فما كان الله ليعظمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ .

والسياق التاريخي يدلنا على أن المرأة في الجاهلية الأولى - قبل البعثة الحمديّة - في مشارق الأرض ومغاربها كانت - ولا تزال - هي حاضنة الرجل ومربيته فإن كانت نساء أمة على الجادة كان رجالها كذلك وإن كانت الأخرى كانت إلى الدرك الأسفل - رغم حضارتها ورفيها ..

الأم مدرسة إذا أعددتها \* أعددت شعبا طيب الأعراق

وكذلك تشير المؤشرات التاريخية إلى أن أمة من الأمم حينما تخرج من ظلمات الجهل والهمجية ، وتتقدم إلى ميدان المدنية والحضارة ، ترافق رجالها نساؤهم كالخدم والإماء ولا يعوقها ذلك عن الرقي والتقدم - في حلبة التمدن - أول الأمر ،

(١) الفسيلة : النبتة المنبتقة من الأصل .

(٢) جعلكم تعمرونها .

لما فيها من قوى البداوة الفطرية الفعالة . ولكنها تشعر - بعد أن تقطع مرحلة من مراحل الرقي المدني - انها لا يمكنها التقدم إلى الأمام وشطر كامل من كيائها في انحطاط وتقهقر ، فتشعر بعقبة في سبيل رقيها المدني ، وتحس مسيس الحاجة إلى اعداد هذا الشطر (١) الثاني من بنيتها لمسايرة شطرها الفعال في ركب الحضارة ، والنهوض بأعباء التمدن . ولكنها إذا أرادت أن تتدارك ما فاتها من العناية بتهديب المرأة وتثقيفها ، لا تقف عند حد ، بل تمضي في هذه الجهة تتقدم وتتخطى كل الحدود ، حتى تنجر حرية المرأة إلى انهيار نظام الأسرة - الذى هو أساس التمدن - وينفجر بركان من الفحشاء والفجور ، لاختلاط الرجال والنساء .. وتكاد الخلاعة والاستهتار يأتیان على بنيان الأمة الخلقى من القواعد . ولا جرم أن يتبع هذا التدهور الخلقى الانحطاط والتقهقر في القوى الجسدية والمواهب الفكرية والمادية !!! والأمة إذا وصلت إلى مثل هذا الانحطاط في مناحي الحياة كلها ، فمصيرها إلى الهلاك والدمار والانقراض - لا محالة (٢) .

ومن دواعى الأسف أن المقام لا يتسع لضرب الأمثلة الكافية من مجريات التاريخ .. إلا أنه لابد من عرض بضعة أمثلة - لإيضاح المسألة وشرحها - يقتضيه المقام ويلح بها .

### المرأة في اليونان (٣) :

واليونان هم أرقى الأمم القديمة - حضارة - وأزهرها - تمدنا - في التاريخ ... وهم - في عصرهم البدائى - كانت المرأة - لديهم - في غاية من الانحطاط وسوء الحال - من حيث نظرية الأخلاق والحقوق القانونية والسلوك الاجتماعى جميعا ، إذ لم تكن لها - في مجتمعهم - منزلة أو مقام كريم .. وكانت الأساطير اليونانية قد اتخذت امرأة خيالية تسمى « بانديورا » ينبوع جميع آلام الإنسان ومصائبه ، كما جعلت الأساطير اليهودية - الحمقاء - حواء : العين التى تنشق منها جداول الآلام والشدائد ، وغير خاف على أحد ما كان لهذه الأسطورة

(١) المرأة .

(٢) راجع كتاب مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب .

(٣) راجع كتاب الحجاب للمودودى .



اليهودية الشنعاء عن حواء من تأثير عظيم في سلوك الأمم اليهودية والمسيحية قبل المرأة ، وما كان لها من مفعول قوى في حقوق القانون والأخلاق والاجتماع عند هؤلاء الشعوب !! وكذلك - أو دونه بقليل - كان تأثير الأسطورة اليونانية عن ( بانديورا ) - في عقولهم وأذهانهم - فلم تكن المرأة عندهم إلا خلقا من الدرك الأسفل ، في غاية المهانة والذل في كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية . وأما منازل العز والكرامة فكانت كلها مختصة بالرجل ..

وبقى ذلك السلوك قبل المرأة في أول عهدهم بالنهضة المدنية ثابتا على حاله - ربما تخللته تعديلات قليلة ، فإنه كان من تأثير ذبوع العلم وانتشار أنوار الحضارة أن ارتفعت مكانة المرأة في المجتمع ، وأصبحت أحسن حالا وأرفع منزلة من ذي قبل - وإن بقيت منزلتها القانونية على حالها لم تتبدل - حتى إنه كان يعد زواج المرأة وملازمتها لزوجها - دون غيره - من أمارات النجابة والشرف ولمثيلاتها كانت الحرمة والمنزلة في المجتمع . وبالعكس من ذلك كانوا ينظرون إلى حياة العهر والدعارة نظرة اشمئزاز وازدراء .. كان هذا في إبان مجد اليونان وعنفوان شباب أمتهم ، ثم كانت تنمو صعدا إلى الرقي والكمال - ولا ريب أنهم كانت توجد عندهم مفاصد خلقية في ذلك العصر ، إلا أنها منحصرة في نطاق محدود ..

ثم جعلت الشهوات النفسية تتغلب على أهل اليونان ويجرف بهم تيار الغرائز البهيمية والأهواء الجاحمة ، فنبأت العاهرات والمومسات مكانة عالية في المجتمع لا نظير لها في تاريخ البشرية كله حتى ، كن شموسا في سماء العلم والأدب يدور حول بيوتهم كواكب الفلسفة والأدب والشعر والتاريخ وما عداها من الفنون ..

بل أصبحن قطب الرحى الذي تدور حوله الأمة اليونانية حتى إن المشكلات السياسية ، أيضا كانت تحل عقدها وتفك معضلاتها بحضرتهم وتحت إشرافهم .. حتى تبدلت مقاييس الأخلاق عندهم إثر حبهم للمرأة وتذوقهم المفرط للجمال تماديا في الغي وارتطاما في حمأة الرذائل بل كانوا لا يرون في الزنى وارتكاب الفحشاء أدنى غضاضة يلام عليها المرء - أو المرأة - أو يعاب بل قلما يرون بأسا بأن يعاشر الرجل المرأة ويخادنها علنا من غير عقد ولا نكاح . فكانت النتيجة أن خضعت لأخلاقهم وغرائزهم الشهوانية هذه ديانتهم أيضا .

وانتشرت فيهم عبادة ( أفروديت ) التي كان من قصتها عندهم - في

الأساطير - أنها خادنت ثلاثة آلهة مع كونها زوجة إله خاص . وأيضا كان من أخذاتها رجل من عامة البشر - علاوة على تلك الآلهة - ومن بطنها ولد ( كيوييد ) إله الحب .

فما رأيك - أختي المسلمة - في أخلاق أمة وانحطاطها المعنوي والخلقي اتخذت من هذه الطباع (١) رمزا للكمال بل إنها يعبد وتقدم له جميع طقوس العبودية والذلة والخنوع !!!؟

هذه - ولا ريب - درجة من الانحطاط الخلقى إذا تردت فيها أمة ، لم تتمكن من النهوض مرة أخرى وفي مثل هذا العصر البالغ من الانحطاط أرذله ظهرت في الهند ( بام مارك ) وفي إيران ( المزدكية ) وأيضا في مثل هذا العصر نفسه أصبحت الفحشاء والدعارة ينظر إليهما بعين التقديس والإجلال في ( بابل ) فلم تمض عشية أو ضحاها حتى آل أمرها إلى الانقراض وأصبح أمرها في خير كان وأمس الدابر ...

ولما انتشرت عبادة أفروديت في اليونان أصبحت مواخير الدعارة ، وأماكن الفجور مركزا للعبادة وأصبحت المومسات متنسكات وخوادم للمعابد ، وعظم شأن الزنى إلى أن ألبسوه كساء من العمل الديني المبرور ...!!

ثم ظهرت الغريزة البهيمية في أهل اليونان بمظهر آخر ، هو أن انتشرت فيهم سوءة قوم لوط انتشارا كاد يأتي على الأخضر واليابس ... ورحبت بها الديانة والأخلاق أيضا .

\* \* \*

ومما هو حريّ بالذكر أننا لانرى لهذه السوءة المنكرة أثرا في عصر هو ميروس وهسيود .. ولكنه لما ترقّت المدنية وأخذت في تزيين العرى واتباع الشهوات بالأسماء الجذابة تحت شعار الفن وتذوق الجمال ، التهيت الغرائز الشهوانية في القوم التهابا جعلهم يتنكبون الطريق الفكرى ، ويتخذون لإرواء غليل شهواتهم طريقا تأباه الفطرة وتمجه الطباع السليمة . وساعدهم على ذلك حذاق الفن بإبراز هذه العاطفة في التماثيل ، وشهد علماء الأخلاق عندهم بأن هذه ( العلاقة ) للصدقة وثيقة بين الرجلين . واليونانيان اللذان هما أول من عظمتهم الأمة وكرمتهم ببناء تماثيلهم هما : هرموديس وارسوجيتن اللذان جمع بينهما ذلك الحب المنكر الذى تأباه الفطرة البشرية .

وبعد ، — فالتاريخ شاهد بأن اليونان لم يكن من نصيبهم المجد والرقى بعد ذلك مرة أخرى !!!

### المرأة عند الرومان :

والذين تسنموا ذروة المجد والرقى في العالم بعد اليونان ، هم الرومان . وفي هذه الأمة أيضا نرى السلسلة من الصعود والهبوط التى قد شاهدناها في اليونان ..

فحينما خرج الرومان من عصر الوحشية وظلمة الجهل ، وظهروا على مسرح التاريخ لأول مرة ، كان الرجل رب الأسرة — في مجتمعهم — له حقوق الملك كاملة على أهله وأولاده ، بل بلغ من سلطته — في هذا الشأن — أن كان يجوز له حتى قتل زوجته في بعض الأحيان .

ولما تخففت فيهم سؤرة الوحشية ، وتقدموا خطوات في سبيل المدنية والحضارة تخففت القسوة في تلك السلطة ، وجعلت الكفة تميل إلى الاستواء ، والاعتدال شيئا فشيئا — وإن بقى نظام الأسرة القديم ثابتا على حاله .

وهؤلاء لم يكن الحجاب عندهم معمولا به — كالليونان — في إبان مجد الجمهورية الرومانية وريقها .. لكنهم كانوا قد قيدوا النساء والشباب — عامة — بقيود مثقلة من نظام الأسرة ، فالعفاف كان شيئا ينظر إليه بعين الإجلال — ولا سيما في شأن النساء — وكان يعد مقياسا للشرف وكرم المحتد — وكذلك كان

مستوى الأخلاق عندهم عاليا . ومن أمثلة ذلك أن اتفق مرة أن عضوا في مجلس الشيوخ قبل زوجه أمام ابنته ، فغضب عليه القوم وحكموا على صنيعه بأنه غَضُّ من كرامة الخلق القومى وإهانة له ، وأمضوا قرار النكير ( Vot ofchure ) عليه في مجلس الشيوخ ..

هذا . وما كان مباحا عندهم ولا مرضيا — في أخلاقهم — أن يتعاشر الرجل والمرأة بدون عقد مشروع وما كانت المرأة تتبوأ مكانة العز والكرامة في المجتمع إلا بأن تكون أما لأسرة ( Matroh ) .

والمومسات — وإن كانت طبقتهم موجودة وكان للرجال نوع من الحرية في مخادنتهم — إلا أن عامة الرومان وجمهورهم كانوا يزدرونهم وينظرون إليهم نظرة احتقار وتعير وكذلك ماكانوا ينظرون بعين الاستحسان إلى الرجال المخادنين لهم !!!

ثم أخذت نظرية الرومان في النساء تتبدل برقيهم وتقلبهم في منازل المدنية والحضارة ..

ومازال هذا التبدل يطرأ على نظمهم وقوانينهم المتعلقة بالأسرة وعقد الزواج والطلاق ... إلخ إلى أن انقلب الأمر ظهراً لبطن ، وانعكست الحال رأساً على عقب ، فلم يبق لعقد الزواج عندهم معنى سوى أنه عقد مدنى فحسب يتوقف بقاءه ومضيه على رضا المتعاقدين .. ومنحت المرأة جميع حقوق الإرث والملك وجعلها القانون حرة طليقة لاسلطة عليها للأب ولا للزوج ولم تصبح الرومانيات مستقلات بشئون معاشهن فحسب ، بل ودخل في حوزة ملكهن وسلطانهن جزء عظيم من الثراء القومى على مسير الأيام ، فكن يقرضن أزواجهن بأسعار الربا الفاحش مما يعود به أزواج المثرىات من النساء عبيداً هن في ميادين العمل والواقع . ثم سهلوا من أمر الطلاق تسهيلاً جعله شيئاً عادياً يلجأ إليه لأتفه الأسباب . فهذا ( سيتكا ) الفيلسوف الرومانى الشهير ( ٤ ق . م — ٥٦ م ) يندب كثرة الطلاق ويشكو الطلاق ويشكو تفاقم خطبه بين بنى جلدته فيقول : « إنه لم يعد الطلاق اليوم شيئاً يندم عليه أو يستحيا منه في بلاد الرومان . وقد بلغ من كثرته وذبوع أمره أن جعلت النساء يعددن أعمارهن بأعداد أزواجهن » .

وكانت المرأة الواحدة تتزوج رجلا بعد آخر وتمضى في ذلك من غير حياء .  
وقد ذكر مارشل ( ٤٣ - ١٠٤ م ) أن امرأة تزوجت عشرة رجال ، وكذلك  
كتب جودنيل ( ٦٠ - ١٤٠ م ) عن امرأة تقلبت في أحضان ثمانية أزواج في  
خمس سنوات !!!

وأعجب من كل ذلك وأغرب ما ذكره القديس ( جروم ٣٤٠ - ٤٢٠ م )  
عن امرأة تزوجت في المرة الأخيرة الثالث والعشرين من أزواجها وكانت هي أيضا  
الزوجة الحادية والعشرين لبعلها !!!

ثم بدأت تتغير نظرهم إلى العلاقات والروابط بين الرجل والمرأة من غير عقد  
مشروع .

وقد بلغ بهم التطرف - في آخر الأمر - أن جعل كبار علماء الأخلاق  
عندهم يعدون الزنى شيئا عاديا .

فهذا كاتو ( Cato ) الذى أسندت إليه الحسبة الخلقية سنة ١٨٤ قبل الميلاد  
يجهر بجواز اقتراف الفحشاء في عصر الشباب . وذلك (شيشرون) المصلح الشهير  
يرى عدم تقييد الشبان بأغلال الأخلاق المثقلة ويشير بإطلاق العنان لهم في هذا  
الميدان ، ولا يقتصر الأمر عليهما بل يأتي (ايكتيتس) الذى يعد من المتصلبين - في  
باب الأخلاق - من فلاسفة الرواقين فيقول لتلاميذه - مرشدا ومعلما « تجنبوا  
معاشرة النساء قبل الزواج إن استطعتم ولكنه لاينبغى أن تلوموا أحدا أو تؤنبوه إذا  
مالم يتمكن من كبح جماح شهواته » !!!

ولما تراخت عُرَى الأخلاق وصيانة الآداب في المجتمع الرومانى - إلى هذا  
الحد - اندفع تيار من العري والفواحش وجموح الشهوات .. وتمادى الأمر إلى  
أن اضطر القوم إلى وضع قانون خاص في عصر القيصر (تائى بيريس)  
( ١٤ - ٣٧ م ) لمنع نساء البيوتات من احتراف مهنة المومسات وصناعتهن  
النافقة ونالت مسرحية فلورا ( Folora ) خطوة عظيمة لدى الروم لكونها تحتوى  
على سباق النساء العاريات . بل الأدب الذى كان يتلقاه الناس بالرضا والقبول  
هو الذى يعبر عنه اليوم بالأدب المكشوف .. فكان من انغماسهم في الشهوات  
البيمية ومجاورتهم الحد إيجاد طرق لإطفاء أوارها أن دالت دولة الرومان وتمزق  
جمعها كل ممزق . ا . ه .

## وفي الصين :

كانت المرأة تشغل مكانا هينا في المجتمع وتعطى أحقر الأعمال ، وينظر للولد الذكر على أنه إله صغير سقط من السماء .. أما البنت فلا يسر بمولدها أحد . وإذا كبرت اختبأت في حجرتها تخشى أن تنظر في وجه إنسان ، ولا ييكها أحد إذا اختفت من منزلها (١) هـ .

## وعند الأثينيين : وهم من أكثر الأمم القديمة مدنية

تعتبر المرأة من سقط المتاع تباع وتشتري ويتزوج الرجل بأكثر من واحدة — بلا حدود للعدد .

أما إسبارطة فكانت لاتسمح للرجل بأكثر من زوجة .. أما المرأة فلها أن تتزوج بأكثر من واحد ، وكانت جميع النساء يمارسن هذه العادة ( وما أشبه الليلة بالبارحة ) !!! (٢) .

## أما المرأة الفارسية :

— وهي التي صار لها — فيما بعد — أكبر الأثر في انحطاط المرأة العربية — فقد كانت أمة — عبدة — ... سجيئة لامنزلة لها ... تباع ببيع السلع — فقد أباحت الأنظمة الفارسية بيعها وشراءها ... وشر من ذلك كله أنها أباحت — على حد قول الكاتب الروسي أغايف (٣) — الزواج بالأمهات ، والأخوات والعمات والحالات وبنات الأخ وبنات الأخت !!!

ومتى حاضت المرأة أبعدها عن المنازل ، وجعلوها في خيام صغيرة في ضواحي المدينة لايخالطن ولا يخالطن — حتى من الخدم — يلقون مقدم أنوفهم وآذانهم وأيديهم بلفاف من القماش الغليظ عند تقديم الطعام لهن — حذرا من أن يتنجسوا إذا مسوهن ، أو مسوا الأشياء المحيطة بهن حتى الهواء !!!

(١) انتهى — بتصرف من كتاب الحجاب للمودودي .

(٢) الإسلام والمرأة المعاصرة ١٠ ، ١١ نقلا عن قصة الحضارة ل ول ديورانت حضارة الصين / ٢٧٣ .

(٣) يراجع — بتوسع — كتاب : الإسلام والمرأة للأستاذ سعيد الأفغاني ، وكتاب حقوق المرأة في الإسلام

للأستاذ أحمد أغايف ترجمة ( سليم قبعين ) سنة ١٩٠٥ م .

ومركز المرأة في الإسلام ص ٣٥ — ٣٨ للسيد أمير على الهندي ط ١٩١٢ م .

والمرأة الفارسية تحت سلطة الرجل المطلقة ، ويحق له أن يحكم عليها بالموت — دون سبب ودون رقيب أو مؤاخذ — !!

### المرأة في أوروبا المسيحية :

ثم جاء عصر النصرانية — في أوربة وأرادت أن تتدارك الفوضى الخلقية في عالم الغرب — بالعلاج الناجع والبلسم الشافي ، ومما لا ريب فيه أنها أدت خدمات جليلة — في أول أمرها — فقد سدت السبل في وجه الفحشاء ، وقضت على العري في كل ناحية من مناحي الحياة ، ودبرت الحيل والطرق المؤثرة لاستئصال شأفة الدعارة ، وجعلت الموسسات الراقصات والمغنيات يتبن ، ويرتدعن عن غيبن ، ومكاسبهن الفاسدة ، وجهدت جهدها ، لتنشئة القوم على الأخلاق الزكية والآداب السامية ... إلا أن الفكرة التي كان يحملها الآباء المسيحيون عن علاقة ما بين الرجل والمرأة ، كانت قد تجاوزت حد التطرف في جانب ، وكانت حربا على الفطرة البشرية في جانب آخر .

فمن نظريتهم الأولية الأساسية — في هذا الشأن — أن المرأة ينبوع المعاصي ، وأصل السيئة والفجور . وهي للرجل باب من أبواب جهنم من حيث هي مصدر تحريكه وحمله على الآثام !!! ومنها انبجست عيون المصائب الإنسانية جمعاء ، فيحسبها ندامة وخجلا أنها امرأة !!! وينبغي أن تستحي من حسننها وجمالها ، لأنه سلاح إبليس الذي لا يوازيه سلاح من أسلحته المتنوعة وعليها أن تكفر عن خطيئتها ، ولا تنقطع عن أداء الكفارة أبدا ؛ لأنها هي التي قد أتت بما أتت به من الرُزء والشقاء للأرض وأهلها .. ودونك مقاله ( ترتوليان ) ( Tertullion ) أحد أقطاب المسيحية الأول وأئمتها ، مبينا نظرية المسيحية في المرأة : « أنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ، وأنها دافعة بالمرء إلى الشجرة الممنوعة ناقضة لقانون الله ، ومشوهة لصورة الله — أي الرجل » !!

وكذلك يقول كرائي سوستام ( Chry Sostem ) الذي يعد من كبار أولياء الديانة المسيحية في شأن المرأة :

« هي شر لا بد منه ، ووسوسة جبليّة ، وآفة مرغوب فيها ، وخطر على الأسرة والبيت ومحجوبة فتاكة ، ورُزء مطلّي مموه » !!!

أما نظريتهم الثانية — في باب النساء — فخلاصتها (١) أن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة هي نجس في نفسها ، يجب أن تُتجنبَ — ولو كانت عن طريق نكاح وعقد رسمي مشروع — هذا التصور « الرهبني الكَنَسِي » للأخلاق الذي كانت جذوره تكاد تتأصل في أوربة — من قبل — بتأثير الفلسفة الإشرافية ( Neo - Platonism ) جاءت المسيحية فزادته شدة وبلغت به منتهاه ، وذلك أن أصبحت حياة العزوبة مقياسا لسمو الأخلاق وعلو شأنها ، كما صارت الحياة العائلية عَلَمًا على انحطاط الأخلاق ، ومهانة الطباع !!! وجعلوا يعدون العزوبة وتجنب الزواج ، من أمارات التقوى والورع وزكاء الأخلاق ، وأصبح من المحتوم لمن يريد أن يعيش عيشة نزيهة ألا يتزوج أصلا .. أولا يعاشر امرأته معاشرة الزوجية — على الأقل — وكذلك قرروا ، ووضعوا القوانين في مؤتمراتهم الدينية المتعددة بالأختلى رجال الكنيسة بأزواجهم ، وألا يتلاقى الرجال منهم والمرأة إلا بمرأى من الناس ، وأمام رجلين من رجالهم — على الأقل — وما آلوا جهدا في أن يشبتوا في قلوب الناس الشعور ببشاعة العلاقة الزوجية وتنجسها !!!

وخذي مثلا لذلك أنه كان شائعا بينهم ، أن الزوجين اللذين اتفق لهما أن يبيتا معاً ليلة عيد من الأعياد ، لايجوز لهما أن يُعَيِّدا ويشتركا مع القوم في مراسيمهم ومباهجهم — كأني بهم يرون أنهما قد اقرفا إثمًا سلبهم حق المشاركة في حفل ديني مقدس عندهم — وقد بلغ من تأثير هذا التصور « الرهبني الكَنَسِي » أن تكدر صفوف مابين أفراد الأسرة والعائلة من الأواصر ، وسحتى مابين الأم والولد منها ؛ إذ أمسى كل قرابة وكل سبب ناتج عن عقد الزواج يعد إثمًا وشيئا نجسا !!!

وهاتان النظريتان : ماوضعتا من مكانة المرأة وحطتا من شأنها في حقول الأخلاق والاجتماع فحسب .. بل كان من مفعولهما القوى ونفوذهما البالغ — في القوانين المدنية — أن أصبحت الحياة الزوجية مبعث حرج وضيق للرجال والنساء بجانب ، وبجانب آخر ، انحطت منزلة المرأة في المجتمع في كل ناحية من نواحي الحياة ، فكل ماوضع في العالم الغربي من القوانين بتأثير الشريعة المسيحية لايجلو من الخصائص الآتية :

(١) من كتاب الحجاب لأبي الأعلى المودودي — رحمه الله — ص ٢٢ .



١ — جعلت المرأة تحت سلطان الرجل الكامل من الوجهة الاقتصادية ، وعادت حقوقها في الإرث محدودة .. وأما حقوقها في الملكية فكانت أنزر وأقل ، وما كان لها من حق حتى في كسب يدها ، بل كان كل ما عندها ولها ملكا لزوجها .

٢ — الطلاق والخُلْعُ : لم يكونا مباحين — في حال من الأحوال — فمهما بلغ الفرك ( البغض ) والتنافر بين الزوجين ، ومهما بلغ الشقاق بينهما في إفساد العشرة كان الدين والقانون يمتحان عليهما دوام العشرة ، وبقاء حبل الزوجية متصلا : وأقصى ما كان يمكن فعله — في بعض الأحيان الشاذة البالغة من الشهادة غايتها — أن يقطع ما بين الرجل والمرأة من الأسباب ويفرق بينهما تفريقا .. على أنه ما كان لأحدهما — بعد ذلك — أن يجدد الحياة الزوجية ويختار لنفسه زوجا موافقة أو لنفسها بعلا موافقا ..

والحق إن كان هذا العلاج أكثر ضررا وأشد خطبا من ذلك المرض ؛ إذ هما كانا بعد ذلك بين أمرين — أحلاهما مر — إما أن يختارا عيشة الرهبان والراهبات — الشكلية طبعاً — أو يتعاطيا الفجور ويتساقيا ككوس الفحشاء طوال أعمارهما الباقية !!!

٣ — وكذلك كان من أقبح العار أن يتزوج الرجل أو المرأة ثانية إذا توفى عن أحدهما وزوجه ، بل هو عندهم من كبائر الإثم ، وكان رأى علماء النصرانية فيه أنه إذعان للشهوات البهيمية ، وإطلاق لعنان غريزة الفحشاء ، وكانوا يعبرون عن القرآن (١) الثاني بكلمة ( الزنى المهذب ) !!!

أما رجال الكنيسة : فلم يكن النكاح مباحا لهم — في قانون الكنيسة (٢) ، وكذلك القانون المدني العام ما كان يميز ذلك — في بعض الأقطار ، وأما الأقطار التي كان يسمح به فيها القانون فما كان يترخص فيه هناك الرأى العام الذى كان متأثرا بالنظريات والتصورات الدينية .

(١) الزواج .

(٢) ظاهرا أما باطنا وتحت أستار الظلام كانت الأديرة مسارح للقاء الإثم .. أنظر مذاهب فكرية معاصرة .

## وفي أوروبا الحديثة :

ولما نهض فلاسفة أوروبا وأولو الرأى والعلم منهم في القرن الثامن عشر ورفعوا عقيرتهم لحماية حقوق الفرد في المجتمع ، وثنفخوا في أبواب الحرية الفردية ، كان بين أيديهم ذلك النظام التمدنى الفاسد الذى كان قد تولد بتفاعل الاتحاد الثلاثى من نظم الأخلاق وفلسفة الحياة المسيحيتين ، ونظام الإقطاعية ( Feudal System ) وقيد الروح البشرية بقيود مثقلة — غير طبيعية — وسد في وجهها جميع سبل الرقى والازدهار . فالنظريات التى قدمها أساطين أوروبا الجديدة ، وأقطاب الفكر الجديد فيها ، للقضاء على ذلك النظام الفاسد واستبدال نظام جديد به ، أسفرت عن ثورة فرنسا الشهيرة ، ثم تحركت عجلة الحضارة والثقافة الغربيتين ، وبقيت تسير على هداها ، حتى آلت — بعد تقلبات الزمان — إلى مرحلتها الحاضرة !!!

وكل ما فعلوه — فى بدء العهد الجديد — لإنهاض المرأة — من كبوتها — كان له أثر محمود فى الحياة الاجتماعية ، فقد خففوا شيئاً مما كان فى قوانين الطلاق من شدة وتضييق وردوا إلى النساء جملة صالحة من حقوقهن الاقتصادية السلبية .

وتناولوا بالإصلاح والتهديب النظريات القائلة بذلة المرأة ومهانتها ، وعدلوا أيضاً من قوانين العشرة والاجتماع التى كانت قد وضعت للنساء فى مستوى الجوارى والإماء — فى واقع الأمر — كما فتحوها لهن أبواب التعليم والتربية العالين — كالرجال — فهذه الطرق والتدابير الفعالة المختلفة انبعثت مواهب النساء وبرزت كفاءاتهن التى كانت مطمورة تحت أثقال فادحة . من قوانين المجتمع الخاطفة ، وتصورات الأخلاق الجاهلية — فقمنا بتعهد البيوت ، وتحسين آداب العشرة ، وأبلىنا بلاء حسناً فى سبل الخير وأعمال البر ، فترقية الصحة العامة وتربية الجيل الناشئ ومواساة المرضى ، وتنمية النظام العائلى وآدابه .. كل أولئك كان من بواكير ثمار النهضة واليقظة التى حصلت بين النساء بفعل الحضارة الجديدة ، ولكن النظريات التى تولدت من بطنها هذه الحركة كانت تتسم من أول يومها بالنزوع إلى الإفراط والميلان عن القصد ...

ثم نما هذا النزوع واشتد فى القرن التاسع عشر ، وما كاد يتبدى القرن العشرون حتى بلغ نظام الاجتماع الغربى نهاية الإفراط والتباعد عن القصد !!!

وهذه النظريات التي أسس عليها بنیان الاجتماع الغربی الحديث ، يمكن حصرها في ثلاثة عنوانات :

- ١ — المساواة بين الرجال والنساء .
- ٢ — استقلال النساء بشؤون معاشهن .
- ٣ — الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء .

وقد ظهر من نتائج تأسيس اجتماعهم على هذه النظريات الثلاث ما كان يجب أن يظهر !! وذلك :

١ — أنهم فهموا من معانى المساواة: ألا يكون الرجل والمرأة متساويين في الحقوق البشرية والمنزلة الخلقية فحسب .. بل أن تؤدى المرأة في الحياة المدنية ما يؤديه الرجل من أعمال، وأن يرخى لها العنان من القيود الخلقية مثل ما أرخى للرجل من ذي قبل . فهذه الفكرة الخاطئة للمساواة جعلت المرأة غافلة بل منحرفة عن أداء واجباتها الفطرية ، ووظائفها الطبيعية التى يتوقف على أدائها بقاء المدنية ، بل بقاء الجنس البشري بأسره . واستهوتها الأعمال والحركات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وجذبتها إلى نفسها بكل ما فى طبعها وشخصيتها من خصائص ، فمعارك الانتخابات النيابية، ووظائف المكاتب، والمعامل، والمنافسة مع الرجال فى المهن التجارية، والصناعية الحرة، والمشاركة فى الألعاب الأولمبية والمسابقات الرياضية ، وحضور مجالس اللهو والتصف والظهور على المسارح ، والاشتراك فى حفلات الرقص والسهرات العامة ...

هذه وأشباهها من مشاغل الحياة ومتعتها وأسباب اللهو والخلاعة والمجون التى يمنع من ذكرها الحياء من خفايا هذه المدنية البراقة ..

هذه كلها قد استولت على مشاعرها ، وشغلت أفكارها وعواطفها شغلا أذهلها عن وظائفها الطبيعية ، وطردها من برنامج حياتها القيام بتبعات الزوجية وتربية الأطفال ، وخدمة العائلة ، وتنظيم الأسرة ، بل كرهه إلى نفسها كل هذه الأعمال التى هى وظائفها الفطرية الحقيقية !!

ومن عاقبة ذلك أن النظام العائلى — الذى هو أس المدنية ودعامتها الأولية — قد تبدد شمله فى الغرب — والحياة البيئية — التى يتوقف على هدوئها

وطمأنيتها قوة الانسان العملية ونشاطه — تكاد تنعدم وتدخل في خبر كان .. وكذلك رابطة العقد والزواج — التي هي الصورة الصحيحة الوحيدة لتعاون الرجل والمرأة على خدمة المدنية — أصبحت عندهم أوهن من بيت العنكبوت .. وبجانب آخر ، قد بدأ العمل على منع تكاثر النسل وازدياد العمران بقتل الأولاد وضبط التوليد وإسقاط الحمل .. وجاء التصور الخاطيء للمساواة الخلقية يساوى بين الرجال والنساء في التبذل وفساد الأخلاق ، حتى عادت تلك المخزيات التي كان يتحرج من مقارفتها الرجال فيما قبل لاتستحي من ركوبها بنات حواء في المجتمع الغربى الحديث — في جاهلية القرن العشرين .

٢ — أن استقلال النساء بمعاشهن ، واضطلاعهن بشئونهن الاقتصادية قد جعلهن في غنى عن الرجال والمبدأ القديم — ( أن يكسب الرجل وتدير المرأة البيت ) — قد تبدل وأخذ مكانه رأي جديد ، هو أن يكسب الرجل والمرأة كلاهما ، والبيت تفوض شئونه إلى الفنادق والشركات .. فلم يبق بعد هذا الانقلاب بينهما من صلة ترغبهما في العشرة البيئية وتجبرهما على الحياة الزوجية المشتركة غير صلة الشهوات وغرائز النفس الحيوانية . ومن الظاهر أن مجرد إطفاء أوار الشهوة البهيمية ليس بأمر يضطر الرجل والمرأة إلى أن يتعاشرا في بيت واحد ، مقرونين في نير الرابطة الزوجية الأبدية هروبا من إرهاب النفس بأعباء خلقية وأثقال قانونية في غير طائل ، ولماذا تتحمل المرأة تبعات الأسرة والمنزل؟! وتبعات الحمل والولادة .. إلخ . وماها ؟ وفكرة المساواة الخلقية قد أزلت جميع العقبات والعراقيل التي كانت عسى أن تعترضها في سلوك الدعارة والفجور — ماها لاتتنكب الطريق الأيسر والسبيل الممهدة المشحونة باللذة وأفانين البهجة .. أما ماكان عسى أن يحيك في صدرها من شعور بالإثم والخطيئة فقد ذهب بذهاب الدين وتقلص ظله .. وأما خشية المجتمع فلا وجه لها ولا داعى إليها ، لأنه بدل أن يلومها ويؤنبها على غوايتها وعهرها ، قد عاد يتلقاها بالبشر والترحاب .. !! وإن أثقلت بالحمل السفاح — في غيبة أو خطأ موانع الحمل الحديثة الميسورة — بوفرة لامثيل لها — فلا بأس من إسقاطه من وراء الجدران في جنح الظلام !!! وإن أبت عاطفة الأمومة — وياها من عاطفة خبيثة لاتكاد تموت على كل هذا الرقى واتمدن — قتل المولودة فلا لوم على الفتاة في كونها أما لابن زنيئة .. لأنهم قد قضوا الوطر من الدعاية لتكريم ( الأم العذراء ) ( ولد الحرام ) وقد بلغ من

تأثيرها في النفوس أن المجتمع يتجرأ على ازدراءيهما والخط من شأنهما ، لاجرم أن ييؤ هو نفسه بتهمة الرجعية وحكم التخلف والجمود !!!

هذا هو الذى قد أتى ببيان المجتمع الغربى — فى جاهليته — من القواعد وزلزل كيانه زلزالا شديدا؛ ففى كل قطر من أقطارهم وفى كل قرية ترى مئات الألوف من الفتيات والنساء عوانس ، يرتدن موارد الفحشاء والشهوات من غير تحفظ ولا خجل ، وتفوقهن — فى كثرة العدد — اللاتى يتزوجن فى سؤرة من عاطفة الحب العارضة .. ولكنه لما لم يبق بين الرجل والمرأة من صلة — غير صلة المتعة الجنسية — تحوج أحدهما إلى الآخر ، وتجيهرهما على العشرة الزوجية المستمرة — قد عادت أمثال هذه الأواصر كأوهن مايكون من الأمور !!!

وهذه الحالة الراهنة هى السبب فى شيوع المفاسد من منع الحمل وإسقاط الأجنة ، وقتل الأولاد وانخفاض تناسب المواليد وكثرة أولاد النغول ، وكذلك هايد — أى يد — فى انتشار الفاحشة والخلاعة والمجون وازدياد الأمراض السرية الفتاكة وانهار المجتمع وقتله داخليا !!!

٣ — وقد استحث الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء غريزة التبرج والعري والتفسخ فى النساء ، وزواجهن تلوثا بالفاحشة ، فالجاذبية الجنسية التى قد أودعتها فطرة الرجل والمرأة ولها عليها سلطان لاينكر ترداد قوة واشتدادا باختلاط الجنسين وتتخطى بكل سهولة حدوده ثم من شأن هذا المجتمع المختلط أن تنشأ فيه غريزة جديدة فى الجنسين ، وهى الظهور بأبهى مظاهر الزينة وأجذبها للجنس الآخر حتى وصل فى النهاية — متجاوزا كل الحدود — إلى آخر غايات العرى المشين !!!

وهذا ماقد وصلت إليه الحال فى المدينة الغربية الحديثة ودواعيها من الشرب والسكر والعريدة وقد سموها بالفن لإخفاء الضعف الكامن فى نفوسهم ... ولا يزال هذا الداء الوبيل — من غلبة الشهوات البيمية — ينخر فى كيان الأمم الغربية ويتنقص من قوة حياتها بسرعة مذهلة .. والتاريخ يشهد أنه ماسرى هذا الداء فى مفاصل أمة إلا وأوردها موارد التلف والهلكة والفناء. وصدق نبينا الكريم الذى حذر أمته من هذه القواصم فقال : ( خمس أعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهن : « ماظهرت الفاحشة فى قوم — يعمل بها فيهم علانية — إلا ظهرت

فيهم الأسقام والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم .. ، وما منع قوم الزكاة إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا .. وما يحس قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المثونة وجور السلطان، وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيه إلا جعل الله بأسهم بينهم ، وما حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلط الله عليهم عدوهم فاستنقذوا بعض ما في أيديهم » .

أو كما قال نبي الرحمة — ﷺ — وما رواه أبو أمامة الباهلي — رضى الله عنه — عن رسول الله ﷺ الذي أثبتناه في صدر هذا الكتاب فارجمي إليه (١) ذلك بأن هذا الداء الويل يقتل في الإنسان كل ما آتاه الله من القوى العقلية والجسدية لبقائه وتقدمه في الحياة فأنتي لهم النجاة منه ومن غوائله وعوديه !!!؟

**قصور التصور البشرى :**

هذا البيان — الموجز الذى اقتضته الضرورة — للتطورات التاريخية الممتدة عبر ثلاثة آلاف سنة راجع إلى بقعة كبيرة من الأرض ، قد كانت فيما خلا مشوى لحضارتين عظيمين في تاريخ البشر ، وهاقد تألق نجم حضارتهما في سماء الدنيا مرة أخرى ، ومثل هذه التطورات التاريخية قد حصلت في كل من مصر وبابل وفارس وغيرها من الممالك ، وكذلك في شبه القارة الهندية أيضا حكمها في أمر المرأة بين طرفي النقيض من الإفراط والتفريط .. فترى بجانب فيه أن المرأة تتخذ مملوكة ، لأبيها — بكرًا — ولبعليها — ثيبًا — ولأولادها — أيما — ثم تقدم ضحية على نيران زوجها إذا مات عنها (٢) وتحرم حقوق الملكية والإرث .. إلخ . الطقوس الهندوكية من تقديس فرج الذكر والأنثى ( لنك و يوبى ) وعبادة التماثيل العارية المزدوجة ، وتكريم خادמות المعابد العواهر واختلاط الجنسين في ألعاب عيد ( هولى ) وفي الغسل المطهر في المياه المقدسة في حال توشك أن تكون عريا .. ماهذه كلها ؟ وأى شيء تذكره وتدلل عليه ؟ .. إن هى مع الحقيقة إلا باقيات السوء لتلك الحركة ( البام ماركية ) التى انتشرت في الهند انتشار الوباء عقب ازدهار الحضارة فيها ، كما انتشرت فيما قبل في بابل وفارس واليونان والرومان —

(١) كيف بكم إذا طفئ نساؤكم وفسق شبانكم وتركتكم جهادكم ؟ .. إلخ الحديث ...

(٢) إن الهنادك يحرقون موتاهم ، وكانوا فيما مضى يحرقون زوج الميت معه حية حتى منعهم الحكومات المسلمة ، والحكومة الانجليزية بعدها من هذا الرسم القبيح .

وتركت الأمة الهندوكية في حال التخلف والانحطاط لعدة قرون .

إنك إن تأملت هذا البيان التاريخي — الموجز المقتضب جدا — تبين لك عجز الإنسان البالغ عن الاهتداء إلى نقطة الاعتدال في أمر المرأة وكيفية تقصيره في فهمها والاستمسك بها .. هل نقطة الاعتدال في أمر المرأة لاتتاح لها الفرص الكاملة لممارسة فطرتها ومامن أجله خلقت له ؟ .. هذا ماسنعالجه في عرض مبادئ الإسلام الخفيف وتكريمه للمرأة وإنزالها المنزلة اللائقة بها — إن شاء الله — لترى مكانك في هذا الوجود أيتها الأخت المسلمة .

### المرأة العربية قبل البعثة :

ينتما ذلك كله يحدث في جنبات الأرض رأينا العربي قد سما بفطرته — في بعض الحالات — فمجد المرأة — في جاهليته — وناجاها — في سره وإعلانه — ونظر إليها ؛ فوضعها في منزلة تسامى منزلة الرجل — في بعض الأحيان —

والظاهر أن هذا لم يقع إلا بعد أن شاع في العرب — في زمان متقدم — امتهان المرأة وقتا يسيرا؛ حتى اضطرت حكمتهم أن تصحح خطيئتهم تلك فتقول ( المرأة من المرء وكل آدماء من آدم ) وهذا أقدم مثل قالته العرب — على ما زعم الميداني — في كتابه مجمع الأمثال — كانت تولد الأنثى؛ فيشعر والداهما بخيبة الرجاء .. فإن تظاهرا بالفرح كان فرحا واجما يختلف عن المفارح التي تقام للوليد الذكر -- وهذا شيء في طبيعة الناس كافة بادبيهم وحاضرهم — على تفاوت في المشاعر — فلا سبيل إلى أفراد العرب بالأفكار إلا فيما جرت عليه عادة بعض القبائل من وأد قبيح عابه الإسلام وأبطله ﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به . أيمسكه على هون ؟ أم يدسه في التراب ؟ ألا ساء ما يحكمون ﴾ !! ..

وفيما عدا ذلك كان العربي أشد الناس كلفا بالمرأة واحتراما لها ( أما وأختنا وبنتا وزوجة وعمة وخالة .. إلخ — باستثناء ماكانت عليه طبيعة الصحراء من بعض المفارقات من منعها من الخروج عن حوزة الأسرة إذا مات زوجها .. فإذا ألقى أحد أفراد الأسرة — وهو أشدها بأسا وأقواها شكيمة طبعاً — من أسرة الزوج ثوبه عليها صارت له ولا تخرج منه إلا بفدية وتحرم من الميراث ، لأن

الميراث لا يعطى إلا لمن قاتل على ظهور الخيل وحاز الغنيمة، وتعضل (١) بعد الطلاق، وتُمسك ضرارا للاعتداء (٢) ويطفف معها الكيل، ويجرم عليها بعض الطعام، ويتزوج عليها الرجل ما يشاء من النساء من غير تحديد ﴿وقالوا مافى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا﴾ الأنعام ١٣٩ بل وكان من بعض أنواع الأنكحة فى الجاهلية (نكاح الاستبضاع) وهو أن يرسل الرجل امرأته إلى بعض الأبطال المشهورين أو المتسمين بالوسامة أو النجابة ليفترشها لتنجب منه ولداً له على شاكلته ثم تعود إليه — دون أية غضاضة أو امتعاض فى ذلك — بل كان البعض يعده من المفاخر لأن نسله من ذاك البطل فهذا الشبل من ذاك الأسد. وقد طهر الإسلام المرأة من هذا الدنس ولعن الدثوث (وهو الذى تزنى زوجه على مرأى منه ومسمع) كما أنه لم يكن لها حق فى اختيار زوجها.. ولئن كان رؤساء العرب وأشرفهم — فحسب — يستشيرون بناتهم فى أمر الزواج — كما نستنتج ذلك من بعض القصص التاريخية.. وكان الرجل إذا مات وله زوجة وأولاد من غيرها كان الولد الأكبر أحق بزوجة أبيه من غيره، ويعتبرها إرثاً — كبقية أموال أبيه — فإن أراد أن يعلن عن رغبته فى الزواج منها طرح عليها ثوبا، وإلا كان لها أن تتزوج بمن تشاء.

وكل ما كانت تعتز به المرأة العربية — فى تلك العصور الجاهلية — على أخواتها فى العالم كله، حماية الرجل لها، والدفاع عن شرفها، والثأر لامتهان كرامتها.. بل كانت بعض النساء لهن الرأى والمشورة، بل والقيادة أحيانا فى الرأى والسياسة. وما حادثة هند بنت عتبة — رضى الله عنها — ببعيدة؛ إذ فى الجاهلية — وهى بعد مشركة — بعد معركة بدر وفجيعتها فى أبيها وعمها (عتبة وشيبة ابنا ربيعة)؛ حيث قادت حملة نسائية ضد الرجال؛ ليشأروا من المسلمين فى أحد، وكن يرددن ما يحمس المشركين :

إِنْ تَقْبَلُوا نَعَانِقَ      وَنَفْرَشِ النَّمَارِقِ  
أَوْ تَدْبُرُوا نَفَارِقَ      فَرَاقَ غَيْرِ وَاَمَقِ

(١) والعصل منعها من الرجوع إلى زوجها، وإسائها ضرارا مراجعتها قبل انقضاء عدتها حتى لا تذهب إلى

غيره.. انظر تفسير الآيات فى ابن كثير ج ١ .

(٢) ماذا خسر العالم باخطا المسلمين ٥٩ / انظر رواية ابن عباس وعطاء بن أبى رباح المنقولتين عن الطبرى

. ٣٠٨ / ٤



بل وهى التى وعدت وحشياً بالعتق إن هو قتل حمزة — رضى الله عنه —  
 ثأراً بأبيها وعمها — وقد فعل — رضى الله عنه (١) ومثلت هندٌ بجثته وبقرت بطنه  
 وجدعت أنفه ولاكت كبده فلم تسفها فلفظتها وظل وحشى — رضى الله عنه —  
 مؤرقاً مغموماً مهموماً يحمل على كاهله عبئاً ثقيلاً وهما محزنا بقتل حمزة — رضى  
 الله عنه — وإعراض النبى الكريم ﷺ عنه ، حيث كان يشيح بوجهه عنه كلما  
 رآه وهو يتعرض له بالسلام لما نزلت .. ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ  
 وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ وكان قد توعد — ﷺ — المشركين بالتمثيل  
 وما أفاق وحشى — رضى الله عنه — من كبوته إلا بعد أن من الله عليه بحضور  
 معركة اليمامة وترصد مسيلمة الكذاب وقتله .. هاتفا : الله أكبر .. هذه بتلك  
 الآن أموت قرير العين !!!

وما موقف أم جميل زوج اللعين أبى لهب عنا ببعيد فهو مشهد حى يتلى  
 صباح مساء إلى يوم القيامة — فى كتاب الله .

وهند هى التى وقفت فى وجه زوجها — أبى سفيان — رضى الله عنه —  
 حينما قال — بأمر رسول الله ﷺ — يامعشر قريش من دخل المسجد الحرام فهو  
 آمن ومن دخل بيته فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن — وكان ذلك فى  
 فتح مكة المكرمة — فأجابته هند — بكل صرامة — قُبِحَتْ من طليعة قوم  
 وعشيرة .. وماذا تغنى عنا دارك ؟ .. اقتلوا هذا الحميت (٢) الدنس .. ثم أخذت  
 أولادها ولاذت بالبيت الحرام ثم أسلمت وأولادها حتى كان معاوية — رضى الله  
 عنه — من كتاب الوحي لرسول الله ﷺ .



(١) وحشى فقد أسلم وحسن إسلامه .

(٢) أى الطبل الأجوف (أو الزق المملوء شحماً) .



المفتدين

<http://al-maktabeh.com>

# الفصل الثاني

## المرأة في الإسلام

- مفهوم العالم الإسلامي
- المرأة في منهج الإسلام
- الفروق الفردية بين الذكر والأنثى
- خلاصة
- حقائق يجب ذكرها



## مفهوم العالم الإسلامى

قلنا فى المقدمة إن المنهج الإسلامى يتسم بالشمول والكمال ويجعل المرأة صنو الرجل « إنما النساء شقائق الرجال » بالإضافة إلى ما قدمناه فى أول الكتاب من ابتعاد الإسلام فى منهجه عن النظرة الجزئية فى النظرة إلى الحياة والمخلوقات كما بهم بالإنسان — باعتباره المخلوق المميز الذى وقع عليه عبء الخلافة فى هذه الأرض .

ومن هذين الاعتبارين- الشمول والاستخلاف أخذت المرأة مكانها — باعتبارها شريكة للرجل فى مهمة الاستخلاف — ﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ ؛ إذ لا يقوم العمران ، وتمتد الحياة إلا بهما متعاونين متكاملين . وما أجمل الخطاب — الذى سجلناه فى المقدمة — إذ يقول القرآن الكريم ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء . واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ ومن ثم خلقت من آدم وقطعت معه رحلة الابتلاء والصراع مع الشيطان ، وتحملت معه المسئولية كاملة فى حالتى الاقتراف والنتاب ، ومضت سنة الله — عز وجل — على تحملها المسئولية كل حسب خصائصه وقدراته وطبيعته الفطرية (١) .

وإذا كانت الحضارات الأخرى — التى أسلفنا طرفا منها — قد أجهت فى حق المرأة وحادت عن جادة الحق والإنصاف وتنكبت طريق التصور الحق فى النظرة إليها . فقد جاء الإسلام ليخلصها من الآصار والأغلال التى قيدتها والتفريط الذى مسخها ، والإفراط الذى أرهاها ، والإجحاف الذى نزل بها !!! وصدق الله العظيم :

﴿ ... الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى

(١) ما أبدع كلام الله .. قال : « فتشقى » ولم يقل فتشقى ؛ إيماء إلى أن الرجل باستعداده الفطرى هو الذى يضرب فى الأرض ويشقى فى طلب الرزق .. والمرأة بطبيعتها الأنثوية لها ميدان آخر ...

التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنه إصرهم والأغلال التي كانت عليهم . فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه .. أولئك هم المفلحون ﴿١﴾ .

والوعى التشخيصى بالذات الحضارية — فى إطارها الزمانى — أساس كل حس تاريخى ، كما قدمنا — وبظهور الإسلام: تحدد مفهوم جديد للمجتمع الإنسانى يرتكز على العقيدة الروحية — قبل أى اعتبار آخر — فهو مجتمع مفتوح يقوم على الأخوة ، ويدعو إلى الانتظام فيه جميع البشر — على أساس من المساواة الشاملة (٢) —

ولقد رأينا — فى عرضنا السريع للعرب فى الجاهلية كيف افتقد عرب الجاهلية الأولى الوعى التاريخى بالوجود لافتقادهم — طوال العصور الجاهلية — عاملين أساسيين؛ هما أساس كل مفهوم كونى واضح للتاريخ يربط بين ماضى الإنسانية وحاضرها ..

هذان العاملان هما : الدين العام الذى يقوم مغزى للحياة وفلسفة للنشاط البشرى فيها ، والتنظيم السياسى الذى يبرز حركة التاريخ فى فلسفة شعب مافأما فيما يتعلق بالجانب الدينى ، فقد رأينا من قبل كيف أثبت القرآن مفهوما للزمان تحول به خوف الإنسان من المجهول وقلقه من المصير إلى الفناء إلى شوق إلى المعلوم من النعيم فى رحاب الأبدية (٣) .

كذلك رأينا جانبا من غائية الوجود البشرى ومركز الإنسان فى عالم الطبيعة — بوصفه خليفة لله فى أرضه — الذى يصنع تاريخه باختياره الحر عليها ؛ وفقا لسنة الله فى الكون ، وشريعته فى خلقه .. ومثل هذه المعانى وحدها كانت

---

(١) راجع كتاب الإسلام وبناء المجتمع للدكتور العسال ، والثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ترجمة الأستاذ محمد خلف الله أحمد النهضة ١٩٥٥ ، ١٩٥٨ م .

(٢) راجع كتاب العدالة الاجتماعية فى الإسلام للشهيد سيد قطب ، وكتاب : فى فلسفة الحضارة الإسلامية د / عفت الشرقاوى ط دار النهضة العربية بيروت سنة ١٩٧٩ م .

(٣) انظر ماقدمناه سلفا عن التصور الإسلامى وراجع كتاب : خصائص التصور الإسلامى ومقوماته للشهيد سيد قطب ، وماذا خسر العالم بالخطا المسلمين لأبى الحسن النبوى .

كفيلة بنشأة الشعور التاريخي عند المسلمين — غير أن مفهوم المجتمع الإسلامي — كما يقدمه القرآن الكريم — بوصفه تنظيمًا سياسيًا — يقوم على الرابطة الروحية ؛ قد ساعد من جهة أخرى على نشأة فكرة التاريخ عند المسلمين ؛ ذلك أن الجانب النظري والغيبي من المفهوم التاريخي — كما يقدمه القرآن الكريم — قد أخذ صورته العملية والتطبيقية بعد نشأة المجتمع الإسلامي ، فامتدت الفتوح الإسلامية — بعد ظهور الإسلام ؛ إعلاء لكلمة الله، وتحقيقاً لفكرة التاريخ التي أقرها القرآن الكريم — ثم نشط بعد ذلك التأليف في التاريخ ، وصار للمسلمين — في هذا العلم — مكان مرموق — كما هو معروف .

ونريد — في هذا المقام — أن نتناول — في عجالة — مفهوم المجتمع الإسلامي ، من حيث دلالاته على وعي المسلمين بذاتهم الحضارية الخاصة — وهو الوعي الذي كان أساس حركتهم التاريخية ، وفلسفتهم فيما فتحوا وساسوا من البلاد ، لنذلل من هذه العجالة إلى موقف الإسلام من المرأة ؛ لأن هذا هو الذي يعنينا في هذا البحث .

يقوم مفهوم المجتمع في الإسلام على أساس من المنطق الروحي الذي يرفع أصول العلاقات الاجتماعية إلى نطاق غيبي ، كما يعقد الصلة الواضحة بين ضمير الفرد والمجتمع ، وبين الجزء الروحي والمادى ومصير الوجود . ومعنى ذلك أن الوحدة الحضارية — في الإسلام — تجمع بين المسلمين على أساس من أخوة العقيدة ، فتلك هي رابطتها العامة — التي هي أقوى من رباط الدم والمصاهرة — والتي لا تعترف بالقيود الطبقية أو الوشائج العنصرية المغلقة .. فليس من الإسلام في شيء تلك الأنماط الحضارية الإقطاعية التي عرفتها العصور الوسطى ، والتي كانت تقسم المجتمع إلى طبقات مغلقة ، ثم تحدد لكل فرد في هذه الطبقات مصيره وفقاً لمولده ، أو طبقته ، أو ماورث من سائر الاعتبارات .. ولقد تحقق في هذا المجتمع المفتوح للمسلم<sup>(١)</sup> كل أسباب الحرية التي تتيح له أن يمارس حياته السياسية والثقافية والاقتصادية — دون قيود طبقية أو عنصرية — ومن جهة أخرى فقد حرر الإسلام ضمير المسلم من قيد الارتباط بطبقة كهنوتية تتحكم في

(١) انظر ما قدمناه سلفاً عن التصور الإسلامي وراجع كتاب : خصائص التصور الإسلامي ومقوماته للشهيد سيد قطب ، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن الندوي .

مصيره الديني<sup>(١)</sup> بل جعل مسئولية الانسان الروحية أمام الله — عز وجل — مباشرة — دون أن يكون هناك وسيط من رجال الدين<sup>(٢)</sup> وبمثل هذا المفهوم لم تعرف الحضارة الإسلامية ذلك الصراع المشهور في الحضارة الغربية بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية ، بل تجتمع هاتان السلطتان — في الحضارة الإسلامية — في مركب ثقافي واحد؛ يحقق التعاون المنشود بين الضمير الروحي، والوعى الاجتماعي للأمة<sup>(٣)</sup> .

ومن جهة أخرى ، فإن المجتمع الإسلامي قد جمع بين جماعية الحضارة العبرية ؛ حيث تغلب الواقعية والنزعة العملية ، وبين فردية المسيحية ، حيث تغلب النظرة التأملية الذاتية ، وتسود الفردية والانطوائية التأملية — كمثل أعلى للزهد والانصراف عن الشهوات، والاشتغال بالله عما سواه ؛ فلا هي بالمادية اليهودية البحتة التي عبدوها من دون الله ، ولا هي بالنصرانية المنتطعة التي انخرقوا بها عن هدى ومسيرة المسيح عليه السلام — فأغرقوا فيها ﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء ورضوان الله فما رعوها حق رعايتها ﴾<sup>(٤)</sup> وكان قد بعث بها ليكفكف من حدة المادية اليهودية؛ بالدعوة إلى المرحمة واللين والحب والمساجحة فحرفوها وبدلوها، وصارت إلى ما صارت عليه — حتى الآن — فجاء الإسلام وسطا بين هذه وتلك ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ؛ لتكونوا شهداء على الناس ﴾ فيجمع المسلم بين طرفي النقيض ليكون أنموذجا للإنسان السوي الذي أَرَادَهُ اللهُ — برسالة محمد ﷺ — مما سنفصله بعده، أو نلقى عليه بعض الومضات في المجتمع المثالي في ظلال الإسلام — إن شاء الله — ونلمح إلى هذا إلماحا بالآيات الكريمة من أواخر سورة الفتح ﴿ .. هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا . محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه

(١) والمسلمة طبعاً .

(٢) كصكوك الغفران وما شاكلها .

(٣) راجع كتابنا ( حاضر العالم الإسلامي ) . راجع ماقلناه في أول الكتاب في « ثقافة الإسلام رائدة » .

(٤) راجع — مذهب فكرية معاصرة — الأستاذ محمد قطب .



يعجب الزراع ؛ ليغيب بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات  
منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴿١﴾ !! .

فقد جعل الإسلام للفرد استقلاله الذاتي، ومسئوليته الشخصية — كما  
قدمنا — في نطاق الجماعة وداخل سياج الأخوة — في الله والعقيدة — دون  
التزام بمقتضيات القرابة أو ملاسبات الإقليم أو القبيلة أو البطون أو العشائر أو  
الأفخاذ .. إلخ . ولا حتى الأبوة أو الأمومة أو البنوة — على ما سيرد عرضه  
— إن شاء الله — لكن على أساس من الرابطة الروحية والمصير العملي المشترك ،  
فكان الإسلام ثورة تحريرية إنسانية شاملة تبدأ في ضمير الفرد وتنتهي في محيط  
الجماعة سلوكا وعملا — في ظلال الأخوة — حكماً وتجاراً ومعاملة وحياة يومية  
وعلاقات عامة — وحتى دولية — حتى بلغ الإسلام بهم درجة الإيثار ﴿٢﴾ والذين  
تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم  
حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴿٢﴾ ..

وبذلك قد سلكت الحضارة الإسلامية مسلكا وسطا لا ينكر عالم المادة ، ولا  
ينفر من الواقع الحسي للوجود ، بل يدعو إلى الإقبال على الحياة — في اعتدال —  
ودون إفراط أو تفريط (٣) من أجل ذلك اصطبغ مفهوم المجتمع الإسلامي بالتفاؤل  
والمنافسة في العمل على عمران الحياة — في حدود ما شرعه الله — ولم يجد المسلم  
في ذلك ما يدعو إلى التشاؤم أو ما يرتبط بالإثم أو الخطيئة — كما نجد في بعض  
الديانات المحرفة الأخرى .. وهكذا عظمت قيمة العمل في المجتمع الإسلامي  
فارتبط بإيمان الفرد ارتباطا وثيقا ؛ لأن الإيمان إذا كان روح العمل وسره فإن  
العمل هو جسم الإيمان وشكله. وهذا أمر معقول في دين كإسلام يدعو إلى  
اعتناق مذهب وحدة الحياة وامتدادها إلى الأبد (٤) بعد الموت في الدار الآخرة ..

- 
- (١) يجمع المسلم بين التقيضين ( أشداء — ولكن على الكفار « رحماء بينهم » ) .  
(٢) راجع كتاب ( دراسات إسلامية للشهيد سيد قطب وكتاب العدالة الاجتماعية وكتاب خصائص التصور  
الإسلامي ومقوماته ) وكتاب ماذا خسر العالم باخطاط المسلمين لأبي الحسن الندوي وحاضر العالم  
الإسلامي ترجمة وتعليق شكيب أرسلان . وكتابتنا حاضر العالم الإسلامي .  
(٣) راجع ما قدمناه في أول الكتاب في ( أزمة المثقفين ) .  
(٤) راجع كتاب الإيمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوي في بابي « أثر الإيمان في حياة الفرد والمجتمع » .  
وكتاب العدالة الاجتماعية في الإسلام للشهيد سيد قطب . وركائز الإيمان للشيخ الغزالي .

وبالتالى يدعو إلى وحدة العمل ، ويجعله كله من العبادة (١) سواء أكان عملاً للمعيشة هنا فى الدنيا أم للعيش هناك فى الآخرة؛ فلا يقول هذا عمل دنيوى وذاك عمل أخروى (٢) بل يقول فى كل أنواع العمل : هذا عمل صالح ينفع الناس ويمكث فى الأرض لإمداد الحياة بمدد الخير — فهو إذن عبادة سواء أكان فى ظاهره للدنيا أم للأخرى ..

وهذا عمل فاسد يؤذى الحياة ولا يمدها بخير ؛ فهو إذن كفر أو فسق سواء أكان ظاهره دنيوياً أم أخروياً .

ومن هنا قرر الإسلام أن كل الأعمال؛ واللذات الطيبة يجوز أن تحول إلى عبادة؛ إذا قدمت أمامها النية الخالصة فى حفظ هبة الحياة والانتفاع بها ، واحترام إرادة واهبها — عزوجل — هكذا ارتبط العمل بالإيمان فى عقيدة المجتمع الإسلامى ارتباطاً جوهرياً يقوم على التفاؤل والتفاعل والإقبال على الحياة من أجل خير البشرية .

ولقد اقتضى ذلك أن يكون لهذه الجماعة المؤمنة رسالتها فى هذه الحياة ودورها فى صراع قوى الشر المتربصة من حولها .. وهو صراع دائم بين معسكرين كبيرين كل منهما ينتمى إلى فكرة ويلتزم فيها موقفاً معيناً ويعمل فى سبيلها — يقول الحق — تبارك وتعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت .. فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾ لذلك يسم القرآن الكريم هؤلاء الكافرين بأنهم يعملون تحت لواء الشيطان عدو آدم وذريته ، ومصدر الصراع الرئيسى فى العالم (٣) غير أن كيد الشيطان على كل حال كما ذكرت الآية الكريمة ، فهو غير قادر على الصمود إزاء إرادة الفرد والجماعة المؤمنة التى تؤثر الكفاح على الاستسلام وما حديثه مع عمر — رضى الله عنه — علينا بغريب وقول الرسول الكريم — عليه السلام — فيه لو سلك ابن الخطاب شعباً لسلك الشيطان شعباً آخر !!!

(١) راجع كتاب العبادة فى الإسلام للدكتور يوسف القرضاوى ، وحمية الحل الإسلامى ، وللشيخ شلتوت رحمه الله الإسلام عقيدة وشريعة .

(٢) راجع ماقلناه فى فصل ( خطأ مشهور وصواب مهجور ) .

(٣) راجع ماقلناه سلفاً فى عدوك الأول عند فصل : اعرف عدوك . ( .. قال اهبطاً منها جميعاً بعضكم لبعض عدو .. ) .

ولكن الحذر — كل الحذر — من أولياته .

والجديرون بالحرب التي لا هوادة فيها هم قرناؤه ، فإنهم — شياطين الإنس أشد ضراوة من شياطين الجن .. فشياطين الجن يهرون من الاستعادة ويفرون من الأذان للصلاة إلا شياطين الإنس وصدق الله العظيم : ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ وما أقوى حصن الإيمان حينما يتحصن به المسلم ﴿ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ؟ كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ﴾ ولذلك قال الحق تبارك وتعالى ﴿ فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾ ولم يقل فقاتلوا الشيطان بل قال : ﴿ فقاتلوا أولياء الشيطان ﴾ فالثلة المؤمنة تقاتل في سبيل الله الذي يملك كل شيء ، ويقدر على كل شيء ، والذي يدافع عن الذين آمنوا بينما ينتمى أولياء الشيطان إلى قوة هي في أساسها جزء ضعيف من خلق الله ، ومن ثم يجيء النصر النهائي دائما لصالح المؤمنين المجاهدين الذين يتحركون أبدا بأمر من الله ، ﴿ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾ لمصارعة القوى المضادة والتغلب عليها ، ولذلك يقول الحق — تبارك وتعالى — ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين — إنهم لهم المنصورون — وإن جندنا هم الغالبون ﴾ ﴿ ان تصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ ﴿ والله مع الصابرين ﴾ ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ فما أعظم هذه المعية الإلهية ! ..

تلك هي الرسالة التي حملها المجتمع الإسلامي — وأنت أيتها الأخت المسلمة شطره — وهكذا يرى هذا المجتمع ذاته الحضارية في التاريخ ، وتعلمين مكانك من هذه الحضارة وذاتك في هذا التاريخ — وهي رسالة تقتضى الصبر والإيمان والعمل الجاد، والإرادة القوية التي تتجلى في قول الرسول العظيم — ﷺ — « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » أو كما قال ﷺ . وبمثل هذا استطاع هذا المجتمع الإسلامي الرباني الوليد أن يفتح العالم ويقم الحق وينقذ البشرية من أعدائها ،

وينهض الأمم من كبوتها، ويخرج الناس من عبادة المخلوق والشيطان إلى عبادة الرحمن ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها وسعة الآخرة، ومن جور الأديان (١) إلى عدل الإسلام — كما قال ربي بن عامر لرستم قائد جند الفرس ..

وقد عرض المؤرخ — المعتدل المنصف ظاهريا — «أرنولد توينبي» لهذه الظاهرة ، فأقر — ابتداء — بأن الإسلام أكثر العقائد الدينية اتفاقا مع المنطق وأشدّها دقة في الإيمان بمبدأ الوجدانية الجليل ، وهو ينكر ادعاء بعض المؤرخين بأن القوة المادية والسياف كان العامل الوحيد الحاسم في انتشار الإسلام (٢) ذلك أن الشروط التي تطلبها المسلمون من غيرهم للإيمان بالدين الجديد لم تزد على تأدية عدد من الفرائض لم تكن تأديتها بالأمر الشاق .

ومن جهة أخرى ، فإن البلاد المفتوحة لم تخير بين الإسلام أو القتل .. بل بين الإسلام أو الجزية (٣) — وهي درهيمات قليلة في سبيل الدفاع عنهم — ترفع عنهم عند العجز والظعن في السن أو عند عجز المسلمين عن حمايتهم — كما فعل أبو عبيدة بن الجراح — رضي الله عنه — أمين هذه الأمة — ( الإسلام أو الجزية أو السيف — عند إباء الجزية والإسلام — والمحارب جزاؤه السيف .. لما أخذ الجزية من أهل حمص فلما رأى العدو قد جهز له من الجيش ما لا قبل له به رد إليهم الجزية فدخلوا الإسلام على بكرة أبيهم .

### ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ ﴿ أذن للذين يقاتلون ، بأنهم ظلموا ﴾

كذلك لن يطبق الإسلام هذا الاختيار — تطبيقا منفرا — على غير المسلمين من رعايا الدولة ، وإنما كان انتشار المد الإسلامي الواسع — في رأى توينبي — بين القرنين التاسع والثالث عشر — الميلاديين — حصيلة حركة شعبية شعوبية تلقائية ، ولم ينجم — قط — عن ضغط سياسي وإذا كان الإسلام قد اندفع من

(١) الأديان المحرفة أو النظم الأرضية القاصرة .

(٢) يراجع كتاب دراسات إسلامية .

(٣) ولم تكن الجزية إلا درهيمات قليلة تؤخذ في السنة لقاء الدفاع عن الذمي وله حرية الدين وحرية العقيدة في حدود عدم العدوان على حريات الآخرين أو الوقوف ضد تيار المد الإسلامي إذ لا يعقل أن ينخرط في سلك المجاهدين وهو مشرك ﴿ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴾ ولقد ذقنا الأمرين في حرب ٦٧ حيث كان رئيس الجيش الثاني نصرانيا ولهذا بحث آخر في الدراسات الميدانية التي يقدمها القرآن الكريم .

شبه الجزيرة العربية خلال القرن السابع الميلادي — عقيدة اقتصرت — في بداية الأمر — على العرب وحدهم — فإنه لم يأت القرن الثالث عشر الميلادي ، حتى غدا الإسلام دينا عالميا .. ولا جرم أن عقيدة دينية توفق التوفيق كله تحت تأثير فضائلها الذاتية في الفوز بولاء الناس لها ..؛ ليعد انتصارها الروحاني أعجب الأمثال<sup>(١)</sup>. ولقد كان في انتشار الإسلام وتأسيس الدولة الإسلامية الكبرى ما يغري علماء المسلمين بتتبع أخبار قيادتهم المؤمنة — في مجالاتها الروحية والسياسية والعسكرية<sup>(٢)</sup>؛ فأقبلوا على كتابة التاريخ — وإن كان لا بد لصياغة جديدة إسلامية في ضوء رؤى جديدة لآفاق عليا إسلامية لتنقيته من الشوائب — وصار لهم في ذلك شأن كبير كما يحكيه الأجانب المنصفون أنفسهم .

وبعد : فقد غير «توينبي» عن المعنى الروحي في الحضارة الإسلامية؛ كما يحسه الجبرتي في النص الطريف الآتي الذي نختاره من كتابه ( الحضارة في الميزان ) لنختتم به الكلام في هذا الفصل ؛ لندلف إليك أيتها الأخت المسلمة إلى مكانك تحت منظار الإسلام يقول توينبي « سؤال أثارته إحدى عبارات الجبرتي ولا يزال ينتظر الجواب وهو : ماهو في الواقع أهم حادث في سنة ١٢١٣ هـ ؟ هل هو غزو نابليون لمصر ؟ أو توقف سفر الحجاج من مصر إلى الأراضي المقدسة في الحجاز ؟ !!! » .

إن نظام الحج الإسلامي — بالطبع — ليس في حد ذاته سوى فريضة دينية ظاهرة ، ولكنه يرمز إلى روح الأخوة التي تربط بين المسلمين — قاطبة — ومن ثم يتعرض الإسلام للخطر متى توقف الحج كما علمتنا التجربة في عصرنا هذا — وكان الجبرتي يحس هذا الخطر لأنه كان يقدر التراث الروحي المتصل بدين أسلافه وما تقديرتنا نحن للإسلام ؟ هل في وسع الجنس البشري أن يستغنى عن

(١) توينبي مبتدع المنهج التاريخي الحديث . ص ٨٧ .

(٢) راجع كتاب ( الرسول القائد ) للعقيد الركن محمود شيت خطاب و ( عالمية الدعوة الإسلامية ) د . علي عبد الحلیم محمود ط عكاظ للطباعة والنشر و ( الإسلام في النظرية والتطبيق ) تأليف مريم جميلة المهدي ط مكتبة الفلاح ترجمة س حمد وتاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية لعمر فروخ ط دار العلم للملايين بيروت و صفحات مضيئة من تراث الإسلام لأنور الجندى ط دار الاعتصام وغيرها وغيرها كثير في المكتبة الإسلامية التاريخية وماذا خسر العالم للندوى بصفة خاصة ( والحضارة في الميزان للجبرتي ) .

الأخوة الإسلامية التي هي عماد المجتمع في هذا العصر من عصور التاريخ العالمي الذي يحتمل فيه أن تتركز السيادة على العالم في يد الشعوب التي تتكلم الإنجليزية فيما وراء البحار؟ وتجاهر بالتعصب ضد الملونين؟ وتأخذ بسياسة التفرقة العنصرية؟!

على أن هذه الفضيلة الاجتماعية على جليل قدرها وسمو شأنها ليست هي لباب الإسلام، وهو ما كان يطيب للجبرتي أن يبينه لنا وإن كان قد اتفق أن يكون هو نفسه مثلاً حياً لهذه الفضيلة التي يختص بها الإسلام فقد كان الجبرتي كما يدل على ذلك لقبه الرئيس الوراثي لإحدى تلك الأمم التي تنتظم في سلك الجامعة الأزهرية كما كانت تنتظم في جامعة السربون المعاصرة لها .

ومن كان أهل ( جبرت ) ؟ كانوا قوماً من الجالا والصوماليين الذين يعيشون وراء الحبيشة وهم قوم سمر الوجوه من سلالة حام يدينون بالإسلام ومن ذلك نرى أن هناك مواعمة موفقة سعيدة بين لقب صاحبنا واسمه فلقبه الجبرتي أي الأثيوبي واسمه الأول عبد الرحمن أي الذي يعبد الله ذا الرحمة، ومع ذلك فإن هذا العابد للإله الرحيم كان في وسعه أن يقرر أنه لم يكن الحج سوى رمز للأخوة التي تسمو على اختلاف الألوان والطبقات؛ فإن هذه الوحدة بين المؤمنين الصادقين ليست هي الأخرى سوى مظهر عملي على ظهر الأرض للإيمان الحق بوحداية الله؛ فالتوحيد هو الهبة الخالقة التي قدمها الإسلام للإنسانية؛ وليس في وسعنا أن ننبذ هذه الهبة وراء ظهورنا (١) .

### المرأة في منهاج الإسلام :

وهانحن أولاء — يأختاه — قد دلفنا إليك في روضة الإسلام الفسيحة لترى مكائك — وأنت صاحبة النصف منها — « فأنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك » أو كما قال ﷺ وأول ما يطالعنا به الإسلام للمرأة ما يلي :

١ — إبطال النظرة الجاهلية برمتها والتشنيع عليها والتنكر لها واجتثاث آثارها من الناحيتين النفسية والعملية وإبطال كل ما ترتب على ذلك في أمور الزواج والطلاق والميراث والأمر باستقبال البنت والترحيب بها .. يقول الرسول الكريم

(١) توينبي الحضارة في الميزان ترجمة أمين محمود الشريف ط الحلبي ص ٩٢ .

عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم » من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتين واتقى الله فيهن، وفي زواية فأدينهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة « (١) .

٢ — اعتبار مستونيتها وتوجيه خطاب التكليف لها كالرجل سواء بسواء ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ والنفس تشمل الذكر والأنثى ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ والإنسان يشمل الذكر والأنثى (٢) ، ﴿ من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ، ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى (٣) — وهو مؤمن — فأولئك (٤) يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ ومن هنا أوجب الإسلام عليها . كما أوجب على الرجل معرفة العقائد والعبادات والحلال والحرام ، في المأكل والمشرب، وسائر التصرفات، ولا نعرف بينها وبين الرجل فارقاً دينياً في التكليف وأهليته سوى أن التكليف يلحقها قبل الرجل وذلك لوصولها بطبيعتها إلى مناط التكليف وهو البلوغ قبل أن يصل الرجل إليه ، وصدق رسول الله ﷺ « كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » (٥) أو كما قال ﷺ أجل : رفع الإسلام عنها الإلزام ببعض التكليف؛ لا لأنها غير أهل، ولو فعلتها لم تقبل منها، ولم تثبت عليه لا ولكن أبيض لها تركها تخفيفاً عنها، وترخيصاً لها، وبعدها بها عن مزاحمة الرجال وتفرغاً لها لخدمة البيت الذي هو عماد المجتمع والإشراف عليه ورعاية الأبناء وذلك على سبيل المثال: كما في الصلاة مع الحيض والنفاس وصلاة الجمعة والجهاد عند الأمان من مدهامة العدو لأرض الوطن على ما عرف من مبادئ الجهاد. ولو أنها حضرت الجمعة وصلاة الجماعة، أو دخلت الصفوف المحاربة؛ لما كان عليها من حرج في الدين عند أمن الفتنة (٥) إلا الصلاة مع الحيض والنفاس فإنها لاتجوز والصوم معها. إلا أنها تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة .

٣ — مطالبتها بالعلم والعمل « طلب العلم فريضة على كل مسلم » (٦)

(١) رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه والترمذى واللفظ له .

(٢) من للعاقل من الرجال والنساء ( \* ) وسيد القوم خادهم .

(٣) على التحديد والتصنيف .

(٤) بتغليب الرجال وهذه لغة العرب كما في القمرين والعمرين والأبوين .

(٥) كما سبق في أول الباب .

(٦) الإسلام عقيدة وشريعة للمرحوم الشيخ عمود شلتوت .

(٧) أى : ومسلمة .. رواه ابن ماجه رقم ٢٢٤ وله طرق تبلغ به رتبة الحسن — رضى الله عنهما — .

وقالت عائشة — رضى الله عنها: « رحم الله نساء الأنصار لم يمنعن الحياء من التفقه في الدين » وقال المصطفى الكريم في عائشة رضى الله عنها « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » أو كما قال صلى الله عليه وسلم وقد طلب النساء من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحدد لهن يوماً للتفقه في الدين فقلن له كما في كتب السيرة ( غلبنا عليك الرجال يا رسول الله فاجعل لنا من نفسك يوماً ) فجعل لهن يوماً صلى الله عليه وسلم ولن يكون عمل صحيح إلا إذا انبنى على علم وفقه ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (١) وُوَعِدَتْ بحسن الجزاء كما مرَّ آنفاً وجاء تقرير ذلك في معرض الهجرة والجهاد والابتلاء لبيان أنها قامت بدورها مع الرعيل الأول في تلك الميادين من أول يوم فيقول سبحانه وتعالى ﴿ فاستجاب لهم ربهم أنى لأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيل وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب ﴾ وليقف المتأمل عند التعبير الإلهي المحيط ﴿ بعضهم من بعض ﴾ ليعرف كيف سما القرآن بالمرأة وارتفع بها من وهدتها في الجاهلية حتى جعلها بعضاً من الرجل وكيف حد من طغيان الرجل فجعله بعضاً منها !!

وقد حفظ لنا تاريخ الدعوة الأولى وللأجيال دور خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها، وسمية أول شهيدة في الإسلام زوج ياسر، وأم عمار بن ياسر، وأسماء ذات النطاقين، ونسبية بنت كعب التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحده: « ومن يطيق ماتطيقين يأمر عماراً ؟ » رضى الله عنهن .

وسجل القرآن بيعة النساء وقصة المهاجرات (٢) وخروجهن للغزو والجهاد قال البخارى — رحمه الله — ( باب خروج الغزاة في سبيل الله ) وروى عن إحدى الصحابيات الجليلات قالت ( كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسقى القوم

(١) يجب أن يكون المسلم على علم بكتاب الله ولو قراءة وترتيلاً والوقوف على الآيات المطلوبة ومعرفة أماكنها من السور عند الحاجة — باستعمال المعجم المفهرس — لذلك تركت توضيح أماكن الآيات التي أسوقها ليصل إليها القارئ بنفسه فينال الخير والثواب — كما قدمت في أول الكتاب، فأرجو المذرة، واتباع ذلك .

(٢) كما سبق في أول الباب .



ونخدمهم ونرد القتل والجرحى إلى المدينة .. ) .

٤ — احترام رأيها واعتباره فيمن يتقدم لزواجها وسيأتي ذلك إن شاء الله عند الحديث في باب ( نماذج من المجتمع المثالي في ظلال الإسلام ) .

٥ — مسئوليتها العامة فيما يختص بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإرشاد إلى الفضائل، والتحذير من الرذائل .. وهذا من معنى الولاية التي تمت بمقتضى عقد الإيمان الذي يحتم النصرة والتأزر والتعاون والتناصح ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ (١) ولقد صرح القرآن الكريم بمسئوليتها صنو الرجل فقرن بينها وبين الرجل في تلك المسئولية كما قرن بينها وبينه في مسئولية الانحراف عن الواجب واجب الإيمان والإخلاص لله عز وجل ثم للمسلمين يقول الله تبارك وتعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ .

﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار (٢) نار جهنم خالدين (٣) فيها هي حسبهم ولعنهم الله وهم عذاب مقيم ﴾ ﴿ يأيا الذين آمنوا لا يسخر قوم (٤) من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء (٥) من نساء عسى أن يكن خيرا منهن .. ﴾ .

ويقول الرسول الكريم ﷺ « الدين النصيحة » قالوا لمن يارسول الله ؟ قال الله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم » ويعلق المرحوم الشيخ محمود شلتوت على ذلك فيقول ( إن مسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهي أكبر مسئولية في نظر الإسلام وقد سوى الإسلام فيها بصرح هذه الآيات بين

(١) والأمر يشمل الرجل والمرأة .

(٢) أى والكافرات .

(٣) يشمل الذكر والأنثى .

(٤) القوم الرجال والنساء .

(٥) خصهن من باب ذكر الخاص بعد العام بلاغة للتأكيد .

## الرجل والمرأة (١) .

إذن .. فليس من الإسلام أن تكف المرأة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ اعتماداً على ظن أو وهم أنه شأن خاص بالرجال دون النساء .

وليس من الإسلام أن تلقى المرأة حظها من تلك المسؤولية على الرجل وحده بحجة أنه أقدر منها عليها أو أنها ذات طابع لا يسمح لها أن تقوم بهذا الواجب فللرجل دائرته وللمرأة دائرتها .. والحياة لاتستقيم إلا بتكاتف النوعين فيما ينهض بأمتهم فإن تخاذلاً أو تخاذل أحدهما انحرفت الحياة الجادة عن سبيلها المستقيم فليعلم ذلك نساؤنا وليفقهن حكم الله فيهن .

٦ — وقد أمضى رسول الله ﷺ أمان أم هانئ وقال: «أجرنا من أجرت يأم هانئ» وأبدت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها رأيها في استخلاف أبيها للصلاة وأشارت أم سلمة على رسول الله في الحديبية بأن يتحلل من إحرامه فيتبعه المسلمون .. وقد كان ..

فتابعوا على بكرة أبيهم (٢) ونصحت المرأة عمر رضي الله عنه وهو على المنبر بخطب ويقول (ألا لاتغالوا في مهور النساء) وقالت أيعطينا الله وتحرمنا أنت؟ فقال وكيف ذلك ياأخت الإسلام؟ فقالت يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَأَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ فَذَلِكُمْ أَجْزَأُ مِنْ تَأْخُذِكُمْ بِهِ إِذَا عَدَدْتُمْ زَوْجَاتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا فِيكُمْ بِمَا خَلَقْتُمْ بِهِنَّ وَاللَّهُ عَلِيمٌ غَلِيظٌ عَلَيْهِنَّ وَمَا يَسْتِغْنِي عَنْهُنَّ لِأَسْوَاقِكُمْ إِذَا رَمَيْتُمْ بِزِينْتِكُمْ فِيهَا لِلرِّجَالِ مِنْهَا مَخْرَجٌ وَعَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فِي الْحَدِيثِ مِنَ النِّسَاءِ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣) فلا تأخذوا منه شيئاً تأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً ﴿ فقال عمر رضي الله عنه قولته المشهورة (أصابت امرأة وأخطأ عمر) .

وسأوفيك بطرف من ذلك غير قليل إن شاء الله كما وعدت  
٧ — أهليتها في التصرف — مالياً وتجارياً — واحترام ملكيتها فلا يحق لأي إنسان بعد رشدها أن يأخذ من مالها أو يجبرها على التصرف فيه بغير رضاها يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صِدْقَاتِهِنَّ (٤) نِحْلَةً فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ

(١) الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ شلتوت .

(٢) الصواب على لاعتن كما جاء في المثل في كتاب (الميداني مجمع الأمثال) والبكرة الناقة (جاءوا على بكرة

أبيهم : أي أرسلهم القاتل على ناقة أبيهم) .

(٣) نكرة وهي عامة في جميع أفراد جنس القطر ففضه ذهب . إلخ .

(٤) مهورهن .

منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ﴿﴾ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا ﴿﴾ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴿﴾ .

٨ - إكرامها - بنتا - بتربيتها وتعليمها - كما مر آنفا - ثم تكريمها - زوجة - فأوصى بها - « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » تكريمها - أما .. إلخ . كما سيأتى مفصلا عن ذكر دور كل واحدة في الإسلام .

هذا هو الإطار الفاضل الذي وضعت فيه المرأة والذي جاء منسجما مع الفطرة ومع النظرة الإسلامية الشاملة لأهمية دورها في الحياة وفي بناء المجتمع الإسلامي ومشاركتها الفعالة في صنعه وقد تم ذلك عمليا خلال الفترات الحية الوضيئة<sup>(١)</sup> في تاريخ الإسلام وبهذا يحق لنا أن نقول : إن الإسلام هو المنهج الوحيد الفذ الذي أنصفها وأنزله المنزلة اللائقة بها ووضعها موضع العدل والقسطاس الذي تحقق به رسالتها ووجودها دون إفراط أو تفريط لأنه منهج الله لحركة الحياة .. حقا « إنما النساء شقائق الرجال »<sup>(٢)</sup> .

٩ - نظم حقوق الزوجين وجعل لها حقوقا كحقوق الرجل مع رياسة الرجل لشئون البيت وهي رياسة غير مستبدة ولا ظالمة<sup>(٣)</sup> ﴿﴾ وهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴿﴾ .

١٠ - نظم قضية الطلاق بما يمنع من تعسف الرجل فيه واستبداده في أمره فجعل له حدا لا يتجاوزوه وهو الثلاث ولم يكن له عند العرب حد يقف عنده وجعل لإيقاعه وقتا ( في طهر لم يجامعها فيه وطلقة رجعية واحدة .. إلخ ) . ولآثاره عدة تتيح العودة إلى الصفاء والوثام .. إلخ .

مما قد نتعرض له في ثنايا حديثنا ؛ إذ ما هيمننا هنا هو رسالة المرأة ولهذه الأمور أبوابها في كتب الفقه وهي ثرية - بحمد الله - .

١١ - حد من تعدد الزوجات فجعله أربعا وكان في الجاهلية لا حدود له

(١) راجع كتاب (صفحات مضيئة من تراث الإسلام) لأنور الجندی ط دار الاعتصام .

(٢) رواه أبو داود وأحمد والترمذى وغيرهم .

(٣) راجع كتاب المرأة بين الفقه والقانون د . مصطفى السباعي رحمه الله ط ٣ المكتب الإسلامي .

وبشروط قاسية ﴿ فَإِنْ خَفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ، فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمَلْعَقَةِ .. ﴾ .

١٢ — جعلها تحت البلوغ تحت وصاية أوليائها وجعل ولايتهم عليها ولاية رعاية وتأديب وعناية — كما أسلفنا — وعناية بشعونها وتنمية لأموالها لا ولاية تملك واستبداد وعضل وجعلها بعد البلوغ كاملة الأهلية كما قدمنا .. والنتيجة ؟ كما ألحنا سلفا .

من هذه المبادئ نعلم أن الإسلام أحل المرأة المكانة اللائقة بها في ثلاثة مجالات رئيسية :

### ١ — المجال الإنساني :

فاعترف بإنسانيتها كاملة .. كالرجل .. وهذا ما كان محل شك أو إنكار عند أكثر الأمم المتقدمة سابقا .

### ٢ — المجال الاجتماعي :

فقد فتح أمامها مجال التعلم وأسبغ عليها مكانا اجتماعيا كريما في مختلف مراحل حياتها — منذ طفولتها حتى نهاية حياتها — بل جعل اللجنة تحت أقدامها ، حيث قال ﷺ : « اللجنة تحت أقدام الأمهات » .

### ٣ — المجال الحقوقي :

فقد أعطاهم الأهلية المالية الكاملة في جميع التصرفات حين سن الرشد ، ولم يجعل لأحد عليها ولاية من أب أو زوج أو رب أسرة وقصة الفتاة التي ذهبت إلى رسول الله ﷺ ليست بغريبة وهي تقول : يارسول الله إن أبي يريد أن يزوجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته وإني عنه (١) راغبة فقال لها المعلم العظيم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم « زَوِّجِي نَفْسَكَ (٢) » فقالت يارسول الله إني قد أجزت ما صنع أبي ولكنني أردت أن أعلم النساء ماهن من حقوق . يا الله . أين تعلمت هذه الفتاة ؟ أي مدرسة ؟ أي جامعة ؟ أي أكاديمية علمية ؟ إنها تعلمت

(١) لا أرغب فيه .

(٢) فقد كانت بالغة مكلفة .

وجعل لها حق فسخ عقد النكاح إذا زوجها ولها صغيرة فإذا بلغت المحيض كان لها هذا الحق وهناك بعض الفروق الفردية تبعا لرسالة كل منهما نذكرها سراعا من باب الرد على الشبهات التي تثار حول الإسلام من الكفار والملاحدة والعلمانيين والمستشرقين والمبشرين أو من بعض المغفلين من مثقفي أمتنا الإسلامية — مع الأسف — فنقول وبالله التوفيق<sup>(١)</sup>

### الفروق الفردية بين الذكر والأنثى :

ومع ما ذكرنا من حقوقها ومنزلتها فإننا نجد الإسلام قد فرق بين الرجل والمرأة في بعض المجالات ذكرنا طرفا منها ومن المؤكد أن هذا التفريق لاعلاقة له بالمساواة بينهما في الإنسانية والكرامة والأهلية بعد أن قررها الإسلام لها على قدم المساواة مع الرجل بل لضرورات اجتماعية واقتصادية ونفسية وجبليّة اقتضت ذلك وإليك البيان .

### ١ — في الشهادة :

جعل الإسلام الشهادة التي تثبت الحقوق شهادة رجلين عدلين ، أو رجل وامرأتين ، وذلك قول الله تعالى في آية المدائنة ﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ﴾ ثم بين سبحانه العلة فقال ﴿ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى .. ﴾ .

ومن الواضح البين أن هذا التفاوت هنا ليس مصدره الإنسانية أو الكرامة أو الأهلية فما دامت المرأة إنسانا — كالرجل — ذات أهلية كاملة لتحمل الالتزامات المالية — كالرجل — لم يكن اشتراط اثنتين مع رجل واحد إلا لأمر خارج عن هذا النطاق وذلك تفسير المولى — عز وجل — ﴿ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾ .. أي مخافة أن تضل إحداهما فإذا لاحظنا أن الإسلام مع إباحته للمرأة التصرفات المالية يعتبر رسالتها الاجتماعية هي التوفر على شؤون الأسرة وهذا ما يقتضيها لزوم بيتها في غالب الأحيان وخاصة في أوقات البيع والشراء

(١) راجع كتاب شبهات حول الإسلام للأستاذ محمد قطب ومفريات على الإسلام للشيخ أحمد محمد جمال والإسلام المفترى عليه للشيخ محمد الغزالي .

أدركنا أن شهادة المرأة في حق يتعلق بالمعاملات المالية بين الناس لا يقع إلا نادرا وما كان كذلك فليس من شأنها أن تحصر على تذكُّره حين مشاهدته فإنها تمر به عابرة لاتلقى له بالا فإذا جيء للشهادة بها أمام القاضي كان احتمال نسيانها أو خطئها ووهمها محقق .. فإذا شهدت امرأة أخرى بمثل ماتشهد به زال احتمال النسيان والخطأ والوهم . والحقوق لا بد من الثبوت فيها وعلى القاضي أن يبذل غاية جهده لإحقاق الحق وإبطال الباطل .

هذا هو كل مافي الأمر والا فلماذا تقبل شهادتها هي وحدها فقط فيما يخص النساء ( كالطمث ) [ العادة الشهرية ] مثلا أو الحمل أو عدمه أو البكارة وما شاكل ذلك إلا إذا انعدمت الخبرة بذلك ووجد الطبيب المسلم الحاذق المختص ( فالضرورات تبيح المحظورات ) ثم لماذا لايرضع الرجل ولا يفطم .. إلخ . ولهذا المعنى نفسه ذهب بعض العلماء إلى أن شهادة النساء لاتقبل في الجنائيات وليس ذلك إلا لما ذكرناه آنفا فقلما أن تحضر مجالس الخصومات أو تسيغ طبيعتها البقاء إلى أن تشهد جريمة القتل بعينها وتظل رابطة الجأش ساكنة النفس بل الغالب أنها إذا لم تستطع الفرار كان منها أن تغمض عينها وتولول وتصرخ وتستغيث بل قد يغمى عليها فكيف يمكنها بعد ذلك أن تتمكن من أداء الشهادة فتصف الجريمة والجرمين والأداة المستعملة في الجريمة وكيفية وقوعها ؟ (١) ..

ومن المسلم به أن الحدود تدرأ بالشبهات وشهادتها في القتل وأشباهه تحيطها الشبهة شبهة عدم إمكان تثبتها من وصف الجريمة ، لحالتها النفسية عند وقوعها . ويؤكد مراعاة هذا المعنى في الاحتياط لشهادتها فيما ليس من شأنها أن تحضره غالبا أن الشريعة قبلت شهادتها وحدها فيما لايطلع عليه غيرها أو ماتطلع عليه دون الرجال غالبا .. من البكارة والثيوبة والعيوب الجنسية لدى المرأة وهذا حين كان لايتولى توليد النساء وتطبيهن والاطلاع على عيوبهن الجنسية إلا النساء في العصور الماضية .

فليست المسألة مسألة كرامة إذن أو إهانة أو أهلية أو عدمها وإنما هي مسألة تثبت في الأحكام واحتياط في القضاء بها وهذا ماجرص عليه كل تشريع عادل .

(١) وصدق ما قيل فيها : « نصرها بكاء وبرُّها سرقة » .

وبهذا نعلم ونتأكد أنه لا معنى للشغب والتشنيع على الإسلام وإثارة الشبهات حوله في هذه القضية واتخاذها سلاحاً للدعاية ضده بأنه انتقص المرأة المسلمة حقها وعاملها دون الرجل كرامة ومكانة فتلك قضية من أسلحة الدعاية ضد الإسلام مرفوضة شكلاً وموضوعاً ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ..﴾ .

## ٢ - في الميراث :

أثبت الإسلام تقديره للمرأة ورعايته لحقوقها بإعطائها حق الميراث خلافاً لما كان عليه عرب الجاهلية وكثير من الشعوب القديمة والحديثة الآن كالإنجليز وكثير من شعوب الحضارة الحديثة حتى إنها لا تحمل اسم أبيها بل يقال فلانة كذا باسم زوجها حتى سرت العدوى إلى المسلمين تمدنا وجهالة ( كما كنا نسمع صفة زغلول وزينب النحاس و ... و ... وكما نسمع الآن في شتى أنحاء العالم الإسلامي علماً بأن نصيبها في الميراث يختلف باختلاف حالتها .

أ - بين أن يكون نصيبها مثل نصيب الذكر كما في الأخوات لأم فلكل واحد منهما السدس إذا انفرد كل منهما وإذا كانوا ذكورا وإناثاً فإنهم شركاء في الثلث للذكر مثل حظ الأنثى .

ب - وبين أن يكون نصيبها مثله أو أقل منه كما في الأم مع الأب إذا كان للبت أولاد فإن ترك معها ذكورا وإناثاً كان لكل من الأب والأم السدس وإن ترك معها إناثاً فقط كان لكل منهما السدس ويرد الباقي من التركة على الأب بعد أخذ السهام فمن مات عن بنت وزوجة وأم وأب كان للبت النصف وهو ( ١٢ من ٢٤ ) وللزوجة الثمن وهو ( ٣ ) وللأم السدس وهو ( ٤ ) مع أن الزوجة امرأة والأم امرأة وللأب السدس وهو ( ٤ ) ثم الباقي ١ فيصير له ( ٥ ) .

ج - وبين أن تأخذ نصف ماأخذه الذكر وهذا هو الأعم الأغلب بل هو القاعدة العامة إلا ماذكرناه وقد تذهب النساء بالميراث كله إذا لم يكن للميت إلا أخوات وبنات من صلبه فيتقاسم الميراث كله بالسوية على الرعوس ( اجعلوا الأخوات مع البنات عَصَبَةً ) ولا يأخذ الذكور مثل أولاد العم وغيرهم من ذوى الأرحام . أما هذه الحالة فتختفى من الشبهات ولا تثار وإنما الذى يثار هو بعض

الحالات على سبيل الجهالة أو المغالطة .

فهل هذا لنقص في إنسانيتها في نظر الإسلام ؟ أم لنقص في مكانتها وكرامتها ؟ حاشا لله ليس في الأمر شيء من هذا فمن المستحيل أن ينقص الإسلام في ناحية ما بناه في ناحية أخرى ، وأن يضع مبدأ ثم يضع أحكاما تخالفه ولكن الأمر يتعلق بالعدالة في توزيع الأعباء والواجبات على قاعدة ( الغنم بالغرم ) .

ففي نظام الإسلام العادل يلزم الرجل بأعباء وواجبات مالية لا تلزم بمثلها المرأة فهو الذى يدفع المهر ، وليس من حقه أو من حق أحد أخذ شيء منه دون طيب نفس كما قدمنا وينفق على أثاث بيت الزوجية وعلى الزوجة والأولاد .  
أما المرأة فهى تأخذ المهر ولا تسهم بشيء في نفقات البيت على نفسها ولا على أولادها ، — ولو كانت غنية — ومن هنا كان من العدالة أن يكون نصيبها في الميراث أقل من نصيب الرجل وقد كان الإسلام معها كريما متسامحا حين طرح عنها كل الأعباء تلك وألقاها على كاهل الرجل ثم أعطاها نصف ما يأخذ تكريما وتفضلا فهل من مُذكر ؟ وصدق العليم الخبير ﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ (١) الشقاء لآدم فقط .

لنفرض أن رجلا مات عن ابن وبنت وترك لهما مالا فماذا يكون مصير هذا المال غالبا بعد أمد قليل ؟ إنه بالنسبة للبنت سيزيد ولا ينقص يزيد المهر الذى تأخذه من زوجها حين تتزوج ويزيد حين تنميته بالتجارة لا أن تضعه بالربا في بنك ربوى أما بالنسبة إلى أخيها الذكر فإنه ينقص منه المهر ونفقات العرس وأثاث البيت وقد يذهب كل ماله ( في خلو شقة ) ثم عليه دائما أن ينفق على نفسه وزوجه وأولاده أما المرأة فينفق عليها زوجها أو أبوها بنتا أو أخوها .

أفلا ترون معنى أن ماتأخذه البنت من تركة أبيها يبقى مدخرا مع الأيام للنكبات وفقد المعيل من حليل أو أب أو أخ أو قريب ؟ بينما يكون ما يأخذه الولد معرضا للاستهلاك لمواجهة أعبائه المالية التى لا بد له من القيام بها !!؟ .

لقد وجه العلامة العظيم الدكتور مصطفى السباعى — رحمه الله — هذا السؤال إلى طلابه في كلية الحقوق وفيهم فتيات وفتيان وأردفه بسؤال آخر هل

(١) ولم يقل عز وجل فتشقى : أى أن الشقاء ( وهو الكدح ) للرجل دون المرأة ولهذا كانت القوامة كما أسلفنا .



ترون معنى أن الإسلام ظلّم المرأة في الميراث ؟ أو انتقصها حقها ؟ أو نقص من كرامتها ؟

أما الطلاب فقد جاعوا بلسان واحد .. لقد حانى القرآن المرأة على حسابنا — نحن الرجال — وأما الفتيات فقد سكتن ومنهن من اعترفن بأن الإسلام كان منصفاً كل الإنصاف حين أعطى الأنثى نصف الرجل .

إن الشرائع التي تعطى المرأة في الميراث مثل نصيب الرجل ألزمتها بأعباء مثل أعبائه بل وبعض الدول تجعل المرأة هي التي تدفع ( الدوطة ) أى المهر — وواجبات مالية مثل واجباته لاجرم أن كان إعطاؤها مثل نصيبه في الميراث في هذه الحالة أمراً منطقياً معقولاً أما أن تعفى المرأة من كل عبء مالى .. حتى في دية القتل الخطأ أو شبه العمد فتكون الدية على العاقلة في الإسلام والعاقلة هم عصابات الرجل الذكور دون الإناث لهذا الحد .. ثم نعطيها مثل نصيبه في الميراث فهذا مما لا يقوله عاقل وليس مقبولاً في شريعة العدالة السمحة فليفهم .

وقد يقال فلم لا تلزم الشريعة الإسلامية المرأة بالعمل وتكلفتها من الأعباء مثله ؟ وجوابنا على هذا سنسمعه في آخر هذه الأبحاث بل هو سيفهم من تلقاء نفسه لأنه يطرح نفسه ، حين يستبين الحق وتعلم المرأة المسلمة رسالتها وتفقهها على الوجه الأكمل .. فهل من مصلحة الأسرة والمجتمع أن تكلف المرأة العمل ، لتنفق على نفسها ؟ أو تسهم في الإنفاق على نفسها والإنفاق على أولادها ؟ أم أن تتفرغ لشئون بيتها وتربية أولادها ؟ وحسبنا أن نقول الآن إنه لا مجال للمطالبة بمساواة المرأة مع الرجل في الميراث إلا بعد مطالبتها بمساواته في الأعباء والواجبات إنها فلسفة متكاملة فلا بد من الأخذ بها كلها أو تركها كلها (١) .

أما نحن كمسلمين فنرى أن فلسفة الإسلام في ذلك أصلح وأبقى وأنفع وأكثر منطقية وأحرص على مصلحة الأسرة والمجتمع بل والمرأة ذاتها وفي تجارب الحضارة الحديثة ما يؤيد وجهة نظر الإسلام .. لمن أراد الحق خالصاً من الأهواء والرغبات العاطفية والعداوة المتأصلة للإسلام وقبل أن أنتقل عن بحث هذا الموضوع أرى من المفيد أن أتعرض هنا لفائدتين تاريخيتين .

(١) راجع موضوع خلوا الإسلام جملة أو دعوه في كتاب (دراسات إسلامية للشهيد سيد قطب) .

## الأولى :

أن نصارى جبل لبنان في عهد الحكم العثماني — كان من أسباب نعمتهم عليه أنه أراد تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية عليهم فيما يتعلق بالميراث فقد غضبوا لأن الشريعة تعطي البنت نصيبا في الميراث يعادل نصف نصيب أخيها — وليس من عاداتهم توريثها ، لأن ماتأخذها من المال يذهب إلى زوجها — وقد ذكر هذا الأب بولس سعد في مقدمة كتابه « مختصر الشريعة » للمطران ( عبدالله قراعى ) .. وإليكم نص عبارته (١) .

« جاء في الرسالة التي أنفذها البطريك » « يوسف حبيش » إلى رئيس مجمع نشر الإيمان المقدس في ٢٩ إبريل سنة ١٨٤٠ م مايلي » .

( وأما الآن فمن حيث إن القضاة أخذوا ( يمشواكلش ) أى ( كل شئ ) في الجبل على موجب الشرائع الإسلامية فصار عمال (٢) يقع في السجن ، والاضطهاد من هذا التغيير بالأخص من جهة تدريب البنات لأن الشرائع الإسلامية تحدد أن كل بنتين ترثان بقدر مايرث صبي واحد ، ومن هنا وقعت خصومات ومنازعات وشورور متفاقمة واضطرابات من حيث إن العادة السابقة كانت سالكة — في هذا الجبل — عند الجمهور — أغنياء وفقراء — بأن الابنة ليس لها إلا جهاز معلوم بقيمة المثل من والديها ، إلا إذا هم أوصوا لها بشئ مخصوص .. ومن سلوك القضاة الآن بخلاف ذلك صار الوالدين ( هكذا عبارته ) والصحيح صار الوالدان — في اختباط حال جسيمة مضر بالنفس والأجساد من حيث إن الآباء لايرتضوا ( يرتضون ) بتوريث بناتهم حسب وضع الشريعة الإسلامية حذرا من تبذير أرزاقهم وخراب بيوتهم ولذلك فيحتالون بأيام حياتهم أن يعطوا أرزاقهم لأولادهم الذكور بضروب الهبة والتملك ليمنعوا عنهم دعوى البنات بعد موتهم ) .

( ثم يقول البطريك المذكور — بعد أن شرح مالحق الآباء من الضرر في هبة أموالهم لأولادهم الذكور ومن حيث إن الشرور الناتجة عن هذا النوع هي أثقل

(١) نقلا عن كتاب : المرأة بين الفقه والقانون .. للدكتور / مصطفى السباعي — رحمه الله .

(٢) باللهجة الدارجة اللبنانية ( عمال : أى يتوالى ويحدث كثيرا — كاللهجة المصرية ) .

من باقى الأنواع — كما لخصناه أعلاه — فمستبين لنا ضروريا أن تسعى بترجيع توريث البنات للعادة السالفة ، نعى أنهن لا يرثن على الذكور بل لهن الجهاز بقيمة المثل كما ذكرنا أعلاه . ليحصل الهدوء وبذلك تنقطع أسباب الشرور .. إلخ .  
٥١ .. ص ٢٥ ) انتهى كلامه وهو كما نرى يتخبط كذلك فى اللغة .

الثانية :

إن البلاد الإسكندنافية لا يزال بعضها حتى الآن يميز الذكر على الأنثى فى الميراث ، فيعطيه أكثر منها — برغم تساويهما فى الواجبات والأعباء المالية (١) .

٣ — دية المرأة :

جعلت الشريعة دية المرأة التى قتلت خطأ أو التى لم يستوجب قاتلها عقوبة القصاص لعدم استيفاء شروطه ، بما يعادل نصف دية الرجل . وقد يبدو هذا غريبا — بعد أن قرر الإسلام مساواتها بالرجل — فى الإنسانية والأهلية والكرامة الاجتماعية .

غير أن الأمر لا علاقة له بهذه المبادئ وإنما هو ذو علاقة وثيقة بالضرر الذى ينشأ للأسرة عن مقتل كل من الرجل والمرأة .

إن القتل العمد يوجب القصاص من القاتل — سواء أكان القاتل رجلا أم امرأة — .

وهذا لأننا فى القصاص نريد أن نقصص من إنسان لإنسان . والرجل والمرأة متساويان فى الإنسانية . ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين ﴾ الآية .

أما فى القتل الخطأ وما أشبه ذلك ، فليس أمامنا إلا التعويض المالى والعقوبة بالسجن أو نحوه والتعويض المالى يجب أن تراعى فيه — كما هو من مبادئه المقررة — الخسارة المالية — قلة أو كثرة — فهل خسارة الأسرة والمجتمع بالرجل كخسارتها بالمرأة؟ (٢) .

(١) الزواج لزهدي يكن ٩٣ .

(٢) انظر كتاب التشريع الجنائى الإسلامى مقارنا بالتشريع الوضعى للشهيد عبد القادر عودة — رحمه الله — .

إن الأولاد الذين قتل أبوهم خطأ أو الزوجة التي قتل زوجها خطأ فقد فقدوا عائلهم الذي كان يقوم بالإنفاق عليهم والسعى في سبيل معاشهم .. أما الأولاد الذين قتلت أمهم خطأ والزوج الذي قتلت زوجته خطأ فهم لم يفقدوا فيها إلا ناحية معنوية لا يمكن أن يكون المال تعويضا عنها — بحال — .  
إن الدية ليست تقديرا لقيمة الإنسانية ، في القتل ، وإنما هي تقدير لقيمة الخسارة المادية التي لحقت الأسرة بفقدته وهذا هو الأساس الذي لا يمارى فيه أحد ..

ومما يؤكد هذا المعنى أن قوانيننا الحاضرة جعلت للدية حدا أعلى .. وحدا أدنى وتركت للقاضي تقدير الدية بما لا يقل عن الأدنى ولا يزيد عن الأعلى إلا لتفسيح المجال لتقدير الأضرار التي لحقت بالأسرة من خسارتها بالقتل ، وهي تتفاوت بين كثير من الناس ممن يعملون ويكدحون فكيف لا تتفاوت بين من يعمل وينفق على أسرته وبين من لا يعمل ولا يكلف بالإنفاق على أحد بل كان ممن ينفق عليه .

وأعود فأقول : إن ذلك مرتبط أيضا بفقهاء الإسلام في عدم تكليف المرأة الكسب والإنفاق على نفسها وعلى أولادها ؛ رعاية لمصلحة الأسرة والمجتمع .. أما في المجتمعات التي تقوم فلسفتها على عدم إعفاء المرأة من العمل لتعول نفسها وتسهم في الإنفاق على بيتها وأطفالها ، فإن من العدالة — حينئذ — أن تكون ديتها — إذا قتلت خطأ — معادلة على العموم لدية الرجل القاتل .. ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتب الفقه ؛ ففيها الغناء في هذا الباب ..

#### ٤ — رياسة الدولة :

يحتم الإسلام أن تكون رياسة الدولة العليا للرجل وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ « ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » وهذا النص يقتصر المراد من الولاية فيه على الولاية العامة العليا لأنه ورد حين أبلغ الرسول ﷺ أن الفرس ولوا للرياسة عليهم إحدى بنات كسرى بعد موته . ولأن الولاية — بإطلاقها — ليست ممنوعة بالإجماع .. بدليل اتفاق الفقهاء قاطبة على جواز أن تكون المرأة وصية على الصغار وناقصي الأهلية وأن تكون وكيلة لأية جماعة من الناس في تصريف أمورهم وأموالهم وإدارة مزارعهم ، وأن تكون شاهدة — والشهادة ولاية كما نص

الفقهاء على ذلك ، ولأن أبا حنيفة — رحمه الله — يجيز أن تتولى القضاء في بعض الحالات والقضاء — ولاية — « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .  
فص الحديث — كما نفهمه — صريح في منع المرأة من رئاسة الدولة العليا — ويلحق بها ما كان بمعناها في خطورة المسئولية .

أما توليها غير تلك الوظائف التي في مجالها — كالتدريس للبنات . وتطبيهن وتوليدهن وتزيينهن وحياسة ملابسهن و... و... وإلخ . مما هو من خصائص المرأة ولا يصح أن يمارسه الرجال معهن — إلا للضرورة — فهذا جائز في الإسلام ، ويرجع إلى كتب الفقه (١) للتزود من المعلومات . وذلك أيضا ليس له علاقة بموقف الإسلام من إنسانية المرأة وكرامتها ... وأهليتها وإنما هو وثيق الصلة بمصلحة الأمة ، وبجالة المرأة النفسية .. وطبيعتها الأنثوية .. ورسالتها الاجتماعية .. إن رئيس الدولة في الإسلام ليس صورة رمزية للزينة والتوقيع .. وإنما هو قائد المجتمع ورأسه المفكر ووجهه البارز ولسانه الناطق وله صلاحيات واسعة خطيرة الآثار والنتائج .

فهو الذى يعلن الحرب على الأعداء ويقود جيش الأمة في ميادين الكفاح ويقرر السلم والمهادنة إن كانت المصلحة فيها أو الحرب والاستمرار فيها — إن كانت المصلحة تقتضيها — وطبعي أن يكون ذلك كله بعد استشارة أهل الحل والعقد والرأى في الأمة عملا بقوله تعالى : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ ولكنه هو الذى يعلن قرارهم . فيصح ما اختلفوا فيه عملا بقوله تعالى بعد ذلك ﴿ فإذا عزمتم فتوكل على الله ﴾ ورئيس الدولة في الإسلام يتولى خطبة الجمعة في المسجد الجامع — وولاته على الأقاليم في أقاليمهم — وإمامة الناس في الصلوات — والقضاء بين الناس في الخصومات ومن يوليهم من القضاء — إذا اتسع وقته لذلك — ومما لا ينكر أن هذه الوظائف الخطيرة لاتتفق مع تكوين المرأة النفسى والعاطفى والجسدى — وبخاصة فيما يتعلق بالحروب وقيادة الجيوش — فإن ذلك يقتضى قوة الأعصاب وتغلب العقل على العاطفة والشجاعة في خوض المعامع ورؤية الدماء ، مما نحمد الله على أن المرأة ليست كذلك وإلا فقدت الحياة أجمل

---

(١) راجع كتاب : المرأة بين الفقه والقانون للمرحوم / د . مصطفى السباعى وكتاب شبهات حول الإسلام للأستاذ محمد قطب وفقه السنة للشيخ سيد سابق .

مافيا من رحمة ووداعة وحنان .

وكل مايقال غير هذا لا يخلو من مكابرة بالأمر المحسوس ، وإذا وجدنا في التاريخ نساء قدن الجيوش وخضن المعارك فإنهن من البندرة والقلة بجانب الرجال مما لا يصح أن يتناسى معه طبيعة الجمهرة الغالبة من النساء في عصور التاريخ ، وجميع الشعوب .

ونحن الآن لم نرفى أكثر الدول تطرفا في دفع المرأة إلى كل ميادين الحياة من رضيت أن تتولى امرأة من نساؤها . وزارة الدفاع .. أو رئاسة الأركان العامة لجيوشها ، أو قيادة فيلق من فيالقها ، أو قطع حربية من قطعها وليس ذلك مما يضير المرأة في شيء ، فالحياة كلها لاتقوم على نمط واحد من العبوس والقسوة والغاظة — ولو كانت كذلك لكانت جحيما لايطاق — ومن رحمة الله علينا وعلى الناس أن مزج قوة الرجل بحنان المرأة وقسوته برحمتها وخشونته برقتها وشدته بليونتها .. وفي حنانها وأنوئتها سر بقائها وسر سعادتها وسعادتنا .

أما خطبة الجمعة والإمامة في الصلاة فلا ينكر أن العبادة في الديانات — وبخاصة في الإسلام — تقوم على الخشوع وخلو الذهن من كل مايشغله وصفاء النفس وخلوها من الشهوة .. وليس مما يتفق والواقع مع ذلك أن تعظ الرجال امرأة أو تؤمهم في الصلاة .. فليدرك .

على أن السبب الحقيقي — في رأينا — ليس هو الخطبة والإمامة ولا حل المشكلات ، وإنما هو ماتقتضيه رئاسة الدولة من رباطة الجأش وتغليب المصلحة على العاطفة والتفرغ التام لمعالجة قضايا الدولة وهذا مما تنأى عنه طبيعة المرأة ورسالتها — في سياسة البيت ومملكته — والله سبحانه — أعلم بخلقه ، وبمقتضى علمه وحكمته يحل الحلال ويحرم الحرام ﴿والله يحكم لامعقب حكمه وهو سريع الحساب﴾ ﴿والله يعلم المفسد من المصلح ..﴾ .

### الخلاصة :

والخلاصة أن الإسلام — بعد أن أعلن موقفه الصريح من إنسانية المرأة وأهليتها وكرامتها — نظر إلى طبيعتها وتركيبها ونفسياتها وما تصلح له من أعباء الحياة فأبعدها عن كل مايناقض تلك الجبلة والخلقة والطبيعة إذ يحول ذلك من أداء

رسالتها كاملة في المجتمع ؛ ولهذا اختصها ببعض الأحكام زيادة عن الرجل أو نقصانا — حسب علمه — ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟﴾ .

كما أسقط عنها — لذات الغرض نفسه — بعض الواجبات الدينية والاجتماعية — كصلاة الجمعة ووجوب الإحرام في الحج — كالرجل — والجهاد — إلا في حالات تقتضيها وفي غير أوقات النفي العام — وغير ذلك .. وليس في هذا ما يتنافى مع مبدأ المساواة بالرجل في الإنسانية والأهلية والكرامة الاجتماعية .. ولا تزال القوانين والشرائع في كل عصر وفي كل أمة تخص بعض الناس ببعض الأحكام ؛ لمصلحة يقتضيها ذلك التخصيص والتخصيص دون أن يفهم منه أى مساس بمبدأ المساواة بين المواطنين في الأهلية والكرامة إلا مراعاة الفروق الفردية والخصائص النفسية . كما أسلفنا — فليفهم جيدا .

**حقائق يجب أن تذكر :**

من هذا الاستعراض السريع الشامل لموقف الإسلام ، من المرأة ، ومبادئه العامة التي أعلنها — في كل ما يتعلق بحقوق المرأة وكرامتها نستطيع أن نستخلص الحقائق التالية :

**أولاً :**

إن موقف الإسلام من المرأة كان ثورة على المعتقدات والآراء السائدة في عصره وقبل عصره ومن بعده .. إلى يوم القيامة — من حيث الشك بإنسانيتها .

**ثانياً :**

إنه كان ثورة على المعتقدات السائدة قديما — ولا تزال سائدة — عند أتباع بعض الديانات والطوائف الشرقية من أنها غير جدية بتلقى الدين أو دخول الجنة مع زمرة المؤمنين الصالحين .

**ثالثاً :**

إنه كان تقدما فكريا إنسانيا عادلا قبل الحضارة الغربية الحديثة باثني عشر قرنا — على الأقل — في الاعتراف بأهلية المرأة — كاملة غير منقوصة — وحسبنا أن نعلم أن أسباب الحجر في التشريع الإسلامى هي : ( الصغر والجنون ) بينما هي

في القانون الروماني والفرنسي في عام ١٩٣٨ م . ثلاثة .. ( الصغر والجنون والأنوثة ) ولما عدل القانون الفرنسي في عام ١٩٣٨ لرفع القيود عن أهلية المرأة بقيت أهليتها مقيدة بقيود قانونية وقيود ناشئة عن نظام الأموال المشتركة بين الزوجين .

فمن القيود القانونية عدم جواز ممارسة المرأة الفرنسية إحدى المهن .. بدون إجازة من زوجها ، ومن القيود المنبثقة عن نظام الاشتراك في الأموال أن المرأة الفرنسية المتزوجة لا يمكنها أن تتصرف في أموالها الخاصة ، ويجب عليها أن تحتفظ بحق الانتفاع للزوج ولا يمكنها أن تتصرف بالرقبة .. إلا بالإجازة من الزوج وإذن المحكمة وحده لا يكفي<sup>(١)</sup> .. وإذا قورنت هذه القيود — على أهلية المرأة الفرنسية — بالأهلية الكاملة التي تتمتع بها المرأة المسلمة منذ أربعة عشر قرنا والتي لاتعرف لقيود المرأة الفرنسية المعاصرة لأدركنا أى سبق حققه الإسلام في ميدان التشريع الإنساني بالنسبة لحقوق المرأة وأهليتها وأدركنا بذلك مغزى مايشعر به المشرعون الفرنسيون من ألم بسبب نقصان أهلية المرأة الفرنسية حتى الآن ، حتى قال وزير العدالة الفرنسية السابق<sup>(٢)</sup> ( إن حلم المرأة الفرنسية وأملها لم يتحققا إلى الآن )<sup>(٣)</sup> .

#### رابعاً :

إنه كان ثورة على المعتقدات والتقاليد السائدة من عدم احترامها الاحترام الحقيقي اللائق بكرامتها الإنسانية .

#### خامساً :

إن التشريع الإسلامي كان إنساني النزعة والعدالة حين قرر للمرأة حقوقها دون ثورة النساء ومؤتمراتهم بينما لم تحصل المرأة الفرنسية على حقوقها إلا بعد ثورة ومؤتمرات وإضرابات<sup>(٤)</sup> وكانت تنتزع حقوقها بالتدريج شيئاً بعد شيء بينما سلم الإسلام لها حقوقها دفعة واحدة طائعا مختاراً بل واجبا دعا إليه وحض على تنفيذه .

(١) الزواج لزهدي يكن ٢٢٤ (٢) (ره نولد) .

(٢) المصدر السابق ٢٢٦ وشبهات حول الإسلام لمحمد قطب .

(٣ ، ٤) المصدر السابق .



## سادساً :

كان التشريع الإسلامي نبيل الغاية والهدف والوسيلة حين أعطى المرأة حقوقها من غير تملق لها أو استغلال لأنوثتها — بل انتشالا لها من حماة الجاهلية !!!

ففى الحضارتين اليونانية والرومانية وفى الحضارة الغربية الحديثة سمح لها بالخروج وغشيان المجتمعات للاستمتاع بأنوثتها لا اعترافا بحقوقها وكرامتها ، بدليل موقف هذه الحضارة من أهليتها الحقوقية بينما كان الإسلام على العكس من ذلك — كما أسلفت — فقد قرر لها كل ماتم به كرامتها الحقيقية من حيث الأهلية القانونية والمالية — وحد من نطاق اختلاطها بالرجال وغشيانها المجتمعات لمصلحة الأسرة والمجتمع ولصيانة كرامتها من الابتذال وأنوثتها من الاستغلال .

## سابعاً :

إن التشريع الإسلامى — بعد أن أعطاها حقوقها وأعلن كرامتها — راعى فى كل مايرغب إليها من عمل وما وجهها إليه من سلوك — أن يكون ذلك منسجما مع فطرتها وطبيعتها وألا يرهقها من أمرها عسرا .

ولنضرب لذلك مثلا .. فهو قد أجاز لها البيع والشراء وشتى أنواع المعاملات وصحح ذلك منها واعتبرها كاملة الأهلية فى كل هذه التصرفات لكنه رغب إليها ألا تباشر ذلك إلا عند الضرورة وأفهمها أن الخير لها ولأسرتها وللمجتمع — أن تتفرغ لأداء رسالتها — التى لاتقل إرهاقا عن إرهاق العمل الحر .. وهى فى الواقع تفوقه قدسية وشرفا — وهو أدل على إنسانيتها وكرامتها من مزاولتها العمل خارج البيت لتأكل وتعيش — فإن لم تجده بيدها أو خبرتها — وقد يكون ذلك صوتا لعفتها — مارسته بجسدها وابتذال عرضها وشرفها وإراقة حياتها وعفتها — لتعيش .. إن الإسلام كان فى هذا الموقف جد حكيم ومعتدل فلا هو منعها أهلية العمل خارج البيت — كما كان شأن الشرائع (١) قبله وشأن الأمم كلها فى العصر القريب — ولا هو حرضها على هجر البيت وزين لها مزاحمة الرجل وترك شئون الأسرة — كما هو شأن الحضارة الحديثة — ولا ريب أن هذا

(١) المحرفة طبعا .

صنع إله حكيم ، وتشريع عليم خبير .

وصدق الله العظيم في شان ابنتى شعيب — عليه السلام — ﴿ قَالَتَا لَانَسَقِي  
حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ﴾ الضرورة ﴿ وأبونا شيخ كبير ﴾ ثم دون  
مزاحمة الرجال ﴿ حتى يصدر الرعاء ﴾ فتبارك الله أحكم الحاكمين (١) .

ثامناً :

ونتيجة لهذا كله يحق للمرأة المسلمة — بوجه عام — والمرأة العربية —  
بوجه خاص — أن تفاخر جميع نساء العالم لسبق تشريعها وحضارتها بجميع شرائع  
العالم وحضارته إلى تقدير حقوقها الاعتراف بكرامتها اعترافاً إنسانياً نبيلاً  
لا يشبهه غرض ولا هوى ولا يدفع إليه قسر ولا ضرورة .

\* \* \*

---

(١) راجع أشرطة فضيلة الشيخ الشعراوي .

## الفصل الثالث

### المرأة فى جاهلية القرن العشرين

- العصر الذهبى للمرأة المسلمة
- ظلام من الغرب وجاهلية من الشرق
- الغزو العلمانى الثقافى
- الغزو التشريعى
- جاهلية حديثة ورعوس حافية



## العصر الذهبي للمرأة المسلمة :

نعمت المرأة منذ البعثة المحمدية وعصور الإسلام الأولى المشرفة — ثم في كل حقبة من الزمن يسود فيها الإسلام ويشملها برعايته وينزلها مكانتها اللائقة بها نعمت بتذوق إنسانيتها وأهليتها وكرامتها نعمة لم تذوق مثلها المرأة في أى حضارة من الحضارات على الإطلاق — كما وضعنا سلفا — ولا حتى في الحضارة الحديثة التى أخذت المرأة الغربية فيها حقوقا لم تكن لها وتنكبت الطريق وانجرفت في تيار المدنية وملكت نفسها للرجل وأسلمت عنقها للفرحة بفك أغلالها فانقلبت النتيجة إلى الضد ولم تكن أسعد حالا من ذى قبل فصارت في جاهلية القرن العشرين أسوأ حالا مما كانت عليه في جاهليتها الأولى ولكن بثوب جديد يتمشى مع روح العصر مخدوعة بالمبادئ البراقة المغلفة بالرديلة باسم المدنية . المرتكسة في أحوال الإثم والعهر باسم الحرية والمساواة حتى سئمت أنوثتها وملت استرجالها ، وتكاد تصرخ من أعماقها ، أريد أن أكون امرأة خالصة أريد أن أكون زوجة أريد أن أكون أنثى !!!

إن امرأة إنجليزية شاهدت ولدا يافعا مسلما يقبل يد أمه فتساءلت من تكون هذه الملكة ؟ فقيل لها إنها ليست ملكة فقالت من تكون من الممثلات أو نساء المجتمع الرسميات ؟ فقيل لها ليست كذلك .. فقالت إذن من تكون ؟ فقيل لها إنها امرأة عادية فقال : ولماذا يقبل يدها ؟ فقيل إنه ولدها وهذه إحدى عادات المسلمين مع أمهاتهم لأن الإسلام جعل الجنة تحت أقدامها ، ووصى بها وجعل برها من طاعة الله فلم تتمالك نفسها من البكاء .. فلما سئلت عن السبب قالت حقا إنه لدين جميل — نحن عندنا .. لو أحييت الأم إلى سن التقاعد — وهى تسعى على رزقها دون مساعدة ابن أو زوج أو قريب فإنه يذهب بها إلى دار العجزة وملاجئ المسنين .. وقد لا يزورها في العمر مرة ابن أو ابنة أو قريب .

ظلت المرأة المسلمة هكذا — موضع العناية والحب والإكرام والكرامة بل وهى كذلك عند المستمسكين بعرى الإسلام — لأن المجتمعات الإسلامية — اليوم — أصابها مآصبا المسلمين من المدنية الزائفة والحضارة الغربية البراقة حتى خالطت الرجال وشاركهم في كل ميدان إلا بعض الميادين العليا — التى هى

أيضا في الغرب الحديث كقيادة الجيوش والقضاء .. إلى غير ذلك .. ولكنها صارت وزيرة وسيدة المجتمع الأولى... و... و... مما هو لا يخفى على الأعين والأسماع حتى تميم موقفها وأصبحت غير ذات شخصية إسلامية هي ذات طابع غير إسلامي فأصبحت من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا .. من ﴿ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .. ﴾ ﴿ وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم .. ﴾ .

فارتكست المرأة المسلمة في حماة المدينة الزائفة وألبست نفسها ثوب الضلال وهي تردد لا إله إلا الله محمد رسول الله ونسيت تاريخ أمتها وتاريخها المشرق المزهر وجهلت ، أو نسيت ، أو عميت ، أو تعامت عن جوهر حقيقتها منساقا وراء عواطفها وخرجت من سجن الإسلام — الذي ادعت أنه سجن — وهو السياج الذهبي العفيف الطاهر الذي يحوطها ويحرسها ونسيت تماما مكاسبها التي منحها الإسلام هبة من الله عطية وتكريما ، حيث :

١ — كان (١) سبي « فحرم الإسلام السبي منذ حرم الغزو التعسفي كمكسب دنيوي أو كمغنم ذاتي أو لاتساع رقعة أو لاكتساب مكانة أو لسلطان قبيلة أو دولة وقضى على السطو الهمجي البربري » .

٢ — وكان امتهان لإنسانيتها فسوى الإسلام بين دمها ودم الرجل — إلا في القتل الخطأ — كما أسلفنا — وسوى بينهما في حد القذف .

٣ — وكان استئثار دونهن بالمهور فجعل الإسلام المهر حقا خالصا لها لا يترعه إلا ظالم .

٤ — وكان تعدد الزوجات بلا حدود فجاء الإسلام محمدا له ، ومقيدا بقيود كفيلة بالقضاء عليه كما فعل بالرق . إلا عند الضرورة بشرط العدل .

٥ — وكان إكراه للفتيات على البغاء ليكسبن لأسيادهن فأعلن الإسلام

(١) بتصرف من كتاب الإسلام والمرأة لسعيد الأفغاني — إضافة إلى ما سقت سلفا من الإيضاح والتفصيل والتلخيص وذلك لتعميق الفكرة في رأسك وقلبك ونفسك وحياتك لتتضح معالم الطريق والاستعداد لاسترداد المكانة من جديد في ظل إسلام حنيف — إن شاء الله .

﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا .. ﴾ (١) .

٦ — وكان وأد للبنات مخافة الفقر أو العار فجاء الإسلام حاميا مطمئنا الآباء ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ﴾ . ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا .. ﴾ .

٧ — وكان حرمان ميراث فقرر لها الحق فيه ( للذكر مثل حظ الأنثيين ) — كما فصلت ذلك سلفا فليرجع إليه من شاء ومن طلب المزيد فليطلبه في مظانه من كتب الفقه (٢) فقد يجد الباحث الصابر في مطولات كتب الحديث والفقه رعاية ورفقا كبيرين ومن طلب أحكام النساء في أبوابها الفقهية وأمعن في تفاصيلها وخاصة حقوقها على الوالد أو الزوج والولد أيقن بقوة مركزها الاجتماعي والحقوق حتى قال رسول الله ﷺ « اجعلوا الأخوات مع البنات عصبه » .

٨ — وكان عضل (منع) لمن عن الزواج طمعا في أن يفتدين أنفسهن بمال أو يمتن فيرثونهن فهى الإسلام عن ذلك وزجر ﴿ يأياها الذين آمنوا لايجل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن ، لتذهبوا ببعض ماآتينهون إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ .

٩ — وكانت إساءة عشرة فنزل الوحي بهذه الكلمة الطيبة الجامعة المانعة ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ .. الآية .. ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا ، لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة .. إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ فقد جعلها من آياته — سبحانه — :

١٠ — وكان الولد يرث أباه في جملة متاعة — بعد موته — كما بينا سلفا فجاء الإسلام رادعا أشد الردع عن هذا المنكر بقوله ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ماقد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا ﴾ .

(١) وليس الشرط إلا لبيان الواقع فليس معناه إن لم يردن تحصنا فاسمحوا لمن كلا فليفهم . وانظر تفسير ابن كثير أو القرطبي ، أو الزمخشري .

(٢) لا تحول الأنظمة المسيحية للأُم حقا شرعيا على ولدها فقد يكون مليونيرا فيساعدوها إن شاء تبرعا فإذا مات فلا حق لها في تركته — البتة — ( من مركز المرأة في الإسلام للسيد أمير على ص ١٤ ) .

وكان .. وكان .. وكان من مثل ما أسلفت وما يضيق عنه المقام وما هو معروف مما أبطله الإسلام — جملة وتفصيلا — ثم سن لها تشريعا مفصلا في قرآن يتلى وسنة مطهرة موثقة باقية .. حتى إن امتدانات القرن العشرين ليحسدن المرأة المسلمة ( المسلمة — لا المسلمة — كمسلمة القرن العشرين فقد أصابها الجاهلية — إلا من رحم ربك ) إنهن يحسدن — بصدق — المرأة المسلمة على مكانتها — الحقوقية والأهلية والكرامية — ولا أقل من أن نخيل القارىء العجول على مصدر واحد هو القرآن الكريم ؛ فليمعن في تدبر هذه الآيات الخاصة بالنساء — توصية بهن وتشريعا لهن — إن أعجلته ظروف الحياة عن قراءة أمهات الكتب الفقهية — ليقرأ في سورة البقرة الآيات ( ٢٢١ — ٢٤٢ ) وفي سورة النساء ( ١٠ — ٢٥ — ٣١ — ٣٣ — ٣٤ — ١٢٦ — ١٣٠ — ١٧٥ ) . وفي سورة النور ( ٢ — ١١ — ٢٣ — ٣١ — ٣٤ — ٦٠ ) وفي سورة النور ( ١ — ٨ ) ثم سورة الممتحنة (١)

ففيهن تفصيلات وافية عن حقوق النساء في الزواج والطلاق والميراث والحقوق الأهلية والإنسانية وفيهن تشريع كامل لجميع علائقهن وأحكامهن — في الحدود والعبادات والمعاملات مما لم ولن يوجد في أى تشريع أرضى أو قانون بشرى أو دين سماوى محرف ﴿ والله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ﴾ ..

ولقد قامت الأوليات من المسلمات بفتح عيونهن على حقوق المرأة ومكاسبها فاعترفت من معينها وقدرتها حق قدرها لما أظلتها راية الإسلام وفتحت قلبها على رجال غير الرجال ومجتمع غير المجتمع ودين غير الدين فكأنما نشطت من عقال فشمرت عن ساعد الجد وأخذت من هذا الدين الجديد نصيبها الأوفر وكان شكرها لله عليه شكرا عظيما .. شكر عمل وسيرة وسلوك لاشكر قول باللسان ﴿ .. أن اعملوا آل داود شكرا ، وقليل من عبادى الشكور ﴾ . فقااست في أول الإسلام .. ما قاسى الرجال من عذاب وشهادة وهجرة واضطهاد وأذى مما يضيق عن ذكره المقام وانتظمت في صفوف المجاهدين إعلاء لكلمة الله .. وذوداً عن الحق وعن دين الله فقااست الرجال شرف الجهاد ، وآبت بثواب الله فليس بعد بذل الروح غاية في الشكران ..

ولقد رفع الإسلام قدرها وبوأها أوج العزة والكرامة فبقيت في سماء الإسلام

(١) ثم سورة الطلاق والتحريم وآيات متفرقات في كتاب الله .



والمجتمع الإسلامي شيئاً مقدساً تتناول إليه الأنظار بالحرمة والرعاية حتى كان يخدمهن في بيوتهن الخلفاء أنفسهم (١) مقتدين بمعلمهم الإنسان العظيم نبي الرحمة محمد ﷺ فكان يساعد أهل بيته وفي خدمتهم — حتى ذُكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج يوماً ومعه الناس فمرّ بعجوز فاستوقفته فقالت له لقد كنت فينا عُميراً فصرت بالإسلام عمر . وظلت تحاسبه وتؤثبه وتواخذه حتى أبكته فقال لها رجل من أصحابه كفى يا أختاه فقد أبكيت أمير المؤمنين وقال له آخر يا أمير المؤمنين لقد حبستك عن الناس هذه العجوز .. فقال له عمر رضي الله عنه اسكت .. ويلك .. أتدري من هذه ؟ هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات إنها حوْلة بنت مالك بن ثعلبة التي أنزل الله فيها قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة ﴿ **لقد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير** ﴾ (٢) .

أيتها الأخت المسلمة — مسلمة القرن العشرين — في هذا الجو من الاحترام والتقديس الإسلامي — لا الكهنوتي — تمتعت المرأة بنعمة الإسلام واكتشفت أحتك المسلمة شخصيتها فتمتعت بها وحملت مشعل النور إلى جنب الرجل حتى تكونا على المحجة البيضاء ثم فرطنا في حمل الرسالة وفرطت في حمل الأمانة وسرت إلينا — معاصر الرجال — وأتت معاصر النساء — عدوى الغرب ودعوى جاهلية القرن العشرين تحت شعارات زائفة براقعة — حقوق المرأة — المساواة .. إلخ . وسارت مواكب الفارغات (٣) .

**ظلام من الغرب وجاهلية من الشرق :**

لطالما قلنا إن قرن الأحزان والمذلة هذا القرن الرابع للهجرة أو تلك هي بدايته التي اكتنفها الهزائم والدنايا .

وما ندري كيف نهايته الخطيرة ولا خواتيم الصراع الناشب الآن في شتى

(١) تسابق الشيخين أبي بكر وعمر إلى بر امرأة في جوف الليل أمر مشهور في التاريخ .

(٢) متى سمعت وبصرك وقلبك أيتها الأخت المسلمة بقراءة خبر هذه المرأة وغيرها من كتب التفسير والحديث وغيرها في كتاب السير والمغازي .

(٣) انظري كتاب دراسات إسلامية للشهيد سيد قطب موضوع مواكب الفارغات وأدب الانحلال . وكتاب حصوننا مهده من داخلها - د . محمد محمد حسين .

بقاعه بين المغيرين والمدافعين .

لقد انهزم الإسلام (١) عسكرياً في أغلب الميادين أو فيها كلها وتساقطت معاقله حصناً حصناً وسقطت بلاده بلداً بلداً تحت سطوة الغزو الحديث .

ولم يكن بد من هذا المصير الكئيب ، فقد كانت دولته ضعيفة بالغة الإعياء وكان خصومه أقوياء شديدي البطش .

ولولا أصالة في بعض الأجسام تغالب بها العلل الوافدة وتنجو بها من الموت لكانت الأمة الإسلامية الكبيرة قد تلاشت من الحياة إثر ما حل بها من كوارث وأخذت طريق البائدين الدارسين من أهل القرون الأولى وليس الانهيار العسكري الشامل أفدح ما أصاب أمتنا خلال هذا العصر بل ما أعقب هذا الانهيار من سياسات بعيدة المدى رسمها الأقوياء القاهرون وشرعوا في تنفيذها على مهل .

والغاية المرجوة منها : حل عرا هذا الدين وصرف النفوس والأفكار عنه وإنشاء أجيال تتجههم لتعاليمه وتتجاهل مطالبه أو تجهلها كل الجهل أو بعضه والظروف المواتية لهذا الحق كثيرة فإن المهزوم فؤاده مزعزع وأمره فرط ويبد المنتصر من وسائل الإغراء بل في حالته نفسها ما يجعل شئون المجتمع المهزوم تتمسح به وترجو رضاه بعد أن انهزمت داخلياً في نفوس أبنائها .. وقد أقبل موكب الصليبية الهاجمة هذه المرة في ألوان زاهية من العلم والكشوف والتقدم واقتحم أرضاً تكاد تكون غفلاً من هذا كله (٢) .

شتان بين تفوقه اليوم وبين ضآلة أمره في العصور الوسطى فلا عجب إذا طمع الفاتحون الجدد في الإتيان على قواعد الإسلام بعد ما قدروا على هزم جيوشه في ميادين القتال .

وخطتهم التي وضعوها واضحة .. يجب أولاً إبعاد الإسلام عن أن يكون رباطاً عاماً بين بنيه في مشارق الأرض ومغاربها .

فعن طريق إحياء النزعات الوطنية في كل إقليم مستعمر تموت الجامعة

(١) المراد أهله المسلمون .

(٢) تراجع كتابنا حاضر العالم الإسلامي فصل علاقة المسلم بإسلامه حالياً .

الإسلامية من تلقاء نفسها (١) .

هذه هي الضربة النازلة بالإسلام كرياضة سياسية يجب أن تلحقها ضربة أخرى تنال منه كموجه شخصي وجماعي .

وذلك يتم بإضعاف وازع التقوى وإشاعة ضروب الشهوات .. وما السبيل إلى ذلك ؟

\* فصل الدين عن مناهج الدراسة كلها .

\* وفصله عن تقاليد المجتمع .

\* وفصله عن آفاق الحياة النابضة .

\* ثم تركه يذوى بعيدا حتى تخمد أنفاسه بين الوحشة والضياع .

هذه هي سياسة الغرب التي نفذتها إنجلترا وأمريكا وفرنسا وهولندا وروسيا وسائر الدول التي أتيح لها أن تحتل شبرا من أرض الشرق الإسلامي .

وقد تفاوتت أساليب التنفيذ كما تفاوتت ضروب المقاومة التي أبدتها الشعوب المغلوبة .. أجل .. فإن جماهير المسلمين لم تستسلم لهذا الإفناء المبيت ، فنشطت عشرات الطوائف والهيئات لمكافحته كما هو حال الإسلام ( لاتزال طائفة من أممي على الحق منصورين لا يضرهم من خالفهم إلى قيام الساعة ) أو كما قال رسول الله ﷺ على أن المستعمرين لم يباغتوا بهذه المقاومة فمضوا في طريقهم يستعينون بالزمن وإفساد الأخلاق والعلم التكنولوجي على إخماد كل حماسة ويستغلون سيطرتهم على الحكم لتدويج الحركات الشعبية حتى يدركها القنوط فتسكت أو تدرکها الهزيمة فتبيد .

والزمن وبعد المسلمين عن دينهم وتنافرهم فيما بينهم يقف إلى جانب المهاجم عندما تحور قوى المحصور وتسد أمامه منافذ الأمل ويقبع في مكانه منتظرا مصيره المحتوم .

كالمصباح الذي قلَّ زيتُه وجفت زُبالته إن لم يطفئه نفخ الريح أطفأه نفاذ الوقود ، ومن ثم قررت الصليبية الحاقدة الحديثة أن تهتبل الفرصة السانحة وأن

(١) يراجع كتاب .. مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب .

تحكم الخناق حول الإسلام حتى يسقط ويتفرق أتباعه عنه قائلين بيدي لا بيد  
عمرو أجل استيقن المستعمرون أن مآربهم في استعباد الشرق وانتهاب خيراته لن  
تخلص لهم إلا إذا :

- \* قضوا على الإسلام روحا ونصا وأجهزوا على بقاياها حكومة وشعبا .
- \* وأقاموا الحجب الكثيفة بين أمه وأبيه وبين يومه وغده .
- \* ثم قسموه بينهم أشلاء متناثرة لايلوى أحدها على الآخر ولا يعرف  
وشيجة تربطه في الأولين والآخرين .

وقد حشدوا مهاراتهم كلها واحتياهم كله لإدراك هذه الغاية بعدما أخذوا  
يحسون أنهم يعالجون أمرا صعبا وأنهم لاينجحون في جهة إلا وأخفقوا في أخرى  
ولا يتقدمون خطوة إلا وسط مقاومة مشوبة بالدم حيناً والبغضاء حيناً آخر قال  
الأستاذ محمد حسن أستاذ الأدب العربي بجامعة الإسكندرية يصف سياسية الإنجليز  
في مصر وغيرها من أجزاء الوطن الإسلامي الكبير .

كان للإنجليز هدف واحد هو إضعاف العصبية الدينية وتمزيق أوصال  
المسلمين في مستعمراتهم حتى يستطيعوا أن يواجهوهم واحدا واحدا .

فالمصريون أحفاد الفراعنة واللبنانيون أحفاد الفينيقيين والعراقيون أحفاد  
الآشوريين والحجازيون أحفاد العرب وأحق الناس بالقيام على خلافة الإسلام ..  
وذلك إغراء لهم بالانتفاض على الترك والانتفاضة ضدّهم ونبذ الخلافة العثمانية  
ومعاونة إنجلترا على إسقاط الدولة العثمانية .

وكانت الدولة العثمانية برغم ما بلت به من الخلال قوة روحية عظيمة وكانت  
قادرة على جمع كلمة الشعوب الممزقة باسم الدين ضد بريطانيا وشقيقاتها من دول  
الاستعمار الأخرى .

وأدرك ( اللورد كرومر ) ماتنطوى عليه تعاليم الإسلام من حث على الجهاد  
ودعوة إلى الأخذ بأسباب القوة ومن إعلاء لمرتبة المجاهدين وحث من شأن  
القاعدين .. فاتخذ من ذلك مادة للطعن على الإسلام وتشويه مقاصده فقال في  
كتابه ( مصر الحديثة ) إن المسلمين أنصاف همج محبون للحروب بعداء عن  
التسامح .

( .. وإن دينهم يجعل عاطفة الانتقام أساس العلاقة العامة بين الإنسان وأخيه الإنسان واستشهد لكلامه هذا بدعاء أئمة المساجد على الكفار يوم الجمعة والآية المعروفة ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَتَمُوهُم فَشَدُّوا الوَثَاقَ فَمَا مَنَا بَعْدَ وَإِنَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا .. ﴾ (١) .

نقول والآية واضحة في أنها تذكر المقاتل بواجبه خلال المعركة الناشئة وتأمره بالاستبسال والشجاعة (٢) .

أما لماذا يدور القتال وتنشب المعركة فإن الإسلام لايسأل عن ذلك لأنه يخوض الحروب مدافعا لا مهاجما .

وذلك مصداق الآية الأخرى ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ ..

ومن شدة الصفاقة وقلة الحياء أن يتحدث الإنجليز عن العدوان وأن يتهموا غيرهم به وهم وبلادهم وكر لأضخم عصابة دولية عرفتها البشرية في السلب والنهب والقرصنة ( عمل الإنجليز على إخماد العاطفة الإسلامية حين رأوها مصدر خطر محقق وأنها المعين الفياض ببعضهم الدافق بالتأليب عليهم والتحريض على قتالهم ) .

وظلوا يتهمون المصريين بالتعصب الديني ويكررون هذه النغمة في كل مناسبة — بل وفي غير مناسبة — حتى توهم المصريون أن التعلق بالدين عيب ذميم ينبغي أن يبرءوا منه وظل عدد من الصحف يتحدث عن التسامح وعن الإنسانية حتى توهم السذج والبسطاء من الدهماء بل من المثقفين المغفلين أن سعة الأفق ورحابة الصدر أن تحب الخلق جميعا حتى المعتدين منهم على بلادك وآلك ولو أن رسولهم الكريم يقول ( من استغضب ولم يغضب فهو حمار ) ولم يزل هؤلاء المستعمرون يحدثون المصريين عن مصالحهم الخاصة حتى نزلوا بالوطنية من درجة العقيدة إلى درجة مادية لاتعلق بها أية قدسية لأنها لاتعدو السعى وراء القوت

(١) انظر كتاب التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام للشيخ محمد الغزالي .

(٢) وأما الدعاء فقد نهانا سيد الخلق عن الدعاء على الملوك والانشغال بذلك دون الأخذ بأسباب التحرر ( تَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ عِدْوِكُمْ حَتَّى يَدْعُوا خِيَارَكُمْ فَلَا يَسْتَجِابُ لَهُمْ ) أَوْ كَمَا قَالَ . وهذا من باب الدراسات الميدانية في القرآن أيضا .

ومحاولة تحسين الأحوال .

هذه هي الوطنية التي يعيشها الإنجليز (١) وينشدون بقاءها في المستعمرات  
عصبية تنسلخ عن الدين أى عن دين الإسلام وتقوم على المنفعة المجردة .

وحول هذه المنافع يصح أن يوجد ما يطلق عليه اسم الأمة ولذلك أو عزوا  
إلى أصدقائهم في السودان أن يكونوا حزبا يحمل هذا العنوان كما أو عزوا إلى  
أتباعهم في مصر أن يؤلفوا حزبا يحمل هذا الاسم في أخريات القرن الماضي إن  
خطتهم هي هي على تغيير في المكان والزمان لأنهم يصدرون عن مشاعر قلما يهذبها  
الزمن (٢) .

والمؤلم أن هذه الشراك وقع فيها ألوف وانطلت حيلها على الكثير فتحولت  
الأجيال الناشئة إلى المجرى الذى شقه لها الاستعمار ووهنت أواصرها بالدين  
وهديه لماذا ؟ لأنها تكره أن توصم بالتعصب والرجعية .

وشيوع هذا الفساد في الأذهان والأذواق والعقول والقلوب كسب للصليبية  
أنكى على الإسلام من اندحاره أمامها في سلسلة من المعارك الكبيرة .

ولو ساغ أن يتطابق الناس جميعا على التسامح المقيت في شأن الحق والفتور  
عنه ، لبطل الحق وعمى على الناس وجهه والتبس بالباطل في كثير من الشئون لهذا  
لا يصلح مجتمع يخلو من المستمسكين بالحق المدافعين عنه الذين لا يترخصون فيه  
ولا يتسامحون وإن جميع الدعوات الصالحة الخيرة مارسخت أصولها ولا سمقت  
فروعها إلا بالاستمسك من أهلها بها وصدقهم في النضال عنها لأنهم آمنوا بها إيمانا  
عميقا ثابتا لا يتزلزل ولا يتزعزع .

ولولا هذا الإيمان الصادق القوي المتأسك لماتت والعياذ بالله دعوة الإسلام  
في مهدها ولفسد المجتمع الإسلامى من أول الأمر بما يسميه المنحلون مساهلة أو  
مباشرة ونسميه نحن انحلالا واضمحلالا .

وقد أمر الله المؤمنين أن يكونوا أقوياء في الحق يجاهدون في سبيل الله ولا

---

(١) اقرأ كتاب دراسات إسلامية للشهيد سيد قطب وخاصة موضوع إسلام أمريكاني .  
(٢) اقرأ كتاب التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام وكتاب ظلام من الغرب لفضيلة الشيخ محمد  
الغزالي .

يخافون لومة لائم ومدح الذين يمسكون بالكتاب ولعل هذه الصيغة إنما اختيرت للتعبير عن معنى القوة في الأخذ وهو ما صرح به القرآن في مثل قوله تعالى لنبيه يحيى ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة ﴾ ولنبيه موسى ﴿ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين ﴾ ﴿ وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظله وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ كما أمر المؤمنين بأن يكونوا ﴿ قوامين لله ﴾ والقوام بالشيء غير القائم به إذ هو مبالغة في القيام به تقتضى القوة والاستمسك والتشبث (١) .

وذلك كله ينافى التراخى عن الحق والمساهلة فيه

وأشد ماتصاب به الأمم في علمائها وأهل الرأى فيها والتحايل للخروج من تبعات الكتمان بالتأويل والتضليل .

وبهذا يتبين أن التعصب ليس مذموماً كله وأن اتخاذ أمره مقياساً للرقى أو الانحطاط يجب أن يتلقى بحذر ويقدر بقدر ..

مضى التياران المتناقضان .. كل إلى وجهته وطال النضال بينهما وتزاحم أنصارهما بالمنالك يبغي كل فريق أن ينفرد بالحياة دون صاحبه أنصار التيار الغربى المقبل من وراء البحار تؤيده القوة القاهرة والكشوف العلمية الباهرة وحاجات الأجيال المعاصرة .

والمعجبون يريدون أن يقبلوه كلاً لا يتجزأ وأن يدوقوا خيريه وشره وحلوه ومره وأن ينسلخوا عن إهابهم القديم جملة لأنه طور انقضى وذهب أوانه وقد استطاع هذا التيار أن يجتاح المدائن والقرى وأن يدخل الأكواخ والقصور وأن يترك ميسمه على أنحاء المجتمع المختلفة وما يكاد يفلت منه شيء أما التيار الإسلامى فإن الرأى يظنه مقاتلاً في معركة انسحاب وإن كان يتراجع ببطء حيناً ويتشبث حيناً آخر ببعض القلاع المكيئة ليكافح عندها أمداً ثم ينحسر عنها ويدعها تسقط .

ولكن المجالات التى يخسرها هذا التيار لاتذهب غنيمة باردة إلى خصمه فما أكثر أن يدع فيها من عناصر المقاومة ما يجعل استسلامها للطابع الغربى البحت أمراً

(١) وهذا أيضاً من الدراسات الميدانية التى يقدمها القرآن الكريم .

والحياة في بلادنا الإسلامية الآن خليط من الكفر والإيمان وركام ضخمة من المحافظة والتحلل من القديم والجديد .. من العقل والشهوة من الشرق والغرب .. وكلا التيارين لا يزال مزودا بأسباب البقاء ولذلك فهو يجاهد ليحيا ويتنصر وينفرد بقيادة الأمة إلى ما يبغي .

منذ أكثر من عشرين سنة كتب الدكتور زكي مبارك يصف القاهرة ويتحدث بأسلوبه الساخر عما يدور فيها متجاوزا من نقائص ويضطرب فيها من صور ونزعات — والدكتور زكي مبارك أظنه يضرب المثل ببلده حتى لا يرمى بالتعصب وإن كانت مصر من أكثر البلاد الإسلامية تمسكا بدينها وعقيدتها — وهذا الوصف المتقول عنه يكشف عن مجرى التيارين السابقين وآثارهما الخافية والبادية قال (٢) .

القاهرة اليوم مدينة خطيرة جدا .. ففيها يشتبك الجد والهزل ويصطرع فيها الهدى والضلال (٣) .

فيها طوائف من المغفلين وطوائف من المحنكين ويكفى أن يكون فيها الأزهر والجامعة المصرية (٤) .

فيها أقطاب الملحدون وأقطاب المؤمنين ..

فيها خلفاء حسن البصري وخلفاء إبليس ..

فيها أتباع القرآن والتوراة والإنجيل ..

فيها أبناء الدنيا وأبناء الآخرة والموعودون بالنعيم والجحيم ..

فيها أحياء باريسية وأحياء بغدادية وأحياء دمشقية ..

ففيها مشابه من جميع البقاع والأصقاع ..

---

(١) ومواقف المصريين مع المستعمرين مشهورة .

(٢) عن ليلي المريضة في العراق .

(٣) وإن كان النصر في النهاية للهدى فمصر منبع الهدى والنور منذ فجر الإسلام وستظل كذلك إن شاء الله .

(٤) يوم كان الأزهر أزهى أما اليوم فلا مناقضة ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .



وفيهما منازل لا يدخلها الفأر (١) ومنازل لا يدخلها الفقر ..  
فيها منازل لا يدخلها الفأر لسبب النعيم وأخرى لا يدخلها الفأر لسبب الفقر  
والجوع ..

فيها حدود تجرحها خطرات النسيم وفيها وجوه تعجز عن لفحها النار ..  
فيها ناس يموتون من الظمأ وناس يموتون من الشراب (٢) .  
من الذى يصدق أن إبليس يقف مبهوتا أمام جبل الفجور فى القاهرة .  
من الذى يصدق أن رضوان ينتظر ألا يجد مكانا فى الجنة بعد أن يحتلها  
القاهريون ؟

تنظر فى شوارع القاهرة فترى شيخا يهطع لإلقاء عظة فى مسجد وترى فتى  
متأنقا يمشى إلى موعد غرام فى مصر الجديدة أو شارع الهرم أو حلوان أو حديقة  
الأزبكية أو الأسماك أو الأورمان أو الأندلس أو الحيوان وما أكثر حدائقها ترى  
رجلا يحمل أوراقه ليناقش الميزانية فى مجلس النواب وترى فتاة تصاولك بعينين  
مصوغتين من السحر الحرام أو الحلال وترى فقيرا مسكينا يستجدى لقمة يتبلغ  
بها فى الصباح أو المساء وآخر يترقبك ويتعقبك لينشل محفظتك ، لطف الله بأهل  
القاهرة !! القاهرة وما أدراك القاهرة !!؟

فيها مئات من الأندية الخصوصية والعمومية وفيها ألوف من الزوايا (٣)  
والحانات .

من الذى يستطيع أن يتعقب حركات العقول والأهواء فى القاهرة ؟ من  
الذى يستطيع أن يحاور فى الصباح والمساء رجال الصحف الصباحية والمسائية  
والأسبوعية والشهرية .

من الذى يصدق أن فى القاهرة ألف خطيب مسجد فى فصاحة سحبان  
وألف خطيب لا يحسنون ضبط كلمة ؟

(١) وقد جاء فى أمثال العرب تقول العربية ( اشكو قلة الجرذان ) لعدم ما يجده الفأر من الطعام فى بيتها .

(٢) أى الخمر .

(٣) جمع زاوية وهى المصلى الصغير دون المسجد .

من الذى يصدق أن الأمان ذهب من القاهرة بسبب الإفراط فى المنافسة والنضال ؟

والأستاذ محمد حسين فى تاريخه للاتجاهات الفكرية من أكثر من سبعين سنة يصور هذا النزاع الحاد بين الإسلام المدافع عن كيانه وبين الغرب الزاحف بأطماعه وماضيه وتازاته بين المستمسكين ببقايا الإيمان ووصايا الكتاب فى بيوتهم وأعمالهم وبين المفتونين بهريق الحضارة المنتصرة وإيجائها المتحرر فى الشؤون الخاصة والعامة فيقول (١) .

انقسم زعماء الإصلاح كما رأينا إلى فريقين فريق ينظر إلى قديم الشرق والمسلمين يتغنى به ويستوحيه وفريق ينظر إلى ماحقق الغرب فى حاضره من تفوق فهو يزينه للمصريين ويدعوهم إلى احتذائه والسير على خطاه وسرى هذا الأسلوب فى كل شئون الحياة فأصبحنا أمام فريقين متقابلين ظهرت آثار هذين التيارين فى السياسة والأدب والفن والتعليم والاجتماع وسائر شئون الحياة فكان هناك مجددون — أو مقلدون — إن شئت — وقد نشأ عن هذين التيارين المتباينين تناقض فى الحياة المصرية التى جمعت بين المحافظة المتزمتة وبين التطرف فى الأخذ بأسباب المدنية الغربية وبين التوسط الذى يأخذ من كل الاتجاهين بنصيب وبدأ التناقض فى قصر الخديوى عباس من إقامة سرادقات لقراءة القرآن فى رمضان ثم سهرات الرقص والخمر فى الليالى الحمراء ... ثم سرى منه إلى بيوت الأغنياء والمترفين ..

وقد وضع هذا التناقض وآثاره فى شعر شوقى — شاعر القصر — فتجاوز فى ديوانه — وصف المراقص والخمر مع مدائح الرسول ﷺ وتمجيد الإسلام وكانت هذه الصيحات المتباينة المتنافرة التى تأخذ من كل جانب تفرع كثيرا من المصلحين وأصحاب رأى لما ينشأ من بلبلة الأفكار واختلاط القيم فى أذهان الناس ..

وصار ذلك يأخذ الحياة المعاصرة بسيل جارف من التناقض فنسمع أم كلثوم فى نهج البردة والهمزية ثم نواجهها فى الأطلال والليلة عيد وأمل حياتى .. إلخ .

(١) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر .

وشريفة فاضل — اسم على غير مسمى — والعياذ بالله تترنم بالأغاني الدينية بملابس الإحرام للنساء وهي محجبة ثم في فلاح كان فايت بيغنى من جنب السور .. ثم فلانة وعلانة وترتانة وغيرهن كثير حتى لنرى على المسرح أمثال عبدالله غيث وهو يظهر في صورة القارىء لكتاب الله يبلغ الرسالة تمثيلا بصوت وقور أخذ ثم نراه يعربد في فيلم إجرامى أو غزلى .. إلخ . وغيره وغيره كثير .. ثم ينقلب صاحب الوردة البيضاء في أغانيه الداعرة المثيرة إلى إلام الخلف بينكموا إلام ثم توا إلى أغثنا أدر كنا يامنى عينى ثم ينقلب محمد الكحلواوى في غمضة عين إلى مايسمى بمادح الرسول ﷺ إلى صوفية غثه مريضة متهافته متهالكة « منى عينى منى عينى حب النبى دوا عينى » « وجانى فى المنام خير الأنام وأمرنى بالتوبة ياعينى ياعينى أمرنى بالتوبة » (١) .

فما أشبهها بشطحات المجاذيب وحمقى الدراويش وجميع الممثلين — أو جلهم — من أمثال يوسف شعبان فتى العشق الأول على الشاشة نسמעه يبلغ عن الأنبياء فى قصص الأنبياء وهكذا ألا فليسمع هؤلاء وهؤلاء وإن كانوا لم ولن يبلغوا عابد الحرمين إلى قول المجاهدين والأبطال ..

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا  
من كان يخضب حده بدموعه  
أو كان يتعب خيله فى باطل  
وقول الفقيه المبصر ..

ليس التصوف لبس الصوف ترقرعه  
ولا صياح ولا رقص ولا طرب  
بل التصوف أن تصفو بلا كدر  
ولا بكاؤك إذ غنى المغنونا  
ولا اختلاط كأن قد صرت مجنونا  
وتتبع الحق والقرآن والدينا

وصرخات الأخ المسلم لإيقاظ النائمين والعاشين ..

يا مدعين من الإسلام أنكمو  
روضوا على منهج القرآن أنفسكم  
شتان ما بين تشريع السماء لكم  
على هداة دعوا الإسلام ينعانا  
يمدد لكم ربكم عزا وسلطانا  
وتشريع أهل الأرض شتانا

(١) ومادرى أنه يكذب على رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يتوعد الكذابين عليه بقوله ( من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ) أو كما قال ﷺ .

وهكذا — أخت الإسلام — مرت سنون و سنون .. سنوات عجاف منذ سقط الشرق الإسلامي فريسة الاستعمار الحديث وهذا التيار الجارف والسيل العرم يقوى ويشتد ويعنف ويقوى ولا يضعف ويقدم ولا يحجم فقدحت ضرباته وضراوته وزادت شراسته وشراسته وسقط الستار فجأة عن أفاعيله بالشباب المثقف — آسف — المتعلم فإن العلم المادى غير الثقافة على ما بينت سلفا وسأوضح بعد قليل فإذا هو قد فتك بأصول الأخلاق بينهم وهتك أثواب الفضيلة بعدما خرب أفئدتهم من حقائق الإيمان وحرمات الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله ، هذا الشباب المتعلم<sup>(١)</sup> كما يوصفون يصل إلى العشرين من عمره ويحتل مقاعد الجامعة في مدرجاتها وهو لم يتلق من المعارف الإسلامية شيئا يذكر وذلك أن الغزو الصليبي وضع مناهج الدراسة قديما وهو يقصد عمدا أن يجهل الطلبة والطالبات في دينهم ليشبوا غرباء عنه — أو قل — أعداء له — وإذا وقع هؤلاء الضحايا في أيدٍ تزين لهم الإلحاد وتفرش لهم مزالق الرجس بالأزهار وتوهمهم أن المشاركة في الحضارة والتطور مع الرقى لايتان إلا بهذا الضلال فكيف تكون الحال ؟ ..

كتب الأستاذ أحمد قاسم جودة : ( إذا كان هؤلاء الطلاب عذر في شرورهم وانحرافهم فما عذر الذين وضعتهم الأقدار موضع التدريس والأستاذية ماذا يمكن أن يلتبس من أعدار للأستاذ يمزح مع طلبته على حساب دينهم وإيمانهم فيقول لهم إنه سوف يعطى درجات إضافية في الامتحان للذين يفطرون في رمضان ؟ لقد سمعت هذه الرواية بأذني من بعض الطلاب وتساءل نحن هل هذا مزاح ؟ فأين الفجور إذن ؟ ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ واسمع منه أيضا هذه الوخزة ..

إذا وصفت إنسانا بأنه صفر من الأخلاق فإنه سيثور لكرامته حتماً إلا في حالة واحدة هي أن يكون هذا الإنسان ( وجوديا ) فإنه سيعتز بذلك ويعتبره فخرا واعترافا بوجوديته ..

(١) من فيتان وفتيات ..

لست (١) أتجنى ولا أبالغ ولكنى أقرر الحقيقة منقولة عن الرجل الذى يعتبر حجة الفلسفة الوجودية فى مصر وهو الدكتور عبد الرحمن بدوى الأستاذ بجامعة (عين شمس) اسمعوا بالله ماذا يقول فى رسالة بقلمه صدرت بالقاهرة سنة ١٩٥٣ م بعنوان هل يمكن قيام أخلاق وجودية؟ إما أن تقول بالأخلاق فتفقد ذاتك وإما أن تقول بأن لأخلاق فتخاطر بوجودك .. لكن الوجودى الحق هو الذى يفضل أن يخاطر بوجوده على أن يفقد ذاته إلى آخر ما نقل عنه فى هذه الرسالة وهذا المجال أعادنا الله من شروره ومآثمه .. يحدث هذا لدينا فى الوقت الذى لاتزال فيه أغلب الجامعات الغربية محافظة على تقاليد التدين وشارات العصور الوسطى حتى لتتصل أبنية الجامعات بأبنية الكنائس وأبراجها وصلبانها ونواقيسها الضخمة ..

والحديث بنا يطول — يأخت الإسلام — فى وصف ما صارت إليه حالنا والذى تعرفين منه الكثير لأنه يطالعك صباح مساء فى الجامعة والسينما والسوق والشارع والأوتوبيس وفى بيتك وفى الإذاعة والتلفزيون والفيديو .

وحدث أسرده لك على سبيل المثال — وقد حدث أمثاله الكثير — حدث لى شخصيا (٢) وقد كنت مدرسا فى مدرسة أجنبية الاسم والبيئة والعادات والتقاليد والدين وهى فى أرض مصرية ويدرس فيها الدين الإسلامى وهى مختلطة (سان فانسان) أو ماتسمى بهيئة قناة السويس وكنت أقوم بتدريس التربية الدينية واللغة العربية سنة (١٩٦٦ م) وكنت أبدو شاذا فى أعين الراهبات (السيسترات) بل والمدير المصرى آنذاك حين كنت أخلص فى أداء واجبى وأنفذ البرامج الدراسية بشئ من الروحانية وكان الإقبال على دروس الدين يسر الخاطر فقد كان الطلبة والطالبات لا يعرفون حقيقة التربية الدينية للنشأة الفرنسية فى بيوتهم والدراسة فى مدرستهم منذ نعومة أظافرهم فكان الإقبال رائعا وإذا بى أفاجأ فى فترة الراحة بفتاة من فصولى الثانوية تقابلنى صارخة مولولة باكية حزينة (يا أستاذ لو كانت أمك بترقص أو أبوك يتعاطى الخمر كنت أحسست بى) كيف ذلك يابنية؟ هونى عليك الأمر؟ فقالت (ترسبنى فى الدين وتعطينى

(١) نقلا عن كتاب ظلام من الغرب للغزالى .

(٢) المؤلف .

٨ من ٢٠ الـ ٨ دول = ٢٠ من ٢٠) لماذا؟ لأن أبنى لا يعرف عن الإسلام شيئاً وأمى فرنسية مسيحية وليس في بيتنا مصحف بل عندنا إنجيل وليال حمراء قصف وهو ورقص وهأنذا ربيبة هذا البيت أفهمت؟ فلم أتمالك نفسى من الدموع وهدأت من روعها وقلت لها فعلاً أنت تستحقين النجاح.. وفعلاً كانت من الناجحات آخر العام بجدارة بجدتها واجتهادها والحمد لله رب العالمين.. هذه هى مدارس التبشير وهكذا قولى فى كل طالب وطالبة ينشأون فى المدارس التبشيرية الإنجليزية أو الأمريكية أو الفرنسية أو الإيطالية أو الأروام.. من الليسيه الفرنسية وليسيه الحرية بالإسكندرية والقاهرة.. إلخ. يابنتى لا يأخثاه فهذا أجمل وصف وأصدقه يصفنا به رب العالمين ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ فياأخت الإسلام ليست الوطنية الصادقة والإيمان الصادق ينبعثان إلا من اللغة العربية وآدابها لغة القرآن ومعقل أدب العرب ومن التاريخ الإسلامى القوى النظيف والتربية الوطنية الحققة فكلما درس الناشئ لغته كلما أحبها وآمن بقدرتها على الحياة والخلود، وكلما عرف تاريخ بلاده ازداد تعلقاً بها وإيماناً بكرامتها<sup>(١)</sup> لانتائج الحملة الفرنسية وما إليها.. إلخ. ولا يجب ياأخت الإسلام أن نفرح بجلاء الجيوش الأجنبية عن بلادنا فحسب بل يجب أن نبتهج ونفرح بجلاء المعاهد الأجنبية عن تفكيرنا ووجودنا<sup>(٢)</sup> فالجلاء الحق هو ما يكون عن الفكر والروح هذا هو الجلاء الحقيقى .

### الغزو الثقافى العلمانى<sup>(٣)</sup>

١ — أى أُخِيَّةَ ينبغى أن نفرق بين الثقافة الذاتية لأمة ما وبين العلم الذى لا وطن له والذى يشيع بين الناس — دون عائق — كما بينت ذلك سلفاً بذكر الفرق الدقيق<sup>(٤)</sup> فى أول هذا الكتاب نعم هناك معارف تتصل بالكون والحياة ويتناولها الناس حيث كان بل لعلهم يدفعون المال والجهد لتحصيلها .

... وآثار هذه المعرفة متشابهة كالجسر الذى يبنى على شاطئ نهر الصين لا يختلف عن زميله كثيراً فى أوروبا.. إلخ. بل لعل الروس يتجسسون مثلاً على

- 
- (١) وبارك الله فى الرئيس محمد حسنى مبارك (أريد كل شئ مصرياً) .  
(٢) اقرئ كتاب ظلام من الغرب للشيخ الغزالي ص ١٥١ — ١٥٣ .  
(٣) من كتاب ظلام من الغرب للشيخ الغزالي بتصرف .  
(٤) عند حديثنا عن مفهوم الثقافة وعن علوم التقنية والإسلام والثقافة .

خصومهم في الغرب والعكس المقابل لبروا هل سبقوا إلى تقدم ذرى أو تفوق فني لينقلوه عنهم .. لكن هل ينقلون عن خصومهم الفكر الاقتصادي أو التعليم الاجتماعي أو فلسفة القيمة والعمل ؟ لا . إن الثقافة الذاتية للأمة شيء آخر غير العلم العام ..

٢ — وَطَبَعِيٌّ أَنْ يَكُونَ لِلخَطِ الإِسْلَامِي أَعْدَاءٌ يَضِيقُونَ بِهِ عَنْ جَهْلٍ أَوْ جُمُودٍ وَلَكِنْ هَذِهِ الْعِدَاوَاتُ لَمْ تَنْلِ مِنْهُ فَقَدْ بَدَأَتْ الأُمَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ مِنْ هَذِهِ الْحَزِيرَةِ مَجْتَمَعًا وَسِيمِ الْمَلَاخِ جَمِيلِ الْقِسَمَاتِ مَبَارِكِ الأَثَارِ وَاسْتَطَاعَ هَذَا الْمَجْتَمَعُ الْقَوِي الْفَتِيَّ أَنْ يَطْوِيَ الْوَثَائِيَّاتِ الْقَائِمَةَ فَتَلَاشَتْ وَأَنْ يَكْسِرَ الْعَسْكَرِيَّةَ الْيَهُودِيَّةَ فَبَدَدَتْ وَأَنْ يَطَارِدَ الْإِسْتِعْمَارَ الرَّومَانِيَّ فَعَادَ إِلَى أَوْرَبَا مِنْ حَيْثُ جَاءَ بِلِ لَاحِقَهُ الْمُسْلِمُونَ هُنَالِكَ وَلَوْ صَدَقَ مِنْ بَعْدِهِمُ النِّيَّةُ وَالْعَزْمُ لِاجْتِثَوْهُ مِنْ جَذْوَرِهِ .

على أية حال استطاع الإسلام تكوين أمة بين المحيطين الهادى والأطلسي لها ثقافة عامرة وتقاليد شريفة أسدت للإنسانية خيراً لحدود له وإن شابت هذا كله أخطاء شتى ربما بدأت تافهة ثم نمت على مر الزمن فجرت على الأعقاب الكوارث الشداد .

٣ — اسْتَطَاعَ الْغَرْبُ أَنْ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْعَالَمِ الإِسْلَامِي كُلِّهِ مِنْذُ قَرْنٍ أَوْ أَكْثَرَ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي حَالٍ يَرِثِي لَهَا مِنَ التَّخَلْفِ الْمَادِي وَالْأَدْبِي عَلَى (١) حِينَ كَانَتْ النُّهْضَةُ الصَّنَاعِيَّةُ فِي أَوْرَبَا مَزْدَهْرَةً وَتَبْقِظَتْ مَعَهَا عُلُومٌ وَفَلْسَفَاتٌ إِنْسَانِيَّةٌ كَثِيرَةٌ فَلَمَّا قَدِمَ الصَّلِيبِيُّونَ الْجَدِيدُ كَانَتْ الأَرْضُ مَمْهَدَةً لَهُمْ كَمَا يَصْنَعُونَ مَا شَاءُوا وَقَدْ شَرَعُوا لِقُورِهِمْ يَعْملُونَ ضِدَّ الإِسْلَامِ فَمَزَجُوا الْخَتْلَ بِالْقَتْلِ وَمَشَى الْغَزْوُ الْعَسْكَرِي بَيْنَ طَلَائِعِ مِنَ الْغَزْوِ الْفِكْرِي .

نذكر صوراً من المحو أو التشويه الذي أصاب الإسلام وأمته في شتى الميادين نتيجة لهذا المخطط ونجاحه .

٤ — وَاتَّجَهَ الْغَزْوُ الثَّقَافِي إِلَى لُغَةِ الْقُرْآنِ فَأَصَابَهَا إِصَابَاتٌ قَاتِلَةٌ ، إِذْ عَزَلُ هَذِهِ اللُّغَةَ عَزْلاً تَامَا عَنْ تَدْرِيسِ الْعُلُومِ .. وَأَحْبَبُ أَنْ أَعْلَنَ بِأَنَّ الْحِفَاطَ عَلَى لُغَةِ الْعَرَبِ مِنْ شَعَائِرِ الإِسْلَامِ وَأَنَّ دَرَجَةَ هَذِهِ اللُّغَةِ إِلَى مَنْزِلَةِ ثَانَوِيَّةِ خِيَابَةِ اللَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَأَنَّ

(١) راجع كتابنا حاضر العالم الإسلامي .

تعليم النحو كتعليم التفسير والحديث وأن إقرار الأخطاء اللغوية كإقرار المعاصي الدينية سواء بسواء .

٥ — ظهرت في العالم بدعة ازدواج التعليم وانقسامه إلى ديني ومدني ونرى أنه لن تنتهي هذه المأساة إلا إذا مُجِيت بشكل حاسم بدعة ازدواج الثقافة وتقرر أن يكون كل متعلم حاصلًا على حظ معقول من علوم (١) الدين واللغة يربطه بترائة وحضارته ومثله العليا ويجعله يحيا لأمته لا لأعدائه يحيا لدينه وترائه لا ذنباً يتبع كل تيار ويصدق كل ناعق .

٦ — واتجه الغزو الثقافي إلى الشريعة الإسلامية ليخلع عن رأسها التاج ويعزلها عن مكان الصدارة فعطلت المقررات الإسلامية في شتى القضايا الحساسة وتركت إلى حين قوانين الأسرة وهاقد بدأت في بعض البلاد الإسلامية صيحات العملاء لتغير أنصبة الموارث ..

بل وتنصير بقية الصلوات العائلية فقد تصلف بعضهم وجاهر بإبعاد السنة عن مجالات الحياة والاكتفاء بالقرآن الكريم وهذه ردة فاجرة ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ وصدق المصطفى الكريم « أوتيت الكتاب ومثله معه » وتحذلق بعضهم ونادى بتحريم الصيام محافظة على الصحة والإنتاج .. إلخ . هذه الهراءات والصيحات الباغية باسم المدينة ﴿ كالذي ينطق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون ﴾ لقد أبيع الزنا والربا والخمر والقمار باسم السياحة وجلب العملة الصعبة واختلطت الحرية الفكرية بحرية الهوى والقانون الوضعي وراء هذا كله .

٧ — ودراسة العلوم الإنسانية تحتاج إلى شيء من التأمل وهذه العلوم هي علوم الأخلاق والتربية والاجتماع والنفس والاقتصاد والسياسة وغيرها وتسميتها علومًا ضرب من التجوز فهي فروع فلسفية تعتمد على الفكر أكثر من اعتمادها على التجربة ، وقد أشبعها الإسلام دراسة وأغناها بجملة وافرة من الأحكام والمبادئ والتطبيقات أما أن تترجم وتستورد إلينا فهنا الطامة الكبرى ، ذلك ما يريده الغزو الثقافي إنه يريد أن يعرف أولادنا وبناتنا الكثير عن نابليون وواشنطن

(١) ولقد عرفت في أول الكتاب ان أساس العلوم ديني ويتفرع عن الاصل فروع كما وضعنا سلفا في فصل : خطأ مشهور وصواب مهجور .



ومونتجمرى وروميل ولا يعرفون شيئا عن خالد وصلاح الدين أو قطز أو بيبرس ..

٨ — وفي بعض الأقطار الإسلامية ظروف اجتماعية واقتصادية معقدة أمكنت التبشير أن يتوغل فيها ويفيد منها ، بل رتع فيها كما يرتع الداء في جسم لا مناعة له ولا تماسك به ونحن لانلوم الآخرين على انتهاز الفرص لخدمة ما يعتقدون ولكننا نلوم أنفسنا إذ تركنا فراغا امتد فيه غيرنا ومن ترك بابه مفتوحا لايلوم اللصوص إذا سرقوا مدخراته وقديما قيل :

من رعى غنما في أرض مسبعة ونام عنها تولى رَعِيَهَا الأسد

وهذا يجرنا إلى الحديث عن المقاومة الإسلامية للغزو الثقافى وضرورة تقوية حصوننا المهددة (١) .

٩ — الإسلام جدير بسعادة الدنيا لو وجد رجالا يجيدون عرضه كما جاء من عند الله دون نقص أو تزويد وأناساً مسلمين يحملونه حملا طيبا ليكونوا قرآنا يمشى على الأرض وإذا انتصر الإلحاد وانتصرت العلمانية على الإيمان فى معركة فليس العيب فى الإيمان ولكن فى أتباعه المنتسبين إليه

نعيب زماننا والعيب فىنا وما لزماننا عيب سوانا

ونعود إلى سمسرة الغزو الثقافى فى بلادنا لنكشف خباياهم ونحذر منهم .. قال حذيفة « كان الناس يسألون عن الخير وكنت أسأل عن الشر مخافة أن أقع فيه .. قلت يارسول الله لقد كنا فى جاهلية وشر وبعثك الله بالخير فهل بعد هذا الخير شر ؟ فقال نعم فقلت فهل بعد هذا الشر خير ؟ قال نعم وفيه دخل فقلت وما دخله ؟ قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجاهم إليها قذفوه فيها فقلت صفهم لنا فقال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا وقتل ماتأمرنى إن أدرتهم ؟ قال اعتزل هذه الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى تموت على ذلك خير لك (٢) .. » وذلك مع الأسف بدأت به تركيا المسلمة على يد المرتدين الكمالين .

(١) تراجع كتاب حصوننا مهددة من داخلها د . محمد محمد حسين ط المكتب الإسلامى .

(٢) وقد سبق ذكر الحديث عند ( خطأ مشهور وصواب مهجور ) . فى أول الكتاب وذلك من الإعجاز التشريعى للقرآن والسنة حيث تصلح الآية الواحدة لأكثر من شاهد وكذلك الحديث الواحد ..

## الغزو التشريعي :

إن نبد الشرائع الإسلامية واستجلاب قوانين مما صنع الأجانب لأنفسهم كى تحل مكانها لم يتم دفعة واحدة بل كان نتيجة واحدة لسلسلة من التحلل والاستهانة وقعت في أعصار متطاولة متهالكة ثم انتهت بهذا الختام المعتم .. ومادام الإيمان الحق — وهو ملاك النظم كلها — قد ضعف وهان فهيات أن تتماسك بعده أمة ولا تسغربن عندئذ مايقع فيها ولا مايقع منها ... أضيفى إلى ذلك أن الصليبية الغربية والإلحادية الشرقية والعلمانية والصهيونية بالمرصاد وهى نهارة للفرص فإذا وجدت فرصة تنفذ منها إلى النيل من الإسلام وإصابة مقاتله فهى تهتلها لاحالة .

وفي الغزو الثقافى والاجتماعى الذى رمتنا به كان حرصها باديا على ضرورة إقصاء التشريع الإسلامى وإحلال القوانين الغربية محله وقد بدأ بذلك فى مصر من عهد محمد على باشا رأس الأسرة المالكة التى قضت عليها الثورة باسم الإسلام وتحت شعار المصحف الشريف وحل ذلك محل التشريع الإسلامى بالتدريج فى سنة ١٨٨٣ (١) أسست المحاكم الأهلية وكانت تعتمد على القوانين الفرنسية وترك للمحاكم الشرعية يومئذ أن تحكم الأحوال الشخصية وشئون الوقف وما شابه ذلك .. ثم عدلت القوانين المدنية والعقوبات سنة ١٩٠٤ م وانضم إلى الفرنسى ( كمصدر أول للتشريع ) القانون البلجيكى والإيطالى والهندى والسودانى والأخيران مقتبسان من الإنجليزى وهكذا تسولت أمة الإسلام ( كوكتيل ) خلطة — سلطة — مادة فقها العلمى من كل قطر كأنها نبتت على صعيد الدنيا بغتة فليس لها ماض تستمد منه ولا تاريخ مشحون بالذخائر الرائعة أخذت منه الأمة الفرنسية قانونها الذى استوردناه فيما بعد كسلعة جديدة وهو من كتاب لشرح الدردير على متن خليل فقه الإمام مالك !! فإذا قيل إن البيئة الإسلامية لاتلائمها هذه القوانين وإن الله أمر بتغيير هذه الجاهلية انطلق الصحفيون الذين يعملون لتحقيق مآرب الغرب ليصبحوا فى كل مكان يجب أن ترقى بيئتنا حتى تلائم الحياة الحديثة والقوانين الجديدة أى إننا نشترى الخنزير ولكى يحيا يجب أن نعد له زريبة

(١) ينظر رسالة خاصة للدكتور عبد العزيز عامر .

مملوءة بالأقدار له ؟ لتلائمه ولماذا نشتره ؟ لأنه خنزير الخواجة (١) !! الخواجة الحاكم بأمره بهواه ﴿ أفغير الله أبتغى حكما وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا ؟ والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ﴾ الآيات من ١١٣ إلى ١٢٣ من الأنعام .

إن أمواج الشر تتدافع — يأخثاه — كلما انساحت بيننا موجة ، هجمت بعدها أخرى .. وقد نجح الغرب فى أن يجعل الحكم بغير ما أنزل الله قوانين مقررة فى المجالات الجنائية والدولية وبقي أن يحتاج كذلك ميدان الأحوال الشخصية الذى كان باقيا من سمات الإسلام وأحكامه فإذا استكان له هذا الميدان الآخر فعلى الإسلام كله العفاء أو بعبارة أدق فقل على المسلمين العفاء لأن الإسلام محفوظ من الله دائما ..

### وياموت زر إن الحياة ذميمة ويانفس جدى إن دهرك هازل

وظلائع هذا الغزو الآثم بدت فيما قرأناه هذه الأيام من لفظ حول تسوية المرأة بالرجل فى الميراث والمصيبة المضحكة وشر المصائب ما يضحك أن المرأة التى كتبت هذا الكلام فى حينه ترى أن الإسلام يميز هذه التسوية بل يباركها لأن الإسلام دين الفطرة والتطور (٢) !!

وصحيح أن الإسلام دين الفطرة ولكن هذه الفطرة تظلم أشنع الظلم حين يقال إنها تجعل المرأة مضارعة للرجل فى كل شيء !!

وظيفتها فى الحياة هى وظيفة الرجل . ومكانتها هى مكانته ، فإن طبيعة الحياة أن يكون الرجال قوامين على النساء ولا بد من الاعتراف بأن للرجال فضل قوة مادية وأدبية يرجح كفتهم على الجنس « اللطيف » !! ..

والإسلام حين أعطى البنت نصف سهم الابن فى الميراث ، أوجب على الرجل زوجا كان أو ولدا أو أخوا أن ينفق على بيته وعلى ولده وعلى رَجْمِه وكذلك الابن إن لم يكن قاصرا فلربما ذهب نصيبه كله فى وجوه النفقة القائمة على حين يبقى للبنت نصيبها موفورا كله .. إلا أن تَطَوُّع هى بما تحب من معاونة ولا

(١) ولا يسع من يرمقنا إلا أن يقول ( يائمة ضحكك من جهلها الأم .. ) .

(٢) وأنا أهديها شطر هذا البيت : ( فدعى عنك المنى وتمطرى !! ) .

تقولن : المرأة تعمل وتكدح في الحياة ومن تكسبها في أى حرفة شريفة تكلف هي الأخرى بالنفقة لأننا نقول إن الوظيفة العتيدة للمرأة أن تكون ربة بيت (١) ..

واحترافها في الحياة يجب أن يكون عملا موقوتا مابقيت ظروفه الملمجة (٢) ثم تنصرف بعده بأكثر وقتها وفكرها وجهدها إلى رجلها وأولادها وبيتها .

إن الحالة في الغرب تفرض على المرأة أن تجيء بمهرها وأن تشارك الشبان في أعمال شتى — لامسوغ لها — وليس يمسك هذه الحال — وما يتخللها من اضطراب حيوانى ، إلا فقدان الضمير الدينى الصحيح والتواصى بإشباع الشهوات على نطاق واسع !!

والإسلام يوزع اختصاصات العمل على الأحياء فيجعل حصن المرأة بيتها ويكلفها من العمل مايصون شرفها وعفتها وأنوثتها ويشرع من الآداب والقواعد مايجعل كل اتصال جنسى حراما إلا عن طريق الزواج المشروع وفي هذا الزواج يكلف الرجل — لا المرأة — سوق المهر — ويناط بعنقه ضمان النفقة للبيت الذى بناه فإن أعانته المرأة في عمل ، فهو عون مضاف مؤقت وليس عاملا أساسيا في حياته .

ومن ثم جعل نصيبها من الميراث على النصف من نصيب الرجل إقامة للتوازن في الحياة العامة وتمشيا مع العدالة في توزيع الغرم والمغنم . وقد قررنا سلفاً مبدأ الإسلام في ذلك بقاعدة أصولية « الغرم بالغنم » . أما إن الإسلام دين التطور فنعم ولا !! ..

هو دين التطور في الوسائل التى تخدم الحق ، والمظاهر التى تتضح بها دعوته وتتأدى بها رسالته لكن — بالله — مالتطور الذى يُتوقع في عقائده وفضائله وشعائره !!؟

ربما احتاج تحقيق العدالة إلى اجراءات تتطور مع العصور .. بيد أن العدالة نفسها والنصوص الحاسمة التى أقامها الله لحمايتها لا يمكن أن يلحقها تحوير أو تبديل .

(١) راجع ماسبقه مفصلا في الفصل السابق .

(٢) كما قالت ابنتا سيدنا شعيب لسيدنا موسى عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام حينما سألهما ﴿ ما خطبكما ؟ قالتا لانسى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ﴾ .

وقوانين الميراث من هذا القبيل قال الله — عز وجل — ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ (١) ثم بعد أن أعطى كل ذى حق حقه وفق ماقضت حكمته قال ﴿تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾ .

فهل بعد هذا الوعيد ، وهذا الترغيب والترهيب تجيء امرأة مخبولة العقل ، أو صحفى مدخول القصد مأجور القلم يتملق النساء لأمر في نفسه فيسمع منهما تسوية المرأة والرجل في الميراث عمل يقبله الإسلام ويتسق مع تعاليمه ؟ ألا شأهت الوجوه (٢) !!

ولتترك هذا الهراء الذى نشرته مجلة حواء — إحدى مجلات دار الهلال — «إميل وشكرى زيدان» وإليك مثلاً آخر لتزوير الفتوى والاختلاق على الإسلام .

فقد نشرت (روز اليوسف) مقالا زعم فيه صاحبه أن المسلمة يجوز لها أن تتزوج يهودياً أو نصرانياً لأن القرآن ينص على تحريم اقترانها بالمشرك فقط .. ثم أسفر النكات عن خبيثة نفسه فقال : لا يوجد بيننا مشركون ولا كفار وإنما يوجد مسلمون ويهود ونصارى .

والكاتب الذى أرسل هذه الفرية وهو فى مأمن من عواقبها يعلم أنه لا يخدم حقيقة علمية ولا يصور شريعة إسلامية ويوقن أنه اجترأ على فعلة لم يسبقه إليها مسلم من الخاصة أو العامة طوال أربعة عشر قرناً !!

إنه يريد إيهام القراء أن جحد رسالة محمد ليس بكفر !

وبدهى أن يكون رفض القرآن كله ، والسنة كلها أمراً لاخطأ فيه ولا حرج منه بعد ذلك وصاحب هذا الرأى لا يستغرب منه أن ( يتزوج ) بمحارمه بل أن يزوج أمه أو أخته لمن شاء من الإنجليز والأمريكان من غير المسلمين منهم !! إن

(١) تراجع سورة النساء .

(٢) لست أدري ينق الغريبان اليوم فى كل خرابة وهم يدعون إلى التخصص فى كل شىء فالمهندس المدنى ثم الديكور ثم .. ثم .. وطبيب العيون ثم النساء ثم الجراح ثم العظام .. إلخ .. لكن الدين كل أبه معتوه يقول فيه برأى ؟! فما هذا العبث ياترى ؟!

الله عز وجل في القرآن وصف أهل الكتاب الذين يفرطون في تنزيهه وينسبون إلى ذاته المقدسة ما لا يليق ويطلقون عليه نعوتاً هي بطبيعة المخلوق ألصق وعن حقيقة الخالق أبعد .

فقال سبحانه في اليهود ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر ﴾ .

وقال سبحانه في النصارى ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ﴾ .

وقال ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ﴾ .

فما معنى أن يجيء مخبول ويتقول على الله بغير علم ؟ . نعم إن هناك فرقا دقيقا بين شرك هؤلاء وشرك الوثنيين من العرب الأقدمين وأمثالهم ، ورعاية لهذا الفرق أباح الإسلام لأبنائه الذكور أن يتزوجوا من نساء أهل الكتاب على طريق الاستثناء من النصوص الأخرى ..

أما النساء المسلمات فمن المقطوع به ألا يتزوجن كافرا أبدا مهما كانت ﴿ فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار لانهن حل لهن ولا هم يحلون لهن ﴾ وقال ﴿ ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ﴾ وقال في المباح من أطعمة الكتابيين وأنكحتهم ﴿ وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ﴾ أى أن لكلا الفريقين أن يأكل من أطعمة الآخر ثم قال ﴿ والمحصنات من المؤمنات والمحصنات (١) من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴾ أى أن للمسلمين فحسب التزوج بالمؤمنات والكتابيات ولم يجعل النكاح كالطعام في تبادل الإباحة بين الطرفين أعاذنا الله من تفسير القرآن بالهوى والجهل باللغة .

وليست كل يهودية أو نصرانية يصح البناء بها بل العفيفات منهن فقط واللاقي يعرفن كرامة العقد وحرمة الزنا فإذا تزوج المسلمون بهن فعلى ما شرط الله

(١) بهذا القيد (الإحصان) .

عز وجل من وفاء لمن وِبرَّ بهن وإعفاف ﴿﴾ محصنين غير مسافحين ولا متخذى  
أخذان ﴿﴾ وعسى الله أن يهديها للإسلام ويحرم زواجها إن خشي الانحراف على  
نفسه أو ولده منها . ذلك وللدولة حق تقييد المباح دفعا لخطر متوقع أو متوهم ،  
والقانون الآن يحرم على ضابط الجيش ورجال السلك الدبلوماسي أن يتزوجوا  
بهؤلاء الكتابيات وذلك لحماية القوات المسلحة ولأسرار الدولة من التعرض لشائبة  
تفريط .. ونحن لانرى في هذا المنع بأسا ولا خروجا على تعاليم الإسلام ..

وظاهر أن الحملات على قوانين الأسرة أو مايسمى قوانين الأحوال  
الشخصية محاولة لزعزعة ونقض مابقى سليما من تراثنا الإسلامى فى ميدان  
التشريع !!

إن الأفاكين لا يهدأون ولن يرضوا حتى يروا شرعة الهوى تصبغ كل علاقة  
وتفسد كل حكم ..

والشبهة التى تلوكتها الأفواه لرد أحكام الله كلها أن الإسلام يقسو على  
المجرمين وأن صرامة حدوده وأفضيته بحاجة إلى كثير من الملطفات والخففات فى  
عصر ارتقت فيه الحضارة وتطور الإنسان إلى أعلى .

ونحب أن نقول على عجل إن نسبة الشرائع القائمة على القصاص والحدود  
إلى الإسلام وحده واتهامه بالوحشية والرجعية بناء على ذلك هى ضلال فى ضلال  
فإن هذه القوانين الشديدة القاسية كما يقولون سبقت إليها التوراة والإنجيل ثم نقلت  
البشر منها نزوعا مع غلبة الهوى .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن يوجه للناس كل الناس مسلمهم ونصرانيهم  
ويهوديهم هو هل تخضع الأرض لأحكام السماء ؟ وتستهدف مرضاة الله ؟ أم  
تسير وفق مايزين الشيطان وعلى الهوى ؟

إن القصاص فى القتل وسائر الجراحات ليس حكما مبتدعا شرعه القرآن  
الكريم لينهج به سياسة من القسوة فى معاملة المجرمين لم تؤلف فى العهود الأولى  
كلا فالقرآن إنما أكد أحكاما بدأ بها التوراة والإنجيل .

بل كل ماأحدثه من تغيير أنه خفف بعض الشدة التى اتسمت بها هذه  
القوانين فقبل العفو من ولى الدم ، وأحل محل الدية وخفف العقوبات فى جرائم

الزنا والسرقه فإن التوراة تحكم برجم مقترفها جميعا محصنهم وغير المحصن (١) أما الإسلام فيكل المراهين مثلا إلى أولياء الأمور يعالجون جريمتهم بما يرون .

ويكتفى في السرقه بالقطع بعد شروط دقيقة (٢) والذي يعطف على السارق ويستبشع قطع يده لم لا يعطف ويشفق على المسروق منه وقد لا يكون عنده ما يقيت عياله غيره فكم من مصيبة أدخلها السارق على أولاد المعتدى عليه وعلى زوجه ووالديه فكم خرب بيوتا وأخوى بطونا وشرذ أطفالا وقد سأل تلميذ أستاذه :

يَدْ بِخَمْسِ مِئِينَ عَسَجِدٍ وُدَيْتَ مَا بَالَهَا قَطَعْتَ فِي رِبْعِ دِينَارٍ ؟

فأجابه :

عز الأمانة أغلاها وأرخصها ذل الخيانة .. فافهم حكمة البارى !!

والإسلام يحيط جريمة الزنا بإطار خاص ، ويفصل في عقاب مرتكبيها ، فلا يسوى بين المتزوج والعزب (٣) وما بقى من التوراة في أيدي أصحابها يشرح حقيقة ما ذكرناه هنا ..

وأما أسلوب الإنجيل في محاربة الجرائم فاسمع إلى هذه المقتطفات التى لاتزال بين أيدي النصرارى يقرعونها إلى يوم الناس هذا :

١ — سمعت أنه قيل للقدماء : لا تقتل ، ومن قتل يكون مستوجب الحكم ، وأما أنا فأقول لكم : إن من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم ، ومن قال لأخيه : يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم .

٢ — سمعت أنه قيل للقدماء : لا تزن . أما أنا فأقول لكم : إن من ينظر إلى امرأة يشتهيها فقد زنا بها في قلبه . فإن كانت عينك اليسرى تعثرك فاقطعها وألقها

(١) المحصن هو الذى تزوج — وغير المحصن : الذى لم يتزوج .

(٢) والذى يجرب الأمن في المملكة السعودية — وهى أقل بلاد العالم على الإطلاق جرائم يعرف معنى حكمة القصاص والحدود .. ولو نفذت حادثة قطع واحدة في ميدان عام لاختفت جرائم السطو والسرقه . أما أن يأخذ السارق أو قاطع الطريق شهرا أو سنة في السجن يخرج بعدها عملاقا في الجريمة فلا .. فليدرك .

(٣) راجع كتاب التشريع الجنائى الإسلامى مقارنة بالتشريع الوضعى للشهيد عبد القادر عودة .



عنك خير من أن يلقي جسدك كله في جهنم ..

فهل هذه النصوص تهادن الإجرام ، وتشيع بين الناس الفاحشة على النحو الذى تسبح فيه أوروبا الآن ؟ إن الله يغار ، وغيرته على عباده سر الحكمة في تحريم المناكر ، والغلظة في مواخذة ذويها .

لكن اليهود والنصارى لما وهى إيمانهم ، واستمرعوا المعاصى في بيوتهم ومجتمعاتهم تراخوا في إنفاذ شرائع الله بينهم ، ثم تدرجوا من ذلك إلى تعطيلها ، والإتيان بأحكام تدلل الغرائز المريضة ، وتهادن المسالك المعوجة ، وتدهان في مواجهة الإثم ، وكأنها تقول له : سر .. ولكن بعيدا عنى وبرضا منى !!  
ولن يعجز هؤلاء المميتون لشرائع الله أن يجيئوا بألف عذر لما فعلوا ...  
وسيسوغون اختلافهم لقوانين أخرى بأن ذلك إحسان إلى المخطئ ، ورفق به ، وتوفيق بين رغائب الكبراء إذا أساء أحد منهم ، وضرورة المجتمع في مصادرة الجريمة بعقوبة ما .

وقد رفض الله — عز وجل — هذا الاحتجاج ، وعدد الباعث على تغييره شرعه هو الكفر به وبما أنزله . فقال مخاطبا رسوله محمدا — ﷺ — يكشف هذه النيات والسيئات ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ... ؟ ﴾ إلى أن قال ﴿ فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن (١) أردنا إلا إحسانا وتوفيقا ﴾ .

إن الإحسان والتوفيق لا يكونان إلا في إقامة أحكام الله ، وتقديس أوامره كلها ، فلا يجاب منها ما ترغب ويرجأ ما ترهب .

وانتظار السلامة للمجتمع من وراء التشرييع التى صنعها الناس لأنفسهم تعلق بالمستحيل وحري بالعقلاء ألا ينتظروا منها إلا الخلل العام والفتن الهوج العمياء .

ومرة أخرى أؤكد أن الله قال : ﴿ فى القصاص حياة ﴾ فمعنى ذلك أن تركه موت وبلاء وكروب ومصائب ، وأن الله إذا وضع للبشر حدودا فمن الخير

(١) إن : هنا : نافية = أى ما أردنا .. الآيات من سورة النساء .

لهم أن يرعوها ، فإن من يتعد حدود الله لا يظلم أحدا بعيدا عنه ، ولكن الأمر كما قال : ﴿ ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾ .

وتوجد شبهة أخرى عند خريجي التعليم الحديث ، تخيل إليهم أن التشريع الغربي قد وصل في تناوله لشتى الأحوال إلى مرتبة من تعقيد القواعد وتفريع الفروع لم يصل إليها التشريع الإسلامي .

وهم معذورون في هذا الوهم ؛ لأنهم أمام تشريع يحويه التطبيق المتجدد ، وتصله بواقع المجتمع أوامر شتى .. أما التشريع الإسلامي فهو كنوز مدفونة ، تحت الثرى لا يدرى نفاستها إلا الأقلون ..

والحقيقة أن الفقه الإسلامي بلغ في عصوره الأولى درجة من النضج والروعة لا يدانيها ولا يطاؤها شيء من القوانين الوضعية الحديثة في أزهى مواطنها اليوم — مع التفاوت في القياس — فإن هذه القوانين تعتمد على نزوات بشرية وتنبثق من جذور شيطانية . أما ذاك فهو يقوم على أصول من الوحي الأعلى ، وينطلق في مجراه الممهد بين حصانات من هدى السماء (١) .

ولا بأس أن نقل طائفة من الشواهد التي أثبتتها الأستاذ « محمد جمعة » عضو مجلس النواب السابق في مذكرة له يدافع بها عن التشريع الإسلامي ، ويصور المدى الذي بلغه من الكمال . قال : (٢) « عرف الإسلام القضاء الإدارى على شكل محكمة عليا تفصل فيما يفصل فيه مجلس الدولة الآن وكانت تنظر أيضا في قضايا الاستئناف التي ترفع من أحكام أول درجة .

واختصاصات هذا النوع فصلها أبو الحسن الماوردى وهى :

١ — النظر في القضايا التي يقيمها الأفراد والجماعات على الولاية ، وعمال الخراج إذا اعتسفوا في جمع الضرائب ، وعلى كتاب الدواوين إذا حاولوا إثبات أموال المسلمين بنقص أو زيادة .

٢ — النظر في تظلم المرتزقة ( موظفى الدواوين ) إذا نقصت مرتباتهم أو تأخر دفعها لهم .

(١) راجع كتاب : قيسات من الرسول ﷺ للأستاذ محمد قطب .

(٢) راجع كتاب : ظلام من الغرب للغزالي .

٣ - تنفيذ مايعجز عنه القاضى والمحتسب فى تنفيذه من الأحكام .

« وكما عرفت الشريعة الإسلامية القضاء الإدارى فى قوانينها ، عرفت الضمان الاجتماعى الذى لم تعرفه أعرق الدول مدنية إلا حديثا » (١) .

« كان الفقه الدستورى القديم فى الغرب يقنع من العدل بصورة سلبية يكتفى فيها بمنع الحاكم من الاعتداء على حقوق الفرد ، ولكن الفقه الدستورى الآن لا يقنع بذلك ، بل يفرض اتجاهها إيجابيا يلزم الحاكم فيه أن يمتثل للظروف للفرد كى يمارس حقوقه ، فنصت معاهدة حقوق الإنسان الأخيرة الصادرة عن « هيئة الأمم المتحدة » على حق كل فرد فى أن يجد عملا بشروط عادلة وأجر مجز ، وحقه فى المسكن والعلاج من المرض .. إلخ » .

هذا ماوصل إليه الغرب أخيرا بعد عدة قرون من التشريع الإسلامى .

« إذ أن الإسلام سبق الغرب فى هذا الميدان بمراحل » .

وليس أدل على ذلك من أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » وقف يوما يودع أحد ولاته قبل سفره إلى الإقليم الذى سيحكمه وألقى عليه هذا السؤال (٢) :

ماذا تفعل إذا جاءك سارق ؟

فأجابه الوالى : أقطع يده ..

وعقب عمر رضى الله عنه على جوابه قائلا :

« وإذن فإن جاءنى منهم جائع أو عاطل فسوف يقطع عمر يدك » واستمر قائلا : « إن الله قد استخلفنا على عباده ، لنسد جوعتهم ، ونستر عورتهم ، ونوفر لهم حرفتهم ، فإذا أعطيتناهم هذه النعم تقاضيناهم شكرها .

يا هذا : إن الله قد خلق الأيدى لتعمل ، فإذا لم تجد فى الطاعة عملا التمس فى المعصية أعمالا فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية ..

لله ما أعظم هذا التشريع وأحقه بالإنفاذ والتحكيم !!!

(١) راجع كتاب : أصول الدعوة للأستاذ عبد الكريم زيدان .

(٢) لا يحضرى الآن سند هذه القصة ( تعليق الشيخ الغزالي ) .

وكتب خالد بن الوليد بعد فتح العراق — يقول : « أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت عنه جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام !!! .. ( ١ هـ من كتاب ظلام من الغرب ) .

وجلس عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — يوما في محرابه يبكى .. فدخلت عليه زوجته تسأله عن السبب فقال : ذكرت المحتاج والضعيف والعزب والأرملة والمسكين وابن السبيل فعلمت أني مسئول عن العزب الذى لم يتزوج ؟؟ !!! (١) .

وإليك — يأخت الإسلام — ماقاله الفيلسوف « نيتشه » الألماني — تعليقا على تناليم الإسلام — لقد حرمتنا المسيحية من ميراث العبرية القديمة — يقصد فلسفة الإغريق — ثم حرمتنا بعد ذلك من شريعة الإسلام !!!

لقد ديست بالأقدام تلك المدنية العظيمة في الأندلس ! لماذا ؛ لأنها نشأت من أصول رفيعة ومن غرائز شريفة .. نعم .. من غرائز رجال الإسلام . إن تلك المدنية الإسلامية لم تنتكر للحياة بل تجاوزت معها وفتحت لها صدرها ، ولقد قاتل الصليبيون تلك المدنية بعد ذلك ، وكان الأولى بهم أن يسجدوا على التراب شكرا لله — ويأخذوا بها ، وما مدنتنا في هذا القرن إلا متخلفة وآلية بجانب مدنية الإسلام في ذلك الوقت (٢) .

وفي سنة ١٩٣٨ عقد في لاهاي مؤتمر القانون المقارن . وقد تقرر فيه اعتبار الشريعة الإسلامية مصدرا مهما من مصادر التشريع ، وذلك بعد أن أشاد الأعضاء الأجانب — على اختلاف مللهم — بأحكام تلك الشريعة (٣) .

وفي عام ١٩٥١ عقدت شعبة الحقوق بالمجمع الدولي للقانون المقارن مؤتمرا للبحث في الفقه الإسلامى في كلية الحقوق بجامعة باريس تحت اسم ( أسبوع الفقه الإسلامى ) ودعت إليه عددا من المستشرقين والأساتذة في القانون بالدول

(١) فما بال خلو الرجل لشقة يوجد بها لعروسة اليوم ؟ والمهر !!! يا لله للمسلمين !!!

(٢) راجع ماقناه في أول الكتاب عن « الإسلام والمدنية » .

(٣) راجع كتاب : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين — لأبى الحسن الندوى وكتابنا — حاضر العالم الإسلامى .

الغربية وقد حاضر الأعضاء في خمسة موضوعات حددها مكتب المجمع الدولي للقانون المقارن وهي :

- ١ — إثبات الملكية .
- ٢ — المسؤولية الجنائية .
- ٣ — الاستملاك للمصلحة العامة .
- ٤ — تأثير المذاهب الاجتهادية بعضها في بعض .
- ٥ — نظرية الربا في الإسلام .

وكانت كل المحاضرات باللغة الفرنسية ، وخصص لكل موضوع يوم ، وعقب كل محاضرة كانت تدور مناقشات طويلة بين المحاضر والمؤتمرين ، وتسجل خلاصتها .

وفي بعض المناقشات ، وقف أحد الأعضاء — وهو نقيب سابق للمحامين في باريس — يقول : « أنا لأعرف كيف أوفق بين ما يحكى لنا عن جمود الفقه الإسلامي وعدم صلاحيته كأساس للتشريع يفى بحاجات المجتمع العصري المتطور وبين مانسمعه الآن في هذه المحاضرات ، وفي مناقشتها مما يثبت خلاف ذلك تماما ببراہين النصوص والمبادئ » !!؟!

كما وقف غيره من المستشرقين ، ورجال القانون ، وأشادوا بالفقه الإسلامي وأقروا أنه صالح لجميع الأمكنة والأزمنة — على الإطلاق !!!

ونظرا لما ثبت للمؤتمرين من الفائدة المحققة التي أتاحتها المباحث المعروضة — خلال ( أسبوع الفقه الإسلامي ) وما دار حول هذه المباحث من مناقشات أثبتت بجلاء أن الفقه الإسلامي يقوم على مبادئ ذات فائدة أكيدة ، وأن اختلاف المبادئ في هذا الجهاز التشريعي الضخم ينطوي على ثروة من الآراء الفقهية ، وعلى مجموعة من الأصول الفنية تتيح لهذا الفقه أن يستجيب بمرونة لجميع مطالب الحياة الحديثة ..

« فإن أعضاء المؤتمر يعلنون رغبتهم في أن يظل ( أسبوع الفقه الإسلامي ) يتابع أعماله سنة فسنة ، ويكلفون مكتب المؤتمر قائمة للموضوعات التي أظهرت المناقشات ضرورة جعلها أساسا للبحث في الدورة القادمة » .

« ويأمل المؤتمرون أن تؤلف لجنة لوضع معجم للفقهِ الإسلامي يسهل الرجوع إلى مؤلفات هذا الفقهِ فيكون موسوعة فقهِية تعرض فيها المعلومات القانونية الإسلامية وفقا للأساليب الحديثة » .

هذا هو الفقهِ الإسلامي ، وهذه هي آراء علماء القانون الغربيين والمستشرقين أيها المستغربون المتعاملون أقول :

فماذا صنعنا نحن لخدمته ؟ ..... أو ماذا سنصنع ؟

جاهلية حديثة ورؤوس حافية (١) :

هل عرف المسلمون وجاهيرهم عصابة الكتاب الذين يريدون هدم شعائرهم  
وصرف الأجيال الجديدة عن الأخذ به ؟

هل عرف جمهور المسلمين بعض رؤساء الدول الإسلامية الذي يلزم دولته  
بالفطر في رمضان — من باب الرخصة حتى لا يقل الإنتاج ؟!

وهل عرف جمهور المسلمين رئيسا محبولا في عقله يفتات على السنة النبوية  
المطهرة وينكر حجيتها والعمل بها .. ثم هو ينادى أخيرا بهدم ركن الحج ؟!!

وهل سمع جمهور المسلمين عن أحدهم يحل الخمر في حى ويحرمه في أحياء ؟  
وفي مواسم ويحله في غيرها ، و ... و ... حرصا على مصالح السياح والدولار  
والاسترليني ، إن هؤلاء وهؤلاء كشفوا عن أنفسهم ، فاستبان ما في قلوبهم من  
ضغن هائل على الإسلام وإصرار شديد على التخلص منه ، وكانت مهزلة الشيخ  
« بجيت » هي الحدث الأصغر الذي أسقط النقاب عن وجوه القوم ، فإذا النفاق  
يتحول إلى كفر صريح ..

ودافعت عصابة أدب الانحلال — آنذاك — عن حرية الرأي ، ثم جن  
جنونهم حين رجع الشيخ عن فتواه وتاب وأناب ، فقد أفلت الصيد الذي كانت  
تريد إهانة الإسلام به وانقلبت تزجر الشيخ وتوبخه على عودته للحق — وهي التي  
كانت تتحدث قبلا عن حرية الخطأ !!!

---

(١) من كتاب : « ظلام من الغرب » — بتصرف —

وتكتب أخبار اليوم — المؤسسة الأمريكية — ويكتب على أمين عن الذين حرقهم خصومهم بالنار وعلقوهم في المشانق ، وبقوا إلى النفس الأخير يدافعون عن رأيهم بالحجج والبراهين .

هكذا يكون التحريض على الله ورسوله ، وهكذا يكون الإغراء بالهجوم على الإسلام .

إن المصيبة المضحكة في هذه الضجة أنها اتخذت عنوانا براقا ، لتستر سوءتها ، هو : « حرية الرأي » وحرية الرأي هذه تنكمش وتذوب عند مناقشة قضايا جليلة لها خطرهما في اليوم والغد ، وتتسع وتنتشر كالوباء عندما تكون غطاء للنيل من الإسلام والمساس بقديسيته .

باسم حرية الرأي يصدر — في أيامنا هذه — العدد « ١٤٠٩ » من « رُوز اليوسف » طافحا بالدعوة إلى الخلاعة ، بل إلى الفسق والفجور .. وكأن حرية الرأي مرادف جديدة لحرية الزنا فينشر تحت عنوان « إباحة العلاقات الجنسية بين تلاميذ المدارس » بيان من مجلس الوزراء في السويد يجند هذه العلاقات « ماذا تصنع المدرسة إذا أنجب اثنان من تلاميذها ؟ » .. إلخ هذه القصة المستوردة من السويد ويراد لها أن تطبق في مدارس المسلمين؟؟

ويكتب الماجن الوجودي في هذا العدد : إنه لم يعد من حق رجل الدين أن يأمر بتحريم الرقص على المرأة ..

لم يعد من حقه أن يدع الطلاق معلقا بإرادة الزوج .

لم يعد من حقه أن يجرم ارتداء المايوه . فالمايوه أصبح حقيقة أقوى من هيئة كبار العلماء !!!

ويسير ويسير في هرائه هذا بين الغمز واللمز والتصريح والبذاءة .. ( أغلب مواد المجلة هزء بالإسلام على هذا النحو الوضيع باسم الحرية « حرية الرأي » السلاح الذي يشرع في وجه الإسلام وحده من دون غيره من الأديان والمذاهب .. أرايت ؟ أن عصابة الكتاب التي تحترف الحرية في بلاد الإسلام تعرف الحرية في إطار معين « إنهم يعملون لحساب جهات يهيمها — أولا وآخرا — أن تمزق الإسلام وأن تأتي على معاملة .. الإسلام وحده !!

وواضح أن تحقير الإسلام وخذلان أهله ، وتقديس الديانات الأخرى وإكبار  
سدنتها خطة تعمل لها أقلام معينة ، وتساندها الدول التي تقيم المؤسسات ..  
وتعين موظفيها ..

وذلك كلام لانلقية على عواهنه ، فلحساب من تتحدث صحف معروفة عن  
« بابا » روما وكيف جاءه المسيح وهو نائم مريض ، وكيف صافحه ، ثم لآتمضى  
أيام حتى تنقل أسلاك البرق أنباء معجزة أخرى .

( ! ) أن البابا المذكور عائق طفلة عمياء فرد إليها بصرها ، وأن الإجراءات  
لرسم نيافته قديسا تتخذ الآن !! ..

إن مؤسسة دار اليوم تنشر هذا الهراء في صفحاتها الأولى ! إن لم يكن بدون  
تعليق فهو بكل أدب وتوقير .. على حين تتبارى هذه الدار مع مجلة  
« روز اليوسف » في نشر صور استهزاء مستمر «للشيخ متلوف»<sup>(١)</sup> رمز «العالم  
المسلم» في نظر هذه الدور النزيهة المصونة .

أتراها تجرأت يوما ما فنالت من مكانة واحد من رجال الكهنوت برغم  
مانسب إلى بعضهم من شذوذ جنسى وانحراف خلقى !!!؟  
وجنون الإعجاب بالأقوياء فنون .

ولله في المائعين المستضعفين من خلقه شئون !!!



(١) والشيخ فيل ... إلخ ماكننا نقرأه في صحافة الحرية والحضارة .



## الفصل الرابع

### أجل ... لقد ان الأوان

- غربة الدار والوطن
- المرأة زوجة
- المرأة أم
- المرأة بنت وحفيدة
- المرأة بين البيت والمجتمع



## غربة الدار والوطن :

أى بنية : لقد رأيتك هكذا صرت غريبة في أهلك ، وعشيرتك ، ووطنك وأمتك . ولا تعجبنى ، فهذه نبوءة المصطفى ﷺ حيث قال : « بدأ الإسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ .. !! فطوبى للغرباء » .. قيل : ومن هم الغرباء يارسول الله ؟ قال : الذين يصلحون عند فساد الناس !! « وفي رواية « الذين يصلحون فساد الناس » أو كما قال — ﷺ — أى أخية : لقد شوهدت عنك الرؤية ، وحبس عنك النور ، ونشأت في مجتمع منكوس ، تطور إلى الوراثة .. إلى الجاهلية الأولى — وأشد — فاختلطت عليك الرؤية ، وأصبحت ترين المنكر معروفا والمعروف منكرا ، بل ويؤمر بالمنكر وينهى عن المعروف تماما كما وصف الرسول — ﷺ — في الحديث الذى رواه عنه أبو أمامة الباهلى رضى الله عنه — فارجعى إليه في أول الكتاب — فصل « حيرة المسلم » .

أرأيت مأنت فيه من سحب قاتمة ، وركام دامس من الرذائل والخبائث ؟ .. سينتشفع عما قريب — إن شاء الله — عندما تضربه حرارة شمس الإسلام ، وتبهر الدنيا بأسرها على يد رعييل من المؤمنين الصادقين يحملون مشعل الهداية والنور بعلم وصدق وإخلاص وطهر ونقاء ؛ ابتغاء رضوان الله فالعلماء بالإسلام — فى أيامنا هذه — قلة تدعو إلى الأسف والتوجس .. ولا يخذعنك هذا الجرم الغفير من حملة الشهادات الدينية العالية والدكتوراة ، فإن جمهورهم مانال درجته العلمية إلا على محصول من المعرفة هزيل ، قليل الغناء والجدوى .. !! وفى تصورى أن « الأزهر » بحاجة ماسة إلى مراجعة مناهجه واختباراته العامة فإن الغرايبيل التى يمتاز بها الغث من السمين ، قد زادت خروقتها حتى أصبحت تنفذ منها الأحجار !! .

مامعنى أن يوصف امرؤ أنه « عالم » بالإسلام — بل ويمنح للدكتوراة — وهو لا يحفظ كتاب الله — بل ولا يستطيع أن يقرأ سورة قصيرة دون لحن أو سوء نطق — وهو أساس الوحي ودستور الإسلام ؟ مامعنى أن يوصف بأنه عالم بالإسلام ويمنح الدكتوراة وهو لا يدرس من سنة رسول الله ﷺ وهى معالم الهدى ومنار الطريق ؟ — ولا يعرف من أدب العرب — وهو عدة البيان العالى والتعبير البليغ ؟ ولا يشرف على المجتمع الذى يعيش فيه ، لأنه يلهث فى مساربه

وخوافيه؟ — ومع الأسف نال الدكتوراة في الشريعة —.

وهيبه حفظ من القرآن أجزاء ، ومن السنة نبذا ، ومن أدب اللغة فصولا ، بل هيبه استوعب حقائق ذلك كله ، فما انتفاعه منه إذا كان مريض القلب واللب؟!

وما انتفاع الإسلام بهذا الصنف من العلماء<sup>(١)</sup> ، إذا كانت تتجارى بهم الأهواء ، كما يتجارى داء الكلب بصاحبه ، لا يدع منه عرقا ولا مفصلا إلا تغلغل فيه !!!

ولئن شكونا من قلة العلماء فإننا لنشكو من طائفة أخرى .. طائفة احترفت العلم فبدلا من أن تهذب به ، وتهذب به الناس ، أخذت تسخره في نيل الدنيا وهكذا وجدنا في هذه الأيام العجاف من ينقل الإسلام إلى أصحاب الشهوات ، ليزيد ضراوتهم بالحياة ، وفتكهم بالدنيا بدلا من أن ينقل هؤلاء المرضى إلى الإسلام ليصحوا في جوه النقى ، ويصروا على سناه الهادى المريح !!!  
وإليك بعض الأمثلة المضحكة المبكية .

يتجمع بعض النسوة ليحاربن مبدأ تعدد الزوجات ، وليثرن شغبا مفتعلا على رئيس وزارة تزوج « سكرتيرته » .

فإذا عالم قمىء يخرج من شقوق الأرض ليقول : نعم الإسلام يحارب تعدد الزوجات ويصفقن له ويصفقن من الصحفيين من أعياه الإصلاح الاجتماعى وتسمع هؤلاء وأولئك يقولون : هذا هو العالم المجدد !!

هو عالم مجدد لأنه يرضى الزنا بالخليلة ويكره الزواج بالخليلة .

هو عالم لأنه ركب من النصوص أدلة تحظر تعدد الزواج على طريقة الشاعر الهازل :

ماقال ربك : ويل للأولى سكروا بل قال ربك : ويل للمصلينا !!

الله — سبحانه — يقول : ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ..﴾ ويقول :

(١) وعالم بعلمه لم يعملن .. معذب قبل عباد الوثن

﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء — ولو حرصتم — فلا تميلوا كل الميل  
فندروها كالمعلقة .. وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً ﴾ .

من هاتين الآيتين نفهم أن التعدد حرام ، كما فهم أحد الشعراء العابثين أن  
الخمير حلال لأن أبا حنيفة يبيح النبيذ ، ومالكا يقول : النبيذ والخمر سواء ...  
فقال :

أباح العراق النبيذ وشربه وقال : حرامان المدامة والسكر  
وقال الحجازي : الشرابان واحد فحلت لنا من بين قوليهما الخمر

\* \* \*

وهذا عالم آخر يرى بعض الأدباء الماجنين — وقد ضاق ذرعا بشريعة الصيام ؛ لأنه ضيق الصدر بشريعة الإسلام كلها ! فيخرج على الناس بفتوى تجعل الصيام هوية تتبع المزاج المرهف ، فمن كان شغوفا (١) بالجوع والعطش صام . وإلا فليفطر جهارا نهارا ، ولا تخرج ولا ملام .

وتخرج الصحف — التي طالما حرصت على البغاء ، وطالبت الحكومة برفع الحظر عنه ، والتي استنكرت تحريم القمار ، وعدت الإبقاء عليه ضرورة إنسانية .. تخرج هذه الصحف — وقد طبَّلتْ للفتوى الجليلة وزمرت — وسلكت صاحبها في عداد الأئمة الثائرين أو الخلفاء الراشدين .

فإذا رأى الأزهر تأديب غلامه المارق ، صاحوا به من كل جانب : ياظالم .. اتركه يامتأخر ..

واقترح الدكتور « طاحين » غبار المعركة بمقال عنوانه « حق الخطأ » قصد به إلى حماية التزوير على الإسلام ، زاد في مقاله السماح أن لهم — أعني هؤلاء المفتين المزورين — أجر الخطأ فيما قالوا بعيدا عن الصواب ...

ويخرج علينا مآفون من رؤساء الدول الإسلامية ويبيح الإفطار في رمضان بل ويأمر به لئلا يتأثر الإنتاج — كما أسلفنا القول في ذلك — ثم يخرج مسيلمة القرن العشرين رئيس دولة أخرى — مسلمة — ويتهم على السنة المطهرة بل ويصف الوقوف بعرفة أنه سداجة .. ﴿ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنْى يُؤْفِكُونَ ﴾ .. !

إن هؤلاء الناس أفسدوا حياتهم بالردذيلة والتحلل والتمرغ في الوحل فهل يريد هؤلاء اللاعبين بالفتاوى أن يسوغوا لهم محياهم وأن يرضوهم عن مسكنهم .. ؟ هل نفسد الدواء نفسه ، ليبقى العليل أسير علته إلى الأبد ؟ هل نشوه الإسلام ونحرف الكلم عن مواضعه ، لنرضى نسوة ورجالا ، أعرف — ويعرف غيرى — أنهم ماتطهروا لله يوما ولا أدوا له صلاة ، ولا خافوا له لقاء ، ولا أقاموا له حدا ، ولا احترموا له حقا .

إنها فتنة بيد أنها تثير الغثيان والمضاضة إننا نرمق كثيرا من أصحاب الأسماء اللامعة في ميادين الصحافة والفن والتعليم يحيون كما يحيا اليهود والنصارى والمجوس

(١) هكذا قال الشيخ عبد الحميد بجيت المدرس في كلية أصول الدين .

والذين أشركوا — كما يهون — غير حراس البتة — على تعرف أحكام الله فيما يأتون ويذرون . وكذا النساء اللاتي يحملن اسم الإسلام .

وقد يستحي الواحد منهم أن يجهل تقليدا غربياً في أسلوب السلوك العام بل في أدب الطعام والشراب والموضة والتقاليع ولكنه لا يستحي أبداً من أنه — أو أنها لا يعي في تعاليم الإسلام حرفاً ولا يدرك منها إلا ما تخيله ويرضاه .

وربما لا تتعرض هؤلاء إذا شربوا الخمر ، واتخذوا الخليلات والأخدان وضلوا الطريق — طول عمرهم — إلى بيوت الله طلباً للمغفرة ، أو إقامة الصلاة .. نعم ربما لا تتعرض لهم بالتقويم ، لأن ذلك ليس في طاقتنا ..

بيد أننا لانسكت إذا حاول تارك الصلاة منهم أن يطعن في وجوبها أو مفطر رمضان منهم أن يחדش من قداسة فرضيته .

نعم ربما لا تتعرض لهم إذا ارتكبوا حماقات دولية في حق أوطانهم وأمتهم — لأننا لانستطيع الآن ؟ لكننا لانسكت إذا حاول مجنون أو أفاك أئيم أن يتهم على شعائر الحج — جهلاً وخرقاً .

لن نسكت إذا حاولوا مد آثامهم إلى نطاق الإسلام نفسه ، ييغون تشويه آياته ، أو تقويض نظامه ، أو تحريف الكلم عن مواضعه .

إن السكوت عندئذ لا يعنى إلا إماتة الإسلام ومواراته الثرى .. والله .. إن الحياة بعده لى الخسران المبين !! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . !!!

أيتها الأخت المسلمة — مسلمة القرن العشرين — في جو من الاحترام والتقدير تمتعت أختك في الصدر الأول من الإسلام — وفي عصوره المشرقة — بشخصيتها ، وحملت مشعل النور بجانب أحبها الرجل ، حتى تركونا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، ثم فرطنا في حمل الرسالة حتى صرنا وصرت — إلى ما نحن عليه الآن فهل آن الأوان لأن تكتشفى نفسك وتعرفى مكانك وتنفضى عن كاهلك غبار السنين والأحقاب .. هل آن الأوان لتفهمنى منزلتك عند الله ، هل وضحت الرؤية ؟ واستبان الطريق ؟ هل فكرت في يوم القيامة ؟ ﴿يوم لا يفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ وأنك مسئولة يوم القيامة عن عمرك فيم أفنيته وشبابك فيم أبليتة وعن علمك ماذا صنعت به

وعن مالك من أين اكتسبته وفيم أنفقته .. ؟ تماما مثل الرجل « إنما النساء شقائق الرجال » ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾ (١) أعتقد ولعلك تعتقدين معي — أنه قد آن الأوان وانتهى وقت الهزل وجاء وقت الجد ، حتى تكوني جدية بأن تكون اللجنة تحت أقدامك كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ « اللجنة تحت أقدام الأمهات » (٢) .

افتحي عينيك على تاريخك الإسلامى المجيد ، ثم سبرى فى درب أخواتك المؤمنات الخالدات من أمثال خديجة وعائشة وأسماء ، وفاطمة ، ونسبية والخنساء .. إلخ — رضى الله عنهن — وأمثالهن كثيرات عبر التاريخ الطويل الخافل بالمكرمات ، وانسجى على منوالهن وجاهدى جهادهن ؛ تفوزى فوزهن بسعادة الدنيا والآخرة ؛ لتكونى جدية بالمكانة التى بوأك الإسلام إياها ..

ثم ابدئى بتوجيه هذه الأسئلة إلى نفسك :

ما رسالتك فى هذه الحياة ؟

ما مكانك من دعوة الإسلام ؟

ما دورك الإيجابى فى دعوة الإسلام ؟

ولنتعاون معا على حل هذه المشكلة ، فهى ليست مشكلتك وحدك .. إنها مشكلة أمى ، وأختى ، وعمتى ، وخالتى ، وزوجتى أم ابنى وابنتى .. إنها مسئولية مشتركة بيننا — نحن الرجال وبينكن معاشر النساء .. أو لسنا أشقاء ؟ « إنما النساء شقائق الرجال » أحب دائما أن أردد هذا الحديث الشريف .. آه لو فهمته المسلمات !!!

ولأريحك من هذا العناء ، فلنبداً معا من جديد . و ﴿ عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ، والله عزيز ذو انتقام ﴾ .

(١) أكملى إلى آخر سورة الحديد .

(٢) وقد وضعه الألبانى — رغم شهرته — وهو صحيح المعنى مصداقا للحديث الصحيح : « من أحق

الناس بحسن صحابتي يارسول الله ؟ قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال

أبوك » وما قصة علقمة عنا ببعيد صححه الحاكم — كشف الخفاء ص ٤٠١ .



وضعى نصب عينيك ذلك الأمر الخطير الذى لايزال القانون الإسلامى سابقاً (١) فيه كل النظم والقوانين الحديثة ، وهو مايتعلق بشخصية المرأة ( الحقوق ) وقد حدثتلك عن ذلك طويلا فى فصل سابق — فقد منحها الله — منذ أربعة عشر قرنا — حق التصرف المستقل فيما تملك كما منح الرجل دون نقصان — وهو الشئ الذى لاتزال القوانين الأراضية الحضارية قاصرة دون بلوغه حتى اليوم بل وغدا إلا أن تعتنق الإسلام . !!!

ومن الطرافة أن القانون المدنى السورى عندما اعتمد القانون الفرنسى بديلا عن الشريعة الإسلامية وقف ليستثنى من حق المرأة فى التصرف فى ملكها ؛ حيث لم يسمح القانون الفرنسى لها بذلك إلا بإذن أبيها أو زوجها . فقال المشرع السورى هذا مخالف للشريعة الإسلامية السمحة الغراء فالمرأة لها الحق فى التصرف بملكيتها دون إذن من أبيها أو زوجها (٢) .

وقد أفضنا القول فى ذلك حتى لم يبق ذرة شك لمستريب (٣) .

ولنتحسس الطريق معا — فى حدود الدائرة التى رسمها الإسلام ، والفطرة التى فطرك الله عليها والتعاليم التى بُعث بها رسول الإنسانية محمدا ﷺ ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ .

المرأة زوجة : اقتضت حكمة الله — جل وعلا — أن يتكون الكون من مجموعات قبلية حتى فى الأفلاك والجبال والحيوانات فهناك المجموعة الشمسية .. وسلاسل الجبال .. وقبائل الفيلة والقردة وممالك النحل .. والثمل .. إلخ .. والإنسان مدنى بطبيعته لايعيش وحده ويعتز بالأسرة والقبيلة والوطن .. ولقد عنى الإسلام بالأسرة عناية فائقة — لم يسبق بمثلها ولم ولن يطاوله نظام آخر — على الإطلاق — لأنها بداية المسيرة وهى عماد المجتمع والأفراد عمادها ..

(١) لأنه منح الله .

(٢) نقلا عن الدكتور : عبد الرحمن عتر فى رسالة الدكتوراه .

(٣) ونلخص لك ذلك — وإن شئت المزيد فارجعى إليه — فقد أباح لها حرية العقيدة تماما كالرجل

( كملكة سبأ وامرأة نوح وامرأة لوط ، وامرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد .. إلخ ) ووهبها حرية التملك والتصرف والعمل فى دائرتها بشروطه — كما قدمنا — كابنتى شعيب وخديجة وأسماء ونسيبة بنت كعب وخولة بنت الأزور .. إلخ . معنى سمعك بالإنصات إلى شريط للشيوخ الشعراوى فى هذه القصة وافتحى عينيك وقلبك على كتب السيرة والتاريخ الإسلامى .

ونحن لانطمع — ولو إلى حين — في إسلام غير المسلمين — الآن — وإنما هدفنا — بالدرجة الأولى (إسلام المسلمين ورفع مستوى إسلامهم ورتق فتوقه) . فإذا هياً الله للأمة الإسلامية إيجاد المجتمع المسلم المثالي فهو يحاول إيجاد المجتمع الإسلامي العالمي بالانطلاق لنشر الدعوة الإسلامية — كما أراد الله للمسلمين أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا .. ﴾ .

ولما كان الفرد هو قوام الأسرة كان موضع العناية الإلهية والتربية الربانية .

ولما كان قوام الحياة — كما أسلفنا — على الذكر والأنثى ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴾ .. خلق الله أمنا حواء من نفس أينا آدم ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيراً ونساء .. ﴾ ثم روضهما على الحياة في الأرض بالتكليف في الجنة .. بالاختبار والابتلاء بالتدريب والتمرين دورة تدريبية ميدانية (١) — ﴿ والله المثل الأعلى ﴾ فلما رسبا في الامتحان ﴿ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ أهبطهما إلى الأرض ومعهما إبليس اللعين وقتلنا ﴿ وقتلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو .. ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ ثم زودهما بالمنهج الذي يسير حياتهما ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، إنه هو التواب الرحيم ﴾ ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ ثم عنى بالأولاد حتى قبل ولادتهم . ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؟ ﴾ .

ولا بد لإيجاد البيت المسلم من إيجاد الفرد المسلم أولاً ؛ إذ هو اللبنة الأولى في بناء هذا الصرح الشاخص — المجتمع الإسلامي — فعنى الإسلام به في ظهر أبيه

(١) ليتدبرا على الحياة التي أرادها الله لذلك لم يحاسبهما الله وعفا عنهما فأهبطا مزودين بالحصانة من خلال التجربة التي مرَّ بها .

و حين تبذر بذرتة فتوصى السنة النبوية الشريفة باختيار الحرث الخصب المرع الطيب فيقول المصطفى الكريم « تنكح المرأة لأربع : لما لها ولحسبها ولجمالها ولدينها .. فاظفر بذات الدين تربت يداك » فاظفر بذات الدين .. ذات الدين هي التي تنجب اللبنة الصالحة وتربى التربة الصالحة وتوجه التوجيه الصالح فبطنها وعاء وحجرها سقاء وصدرها ثمان وأمن وصفاء .. إلخ . ومن نكح امرأة لحسبها وعزها — فقط — أذله الله .. ومن نكحها لغناها فقط أفقره الله .. ومن نكحها لجمالها — فقط — قبحه الله .. ومن تزوجها لدينها أعزه الله وأغناه الله وجمله الله .. وصدق الله العظيم ﴿ إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾ .

ليس الجمال بأثواب تزينا إن الجمال جمال العلم والأدب

ورأس مال المرأة عفتها ودينها — لا خضراء الدمن الحسنة في المنبت السوء .. وصدق رسول الله : « تزوجوا الودود الولود » . و « لسوداء ولود خير من بيضاء شحمة » وقيل : « خير من بيضاء عقيم » أو كما قال — ﷺ — فإذا توفرت الصفات كلهن أو واحدة أو أكثر مع الدين كان خيراً إنما الهدف الأول « الدين » فما أسماه من هدف ، وما أعظمه من غاية !!!

ذات الدين .. وما أدراك ما هي ؟ !!! تجعل البيت جنة وارقة الظلال ، والحياة نعيماً يسر البال وواحة تسعد النفس وال خاطر ، وتجذب الرجل إلى البيت ، فيتفياً ظلاله ويسعد فيسعد من حوله .

وما استهدف رسول الله ﷺ الزواج من ذات الدين إلا لخبرته بطبيعة المرأة وإدراكه النفس العظيم لغريزتها وطبعها ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ .. عن ابن عباس — رضى الله عنهما قال : قال النبي ﷺ — « أريث النار فإذا أكثر أهلها النساء .. يكفرن » .. قيل : أيكفرن بالله ؟ قال .. « يكفرن العشير ويكفرن الإحسان ولو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأيت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً » رواه البخارى .

فإذا لم تكن ذات دين كانت وبالاً عليه وعلى أهله وعشيرته ووطنه وأمتة .. كانت سوط عذاب يلهب ظهره ، ونذير نقمة تنغص عليه حياته ، وجحيماً يفر منه إلى جحيم آخر قد يكون المخادنة أو أى شئ آخر إذا لم يكن صاحب خلق

ودين — وقد جعلها الله سكنا ومودة ورحمة !!! وجعلها — سبحانه — من آياته .

﴿ .. ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا، لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ ولهذا قال الرسول العظيم « تخيروا لنطفكم، فإن العرق دساس » .

وقديما قال العربى لبنيه : لقد ربيتكم كبارا وصغارا وقبل أن تولدوا .. فقالوا بأبائنا : ربيتنا كبارا وصغارا فكيف بنا قبل أن نولد ؟ فقال : لقد اخترت لكم أما لاتعيرون بها .

وفي الجانب الآخر — كى تكتمل الدائرة ويتم الهدف ، ذلك أن الدائرة لاتكتمل بسالين ولا بموجبين ، إذ لابد من سالب وموجب — لابد من الزوج الصالح المؤمن الذى يعرف للزوجة قدرها وللزوج حرمة وقداسته وأهميته ، ولعش الزوجية آدابه وحماد وللإسلام أهدافه ومراميه من وراء الزواج الشرعى ، فهو فوق قضاء الشهوة — بناء مجتمع وامتداد نسل وإبقاء نوع وإحصان وإعفاف .. وصدق الرسول الكريم — ﷺ — « يامعشر الشباب : من استطاع منكم الباءة فليتزوج ؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء » أمر من الله ورسوله للرجل أن يتزوج ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء .. ﴾ أقول : يعمد الشارع الحكيم إلى لفت نظر ولى أمر المرأة بأن يختار لابنته — كما اختار الرجل لنفسه فيقول الرسول الكريم : « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » كما جاء فى شرح السنة للبعوى ٩ / ١٠ (١) وقال ابن عباس رضى الله عنهما — : لا يتم نسك الناسك إلا بالنكاح (٢) ( الناسك رجلا كان أو امرأة ) .

« إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه » .. لا ماله وسلطانه .. « دينه وخلقه » لا حسبه ونسبه .. « دينه وخلقه » لا شهادته ومركزه الاجتماعى .. إنخ مما شاع فى مجتمعاتنا فى العصر الحاضر من الاهتمام بالعرض الزائل لا الجوهر النفيس من الدين والخلق ، بالمظهر البراق لا بالمخبر الخير المأمون ..

(١) وكما فى البخارى ٩ / ٩٢ فى كتاب النكاح وصحيح مسلم رقم ١٤٠٠ — كتاب النكاح .

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي .

إنه مرض خطير تفشى مجتمعاتنا الإسلامية — ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم — وصدق الحسن بن علي — رضي الله عنهما — حيث استشير في زواج ابنة فقال للوالد الذي استشاره : زوجها ذا الدين ، إن أحبها أكرمها ، وإن كرهها لم يظلمها ..

والحديث في هذا الشأن يطول فلندلف إلى الهدف مسرعين طالبين من الله الرحمة والغفران ، « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه » — ولو كان فقيرا مكتسبا ، لاصعلوكا ، ذا همة لا كسولا ، ذا سعى ورجولة لا بطالة وتعطل بالوراثة ..

وصدق الله العظيم ﴿ إن يكونوا فقراء يغفم الله من فضله ﴾ وصدق الرسول الكريم « أيسرهن مهرا أكثرهن بركة » أو كمال قال :

وما فائدة المال والجاه والحسب والنسب والمظهر الخلاب مع الكسل وسقوط الهمة أو مع العريضة والخلاعة والمجون أو الخنفسة والهيبة أو الميوعة والتخنث أو اتخاذ الخليلات وسوء العشرة ؟ .. إلى غير ذلك من السلوك السيء ، ثم تكون النتيجة أسرة مفككة الروابط متقطعة الأوصال .. أبناء منحرفون لم يرعهم أب كريم أو أرضعتهم أم من منبت سوء في منبت سوء وهم كذلك نشئوا في أسرة منحلة وبيت خرب من الداخل مستور بزيف من المظاهر الخادعة الكاذبة والعنجهية الجوفاء .

على العكس من ذلك ذو الدين مع ذات الدين والخلق ولو كان هناك فقر مع رجولة وكدح مع تعاون ، وشركة ناجحة من جنسين مؤتلفين متعاونين تنتج ذرية صالحة ومجتما مادامت السعادة تملأ الجوانح والطمأنينة تغمر القلوب والقناعة تضيء على الشظف ألوان التجمل وعلى التقشف أحاسيس الهناء والمودة .. تنشر على الأسرة جوا حانيا فواحاً بعبير الجنة تردد في سعادة ومسرة ومودة قول الرسول الكريم : « من بات آمناً في سريره معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » وتبتسم المرأة المؤمنة في غبطة نادرة وسعادة غامرة حين تهتف من أعماقها هامة لنفسها بقول المعلم العظيم صلى الله عليه وسلم « ما أغبر وجه امرأة من نفص دارها إلا جاءت يوم القيامة يخطف نور وجهها أبصار أهل الموقف جميعا ولا غسلت إناؤها الذي تطعم فيه زوجها إلا غسل الله

ذنوبها وخطاياها « وصدق الله العظيم ﴿ الحبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴾ .

أجل .. إن سعادتنا تتبع من داخلنا وشقاءنا كذلك فهل من مدكر ؟ ولذا كان جديراً بالرجل أن يَخْطَبَ لابنته ذا الخلق والدين ، ويبحث عنه ورحم الله الفاروق رضى الله عنه إذ عرض ابنته قائلاً من يتزوج ابنة عمر ؟ وعرضها على من ؟ عرضها على الصديق وذى النورين — رضى الله عنهما — فما كان لعثمان أن يأتي بأية زوجة مهما بلغت منزلتها على كريمة المصطفى ﷺ ولا للصديق وهو يعلم أن حبيبه الكريم ﷺ يريد لها لنفسه فكانت من أمهات المؤمنين .

ولقد رغب أحد الصحابة في زواج امرأة وهو لا يملك شيئاً فقال له المصطفى الكريم ﷺ « زوجناكها بما معك من القرآن » فما أعظمه من مهر إنها لروعة الإسلام وعظمة التشريع الربانى ﴿ والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعتكم إن الله عزيز حكيم ﴾ .. وما المال إلا ظل زائل وعارية مستردة ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ﴾ .

### وما المال والأهلون إلا ودائع ولا يلد يوماً أن تزد الودائع

ورضى الله عن أم المؤمنين خديجة اختارت محمداً الأمين بعلا وخطبته لنفسها من دون رجال قريش وعظماؤها وقد كانوا يتهافتون عليها ويركضون وراء ماها وشرفها ومكانتها ولكنها رغبته عن كل هؤلاء على غناهم وحسبهم ومكانتهم ورغبته في محمد الفقير اليتيم لأنه أعز فتیان قريش حسبا ونسبا ومكانة وإن كان من المال قُلْ إلا أنه الصادق الأمين .

أجل : إنها راحة العقل وصدق العاطفة وحسن الاختيار ودقة النظرة وبعدها إنها الحصافة بالرغم من أنها كانت في جاهلية فكان لها كل ما كانت تمنى وفوق ماتمنى عقيلات قريش كان لها رسول الإنسانية وأفضل العالمين محمد ﷺ إنها الأنوثة الحقة التي زكاها الإسلام وأعلى شأنها وهذه فاطمة بنت قيس رضى الله عنها تقول لرسول الله ﷺ خطبني معاوية وأبو جهم فأنكحني (١) يارسول الله .

(١) زوجنى .

فقال لها صلى الله عليه وسلم « أما معاوية فإنه رجل صعلوك (١) وأما أبو جهم فإنه لا يضع العصا عن عاتقه (٢) انكحى أسامة بن زيد » قالت فنكحته فكان لى منه الخير ..

ومَن أسامة هذا؟ من هو حتى يفضله على أبى جهم وابن أبى سفيان بن حرب؟ إنه العبد بن العبد فصار بالإسلام حب رسول الله وابن حب رسول الله صلى الله عليه وسلم والقصة فى السيرة بقاء مشهورة فلا أخوض معك هذا الخضم الزاخر وأرجو أن تخوضيه بنفسك فيما بعد — إن شاء الله — ونريد أن نصل إلى الهدف من قريب [ زوج مؤمن صالح + زوجة مؤمنة صالحة = (بيت مسلم مثالى) وبيت مسلم + بيوتات إسلامية = (مجتمع مسلم) مجتمع مسلم + مجتمعات إسلامية = (عالم إسلامى) ] .

فإذا اختل أحد الحدين فسدت المعادلة وكانت معادلة صعبة معقدة بهذا وبهذا وحده ترفرف السعادة على الأسرة وتصبح نواة المجتمع المسلم السعيد فيها يؤدى كل فرد واجبه على أتم ما يكون من ذرية صالحة تنتج من أبوين كريمين صالحين وتنتج هى بالتالى ذرية صالحة ، وكان إيمان الأسرة وصلاحها حافزا على حسن المعاشرة وحسن التفاهم والتطلع إلى حياة أفضل ومجتمع أمثل كل ذلك فى حدود ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ ﴿ ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ﴾ ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾ .

﴿ وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلةً فإن طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ﴾ .

﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ الآيات حتى آية ٣٣ من سورة النساء .

(١) لا مال له .

(٢) إما أنه كثير ضرب النساء وإما أنه كثير الترحال .

﴿ فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضاراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه .. ﴾ ﴿ فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾ ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن (١) فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خيرا ﴾ .

﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خيرا ﴾ ﴿ يأيا الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خيرا ﴾ ﴿ وما ورد في سورة النور ، وما ورد غير ذلك في القرآن الكريم من تنظيم حياة الأسرة والمجتمع مفرقا ومتابعا وهو كثير مما ليس هذا محله ويضيق المقام عن ذكره .

وفي ضوء سنة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده وصدق الرسول الكريم « خيركم خيركم لأهله » « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع أعوج وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه إن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج » « يغلبن كل كريم ولا يغلبن إلا لئيم » أو كما قال ﷺ

وأمره من نسائه إجمالا عجب عجب ومثال لم يسبق ولن يطاول فهذه خديجة رضی الله عنها وهو الذي نزل عليه في محكم التنزيل ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ حتى إن عائشة لتغار منها وهي في مماتها فتقول ماغرت على أحد ماغرت على خديجة (٢) ولما أكلتها الغيرة وهي محظية رسول الله قلبا من دون نسائه قالت

(١) ضربا غير مبرح ﴿ وخذ بيدك ضعفا فاضرب به ولا تحت ﴾ .

(٢) أنصتى إليها وهي تقول له حين عاد إليه بعد نزول الوحي عليه لأول مرة يرجف فؤاده قائلا زملوني =



ذات مرة وهل كانت إلا عجوزا حمراء الشدقين أبدلك الله خيرا منها ؟ فقال لها غاضبا صلى الله عليه وسلم « لا والله ما أبدلنى الله خيرا منها آمنت بى حين كفر الناس وصدقتنى (١) حين كذبنى الناس وواستنى بما لها ورزقنى الله منها الولد » أو كما قال فقالت والله ما ذكرتها بعد ذلك بسوء ومع هذا فأمره من عائشة رضى الله عنها كالشمس شهرة وكان أصحابه يعاينون عطفه عليها وهى بنت تسع سنين وتأملى هذا المشهد الحنون المؤثر الذى تقصه أم المؤمنين نفسها على الرجال فيما بعد ليقصدوا بهدى نبيهم صلى الله عليه وسلم فى الرفق بالإناث قالت : « والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرى والحبشة يلعبون بالحراب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه لأنظر إلى لعبهم من بين أذنه وعاتقه ثم يبقى من أبلى حتى أكون أنا التى أنصرف ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريضة على اللهو » .

وهكذا كان أصحابه على أصدق قدوة وأعظم أسوة حتى بالجوارى فهذا جعفر رضى الله عنه تصب جارية له عليه الماء فوق منها الإناء على رأسه فشجه فنظر إليها مغيظا محنقا فقالت له الجارية وكانت فقيهة مع أنها جارية لأنها فى بيت من ؟ فى بيت صحابى جليل أدبه الصادق الأمين وقد سمع منه « **حَوَلُكُمْ** إخوانكم ... الحديث » قالت الجارية لسيدها جعفر **﴿والكاظمين الغيظ﴾** فقال لها : كظمت غيظى .. فقالت **﴿والعافين عن الناس﴾** فقال قد عفوت عنك .. فقالت **﴿والله يحب المحسنين﴾** فقال أنت حرة لوجه الله ..

## المرأة أم :

بهذه الأمومة ، ومن قبلها الزوجية استحقت من الرجل المسلم حسن الرعاية وقمة التقدير وتمام الرفق والمودة .. وقد أراد صاحب الشريعة الإسلامية المنزلة عليه من رب العالمين أن يتعهد بنفسه مابقى من آثار الجاهلية ونظرها إلى المرأة فيقضى عليه .. ولكن كيف السبيل إلى استئصال مالا تشعر به إلا النفوس وما لا سبيل إلى اجتثاثه بتشريع كميل الوالدين إلى الذكر أكثر من الأنثى هذا الشيء المركوز فى غرائز البشر ذلكم ماعالجه أحكم من تجرد لطب النفوس وأبصر = زملولى دثرونى ثم لماذهب عنه الروح صارحها قائلا : « لقد خشيت على نفسى » فنقول له كلا والله لا يخزيك الله أبدا .. إنك لتحمل الكل وتكسب المدوم وتفقرى الضيف وتعين على نوائب الحق .. واستمتعى بالقصة فى سيرة ابن هشام أو فقه السيرة للشيخ الغزالي أو د . محمد سعيد البوطى .

(١) مسند الإمام أحمد ٦ / ١٦٦ .



## المرأة بنت وحفيدة :

لم تكن في الإسلام أقل شأنًا من الولد ولا أهون قدرًا منه ، بل حظيت بعناية ورعاية فائقة .

١ — قبل رسول الله ﷺ ذات مرة ابن ابنته ( الحسن بن علي رضي الله عنهما ) وعنده الأقرع بن حابس فلم يعجبه مارأى بل ولعله عاب هذه الرحمة الراحمة التي فاض بها قلب النبي الكريم ﷺ فقال (١) ( إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم ) فنظر إليه المعلم العظيم ﷺ ثم قال ( مَنْ لَا يُرْحَمُ لَا يُرْحَمُ ) وهكذا أذن رسول الله ﷺ قسوة الجاهلية على البنت بحرب لاهوادة فيها إلا أن تنتزع انتزاعًا وتحل محلها الرحمة الخالصة .

٢ — حدثت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : دخلت على امرأة ومعها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندي شيئًا غير تمر واحدة (٢) فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت فدخل علينا ﷺ علينا فأخبرته فقال ( من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار ) (٣) .  
وما أكثر أقواله الشريفة التي لمست قلوب أغلظ الناس أكبادا ففجرت منها ينابيع رحمة وحنان منها :

١ — من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن كن له حجابا من النار يوم القيامة (٤) .

٢ — من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو أختين أو بنتين فأدين وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة (٥) .

(١) الأقرع .

(٢) أرجو أن تقفى هنا وقفة طويلة جدا جدا أم المؤمنين بنت أحد أغنياء قريش وزوج سيد الخلق .

ومع هذا فعندها تمر واحدة يالله للمسلمين ، صلى الله عليك وسلم ياسيدي يا رسول الله .

ورأودته الجبال الشم من ذهب عن نفسها فأراها أيما شمم

(٣) رياض الصالحين ١٢٩ متفق عليه .

(٤) التجارب في الأدب المفرد ص ١٣ .

(٥) تيسير الوصول ١ / ٥٤٩ .

٣ — « من كان له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاها فأسبغ عليها من النعمة التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة » وهذا الحديث وإن كان ضعيف السند إلا أن متنه يتسق وبقيّة الأحاديث الصحاح (١) .

٤ — « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين ( وضم أصابعه ) » (٢) .

٥ — « من كان له أثنى فلم يئدها ولم يهنها ، ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة » (٣) .

صلوات الله وسلامه عليك ياسيدى يارسول الله .. لقد كانت حياتك كلها مدرسة يتعلم فيها الأصحاب حسن رعاية النساء والقيام بحقوقهن حتى إذا كان العام الأخير من عمرك ، وكانت حجة الوداع وخطبت المسلمين خطبتك الخالدة كان الرفق بالنساء والوصاية بهن أول ما قرأ في أسماع قبائل العرب حتى إذا نزع بهم فيما بعد نزع من جاهلية فأرادوا أن يقسوا على هذا المخلوق الضعيف ذكروا أن ذلك وصية رسول الله ﷺ وقرع أسماعهم جملة البليغة التي برزت في خطبته في حجة الوداع « ألا فاستوصوا بالنساء خيرا » وحذا لو استرجعت خطبته الشريفة في حجة الوداع في كتب السيرة ووقفت فيها على حقوق الإنسان الحقيقية الربانية (٤) ..

وبعد .....

فهذا ما أردت أن ألمح إليه المأحا في عجلة من العرض السريع الذي يقتضيه المقام لحال المرأة في الجاهلية والحال التي سمت إليها في الإسلام لتكون بيدك يا أختاه مصباحا تردين به ورد المحجة البيضاء في دياجير جاهلية القرن العشرين على نور وبصيرة وقد ألمحت إلى طرف من حال المرأة في عصر العلم التقني والجاهلية الخلقية

(١) الخرائطي في مكارم الأخلاق .

(٢) رياض الصالحين ص ١٢٩ .

(٣) تيسير الوصول ١ / ٤٩ .

(٤) رياض الصالحين ص ١٣٢ وقال أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح سيرة ابن هشام

٣ / ٤١٦ القديمة وراجعى الخطبة بأكملها فيما ذكرناه من هذا الكتاب سلفا .

والاجتماعية وأعتقد أنك بعد هذا العرض لاتستكثرين على من دانوا بهذا الدين العظيم وتخرجوا في هذه الدعوة بتلك التعاليم أن يكون لهم ذلك العدد الهائل من النساء الخالدات الجليلات اللواتي ففن كثيرا من فحول الأمم في التربية والإصلاح والبطولة والعلم والأدب والدين وتخرج الرجال الأبطال المبرزين في كل علم وكل فن وسياسة واجتماع .

أجل .. ليس بكثير أن يكون لنا تاريخ فخم ضخم حافل بأعلام النساء ، لم ولن يتحقق لأي مجتمع من المجتمعات المتحضرة غير المسلمة أو المسلمة المنحرفة عن الجادة من أمثال أمهات المؤمنين وكن أوعية صافية صادقة للعلم والصحائيات الجليلات ومن تبعهن في ميادين العلم والتربية والأدب والشعر الجاد العفيف والجهاد والإدارة والسياسة وإن مما تعجز عنه العصبه أولو الفكر استقصاء المريات والأديبات والمحاربات والطيبات اللاتي فاض بهن تاريخ الإسلام ذلكم شيء يستعصى على الحصر دون مبالغة ولو ذهب باحث يسلسل تلك الحلقات التي احتلت أولها خديجة وعائشة وأمهات المؤمنين وبنات المصطفى ﷺ وأسماء والخنساء وخولة ونسيبة ومن تتابع بعدهن إلى يومنا كجميلة بوحرير وجميلة بوعزة وحميدة قطب وزينب الغزالي .. هذا ماكفاه عمره وإن طال .

وعليك ياأخت الإسلام يقع العبء الأكبر في تتابع هذه الحلقات فما أطفال اليوم إلا شباب وشابات المستقبل وماهم إلا آباء وأمهات الغد المرتجي والمستقبل المأمول .

والمرأة المسلمة : هي التي ترعى أولادها وتنشئهم على الفضيلة وتطبعهم على التدين وتربهم على مكارم الأخلاق .. تغرس فيهم حب الإيمان وتبث فيهم روح البطولة والتضحية بما تقصه عليهم من قصص القرآن والأنبياء وعظماء التاريخ الإسلامي وأبطاله مسلمين ومسلمات . ( لا جرين دايزر ولا فرافيرو العجيب ولا فطوطة .. إلخ . هذا الغناء الإعلامي ) .

راجعي إن شئت ما ذكرناه آنفا في ثنايا حديثنا عن رسالة الشاب المسلم قصة رسول الله ﷺ مع ابنته الزهراء لتدركي مدى أثر التوجيه الحكيم والتهديب الهادف في تربية البنين والبنات .. وهو الذي يقول ( فاطمة بضعة مني يؤذيني مايؤذيها ) وهو الذي يقول في مناسبة أخرى ( لو أن فاطمة بنت محمد سرقت

لقطع محمد يدها ) ثم هو الذى يقول للحسن والحسين حين اعتليا ظهره الشريف يداعبهما ( نعم الجمل جملكما ونعم الراكبان أنتما ) ويقول لأصحابه لما أطال السجود بهم ( إن ابني ارتحلنى فخشيت أن أعجله ) نعم الرسول الكريم أنت وأنعم بك من مربِّ حكيم ومعلم عظيم ياسيدى يارسول الله .

فعليك أيتها الأم المسلمة بالتوجيه في رفق والتهديب في جد ورحمة والتدريب في أناة وصبر ولين في غير ضعف وشدة في غير عنف وعليك بالقدوة الحسنة ففى الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ ( داعب ولدك سبعا وأدبه سبعا وعلمه سبعا ثم اترك حبله على غاربه ) أو كما قال ﷺ : وورد أيضا « مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع » أو كما قيل .. وقديما عزل عمر رضى الله عنه واليا من ولاته لأنه لم يحسن معاملة أولاده إذ كان فظا غليظا معهم جاء إلى عمر فوجد أبناءه من حوله ويركبون ظهره ويداعبهم فاستنكر ذلك فسأله عمر عما يفعل مع أولاده فقال إذا دخلت سكت الناطق وقام الجالس وسكن المتحرك فقال له عمر قد عزلناك فإذا لم تكن رحيما بأهلك فكيف بك مع الرعية (١) !؟

وما فعل عمر ذلك إلا لاقتدائه بمعلمه العظيم ﷺ فقد تلقى على يديه هذه السياسة الرشيدة والتربية الرائدة وقد مر بك ( إن ابني ارتحلنى فخشيت أن أعجله ) أمام ربه في الصلاة ومن خلفه كبار الصحابة سجداً وهو يقول ( فخشيت أن أعجله ) رحمك الله وصلى وسلم عليك ياسيدى يارسول الله لم تشأ أن تقطع عليه سروره ولعبه وتركته حتى أخذ بغيته لتعلم أصحابك الرحمة والرأفة وحسن التربية والسلوك الاجتماعى .

وأنما أيها الزوجان المسلمان عليكما بالأسوة الحسنة والقدوة الصالحة أمام الأولاد حتى يشبوا على الأخلاق الكريمة وإياكما والكذب والنفاق والرياء وترك الصلاة والمجاهرة بالمعاصى أمام الأولاد فإن السلوك وليد التقليد والوالدان هما المثل الأعلى للأبناء والتعليم فى الصغر كالنقش على الحجر كما يقول المثل .

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

(١) راجعى سيرة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم لتعرفى أثر الإسلام على حقيقته فى التغيير فى كتاب حياة الصحابة .

## إذا كان رب البيت بالدف ضاربا فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

وراجعا فيما سبق حديث المصطفى ﷺ الذي رواه أبو أمامة الباهلي رضى الله عنه ( كيف بكم إذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم ؟ ) الحديث وأبناؤنا أمانة فى أعناقنا كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أو كما قال ﷺ .

وعليك أيتها الأم المسلمة يقع العبء الأكبر والنصيب الأوفر فى تربية الأبناء صغارا والبنت بخاصة عند البلوغ فصياغتها وتشكيلها رهين بسلوكك وتوجيهك وألا يخالف قولك وكونى فى منتهى الحذر والصدق والصرامة والرفق علميا أن جمال الفتاة فى حياتها وعفتها وحفظها لعرضها وشرفها ودينها وكونى مثالا صادقا أمامها للأم المسلمة الكاملة زوجة وأما وصادقيا فستتخذك مثلها الأعلى علميا بالسلوك العملى الحشمة والوقار وعدم التبذل والسفور وعدم لبس مايشف وما يصف وأفهميا أن غالى الدر يستتر ، والرخص المتبذل تعافه العين وتمجه النفس وصدق المثل ( كل ممنوع ممنوع ) قولى لها مقالة الرسول العظيم ﷺ ( إذا تعطرت المرأة ومرت بمجلس الرجال فهى كذا وكذا يعنى زانية ) **ألا كما قال ﷺ** علميهم قول ربهم ﴿ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴾ و ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آباتهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ .

﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ .

أيها الأبوان المسلمان علما أولادكم منذ نعومة الأظفار أدب الإسلام فى الزيارة والمأكل والملبس والمسير والتعامل والمنام .. إلخ وحافظا عليهم بنين وبنات من أبناء العمومة والختولة<sup>(١)</sup> فقدما قيل ( يؤتى الحذر من مأمته ) وصدق رسول

(١) بنين وبنات .

الله ﷺ ( الحمو الموت ) (١) فما الفساد إلا من هذا الاختلاط مع الأمان ودون رقابة في أمان مقنع وثقة عمياء وإياك ما يتغنى به من فجور وبغى ( غاب القمر يا ابن ياعمى يا لله روحنى ) ( وتحت الشجر يا وهيبة ) ( وساكن قصادى وبجبه ) ( والشعر الحريير ) والبلاوى الزرقاء التى ابتلينا بها باسم الفن والعياذ بالله إنه فن الأبالسة وأدب الانحلال .

ولتكن عيونكما عليهم حنانا ورعاية وصدقة ومؤاخاة فقد قلنا سابقا « إنما المؤمنون إخوة » وكلما كنتم مثاليين أمامهم كان الخير كل الخير فليزود كل منكما جنسه (٢) بالنصح والإرشاد كلما تقدمت بهما السن نحو البلوغ حتى يثقوا فيكما ويستأنسوا بكما ولا يستقون المعلومات من الخدم وقرناء السوء ﴿ فنزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صادتم عن سبيل الله ﴾ وقصرتم في حق فلذات الأكباد ثم تعضان بنان الندم ولات ساعة مندم !

وإني لمقدم لك أيتها الأم المسلمة هذه الأقصوصة العربية لأم تنصح ابنتها وتوصيها عند زواجها لتحذنها .. ( وهى أمامة الشيبانية .. يرجع بالأصل لذكر نسبها وهى مسلمة ) (٣) .

أى بنية إن الوصية لو تركت لفضل أدب لترك ذلك منك ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أباؤها وشدة حاجتها إليهما لكنت أغنى الناس عنه ولكن النساء للرجال خلقن وهن خلق الرجال .

فأى لباقة من تلك الأم ؟ وأى أدب نفسى عال رفيع ذلكم الأدب الأمومى الأخوى تقربها إلى نفسها ثم تمنحها الثقة ثم تبين لها الفطرة التى فطر الله الناس

(١) أبو الزوج وقيل الغريب من غير المحارم والموت أى فيه الهلاك .

(٢) الوالد للولد والوالدة للبت .

(٣) المرأة العربية - وخاصة المسلمة - سجلت في ذاكرة التاريخ بطولات ومواقف وأمجادا في كل مجال .

جاهدت وحاربت وداوت الجرحى ، وعذبت وأسرت واستشهدت ، لمساتها محفورة في فروع الأدب مهارة وفصاحة في النثر والشعر والخطابة ورويت عنها الأحاديث النبوية الشريفة وأمامة بنت الحلث من ربات الفصاحة والبلاغة والرأى والحجا .

خطب الحارث بن عمرو ملك كندرة ابنتها أم إياس بنت عوف الشيبانية فزوجها أبوها منه ... فقالت أمامة تنصح ابنتها ليلة عرسها .. فتزوجته وعاشت على هدى نصائح أمها فعظم مكانها منه وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا اليمن بعده .



عليها فهي ترشح للوصية باستالتها وإعداد الجو النفسى لتقبلها والمناخ الملائم لاستيعابها لا بسياط من لسان كأذنان البقر ولكن بأخوة حانية وأمومة رعون ثم تقول :

أى بنية : إنك فارقت الجو الذى منه خرجت وخلفت العرش الذى فيه درجت إلى وكر (٢) لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فأصبح بملكه عليك رقيماً ومليكاً فكونى له أمةً يكن لك عبداً وشيكاً (٣) واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخراً .

أما الأولى والثانية فالخشوع له بالقناعة وحسن السمع والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواضع عينيه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشتم منك إلا أطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت منامه وطعامه فإن تواتر الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة فالاحتراس لماله والإرعاء لحشمه وعياله وملاك الأمر فى المال حسن التدبير وفى العيال حسن التقدير .

وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصى له أمراً ولا تفضى له سرا فإنك إن خالفت أمره أو غرت صدره ، وإن أفضيت سره لم تأمنى غدره ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهتماً والكآبة إذا كان فرحاً ) .. أخت الإسلام أى أمومة هذه ؟ وأى فهم عميق لواجب الزوجية هذا ؟ وأى حكمة تنطق بها هذه المرأة الأريية الودود ؟ أدب عال وقمة سامقة فى تقدير النفس على مستوى رفيع من الفقه والأدب ( ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه ) إنها الاستجابة للفطرة والتجاوب مع نواميس الطبيعة التى خلقها الله عليها ( فطرة الله التى فطر الناس عليها ) .

وقد تعجب المسلمة الساذجة أو المستغربة أو المولعة بالتقليد الأعمى من هذا ولكن يزول تعجبها سريعاً وتذهب دهشتها أدراج الرياح حين تعلم أن المرأة

---

(١) عش الزوجية .

(٢) طبعاً قرياً .

الأوربية أو الغربية التي قلدتها تطلب اليوم من حكامها أن تعود إلى فطرتها إلى حقوق المرأة المسلمة .. وإلى الحياة الزوجية السليمة ، لقد سئمت الحرية البيهيمية المطلقة ، لقد ملت الانسياق والميوعة مما أصبحت به العوبة في يد الرجل وسلعة مبتذلة يتقاذفها هو وأمثاله من بنى جنسه وقد أفضنا القول في ذلك فارجعي إليه .

في الوقت الذي تتطلعين فيه أنت — أستغفر الله — تتطلع المسلمة اسما — إلى تقليدها تريد هي تقليدك أنت وهذا هو وضعك الطَّبْعِيَّ أيتها الأخت المسلمة .. الريادة الآسرة القدوة إنها لروعة الإسلام ورفعة تعاليمه واستقامة أسلوبه في الحياة إنه جمال النظام ونظام الجمال إنه منبج الله أيتها الأم المسلمة خلقتك الطاهرة لنا رحمة وأنت قوة الدين وحسن الملة .

يا من تظلمين فينا الوليد على كلمة التوحيد إن حبك لينحت أطوارنا ويصوغ أعمالنا وأفكارنا .. يأمينة على الشرع المتين إن أنفاسك حياة الدين وإن هذا العصر ذو فتون قافلته تقطع طريق الدين وقد عمى إدراكه فأنكر الخالق وقيدت سلسله كل مارق صيده يخال نفسه حراً وقتيله يسمى نفسه حيا .. !

لاتسلكي إلا سبيل الإباء ولا تبالي بما تلقين من عناء ... احذري الزمان في سيرك ... وضمي أولادك إلى صدرك ... هذه العصافير أبعدت من أعشاشها قبل أن تطير بها أجنحتها ...

يا فطرة نزاعة إلى العلاء لاتغمضي عينيك عن سيرة الزهراء لعل حسينا في حجرك يزهر فيترعرع بستاننا وينضر !!! .

أخت الإسلام : افتحي عينيك على كتاب الله وقلبك على سنة رسول الله وقلبي بيدك وقلبك صفحات التاريخ الإسلامي على أمهات المؤمنين والمسلمات الخالدات وارمقي عبر الأفق وأدراج الدهور نفحات الجنة وتذكرى الحور ثم ترسمي خطوات السابقات الصالحات واسلكي سبيلهن وانهجي نهجهن تفوزي بسعادة الدارين فأنت راعية ومسئولة عن رعيتك واتقى يوما ترجعين فيه إلى الله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تُرَوَّنَا تَدْهَلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ .

## المرأة بين البيت والمجتمع :

أُحْتِ الإسلام أما وزوجة وبتنا وعمة وخالة وقرية وأختنا في الإسلام هذا ميدانك الرحيب وهذه رسالتك السامية ومهمتكم الشاقة في خضم الحياة الزاخر بجوار أخيك الرجل زوجا وابنا وأخا وعما وخالا وزميلا في العمل (١) وجارا في السكن وأخا في الإسلام فلا تهربي من الواقع ولا تتكبي طريق الفطرة ولا تتخلي عن أداء الرسالة التي من أجلها خلقت فأنت قلب المجتمع النابض وأنت إحدى رثيته (٢) فأنت نصفه بل كله فهو منك وإليك وبك وعليك الأمل وأنت الرجاء في تشعة جيل جديد يعبد الله على بصيرة ليستعيد مجد الإسلام على هدى محمد ﷺ ونحن الرجال لن نعدمي فينا من بمد لك يد العون يد الأخوة في الله .

ولا عليك من هذه المدنية الزائفة والادعاءات الباطلة وتذكرى تاريخ أمتك ودور المرأة في تسطير صفحاته بحروف من نور تذكرى أخواتك المسلمات الخالدات في صدر الإسلام وعبر قرون الأزدهار مجاهدات صالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله وارقئ بتفكر وتدبر الصفحات التالية بعد (٣) .

أختاه عودي إلى دينك ثوبى إلى رشدك توبى إلى ربك أدركنى مافاتك وأفيقى من غفوتك وارفضى تنويمك واستغفرى لذنبك جددى العهد وطدى العزم فإن الجنة تنتظرك لتكونى في عداد الحور العين ﴿ فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين ﴾ .

أختاه عودي إلى ربك حتى ترى مظاهر الإسلام وآدابه المباركة فتعود بعودتك الأسرة المسلمة فترى المجتمع المسلم ، وتلمسى فيه مظاهر الشرف والعفة والحياء والحشمة والوقار والعزة والنهضة والفضيلة والنصر والسؤدد فقد سئمنا العرى والرذيلة والاسترجال والتخنث والميوعة والانحلال وكرهنا التبرج والزيف والضلال وتشوقنا إلى الفضيلة تسود وراية الإسلام تعلو والعالم الإسلامى يعز لأنه عاد بفضلك إلى عوامل النصر والسيادة واهتفى معى من الأعماق ﴿ إن الله

(١) مع التحفظ في هذه الجزئية مع مراعاة شروط عمل المرأة التى سقناها سلفا .

(٢) المعطلة في نظر المغفلين لأنهم يطالبون بأن تكون كالعربية ومعطلة في نظر الإسلام لأنها لم تؤد رسالته على الوجه الأكمل أو هكذا أريد لها .

(٣) باب المجتمع المثالى في ظلال القرآن .

لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴿﴾ ﴿﴾ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت  
أقدامكم ﴿﴾ ﴿﴾ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴿﴾ ﴿﴾ والبلد الطيب يخرج نباته  
بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا ﴿﴾ ﴿﴾ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا  
لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴿﴾ ...

ثم يامدعين من الإسلام انكمو على هداة دعوا الإسلام ينعانا  
شتان ما بين تشريع السماء لكم وتقنين أهل الأرض شتانا  
روضوا على منهج القرآن أنفسكم يمدد لكم ربكم عزا وسلطانا

واستعدي قول الحق تبارك وتعالى : ﴿﴾ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين  
والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات  
والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات  
والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم  
مغفرة وأجرًا عظيمًا .

أختاه — بغير هذا لن يكون النصر في الدنيا ، ولن تكون السعادة في الآخرة  
بالعمل صفا واحدا كالبنين المرصوص .

وحدة في الصف وحدة في الهدف بالشباب فتية وفتيات بهذا تنحل المعادلة  
الصعبة كما أسلفنا وتستقيم الحياة وتسعد الأمة الإسلامية ثم تتم رسالتها لتسعد  
البشرية جمعاء وتنقذها من الجاهلية الحمقاء فهذه رسالة الإسلام وهي رسالة شاقة  
ولا شك ولكنها مشقة لا بد منها لإدراك الهدف والوصول إلى الغاية النبيلة ( حفت  
الجنة بالمكارة والنار بالشهوات ) « ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة » .  
صدق رسول الله ﷺ .

أختاه — لماذا ارتضيت لنفسك أن تكوني متأثرة بالغربيات مقلدة  
للادينيات ؟ ودينك يحثك على أن تكوني مؤثرة في غيرك منقذة لبنات جنسك من  
وهدة الرذيلة ومهاوى الفساد إلى قمة النعيم في جنة الخلد إسلامك يأمرك أن  
تكوني داعية إلى الله على بصيرة فلا تقبل الأسماء دون المسميات كوني مسلمة قولاً  
وعملاً عقيدة وشرعية ديناً ودنيا جسداً وروحاً عادة وعبادة منهجاً وطريقة وسيلة  
وغاية .

أى بنية هذه رسالتك التى من أجلها خلقت وعليها يجب أن تعيشى وفى سبيلها يجب أن تنالى وسام الشهادة فهل وعيت ذلك ؟ وهل جددت العزم ؟ وهل تنتظر تحقيق الرجاء ؟ نرجو وندعو ونتطلع .

قومى الآن وتطهري وصلّى وجددى البيعة لله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ﴾ اعقدى العزم على حمل الأمانة بصدق وإخلاص فقد يوافيك أجلك وتعاجلك المنية فتموتين ميتة الشهداء « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» (١)!! .

ورددى قول ربك الحكيم الخبير فى خشوع وتدبر ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ .  
والله أسأل أن يهبىء لك من الأمر رشداً وأن يقوى عزمك ويسدد خطاك ..  
إنه حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .  
﴿ ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين ، واجعلنا للمتقين إماما ﴾ آمين .



---

(١) حديث صحيح ... رواه البخارى : متواتر .



## الفصل الرابع

### المجتمع المثالي في ظلال الإسلام

- مقدمة لا بد منها .
- مدرسة الرسول الأعظم والمجتمع المثالي .
- هؤلاء و هؤلاء .
- صفحات مضيئة من تراث الإسلام .
- وأنتم معقد الأمل يا شباب .





# تَفَرُّتْ

يقيم الإسلام عدالته الاجتماعية على منهج الله ، والمذكرة التفسيرية التطبيقية ( سنة رسول الله ﷺ ) وذلك على أسس ثابتة وقواعد تحدد بلوغ أهدافها وسائل معينة فلا تدعها قضية غامضة ولا دعوة مجملة إذ الإسلام بطبيعته دين تنفيذ وعمل في واقع الحياة لادين دعوة وإرشاد في عالم الخيال والمثال .

وقد رأينا — سلفا — في إجمال — أن للإسلام تصورا أساسيا عن الألوهية والكون والإنسان والحياة وأدركنا أن قاعدة السلوك الحيوية متأثرة بذلك التصور الأساسي داخلة في إطاره العام وأن طبيعة نظرة الإسلام إلى الحياة الإنسانية تجعل السلوك الفردي والجماعي ذا عدالة إنسانية شاملة لكل مقومات الحياة الإنسانية ولا تقف عند الماديات والاقتصاديات وأن القيم في هذه الحياة مادية ومعنوية في الوقت ذاته ، لا يمكن الفصل بين صفتيها المتحدتين وأن الإنسانية وحدة متكاملة متناسقة لا جماعات متنافرة متباينة متعارضة .

ولربما بدا في بعض الأحيان أن الواقع يخالف هذه الفكرة الأساسية للإسلام ولو أنعمنا النظر لوجدنا أن الواقع الذي يعده الإسلام حقيقة ليس واقع فرد ولا واقع أمة ولا واقع جيل ، فهذا إنما هو الواقع الصغير المحدود الموقوت الذي تقف عنده مدارك الأفراد البشريين الفانين حين يكفون بصيرتهم عن الاستشراق لما هو أكبر وأشمل في حياة البشرية الكبرى وحياة الكون كله .

فأما الإسلام فإنه يمد بصره إلى جميع الآفاق ويحسب حسابا لجميع المصالح ويهدف إلى تحقيق غاية تشمل الإنسانية كلها منذ البداية إلى النهاية فما يبدو تعارضا في الواقع المحدود قد لا يبدو كذلك حين نتجاوزه إلى الواقع الشامل واقع الإنسانية كلها لا واقع فرد ولا أمة ولا جيل ..

وهذه النظرة الكلية البعيدة الأهداف إلى المجتمع الإسلامي المثالي هي التي تفسر لنا فيما بعد نظما عدة في الإسلام لاتفهم حق الفرد إذا هي أخذت جزئيات وتفاريق وإذا حسب فيها حساب الفرد وحده في جماعة أو حساب الجماعة وحدها في أمة أو حساب الأمة وحدها في جيل أو حساب الجيل الواحد في أجيال .

وهي التي تفسر لنا نظام الملكية الفردية ونظام الإرث ونظام الزكاة ونظام الجهاد ونظام الحكم ونظام المعاملات ونظام العبادات .. إلخ . ما يتضمنه الإسلام من نظم تتناول الأفراد والجماعات والأمم والأجيال وتطبيق الرعييل الأول لهذا المنهج — متأسين — في تطبيقه برسول الله ﷺ .

ولسنا بصدد الحديث عن هذا كله ، حيث لاتسمح ظروف هيكل هذا الكتاب الموضوعي فسوف نقصر حديثنا على تناول تطبيق الأسس العامة من الأفراد والجماعات التي أقام عليهم الإسلام بناء العدالة الاجتماعية في الدولة الإسلامية في حدود فكرته الكلية ومنهجه العام .

وسنرى من طبيعتها أن الإسلام قد نظر إلى وحدة الروح والجسد في الفرد وإلى وحدة المعنويات والماديات في الحياة كما نظر إلى وحدة الهدف بين الفرد والجماعة ووحدة المصلحة بين الجماعات المختلفة في الأمة الواحدة ووحدة الغاية بين الأمم الإنسانية ووحدة الصلة بين الأجيال المتعاقبة على اختلاف المصالح القريبة المحدودة .

### مقومات المجتمع المسلم (١) :

وهذه الأسس التي أقام عليها الإسلام مجتمع العدالة هي —

- ١ — التحرر الوجداني المطلق .
- ٢ — المساواة الإنسانية الكاملة .
- ٣ — التكافل الاجتماعي الوثيق .
- ٤ — العمل للدنيا والآخرة .

وليس المقام كما قلنا مقام تفصيل واستقراء وإنما مقام إلماح وأضواء لولوج الطريق فقط يتناسب مع العنوان للباب ( المجتمع المثالي في ظلال الإسلام ) فالمقصود عرض صور إنسانية حية من النظرية إلى التطبيق ومن المبادئ إلى الواقع ومن العقيدة إلى السلوك .

---

(١) من كتاب العدالة الاجتماعية في الإسلام للشهيد سيد قطب .

# الفصل الأول

مدرسة الرسول الأعظم  
والمجتمع المثالي



أخى المسلم : أختى المسلمة :

لا يقل أحد إن رسول الله ﷺ بشر يوحى إليه وأنى لى بهذه العزيمة وتلك الحصانة النبوية ؟ فهو الذى يقول عن نفسه « إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد من قريش » أو كما قال ﷺ .

ويقول فيه رب العزة ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ .

ويقول له ﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ﴾ .

ويأمره ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ﴾ وهؤلاء أصحابه الأبرار وتلاميذه الأطهار (١) كانوا فى الجاهلية غلاظ الأكباد قساة القلوب عباد أصنام وطلاب دنيا .

ويوم جاء الإسلام أول مرة وقف فى وجهه ( واقع ضخم ) واقع الجزيرة العربية وواقع الكرة الأرضية ووقت فى وجهه عقائد وتصورات ووقفت فى وجهه قيم وموازين ووقفت فى وجهه أنظمة أرضية وأوضاع ووقفت فى وجهه مصالح وعصبيات .. إلخ .

ولكن كيف إذن قوى ذلك الرجل الواحد والمعلم الراشد الفرد على قهر كل ذلك الواقع الضخم ؟ (٢) وكيف استجاب أولا هؤلاء البدو ، رعاة الإبل والشاء لداعى الله من خلال هذا الركام !؟

وكيف تكوّن المجتمع المثالى فى المدينة المنورة وقد كانت المدينة المنورة الفاضلة حلم الفلاسفة والحكماء لم يستطيعوا تحقيقه بنظرياتهم الأرضية وفلسفاتهم البشرية الترابية ؟ لقد حدث ذلك من غلبة هذا النهج لأنه تعامل من وراء الواقع الظاهرى مع رصيد الفكرة المكنون وهو رصيد هائل ضخم لا يغلبه هذا الركام

(١) من رجال ونساء وفتيان وفتيات وعبيد عرب وعجم بيض وسود .. إلخ ..

(٢) راجع كتاب دراسات إسلامية للشهيد سيد قطب موضوعات ( محطم الطواغيت ) ( انتصار محمد بن عبدالله ) ( الاسلام يكافح ) .

الظاهرى حين يستنقذ ويجمع ويوجه وينطلق فى اتجاه مرسوم (١) ﴿ فطرة الله  
التي فطر الناس عليها ﴾ .

إنها طبيعة المنهج الإلهى الذى يغزو الفكر والقلب والنفس ويخالط الشغاف  
فرقت القلوب بالقران وشفقت النفوس بالإسلام وهدأت الخواطر بالاعتداء برسول  
الإسلام ﷺ .

كانوا أجهزة استقبال رائعة حساسة .. كما كانوا أجهزة إرسال أروع وأمثل  
﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ وصدقت أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة  
رضى الله عنها حين قالت ( كانت تنزل علينا الآية فكنا نحفظ حلالها وحرامها قبل  
أن نحفظ حروفها ) .

﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ ﴿ إذ جعل الذين  
كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى  
المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شىء  
علیماً ﴾ .

فهذا أعرابى يجيء من البادية يقول يا محمد علمنى من كتاب الله فيدفعه إلى  
بعض صحابته ليتولى تعليمه فيقرئه ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ إلى آخر  
السورة فيدرك العربى البدوى بفطرته ثقل التبعة ودقة الحساب حتى على الذرة  
فيذهب إلى المصطفى ﷺ متسائلاً وأنا لمحاسبون على الذرة ؟ فيقول له الرسول  
الكریم ( نعم ) فينصرف متمماً لصاحبه الذى كان يعلمه حسبى حسبى حتى  
أعمل بما سمعت .

اتفوا حول قائدهم كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم ﴿ يتلو عليهم آياته  
ويزكیمهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ ويقول ( صلوا كما رأيتمونى أصلى )  
ويقول ( خذوا عنى مناسككم ) وهم يجتهدون فى الالتزام ويتحلون بالصبر  
ویمتازون بالدقة فى التنفيذ والاتباع حتى ليقول ﷺ لعمر رضى الله عنه أتجنبنى  
يا عمر ؟ فيقول نعم يا رسول الله فيقول أكثر من نفسك ومالك وولدك ؟ فيقول  
عمر فى صراحته المعهودة لافيقول الرسول الكریم ﷺ ( لا ) حتى أكون عندك

(١) انظر كتاب « هذا الدين » للأستاذ سيد قطب .

(٢) أى لا إيمان كاملاً .

أكثر من نفسك ومالك وولدك ) أو كما قال ﷺ وهنا يسارع عمر فيقول الآن نعم وذلك مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ .

تأدبوا بآداب النبوة فامتلكوا علما وفقها وحكمة وتأسوا برسول الله في كل شيء حتى صاروا ربانيين بما كانوا يعلمون الكتاب وبما كانوا يدرسون ﴿ وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ﴾ .

أقبلوا على ربهم فحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان وجعلهم من الراشدين فضلا منه ونعمة فرددوا فكهين ﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾ .

كون رسول الله ﷺ الفرد الأول المسلم أدبه فأحسن تأديبه — بتأديب الله واصطفائه — ثم كون البيت المسلم الأول من أم المؤمنين سيدة النساء خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ثم بهذه القلة القليلة من المسلمين والمسلمات كون المجتمع الإسلامى الأول ثلة من المهاجرين وقليل من الأنصار أذاب الإسلام بينهم فوارق العصبية وعيبة الجاهلية وظلم الطبقة وحمق العنصرية وقبح العنجهية .

فهذا سيد من سادات العرب قرشى وذاك عبد حبشى وهؤلاء منهم الفارسى والرومى والأوسى والخزرجى تراهم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها ﴿ وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافى الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يتبعون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك

هم المفلحون \* والذين (١) جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم .

مجتمع مثالي لا عصبية ولا جاهلية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ ﴿ مِيزَانٍ وَاحِدٍ لِأَقْدَارِ النَّاسِ مِقْيَاسَ تَمْيِيزِ الْبَشَرِ الْكَرِيمِ ﴾ « النَّاسُ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمَشْطِ لِأَفْضَلِ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجْمِي إِلَّا بِالتَّقْوَى كَلِّمُوا لَادِمًا وَآدَمًا مِنْ تَرَابٍ » أَوْ كَمَا قَالَ ﷺ وَرَحِمَ اللَّهُ عَمْرًا حَيْثُ يَقُولُ ( أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدُنَا ) فَيَرْفَعُ بِالإِسْلَامِ بِلَا أَرْضِي اللَّهِ عَنْهُ إِلَى السِّيَادَةِ وَالشَّرَفِ جَنَابًا إِلَى جَنْبِ مَعَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصَدَقَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفْرَانِ رَحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَّرَعٍ أُخْرِجَ شَطَأُهُ فَأَزْرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوَاقِهِ يَعْجَبُ الزَّرَّاعُ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفْرَانَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا .

﴿ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

ومن هذا المجتمع المثالي بالمدينة المنورة انطلقت الدعوة بزغ الإسلام في مكة وشع ضحاها في المدينة وملاً نوره أرجاء العالم .  
ولكن بماذا سادوا ؟

علامة استفهام ضخمة حرية بالإجابة لوجهتها وأهميتها وخطورها . هل جاءهم النصر اعتباطاً ؟ هل فرشت لهم طريق الدعوة بالورود والرياحين ؟ هل بسطت لهم الفرش السندسية في حلقات القتال وميادين الجهاد ؟ هل كانت لديهم أكاديميات حربية أو مؤسسات عسكرية ؟ ... لا بل قطعوا الفيافي في كثير من الأحيان حفاة عراة لا يجد لهم رسول الله ﷺ ما يحملهم عليه وهم يتسابقون إلى الشهادة فهذا دعاؤه في بدر « اللهم إنهم جياع فأشبعهم عراة فاكسهم حفاة

(١) فقولوا مثل ما قال الذين جاءوا من بعدهم .. لأن الأمر يشملكم .



فاحلهم اللهم إنك إن تهلك هذه العصاة لن تعبد في الأرض اللهم أنجزني ما وعدت » ويقول أبو بكر وهو يعدل رداءه الذي سقط من فوق منكبيه يارسول الله بعض مناشدتك ربك إن الله منجزك ما وعدك (١) .

حتى لقد سميت إحدى غزواتهم ( بذات الرقاع ) وجيش إحدى معاركهم ( بجيش العسرة ) .

ركبوا المخاطر وخاضوا البحار ولم تقف في طريقهم عقبة كتود ولا حاجز جبلي أو مائى ألم يقل قائلهم لرسول الله ﷺ لن نقول لك ما قال قوم موسى لموسى عليه السلام ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ ولكن نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون إنا نصبر في الحرب صدق عند اللقاء وغدا ترى منا مايسرك . ألم يقل قائلهم والله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ؟ هل دانت لهم الدنيا طعمة سائغة ولقمة باردة ؟ كلا والله .. لم يكن ذلك خبط عشواء ، إنما هي القدوة الحسنة ، والأسوة الصادقة والإخلاص في السر والعلانية .. اعتزوا بالإسلام فأعزهم الله تواضعوا بالإيمان فرفعهم الله ، حرصوا على الموت فوهبت لهم الحياة نصروا الله فنصرهم وثبت أقدامهم ، تخلقوا بكتاب الله وانتهجوا سنة رسول الله فدانت لهم الدنيا بأسرها ورفعوا راية القرآن ففتحوا العالم لاغزاة طامعين (٢) ولا مغيرين ظالمين بل هداة عادلين نشروا العدالة الاجتماعية ، وحققوا المساواة الإنسانية وأشاعوا الأمن وبثوا الطمأنينة وعرسوا العدل والرحمة ، وفجروا ينابيع العلم والمعرفة ، فتظامنت لهم الرعوس وشاهت الوجوه الشرسة وهفت إليهم القلوب المؤمنة ودخل الناس في دين الله أفواجا أو دفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون تحت راية القرآن الكريم وحماية الإسلام أو حصدتهم السيوف المسلمة ﴿ أذن للذين يُقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ .

• ورضى الله عن ربيعي بن عامر حين دخل مبعوثا من قبل القائد المسلم في

(١) راجع كتاب الرسول القائد للعقيد الركن محمود شيت خطاب ورجال حول الرسول لخالد محمد خالد وشهداء الإسلام في عهد النبوة للنشار .

(٢) راجع كتاب دراسات إسلامية للشهيد سيد قطب موضوع طبيعة الفتح الإسلامى وكلمة الإسلام في الحرب والسلام .

خلافة الفاروق رضى الله عنه إلى رستم قائد الفرس ومعه فرسه يطأ بها طنافس مجلسه ثم يغرس حربته في هذه البسط قريبا من مجلس القائد ويربط بها فرسه غير هياب ولا وجل فيهم جنوده المدججون بالسلاح المتلمظون للقتل أن يطيحوا برأسه وكأني به كم كان يتمنى أن يحدث لينال الشهادة فيمنعهم القائد لينظر ماوراء هذا العربى الذى لم يألفوا طريقته من قبل فيعرض ربعى مضمون سفارته بعد أن يسأله القائد الفارسى ماذا تريد؟ لقد عرفناكم أهل بادية وقحط نمدكم بالطعام والشراب والملابس حين تفدون علينا فيقول له لا إنما نحن أهل بادية غيرنا الإسلام وأعزنا القرآن فلا وجهة في مسألتنا لما ذكرت إلا الله وإني جئتكم من عند قوم الموت أحب إليهم من الحياة جئناكم لنخرجكم من عبادة الشيطان إلى عبادة الرحمن ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعتها وسعة الآخرة وجئتكم بإحدى ثلاث إما الإسلام وإما الجزية وإما السيف؟ فسأله أليست هناك رابعة قال لا فأبى إلا السيف فكانت النتيجة الفتح المبين للمسلمين وينادى عمر رضى الله بأعلى صوته ياسراقة بن مالك خذ سوارى كسرى فقد أنجز الله وعده لرسوله يوم الهجرة .

وما مقالة أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما لابنها عبد الله تعزب عن بال مسلم « يا بنى إن كنت على باطل فبئس العبد أنت ومن معك وإن كنت على حق فلا تضرك الشهادة » فلما أظهر لها خوف المثلة فتقول قولتها الخالدة « وهل يضر الشاة سلخها بعد ذبحها » وكذا تاريخ النساء الخالدات والصبية الذين نشأوا بين قعقة السيوف وضرب الرماح وما حديث صقرى قريش عنا ببعيد رغم توالى القرون فكأنه الآن ماثل أمامنا تاريخ حافل بالمآثر علما وأدبا وتربية ومشورة وجهادا وبطولة .. إلخ .

فهؤلاء تلاميذ رسول الله ﷺ وتلاميذهم من التابعين وأتباع التابعين إلى يوم الدين أفضاء عظماء أبطال بواصل تدين لهم البشرية بالفضل والخير والعلم والريادة فمنهم العباقرة الأساتذة لهذا العالم في كل ميدان من ميادين الحياة علماء تعمير وقواد سلام ومرحمة لا علماء تدمير وقواد تخريب .

والعلم إن لم تكتفه شمائل تعليه كان مطية الاخفاق  
لا تحسبن العلم ينفع وحده ما لم يتوج ربه بخلاق

# الفصل الثاني

هؤلاء وهؤلاء



## هؤلاء وهؤلاء :

فإن تشدق المتشدقون ، ودلس الحاقدون ، وقالوا بأن فيهم فلانا المفكر صاحب مبدأ كذا أو نظرية كذا التي أسعدت البشرية .

نقول لهم : لا بأس .. حفظتم شيئا وغابت عنكم أشياء ، أو تناسيتموها ؛ طمسا لعالم حضارتنا ، حقدا منكم وكراهية .. فلقد سرق الكثيرون منكم كثيرا من نظريات علمائنا الأفاضل ثم نسبوها إلى أنفسهم — وبخاصة في علوم التقنية — وخلعوا عليها أسماء مستعارة وادعوا لها الابتكار (١) إنهم عيال على علمائنا (٢) فإن قيل : هذا قائدنا العظيم فلان فتح البلاد ودانت له الدول ، وانخت أمام خططه وتكتيكاته الحربية نقول لهم — في عزة وإباء وشمم — أين هؤلاء من أسامة ، وخالد ، وأبي عبيدة ، وطارق ، وصلاح الدين .. إلخ .

وأين معارككم من القادسية ، واليرموك ، وحطين ، وعين جالوت — وإن كان في المقارنة تجاوز كبير .

ليس من يفتح البلاد لتشقى      مثل من يفتح البلاد لتسعد

فالبون شاسع بين حرب في سبيل الله وحرب في سبيل الشيطان ﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ﴾ فشتان بين هؤلاء وهؤلاء ..

(١) راجع كتاب الدكتور على الدفاع « نوابغ علماء العرب والمسلمين في الرياضيات وكتابه : الموجز في التراث العلمي العربي الإسلامي ..

(٢) وكتاب صفحات مضيئة — من تراث الإسلام ط دار الاعتصام ( للأستاذ أنور الجندي ) ( رواد في كل الميادين ) لماذا كان الخليل بن أحمد هدفا للتغريب .

— الأدرسي — البيروني — ابن ماجد — طارق بن زياد — عباس بن فرناس .

— الدورة الدموية ( ابن النفيس ) — المسلمون رواد الكيمياء .

— المسلمون مخترعو الكسور العشرية — عروبة دون كيشوت — المسلمون أول من أطلق الصواريخ ..

إلخ ...

— ه آلاف مخطوطة عربية عن الفلك الإسلامي . وهذا ما أثاره د / ديفيد كنج في رسالته للدكتوراه عن الفلكي المصري ابن يونس .

يا قوم : لاتلجوا في عنادكم — إن كنتم آدميين تحترمون آدميتكم — ولا تطمسوا معالم ديننا وحضارتنا — وأنتم تؤمنون بها في قرارة نفوسكم .

إن كنتم تريدون إسعاد البشرية بحق — كما تزعمون — ﴿ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ إن كنتم بحق — تريدون مساعدة الدول النامية ، وتبغون الحرية للإنسانية .. إن كنتم — بحق وصدق — تكرهون استعباد الإنسان لأخيه الإنسان وتتنكرون للتفرقة العنصرية ، إن كنتم — بإخلاص — تمقتون الهمجية المحمومة والتعصب المذموم . إن كنتم — حقا — تطلقون الشعارات لإبطال الباطل . « فرنسا أم الحرية » « مجلس الأمن » « محكمة العدل الدولية » « منظمة الأمم المتحدة » منظمات « اليونسكو ، واليونسيف ، والنقطة الرابعة » ، و .. و .. إلخ . هذه الشعارات الزائفة التي هي تضليل وبهتان وتزوير للدول النامية لابتلاعها فقد قسمتموها فيما بينكم . والأصح أن تقولوا الدول النامية .

إن كنتم صادقين فاعترفوا بفشل أنظمتكم وجربوا الإسلام — ولو كنظام — جربوه — كنظام — لأنكم تكرهونه كدين (١) جربوه ، تجدوا فيه الأمن والسلام والطمأنينة ، والرخاء والعدل والمساواة والأخوة والحب والاستقرار والخير والرحمة والسعادة في الدنيا والآخرة للبشرية كل البشرية .. إنه الإسلام المنهج الرباني الذي يدعو إلى عالم أفضل ، تكون الحاكمية فيه لله والعبودية فيه لله ، والملك فيه لله الواحد القهار إنه ثورة إنسانية كاملة تبدأ في ضمير الفرد وتنتهي في محيط الجماعة عدلا ورحمة وأخوة (٢) .

إنكم تعرفون تاريخ الإسلام والمسلمين جيدا ولكنكم تطمسون معالمه وتعملون على تجهيل المسلمين به ، والضعفاء وطلاب الدنيا ينخدعون بأرائكم . انشروا تاريخهم للدنيا ليعرف شباب العالم بأسره تاريخهم في الأندلس ليعرفوا التسامح على حقيقته والحق والعلم والعدل والأمن والسلوك السوى للناس — كل

(١) ولكننا — نحن المسلمين — لا نرضى لأنفسنا إلا تطبيقه كاملا .. نظاما وعقيدة ﴿ افترؤنوا بعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ﴾ ﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال ﴾ ..

(٢) يراجع كتاب العدالة الاجتماعية في الإسلام للشهيد سيد قطب .. فصل : التحرر الوجداني المطلق .

الناس — إنهم تلاميذ رسول الله وتلاميذ تلاميذهم .. تربوا على مائدة القرآن .  
وانتهجوا أخلاق النبوة ، واقتفوا آثار الخلافة الراشدة فهذا المعلم العظيم محمد  
ﷺ — يأخذ يهودى بمجامع ثوبه — حتى ليكاد يخنق — ويقول : يا بنى عبدمناف  
إنكم قوم مطل .. أعطني ما عندك من دين .. فيستل الفاروق — رضى الله  
عنه — سيفه ، ويستأذن رسول الله ليدق عنقه فيقول معلمه السمح العظيم الذى  
مدحه ربه ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ لا يا عمر ... كان الأجدر بك أن تأمرنى  
بحسن الأداء وتأمره بحسن الاقتضاء .. أو كما قال ﷺ — فيعلن اليهودى إسلامه  
قائلا : إن هذا لخلق النبوة ..







## الباب الثالث

### صفحات مضيئة من تراث الإسلام

- قل موتوا بغيظكم
- أن محمداً وآله
- سليني ماشئت من مالي
- بطولات خالدة
- من أجماد تاريخنا
- لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت
- أبا بكر خليلاً
- الحمد لله الذى جعل الحق على
- لسان عمر وقلبه
- ماضر عثمان مافعل بعد اليوم
- قضية ولا أبا حسن لها
- أسد الله وسيد الشهداء
- سيف الله المسلول
- لقد تاب توبة
- ومن يقدر على هذا غير الله
- إن غابت عنا عين أمير المؤمنين
- اجمع لى أمر الدنيا
- أذهبتم طياتكم
- بقى أن أودى صدقتى
- فسالت بها الشوارع
- إنه أعظم جغرافى
- هذه الأمة
- هذه النفحة الإلهية
- أسطول صلاح الدين
- المستشرق وآية واحدة
- وإذا غاب الإيمان
- أول عربى
- غاز الأوزون
- من زهد فى الدنيا
- الشخصية المحمدية
- ابن الأمدى سبق برايل
- انتبهنا ربنا انتبهنا ربنا



قل موتوا بغيظكم :

وإليكم — إخوة (١) الإسلام — ليفي يسيرا من الصفحات المضيئة من تراث الإسلام فلقد كان التراث الإسلامي هدفا للسخرية والانتقاص من خصوم الإسلام ودعاة التغريب في إطار الحملة الموجهة إلى اللغة العربية — لغة القرآن — والشريعة الإسلامية وتاريخ الإسلام ، وذلك رغبة في إقصاء الشباب المثقف عن هذا الورد الثمير الذي يكشف عظمة الميراث الإسلامي الذي كان على مدى التاريخ نورا وضياء لكل النهضات التي قامت في بلاد الإسلام — بهدف تحقيق المجتمع الرباني والتماس منهج الحق — تبارك وتعالى — ونحن نعرف تماما — ولا بد أن يعرف شبابنا كذلك — أن الحملات الموجهة إلى الفصحى وإلى التراث الإسلامي والنزوع إلى الحروف اللاتينية والتدريس بالإنجليزية كلها تحاول أن ترمى القرآن الكريم عن قوس وأن الشبهات المثارة حول سيرة المصطفى ﷺ — والقرآن والوحي والنبوة والسنة المطهرة والتاريخ والشريعة — سواء أكان ذلك من الملاحدة والعلمانيين والصهيونية والصلبية العالمية أم كان من المغفلين والسذج والبسطاء والمراهقين فكريا أو مرضى السياسة وكراسى الحكم من المنتسبين إلى الإسلام وأمتهم — وهو منهم براء — إنما تهدف إلى هدم هذا التراث ، وتدمير القيم الأساسية للإسلام نفسه .

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ .

من أجل هذا كله نقدم هذه الصفحات المضيئة من تراث الإسلام ، لتكشف أمام النفس المسلمة (٢) آفاق الإيمان بعظمة هذا الدين وبيطولة رجاله ونسائه السابقين ، والله نسأل أن يهدينا سواء السبيل . هاتفين من أعماقنا ..

(١) فتية وفتيات .

(٢) يراجع في ذلك كتابنا حاضر العالم الإسلامي ، فقد عقدنا لذلك فصلا مستقلا فيه .

من أمثال الكتاب الماركسيين والشعوبيين الذين يخفون المحوسية ( والماركسيون المحدثون شيوعيون يخفون اليهودية ) وراجع في ذلك كتاب أنور الجندی ( صفحات مضيئة ) .

﴿ قل موتوا بغيظكم ﴾ فنحن ماضون على الحق .. والكلاب تنبح والقافلة

تسير ! .

إن محمداً وآله أول من يجوع وآخر من يأكل :

دخلت الزهراء — رضى الله عنها — على أبيها — صلى الله عليه وسلم — وفي عينها معركة مع الأيام وعلى وجهها أمارات الجهد وفي محياها بقايا توردد وبواكير تغضن ومدت يدها مصافحة فلاحظ أن يديها خشتتان !! .. فسألها عن السبب فأجابت : من كثرة العمل في البيت يا أبتاه<sup>(١)</sup> ، فأنحدرت على خديه دمعات رفاق وتغشى المكان صمت عميق .. أتدرون لماذا؟! خوفا على الزهراء من أن يكون قد دخل قلبها مادخل قلوب نساءه — رضى الله عنهن — من قبل .. فقد سألته أن يكون لها مثل ما لنساء كسرى وقيصر من الأثاث والرياش .. فتلقين منه تلك الإجابة الحاسمة :

« لست أنا كسرى ولا أنا قيصر ، وما أوحى إلى ربى أن أكون من المترفين » .. ثم تلا عليهن قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحا جميلا ﴾ .. فقلن : لا والله يارسول الله .. مانرضى برسول الله بديلا .

ثم ربت كتف ابنته وقال : « ماغبر وجه امرأة من نفض دارها إلا جاءت يوم القيامة يخطف نور وجهها أبصار أهل الموقف جميعا ، ولا غسلت إناءها الذى تطعم فيه زوجها إلا غسل الله ذنوبها وخطاياها » .

ثم قال لها تكلمى يافاطم .. فقالت : لقد علمت أن الله قد أفاء بمال على المسلمين فقلت أذهب إلى رسول الله لعل أجد عنده مايعيننى على شئون الحياة . فسألها : « أو لم تخلفى وراءك طعاما يافاطمة ؟ فقالت : طعاما يكفى ثلاثة أيام ولا يزيد يا أبتاه » وهنا غضب المصطفى — صلى الله عليه وسلم — وجمع الكلمات في فمه جمعا مشيرا وألقاه هكذا .

« والله لأعطيك وأدع فقراء المسلمين .. إن محمداً وآله أول من يجوع

(١) وكان على رضى الله عنه — فقيرا وهى تدق النوى لفرسه وتحمله من مكان بعيد على رأسها فأثرت الرحي في يديها .

وآخر من يأكل ..

صلوات الله وسلامه عليك ياسيدي يارسول الله .. حاسبت نفسك حين أرت ليلا فوجدت السبب سبعة دراهم تحت وسادتك فجمعتها في يدك مخاطبا نفسك والدراهم : ماظن محمد لو لقي ربه الليلة وفي بيته هذه الدراهم السبعة وفي أمته ناس جياع ؟ .. ! ثم خرجت وألقيتها في يد أول فقير صادفته ..

صلوات الله وسلامه عليك يارسول الله ضربت أروع الأمثلة لأمتك في الزهد والعفاف والتربية فهلا وعى ذلك أصحاب الملايين ؟ ..

سلينى ماشئت من مالى :

وقف المصطفى - ﷺ - ينادى بأعلى صوته :

«يامعشر قريش: اشتروا أنفسكم، لأغنى عنكم من الله شيئا يابنى عبدمناف: اشتروا أنفسكم، لأغنى عنكم من الله شيئا ياعباسُ بن عبد المطلب: لأغنى عنك من الله شيئا ويأصفيةُ عمه رسول الله : لأغنى عنك من الله شيئا ويافاطمة بنت محمد : سلينى ماشئت من مالى ، لأغنى عنك من الله شيئا .

فاطمة .. التى يقول عنها : فاطمة بضعة منى يؤذنى ما يؤذيها » يقول لها : لأغنى عنك من الله شيئا ، ويقول : « والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

بطولات خالدة : (١)

ويبقى هؤلاء الصحابة الكرام — بعد ذلك — النموذج الأعلى للبطولات الإسلامية مرتفعين عن أهواء الصراع والتقاتل ، ولن تجدى محاولات الأعداء — الكافرين والمسلمين المغفلين — طمعا في الإقلال من أقدارهم ، أو مكاتبتهم ؛ ذلك أن أحداث السنين المائة الأولى من عصر الإسلام — التى كانت بحق من معجزات التاريخ — إنها كانت عملا لم يعمله أحد قبلهم ولا بعدهم لافى أمة اليونان والرومان ومن بعدهم حتى يومنا هذا — إلا من سار على دربهم من المسلمين الصادقين الذين كانوا بين الحين والحين يعيدون إلى الأذهان وإلى واقع الحياة الدنيا سيرة

(١) يراجع فى ذلك كتابنا حاضر العالم الإسلامى ، فقد عقدنا لذلك فصلاً مستقلاً فيه .

الخلفاء الراشدين — فقد كانوا طرازا خاصا من الناس .. أولئك الذين صاغهم محمد — ﷺ — على عين القرآن ، وإنهم حين يرددون هذه الخلافات التي عفا عليها الزمن لا يستطيعون أن يمسوا ذرة واحدة من شأن هؤلاء الصحابة الذين كانوا أسمى أخلاقا وأصدق إخلاصا لله وترفعا عن أن يختلفوا للدنيا وإن كان في عصرهم من الأيدي الخبيثة التي عملت على إيجاد الخلاف وتوسيعه . ومن حقنا أن ندرأ عن سيرة الصحابة كل ما ألصق بها من أحقاد وظلم وعدوان — مما ليس هذا مكانه من كتابنا — لتكون صورتهم هي الصورة النقية الصادقة فتحسن القدوة بهم .. ولا ريب أن محاولة التشكيك في هذا الرعيل الأول الكريم هي محاولة للتشكيك في الإسلام نفسه .. !!

ولقد اعتبر التشريع الإسلامي أن الطعن فيهم هو طعن في الدين الذي هم رداؤه وتشويه سيرتهم تشويه للأمانة التي حملوها وتشكيك في جميع الأسس التي قام بها كيان التشريع في هذه الفترة ، ولا ريب أن اتجاه « طاحين » إلى الدفاع عن اليهود بإنكار إبراهيم وإسماعيل أولا وإنكار عبدالله بن سبأ أخيرا كان بتوجيه من « لويس ماسينيون » الذي كشفت السيدة سوزان في مذكراتها الدور الضخم الذي قام به في توجيه طه حسين ( طاحين ) .

ومن أجل هذا نتوجه إلى العلامة الدكتور إبراهيم شعوط الذي كشف منذ وقت فرية من تلك المفتريات التي أذاعها طاحين آمليين أن يتابع كتاب ( الشيخان ) فيكشف لنا مافيه من زيوف — وهو أهل العلم والفضل — حتى تبين أن كتب طاحين عن الإسلام « الفتنة الكبرى » وعلى هامش السيرة وغيرهما إنما هي خداع في اسمه البراق مازال الكثير من العاملين في حقل الإسلام مخدوعين به وخاصة بعض رجال الأزهر الشريف .

من أمجاد تاريخنا :

قدم (١) رسول ملك الهند على أمير المؤمنين بهدية — وهي أربعة أسياف هندية قواطع — فأنسه الخليفة ورحب به ، وتقبل هديته بقبول حسن ، ثم دعا بأحد أسيافه ووضع هذه الأسياف الهندية مجتمعة ثم ضربها بسيفه فقطعها كما يقطع

(١) من كتاب أنور الجندي — صفحات مضيئة بتصرف — .

القلم . فعجب الهندي من هذه الصناعة العجيبة التي تجلت في هذا السيف المسلم ، ودهش — وعهده وعهد الناس أن الهندية هي السيوف — ثم سأله الخليفة أن يطلب مايشاء كفاء هديته فقال الرسول : لاشيء إلا هذا السيف فأبى الخليفة كل الإباء .. وقال يا هذا : اطلب كل شيء إلا السلاح فقد نهانا نبينا ﷺ — أن نقدم سلاحنا لغير المسلمين على أى سبيل كان (١) ويكفيها في هذا المقام إطلاق بعض خيوط الضياء لهذا النور الضخم الذى أضاء العالم وكسح ظلامه الدامس — في الحدود المرسومة لإخراج هذا الكتاب « ولماذا أكون مسلما ؟ » (٢) .

لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا :

« أنا وأبو بكر في الجنة كهاتين » ذلكم هو الصديق — رضى الله عنه ( وهذه ردة ولا أبا بكر لها .. ) يمتنع بعض المنافقين المرتدين عن أداء الزكاة فيقف للردة وقفة الأسد المصور — وهو الرجل السمع الكريم الهادىء الرزين — ويقول لأخيه ووزيره الفاروق — حين قال له : ياأبا بكر : « ادخل دارك وأغلق عليك بابك واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » « فيقول الصديق — رضى الله عنه — يا عمر : أشجاع في الجاهلية جبان في الإسلام ؟ والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه .. والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة .. وانتهت الأزمة وعاد للإسلام شموخه وعزته حتى قال عمر — كالنادم على ما بدر منه : فوالله ماهى إلا لحظات حتى شرح الله صدرى لما قال أبو بكر فكانت حروب الردة وكان ماكان من الاستتباب والأمن والوحدة » .

وهذا جيش أسامة ينتقل المصطفى — ﷺ — إلى الرفيق الأعلى وقد عقد له اللواء ولكن عاجلته المنية قبل إنفاذه ، فينفذه الصديق ويطلب الصحابة تعديل الأمر وإعطاء اللواء لمن هو أسن من أسامة وأفضل من كبار الصحابة فيقول

(١) أين نحن الآن منهم ونحن نشترى منهم الأسلحة ولا نعرف سرها وهم يعرفونها فكيف نحاربهم بها كيف

ونحن نستجدي منهم قطع القيار .. فأين نحن من هؤلاء !!؟

(٢) إنها ومضات أرسلتها حينما اتفقت وكيفما وردت في ذهنى دون ترتيب للحوادث أو تعقيب للزمن ، لأن

العقل يحار حين يختار مايبث هنا وما يدع لأنه ركام ضخم من النور والهدى يحير الأفهام والعقول ويجبر

على التقدير والاحترام .

الصديق — رضى الله عنه — والله لأحل عقدة عقدها رسول الله — ﷺ — ثم يسير في ركب أسامة ويقول القائد البطل : يا خليفة رسول الله : لتركبن أو لأنزلن .. فيقول الصديق — رضى الله عنه — والله : لا ركبت ولا نزلت ألا أغبر قدمي في سبيل الله ساعة ؟!!!

فأى تواضع هذا ، وأى أخوة تلك ؟ ، وأى تضحية وأى قدوة ؟ .. إنها الإسلام ! إنها عقيدة التوحيد .. إنه منهج الله ..

الحمد لله الذى جعل الحق على لسان عمر وقلبه :

ذلكم هو الفاروق عمر — رضى الله عنه — يقال عنه — فى الجاهلية لو أسلم حمار الخطاب مأسلم عمر !!! يصير بالإسلام شيئاً آخر ..

حتى يقول فيه النبى العظيم ﷺ : « لو سلك ابن الخطاب شِعْباً لسلك الشيطان شِعْباً آخر » أو كما قال — ﷺ — يصير بالإسلام أرق قلب وأحلم نفس وأعظم مثل لتحمل المسئولية والخلافة الرشيدة . يقول : لو عثرت بغلة بالعراق لكنت مسئولاً عنها يوم القيامة ، لم ألم أسوأ لها الطريق ؟ بغلة !! فما بال المسئولين عن الآدميين ؟ .. إنه عمر .. إنه الإسلام الذى غيره تغييراً جذرياً من عربى فظ غليظ القلب إلى المسلم المتواضع الرحيم .. عمر — رضى الله عنه — الذى يستدعى عمرو بن العاص — رضى الله عنه — من مصر ومعه ابنه ليقفا بجوار القبطى وابنه ، ليتلقيا درساً لم ينسياه الدهر ولن ينساه التاريخ ويقول قولته المشهورة — بعد أن يعطى درته لابن القبطى : اضرب ابن الأكرمين .. ثم يتوجه إلى عمرو — رضى الله عنه — ويقول قولته الخالدة : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ .. ثم يقول للقبطى : خذ الدرّة واعلُ بها عمراً على صلعتة (١) فيقول لا .. لقد كفيت وأوفيت يأمر المؤمنين .. لقد صدق فيه من قال : حين رآه مرقع الثياب نائماً على التراب تحت ظل شجرة : حكمت فعدلت فأمنت فمنت يا عمر ..

ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم :

ذلكم هو ذو النورين — رضى الله عنه — عثمان بن عفان الذى يقول فيه

(١) لأن ابنه ما فعل فعلته إلا بسطبان أبيه .



النبي الكريم — ﷺ — وقد كان مضطجعاً وقد تعرت ساقه الطاهرة فدخل عليه أبو بكر فلم يغطها ، ثم عمر كذلك فلما دخل عثمان — رضى الله عنه — غطاها فتساءلت أم المؤمنين عائشة — رضى الله عنها — لماذا يارسول الله فعلت مع عثمان .. مالم تفعله مع الشيخين ؟ فقال ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟ إنه عثمان إنه من جهز جيش العسرة من ماله .. إنه صاحب بئر معونة التي اشتراها من ماله بأضعاف ثمنها من اليهودى ليشرّب منها المسلمون . ويقول فيه الرسول الكريم : « ماضر عثمان ما فعل بعد اليوم » إنه المتاجر مع ربه .. تأتي قافلة له محملة بالخيرات فيجتمع لديه تجار المدينة فيعطونه ربحاً على الدرهم درهمين فأبى فيزيدونه إلى سبعة أمثال وهو يقول في كل زيادة أعطيت أكثر من هذا فيقولون له ليس في المدينة من يستطيع أن يعطيك أكثر من هذا .. فقال أعطاني ربي عشرة وأشهدكم أنها كلها في سبيل الله ..

### قضية ولا أبا حسن لها :

إنه باب مدينة العلم ( أنا مدينة العلم وعلى بابها ) أو كما قال ﷺ وكان أعلم الناس بعد رسول الله بالميراث يجيب على أعوص مسألة على المنبر ارتجالاً حتى قيل فيه : « قضية ولا أبا حسن لها » فصارت مثلاً ذلكم هو على — كرم الله وجهه — يقول له النبي المصطفى الكريم : « لقد أعطيت امرأة هي سيدة نساء أهل الجنة وولدين هما سيدا شباب أهل الجنة .. » أو كما قال — ﷺ — يسأل معاوية — رضى الله عنه — ضرار بن حمزة — رضى الله عنه — قائلاً : صف لى علياً .. فقال ابن حمزة : اعفنى ياأمير المؤمنين : قال له معاوية : لابد من ذلك .. قال ابن حمزة : أما إذا كان لابد من ذلك فإنه كان — والله — بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً .. يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه .. يعجبه من الطعام ماخف ، ومن اللباس ما قصر .. وكان — والله — مجيباً إذا دعونه ، ويعطينا إذا سألناه .. وكنا — والله — على تقيبه لنا وقربه منا لانكلمه هيبه له ، ولا نبتدئه ؛ لعظمته في نفوسنا — يتسم عن ثغر كاللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ، ويرحم المساكين ، ويطعم في المسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة ، ينصف اللفهان ، ويستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل وظلمته .. وكأنى به — وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت

نجومه — وهو في محرابه ، قابض على لحيته . يتململ تململ السليم (١) ، ويكي بكاء الحزين يقول : يادنيا غرى غيرى .. أَلَيْ تَعَرَّضْتِ ؟ أم إِلَي تَشَوَّقْتِ ؟ هيهات هيهات .. لاحان حينك .. وقد باينتك ثلاثا لارجعة لى فيك .. حقا : لقد كانوا رهبانا بالليل فرسانا بالنهار كيف لا وهو ربيب رسول الله — ﷺ — كرم الله وجهه عن السجود لصنم يبحث عنه رسول الله في إحدى غزواته ليعطيه الراية فيجابه بأنه أرمد فلما مثل بين يديه تفل في عينه المريضة فكانت أحدًا من أختها — وهذه إحدى معجزاته الكونية الكثيرة — وجد أحد المشركين ثغرة في الخندق (٢) فاجتازها . هو عمرو بن ود من أعظم صناديد قريش ( جثة ثور وقوة فيل ) ثم أخذ يختال عجبا وينادى بأعلى صوته أفى القوم مبارز ؟ فقام على — رضى الله عنه . — فأجلسه رسول الله — ﷺ — قائلا : « إنه عمرو ( فعل ذلك ثلاثا ) » ثم أجازه رسول الله ودعا له بالنصر ونسمع عمراً يقول مرتجزا .

ولقد بمحث من النداء بجمعكم ، هل من مبارز ؟  
ووقفت إذ جبن المشجع موقف القرن المناجر !!

فأجابه أبو الحسن على الفور وزنا وقافية :  
لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز  
إني لأرجو أن تنوح عليك نائحة الجنائز !!

فقال : عمرو بن ود : من المبارز ؟ فقال :

على بن أبى طالب ...

قال عمرو : صبحك الله بالخير أريد صنديدا من بنى عمومتى فقال على :  
لاصبحك الله بالخير ياعدو الله .. أنا لك فنزل عمرو عن فرسه متغطرسا مستقلا  
بشأن على ثم ترجل ونازل عليا فضربه على ضربة لم تؤثر فيه — ثم — ضرب عليا  
ضربة أدخل بها المغفر فى وجنتيه وفى سرعة خاطفة قال أبو الحسن : إني لأقاتل  
اثنين .. فالتفت الغر فلم يجد إلا حصانه فققره — غيظا وحنقا — فعاجله على  
بضربة فصلت رأسه عن جسده فخر صريعا بين تكبير المسلمين وتهليل المؤمنين ..

(١) اللسدوغ .

(٢) فى غزوة الخندق .

الله أكبر .. الله أكبر ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ ﴿ حقا إن الحرب خدعة .

وهذه معالم شخصياتهم تحدها تلك القصة التي روتها كتب التاريخ الإسلامي : جلس رسول الله - ﷺ - بين أصحابه فقال : « حبب إلى من دنياكم ثلاث : النساء والطيب ، وجعلت قرعة عيني في الصلاة » (١) ثم تحكى القصة أن أبا بكر - رضى الله عنه - قال : وأنا يارسول الله : حبب إلى من دنيانا ثلاث : الجلوس بين يديك والصلاة والسلام عليك وإنفاق المال في سبيل الله (٢) ..

ثم قال عمر - رضى الله عنه - وأنا يارسول الله حبب إلى من دنياى ثلاث : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإقامة حدود الله فى الأرض .

ثم قال عثمان - رضى الله عنه - وأنا يارسول الله : حبب إلى من دنيانا ثلاث .. إطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة فى جوف الليل والناس نيام .

ثم قال على - رضى الله عنه - وأنا يارسول الله : حبب إلى من دنيانا ثلاث : إكرام الضيف والضرب بالسيف والصوم فى يوم صيف .

ثم تسترسل القصة فنقول : ثم ينزل جبريل الأمين فيقول يا محمد : وأنا حبب إلى من دنياكم ثلاث : تبليغ الرسالة للمرسلين ، والصلاة والسلام على خاتم النبیین والحمد لله رب العالمين .

ثم قال يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك : حبب إليه من دنياكم ثلاث قلب ذاكر ولسان شاكر وجسد على البلاء صابر (٣) ...

(١) وطعن المستشرقون والمغفلون فى شخصية المعصوم - ﷺ - لقوله « النساء » مردود فى نحرهم فلو كان شهوانيا لما كانت كل زوجاته - رضى الله عنهن - نبيات إلا عائشة - رضى الله عنها - وإنما هو الرفق والرحمة « واستوصوا بالنساء خيرا » « رفقا بالقوارير » ثم لماذا يتغاضى الأفاكون ويتناسون أنه تزوج أول زيجة نبيا فى سن الأربعين وهو ابن خمس وعشرين !! ثم تحريم الزواج عليه وهو بعد فى قمة قوته - ﴿ لايجل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما مملكت يمينك ﴾ ٥٢ الأحزاب .. إنه الوحي ..

(٢) أو قيل وإنفاق المال من أجلك .

(٣) الحق أننى لم أعرف مصدر هذه القصة وإنما سمعتها من فضيلة الشيخ شعبان خطيب مسجد فى شبرا شارع خلوصى فنقشت فى ذاكرتى .

## أسد الله وسيد الشهداء :

وهذا الحمزة رضى الله عنه عم رسول الله ﷺ الذى سماه أسد الله وقال فيه ( سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله ) وأراد أن يمثل بسبعين من قريش أو بثلاثين انتقاما لما فعلوه بعمه ثم ينزل على حكم الله ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولكن صبرتم هو خير للصابرين ﴾ كما هو مشهور من قصته .

## سيف الله المسلول :

وهذا ابن الوليد خالد رضى الله عنه الذى سماه المصطفى ﷺ سيف الله المسلول لانهزم في معركة حربية بين الكفر والإيمان ويعزله الفاروق رضى الله عنه وهو في أوج انتصاره وعظمة القائد المظفر يعزله خوفا من الافتتان به لأن الكفار الصناديد كانوا يفرون هلعا وخوفا حين يسمعون كلمة ( جيش خالد ) مصداقا لقول الرسول الكريم ﷺ ( نصرت بالرعب من مسيرة شهر ) ومؤاخذه له على بعض تصرفات منه .

ويصور ذلك حافظ شعرا فيقول :

سل قاهر الفرس والرومان هل شفعت	له الفتوح وهل أغنى تواليا؟
غزا فأبلى وخيل الله قد عقدت	باليمن والنصر والبشرى نواصيا
عشرون موقعة مرت محجلة	من بعد عشر بنان الفتح يحصيا
فخالد في سبيل الله موقدها	وخالد في سبيل الله صاليا
أتاه أمر أبى حفص فقبله	كما يقبل أى الله تاليا
ألقى القيادة إلى الجراح ممثلا	وعزة النفس لم تجرح حواشيا
وانضم للجند يمشى تحت رايته	وبالحياة إذا مالت يفتديا
فخالد كان يدرى أن صاحبه	قد وجه النفس نحو الله توجيا

لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم (١) :

وهذا ماعز بن مالك رضى الله عنه يقترب جريمة الزنى ولا يراه أحد إلا الله

(١) تراجع كتاب العدالة الاجتماعية ص ١٧٣ والحديث عن بريده .

ولكنه يصر على التطهر في الدنيا فيذهب إلى رسول الله ﷺ قائلاً : طهرني  
 يا رسول الله فيقول مم أطهرك؟؟ يقول من الزنى فيقول : لعلك لمست أو قبلت  
 أو .. أو .. مما هو دون الزنى ؟ فيقول : زنيت يا رسول الله فيقول ﷺ  
 استنكهوه (١) فيستنكه ويراجعه ٤ مرات وهو يعترف زنيت يا رسول الله (٢) .

فأمر به فرجم .. وتحكى السيرة أنهم لبشوا يومين أو ثلاثة ثم جاء المصطفى  
 ﷺ فقال : « استغفروا لما عزم بن مالك، لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة  
 لو سعتهم » .

لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له (٣) :

إنها الغامدية التي جاءت تطلب من رسول الله ﷺ مراراً أن يطهرها من  
 الزنى فيردها مراراً قائلاً لها لعلك كذا أو كذا فنقول في كل مرة زنيت يا رسول الله  
 فيقول ﷺ : « اذهبي حتى تضعي حملك » فتذهب ثم تحييء وقد وضعت  
 وليدها .. فيقول لها : « اذهبي حتى تفضميه » فتذهب ثم تعود وفي يد وليدها  
 كسرة من الخبز كأنها تخشى أن يردها حتى يكبر الوليد ، وكأني بها تقول هاهو ذا  
 يستقل بالأكل فلا تردني فيلتفت ﷺ إلى صحابته — رضى الله عنهم — مشيراً  
 إلى الوليد بما معناه من يأخذه ليربيه بحقه عند الله ؟ فيدفعه إلى أحد الصحابة  
 الأبرار ثم يأمر برفعها ، فحفروا لها حفرة ثم رجمت حتى فارقت الحياة شهيدة  
 التوبة النصوح ، وقد كان في الراجمين خالد بن الوليد — رضى الله عنه قذفها  
 بحجر فتفجر منها الدم فأصابه رذاذ من دمها فسبها — فغضب رسول الله ﷺ  
 قائلاً « مهلاً يا خالد فولدني نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر  
 له » ثم أمر بها فصلى عليها ثم دفنت ( رواه مسلم والنسائي ) .

ومن يقدر على هذا غير الله ؟

وذلكم صبي يقف خاشعاً يصلى فيسأله — بعد الفراغ — صحابى أعجب

(١) شمو رائحة فمه لعله يكون قد شرب محرماً فلا يعي مايقول .

(٢) وفي هذا السلوك العظيم من ضمان الحقوق مالا يخفى فهو ﷺ الذى يقول ادعوا الحدود بالشبهات .

وفي القرن العشرين يفتقه الكفار هذا الحكم فيقول قانونهم الأرضى المتهم برىء حتى تثبت إدانته بعد ١٤

قرناً من الزمان ﴿ إن هو إلا وحى يوحى ﴾ .

(٣) وصاحب المكس من يفرض الضرائب الفادحة زوراً .

بخشوعه في صلاته ابن من أنت يا غلام ؟ فيقول : أنا يتيم الأبوين .. فقال الصحابي : أتحب أن أكون لك أبا وزوجي لك أما ؟ فقال الغلام : شريطة أن تطعمني إذا جعت فقال الصحابي : ذلك حبيب إلى قلبي .. قال الصبي : أتكسوني إذا عريت ؟ قال الصحابي : إن ذلك أحب شيء إلى نفسي . فقال الصبي : أتحييني إذا مت ؟ .. فقال الصحابي : ويحك !! ومن يقدر على هذا غير الله ؟ فقال الغلام إذن فدعني للذي خلقتني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين .. فتلقى الصحابي على يد الصبي درساً عظيماً فقبله وانصرف ..

إن غابت عنا عين أمير المؤمنين فلن تغيب عنا عين رب أمير المؤمنين :

تلكم فتاة بنى هلال يسمعا عمر — رضى الله عنه — وهو يتعسس ليلاً في حواشى المدينة — وقد أصابه الإعياء — فأسند ظهره إلى جدار .. فإذا امرأة تقول لفتاتها : أى بنية : قومي فامدق اللبن بالماء .. فقالت البنت : أو ما علمت بما كان من عزيمة أمير المؤمنين ؟ فقالت الأم وما ذاك ؟ قالت الفتاة : لقد أمر منادية يحذر من غش اللبن ؟ فقالت الأم : وأين نحن من أمير المؤمنين ؟ فقالت الصبية : والله ما كنت لأطيعه في الملاء وأعصيه في الخلا .. لو غابت عنا عين أمير المؤمنين فلن تغيب عنا عين رب أمير المؤمنين .. وفي الصباح استدعاها الخليفة — رضى الله عنه — ثم زوجها من ابنة عاصم ، فكانت زوجة لابن أمير المؤمنين وجدة لعمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين — رضى الله عنهم أجمعين .

اجمع لى أمر الدنيا وصف لى أمر الآخرة :

بهذه العبارة كتب عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — إلى الحسن البصرى فرد يقول : إنما الدنيا حلم والآخرة يقظة ، والموت متوسط بينهما ، ونحن أضغاث أحلام من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر في العواقب نجح ، ومن أطاع هواه ضل ، ومن حلم غنم ، ومن خاف سلم ، ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم ، ومن علم عمل ، فإذا زلت فارجع ، وإذا ندمت فأقلع ، وإذا جهلت فاسأل ، وإذا غضبت فأمسك ، واعلم أن أفضل الأعمال ما أكرهت النفوس عليه ..

أذهبت طبيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتن بها :

من أجل هذا يقول — عمر رضى الله عنه ، لولا أن تنقص جناتي لشاركتكم في لين عيشكم ، ولو شئت لكنت أطيبكم طعاماً ، وأرفهكم عيشاً ولكنى أخاف من الله — تبارك وتعالى —

إن الله عز وجل لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالحسن فإنه ليس بين الله — تبارك وتعالى — وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالتناس شريفهم ووضعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ماعنده بالطاعة .

وإذا كان في الإنسان عشر خصال : تسع منها صالحة وواحدتها سوء الخلق أفسدت هذه الخصلة تلك التسع .

التبسم أبلغ في الإيناس من الضحك .

المروءة مروءتان ظاهرة وباطنة فالظاهرة الرياش والباطنة العفاف .

إلى الله أشكو ضعف الأمين وخيانة القوى .

تواضعوا لمن تتعلمون منهم ليتواضع لكم من تعلمونهم .

بقي أن أودى أنا صدقتى :

عندما استولى صلاح الدين على بيت المقدس فتح أبواب المدينة لمن يرغب في مغادرتها فخرج الأمير يليان ومعه سبعة آلاف فقير بعد أن أدى عنهم ثلاثين ألف درهم ثم تتابع خروج الصليبيين ثم خرج البطريرك الكبير يجر من أموال الكنيسة وتحفها وجواهرها مالا يقدر بمال فلم يعرض له صلاح الدين بشيء مما معه وانقضت أربعون يوماً ولا يزال في المدينة آلاف كثيرة من فقراء الصليبيين لا يملكون فداء فتقدم العادل إلى أخيه قال إنى أستوهبك ألفاً من أولئك الأرقاء فأجابته السلطان إلى طلبه وعند ذلك أعتقهم العادل من فوره ثم جاء يليان والبطريرك وطلباً مثل الذى طلبه العادل فوهبهم صلاح الدين ألف رقيق أطلقوا في الحال .

ثم قال صلاح الدين بقي أن أودى أنا صدقتى ثم أمر رجالا من حرسه أن

ينادوا بأن لكل عاجز عن دفع الفداء أن يخرج حِسْبَةَ لوجه الله كما أطلق للنساء أزواجهن من الحبوس (١) .

فسالت بها الشوارع مدراراً :

يقول هنرى كاسترى إن أحد سلاح يستأصل به المسلمون وأمضى سيف يقتلون به هو الخمر وأن الواجب على المسلمين أن يحفظوا بما حظرته الشريعة عليهم من تعاطى المسكرات ، فإن هذا المنع سبب قوتهم وإن القوة التي كونت فيما مضى عظمة الإسلام لم تندثر بل إن بقاياها آخذة بالمحافظة على المدنية الإسلامية ، إذ انفرد الإسلام بتحريم الخمر وهي مزية لاتجدها في كتب الديانات الأخرى وهي ميزة عظيمة فإنه لم يكذب يبلغ المسلمون تحريم الله للخمر حتى أريقت أدنانها وكتوسها فسالت بها الشوارع مدراراً .. وقال واحد منهم وقد كانت كأسه في يده شرب بعضها .. فلما سمع .. ﴿ فهل أنتم متبهون ﴾ (٢) قذفها قائلاً : « انتبهنا ربنا انتبهنا ربنا » .

إنه أعظم جغرافي عرفته البشرية :

كلمة حق قالها المستشرق « اشبرنجر » في الرحالة المقدسى ويقول صاحب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم :

ما بقيت خزانة ملك إلا وقد لزمته ولا مذاهب قوم إلا وقد عرفتها ، ولا أهل زهد إلا وقد خالطتهم ، ولقد سميت بستة وثلاثين اسماً : دعيت وخوطبت بها مثل مقدسى وفلسطينى ومصرى ومغربى وخراسانى وسلمى وصوفى ومقرئى وفقية وولى وعابد وزاهد وسباح ووراق ومجلد وتاجر ومذكر وإمام ومؤذن وخطيب وغريب وعراقى وبغدادى وشامى وحنيفى وراكب ورسول ؛ وذلك لاختلاف البلدان التي حللتها وكثرة المواضع التي دخلتها .

وقد طاف المقدسى العالم كله ماعدا الأندلس والسند وركب المخاطر في بحر

(١) راجع كتاب التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام للشيخ محمد الغزالي .

(٢) ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متبهون ؟ ﴾ .



الهند والبحر الأحمر والأبيض .

وقال عنه المستشرق « اشبرنجر » إنه أعظم جغرافي عرفته البشرية يقول المقدسي : لم يبق شيء ، مما يلحق المسافرين إلا وقد أخذت منه نصيبا غير ( الكدية ) أى التسول وركوب البكرة فقد تفقهت وتزهدت وتعبدت وفقهت وأدبت وخطبت على المنابر وأذنت على المنائر وأقمت في المساجد وذكرت في الجوامع واختلفت إلى المدارس وتكلمت في المجالس وأكلت مع الصوفية الهرائس ومع الخافقانيين التراثد ومع النواقي « الملاحين » العصائد وطردت في الليالى من المساجد وسحت في البرارى ، وتمت في الصحارى ، وصدقت في الورع زمانا اندمجت بعباد جبل لبنان وخالطت حينما السلطان وملكيت العبيد وحملت على رأسى بالزنبيل وأشرفت مرارا على الغرق وقطع على قوافلنا الطرق وخدمت القضاة والكبراء وخاطبت السلطان والوزراء وبعثت في الأسواق وسجنت في الحبوس وأخذت على أنى جاسوس .. إلخ .

هذه الأمة :

يقول توينبى « إننى أعبط أبناء المجتمع العربى لما تضيفه عليهم الأمة العربية بأنه فى داره مادام فى بلاد عربية إسلامية فالعراق والمصرى أو النجدى أو الحجازى أو المراكشى أو التونسى لا يجد فرقا فى الجو الاجتماعى وروح الحياة العربية وعقليتها السياسية بين الرباط وتونس والجزائر والقاهرة وجدة ودمشق وبغداد والبصرة » . ونقول هذه هى وحدة الثقافة وهذه هى وحدة الأمة ومصدرها الوحيد هو الإسلام (١) .

(١) أضف إلى ذلك ما ذكرناه سلفا عن الفرق بين الثقافة والعلم ، ورددوا مقاله أسلافكم :

أبى الإسلام لا أب لى سواه	إذا افتخروا بقبس أو تميم
ولست أبالى حين أقتل مسلما	على أى جنب كان فى الله مصرعى
وطنى الإسلام لا أفدى سواه	ويشوه أين كانوا إخوانى
مصر والشام ونجد ورياه	مع بغداد جميعا أمتى
وإن دعا فى ترى الأهرام ذو ألم	أجابه فى ذرا لبنان منتحب

وصدق الله العظيم : ﴿ وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ .

## هذه النفحة الإلهية :

يقول محمد قطب : على الإنسان أن يزكى نفسه ولا يدنسها بأن يجلو فطرتها فتهدى إلى الله خالقها وتستمد منه التوجيه ، وحين يحدث ذلك تصبح هذه الذرة الضعيفة التائهة الغائبة أقوى عنصر على الأرض وأضخم طاقة . هذه النفحة الإلهية في الإنسان تهتدى إلى الله بالفطرة مادامت سليمة والإنسان هو الذى يركسها ويغشها فلا ترى سبيلها إليه وحينئذ تنحرف وتضل وتحدث كل أنواع الظلم لنفسه وللآخرين وكل أنواع الفحش وكل ألوان الفساد .

## أسطول صلاح الدين :

من أهم مواقع الحروب الصليبية معركة بحر عيذاب، وقد اهتم بها المؤرخون وأوردوها في تفاصيل واسعة أوردتها ابن جبير وابن الأثير وابن شداد وسيط ، وابن الجوزى ، وأبو شامة وأبو الفداء وابن الوردي ، وابن خلدون ، والمقرئى ، وخلاصتها أن صاحب الكرك الإفرنجى أنشأ أسطولا قسمه إلى فرقتين فرقة أقامت على حصن أيلة تحاصره وتمنع أهله من الوصول إلى الماء وفرقة سارت إلى عيذاب ، تقطع الطريق ، وتهاجم السفن الإسلامية المتجهة إلى الأراضى المقدسة ، وقد ندب صلاح الدين قائده المبرز ( حسام الدين لؤلؤ ) فتحرك على رأس أسطول ضخم ، وهاجم الفرنجة فوجهه إلى الفرقة التى تحاصر أيلة أولا وهزمها ثم قصد إلى الفرقة الثانية التى كانت عازمة على دخول مكة والمدينة فهاجمهم وانتصر عليهم .. ولما هربوا إلى البر قتل قسما كبيرا منهم وأسر قسما آخر .

## المستشرق وآية واحدة من القرآن « منهج الله » :

يقول الأستاذ كامل كيلانى فيما روى من ذكرياته كنت مع الأستاذ « فنكل » وهو من المستشرقين وكانت بينى وبينه صلات أديبة وثيقة وكان يأخذ برأى فى كل المشكلات التى تقابله فى الأدب ، لما يعتقد فى من الصراحة ، ففى ذات يوم همس فى أذنى وقال : خبرنى عن رأيك بصراحتك المعهودة أمن يعتقدون إعجاز القرآن أنت ؟ أم لعلك تجارى جمهور المسلمين الذين يتلقنون ذلك كابرا عن كابر ، وابتسم ابتسامه كل معانيها لا تخفى على أحد وهو يحسب أنه ألقى سهما لاسبيل إلى دفعه ، فابتسمت له كما ابتسم لى ..

يقول الكيلاني : وقلت لكى تحكم على بلاغة أسلوب بعينه يجب أن تحاول أن تكتب مثله أو تقلده ، فلنحاول ، ليظهر لنا أنحن قادرون أم عاجزون عن محاكاته وقلت فلنجرّب مثلاً أن نعرّ عن سعة جهنم ، فما نحن قائلون : فأمسك بالقلم وأمسكت به فكتبنا نحو عشرين جملة متغيرة الأسلوب يعبر بها عن هذا المعنى .

فقلت مبتسماً ابتساماً الظافر الواصل : الآن تتجلى لك بلاغة القرآن بعد أن حاولنا أن نحكيه في هذا المعنى .

فقال : هل أدى القرآن هذا المعنى بأبلغ مما أديناه ؟ فقلت لقد كنا أطفالاً في تأديته فقال مدهوشاً وماذا قال ؟ قلت ﴿ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ؟ ﴾ .

فصعق أو كاد ، وفتح فاه كالأبله أمام هذه البلاغة المعجزة وقال صدقت نعم صدقت حقاً إنه كلام الله .

وإذا غاب الإيمان تحول المقاتل إلى جسد بلا روح وإلى آلة بلا أمل :

إن الرجوع إلى الدين وإلى تاريخنا يولد الثقة بالنفس فيدفع إلى الشجاعة والتضحية وقد فتح العرب الدنيا بفضل إسلامهم وإن قوات الكوماندوز العربية في حرب سنة ١٩٤٨ كان عددها لا يتجاوز ١٥٠٠ جندي يقودهم عدد محدود من الضباط لا يتجاوز العشرة ، وعلى رأسهم الشهيد أحمد عبد العزيز لم ينهزم في أى معركة خاضها ضد القوات الصهيونية بفضل تمسكها بالدين (١) وإيمانها .

إن عامل التطور في نوعية السلاح عامل هام لا يمكن إغفاله ، ولكن الإيمان هو العامل الحاسم الذى يحدد نتيجة المعركة — أى معركة — ذلك أن الإيمان هو الروح وهو الحافظ وهو الأمل للمقاتل وإذا غاب الإيمان تحول المقاتل إلى جسد بلا روح وإلى آلة بلا أمل اهـ « من كلمات عبد الرحمن عزام » .

أول عربى وصل إلى الدنيا الجديدة :

أشارت مجلة المورد إلى رحلة أول مواطن عربى إلى الولايات المتحدة وهو

(١) لأنها تربت في كنف دعوة الإخوان المسلمين ورائدها الشهيد حسن البنا رحمه الله .

العراق إلياس الموصلى قام بهذه الرحلة عام ١٦٦٨ م حيث غادر بغداد إلى القدس ، فحلب ، فالإسكندرية ، فالبنديقية ، وفرنسا ، وأسبانيا ، والبرتغال ، موصيلية ، ومن أسبانيا ذهب إلى أمريكا الجنوبية واسغرقت رحلته خمسة عشر عاما ثم عاد إلى أسبانيا عام ١٦٨٠ م .

### غاز الأوزون وصلاة الفجر :

أعلن العلماء أن هناك ريحا تهب في ساعات الفجر تطفئ الجو تلطيفا مؤثرا يحسه الإنسان إحساسا كاملا ، ويتذوق حلاوته وهى ريح لاشبيه لها في أية ساعة من ساعات الليل أو النهار .

هذا الغاز يطلق عليه اصطلاحا ( غاز الأوزون ) الذى يرتفع بنسبة عالية في وقت الفجر وتقل تدريجيا حتى تضحل عند طلوع الشمس له تأثيرات على الجهاز العصبى والمشاعر النفسية العميقة والنشاط العصبى والفكرى ..

وقد أشار العلماء إلى غاز الأوزون تتشبع به الحويصلات والمسام وينقل إلى الدورة الدموية فضلا عن غاز اليود الذى ينقى الرئتين وصدق الله العظيم ﴿ إن قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ دفعا للمسلم إلى صلاة الفجر ، ليحصل السعادتين ، وصدق رسول الله ﷺ « بورك لأمتى في بواكيرها » .

فما أجمل الإسلام وأجمل بشعائره : إنه منج الله .

من زهد في الدنيا أنبت الله الحكمة في قلبه :

قال جعفر الصادق : من أخرجته الله من ذل المعاصى إلى عز التقوى أغناه الله بغير مال وأعزه بغير عشيرة . ومن خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء ، من رضى من الله باليسير من الرزق رضى الله عنه باليسير من العمل ، ومن لم يستح من طلب الحلال خفت مقوته ونعم أهله ، ومن زهد في الدنيا أنبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا . داءها ودماءها وأخرجها منها سالما .

### ● الشخصية المحمدية :

احتفلت جامعة شيكاغو سنة ١٩٦٠ بافتتاح قاعة محاضراتها الإسلامية

وتحدث الدكتور « ديكان بلال مكدونالد » فقال :

إن الشخصية المحمدية لاتزال بعد أربعة عشر قرنا مصدر المدد المتصل في تقوية المسلم ولقد أقام الإسلام بين أتباعه أخوة عامة قلَّ أن يوجد لها نظير بين أتباع الكنيسة الواحدة .

ابن الآمدى سبق برايل إلى اختراع طريقة الكتابة للعميان :

كشف أحمد زكى باشا شيخ العروبة في المؤتمر الدولى الذى عقد في مصر عام ١٩٠٦ أن علماء العرب قد سبقوا الأوربيين إلى اختراع طريقة الكتابة بالحروف البارزة الخاصة بالعميان فلخص كتاب نكت الهميان في نكت العميان لصالح الدين الصفدى وقال إنه يرجع إلى ابن المشرق الفخر في وضع طريقة الكتابة بالحروف البارزة للعميان ( على بن أحمد بن يوسف ) المشهور بزين الدين الآمدى الذى فقد بصره في أول عمره وشرح طريقة معرفته شكل حرف من الحروف وألصقها في الكتاب وكانت هذه الحروف هى التى يستعين بلمسها على معرفة ثمن الكتاب وبهذا يكون ابن الآمدى المتوفى سنة ٧١٢ هـ قد سبق برايل إلى اختراع طريقة الكتابة للعميان بنحو ستائة سنة .

انتهينا ربنا ... انتهينا ربنا .. :

عن أبى بريدة عن أبيه بينما نحن قعود على شراب لنا ونحن نشرب الخمر إذ قمت حتى أتى رسول الله فأسلم عليه وقد نزل تحريم الخمر فجمت أصحابى فقرأت الآية عليهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ؟ ﴾ قال وبعض القوم شربته في يده شرب بعضا وبقي بعض في الإناء ، فأراقوا مافى كئوسهم ثم صبوا مافى باطيتهم وقالوا انتهينا ربنا .. انتهينا ربنا ..

وما تكونت عصابات محاربة التهريب ولا لجأت الدولة إلى أحكام الإعدام والسجن والمصادرة للأموال والأموال كما فعلت أمريكا ولم تفلح في مكافحة

(١) رواه ابن جرير بسنده في تفسير ابن كثير .

الحمر ، ولكنها المبادرة إلى التنفيذ في يسر وطاعة ورضا ، امتثالاً لأمر القرآن .  
حقاً إنه الإسلام إنه منهج الله (١) .

وهذا مثل من الأمثلة التي خلقت أبواب كثير من المستشرقين منهم هنرى  
كاسترى سالف الذكر .

\* \* \*



(١) عن منهج القرآن في التربية بتصريف محمد شديد  
وزاجع كتاب د . يوسف القرضاوى الإيمان والحياة باب أثر الإيمان في حياة الفرد والجماعة .

## الفصل الرابع

وأنتم معقد الأمل ومحط الرجاء  
يا شباب

- شبيبة الإسلام .
- من اعتر بهذه الكلمة .
- وخلصمة القول .
- الغرب يكتشف عظمة الإسلام .
- والفرصة مواتية لدعاة الإسلام .
- قبل أن نقرأ .
- من حدود الصين إلى منابت الزيتون .
- نريد أمير المؤمنين .
- في ظلال القرآن .





## شبهة الإسلام :

هذه نماذج بشرية من صنع الإسلام وتربية محمد ﷺ سقتها على سبيل المثال للمجتمع المثالي في ظلال الإسلام .. وهى قطرات من بحر وورود من مروج .. صحيح أنها نماذج ممتازة فى تاريخ البشر .. ولكن المهم أنهم بشر ولكنهم بشر تشربت أرواحهم النور الربانى ، فارتفعت أرواحهم به وسمت نفوسهم حتى صارت إلى تلك النماذج العالية التى تشرف بها الإنسانية فى جميع أحقابها وأحوالها والتأسى بهم ، والافتداء بأعمالهم وأفكارهم ومشاعرهم محاولة مفتوحة أمام المسلمين فى كل جيل يصلون منها إلى ماتقدر عليهم نفوسهم ، بل ومحاولة مفتوحة أمام غير المسلمين ليحربوا الإسلام — دين الله الحق — منهج الله القويم ، فقد كان رسول الله ﷺ هو الأسوة والقدوة ، وكانت كل دقيقة من حياته مبسطة أمامهم ؛ لتكون النموذج الكامل الدائم الذى يرجعون إليه فى كل تصرفاتهم ويحاولون بقدر مايطيقون أن يقتبسوا منها ، ويقتدوا بها ، ويترسموا سلوكها فى الشدائد والصعاب واضعين نصب أعينهم ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ ولا يسعنى فى هذا المقام المحدود إلا أن أحيل القارىء على كتب السيرة والتاريخ الإسلامى الصافى ، ليُحلق فى هذا الجو العبق ، وينهل من المنهل العذب ، ليتبين صور المجتمعات الإسلامية عبر القرون التى عاشت فى ظلال الإدراك الصحيح لمفهوم الإسلام ومرامى الدعوة الإسلامية .

## فتية الإسلام: (١)

هذا هو المجتمع المسلم الذى ساق الخير للبشرية جمعاء كلما كان تحت راية القرآن وملتزمًا بسنة النبى ﷺ فإذا انحرف وتنكب الطريق كانت هزيمته وكانت نكسته وكانت غلبة الكفار عليه .. هذا المجتمع هو الذى خلف لنا هذا التراث الخالد ، ولكننا من بعدهم بعدنا على الخط رويدا رويدا بيدنا النور ولكننا انبرنا بشموع ذابلة من هنا وهناك .

كالميس فى البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

(١) فتيانا وفتيات .

حتى صار المسلمون إلى ماصاروا إليه اليوم من انحراف عن الإسلام ؛ فقد انحسر المد الإسلامي ، وانحصر في نفوسهم مفهومه إلى هذه الصورة الهزيلة التي صارت — في أحسن حالاتها — مجموعة من الشعائر التعبدية المخلصة وفي معظم حالاتها عبادة لله ( بالنية الحسنة ) وفي أسوأ حالاتها خروجاً صريحاً على الدين ، ونفوراً منه ، وانسلاخاً من كل رابط يربطهم بتعاليمه .

والمصلحون من المسلمين بين هذين الخطين في حيرة يحاولون التقريب ويلتمسون المعاذير .

فيأياها الشباب : هل وفاة الرسول ﷺ وذهاب تأثير شخصيته المباشرة على نفوس المسلمين معناه تحطيم المجتمع الإسلامي وتدمير قواعده من الأساس؟ لا... فإنه تصدنا حقيقة واقعة في تاريخ الإسلام والمسلمين من حياة المجتمع الإسلامي في حياة الخلفاء الراشدين ، ثم حياة الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز بعد كبوات وهفوات ثم صحوة تعقبها كبوات ثم صحوة بين غفوات وغفوات ؛ إذ الإسلام كلمة الله وهي كلمة حية لاتموت .

لم يميت والشرع يغزو الأعصرا	واليوم.. هل مات النبي محمد؟ لا
ومضى إلى الأخرى حقيراً صاغراً (١)	لا.. لم يميت بل مات كل مكابر
يدعو إلى الإصلاح يهدى الفاجرا	لا.. لم يميت وكتاب ربي بيننا
في ظل سنتك النشيد مطهرا	ياخير خلق الله إن تحيتي
ويقود للحسنى رفيقاً طاهراً	فعتاه للماضي يكفر بعضه
دبجتها فيكم محبا شاعرا	حاشا لمثلك أن يرد تحية

من اعتر بهذه الكلمة أعزه الله :

والمجتمع المسلم الذي يتمسك بها ، يحيا لها ويموت من أجلها ، لا شك أنه واصل إلى ماوصل إليه سلفه الصالح من سعادة في الدنيا وفوز بالجنة في الآخرة .. لقد جرب الإسلام كنظام فنجح وأسعد البشرية كلها فخلص الناس من ظلم الفرس والروم ، ومن استعباد الأكاسرة والقياصرة وجرب كدين ومنهج فنعمت البشرية في ظلاله ورفرفت الرحمة والعدالة والأمن والسلام على أرجائها . ولكن

(١) أي المكابر .

مع الأسف خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فانتفض الحاقدون منتهزين غفلة المسلمين وضعفهم وأنقضوا على رقعة الإسلام ينتقصونها من كل جانب حتى مزقوا الشمل . وبدعوا يتلعونها لقمة لقمة .. ثم أفقتم يا شباب على مدنية زائفة وشعارات جوفاء من الشرق والغرب سرقت معانيها من مبادئ الإسلام — كدين — وتنادوا بها — كنظام — يفرض بالسلطة والسيادة والسخررة والرق ، والاستعباد والاستعمار ( أقصد الاستخراب ) استخراب الأرض والفكرة والعقيدة وإن انتصروا فألى حين ؛ فكل منهج غير منهج الله إلى زوال .

ونظرة إلى شعيرة واحدة من شعائر الإسلام — ياشيية الإسلام — تريكم كيف تجمع كل هذه النظم الأرضية التي تسمعونها وهم يتشدقون بها وكأنها أطواق النجاة جهالة بأنها مبدأ مسروق من مبادئ الإسلام ؛ وسميت بأسماء جديدة واستعملت في غير ما وضعت له .. وبالمثال يتضح المقال : الإمام في الصلاة مثلا : متابعتة فرض وطاعته واجبة وصدق رسول الله ﷺ « إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا قرأ فأنتوا » فسرقوا هذا المبدأ مبدأ الاتباع والطاعة للإمام وطبقوه على الحياة كلها وخلعوا عليه اسم الدكتاتورية ، فإذا أخطأ فقد منح الإسلام المأموم حق التوجيه والتصويب فيقول الرجل سبحان الله أو يفتح عليه فيصحح له الآية القرآنية التي أخطأ فيها .. وأما المرأة فترده إلى الصواب بالتصفيق .. سرق بعضهم هذا المبدأ وطبقوه في مجتمعهم في مناسبة وغير مناسبة وأطلقوا عليه اسم الديمقراطية .

المساواة في الصف في مساجد الله حيث يقف الفقير بجوار الغني والعظيم بجوار السوقة الأول فالأول والآخر فالآخر سواسية كأسنان المشط .. سرقوا ذلك وسماه بعضهم اشتراكية وسماه البعض الآخر شيوعية إلى غير ذلك من الأسماء التي ابتدعوها هم جميعا يطبقون المبادئ التي سرقتها وابتدعوها في شتى ميادين الحياة ، إنما الإسلام يضع كل شيء في موضعه وكل نظام في محله الاسم المناسب على المسمى المناسب والوسيلة المناسبة للغاية المناسبة لأنه منهج الله .

ثم ما بالكم لو تمنعتم في شعيرة الزكاة أو الصدقة (١) أو شعيرة الصوم أو

(١) راجع كتاب دراسات إسلامية للشهيد سيد قطب موضوع التكافل الاجتماعي وكتاب العدالة الاجتماعية في الإسلام .

فريضة الحج أو الجهاد .. إذن لرأيتم وأدركتم حقيقة دينكم القيم .. نظام الحياة الكامل ، إنه لو طبق في الأرض — كما أنزل — لسعدت الإنسانية كلها ، ولنعمت البشرية كلها ، ولساد الأمن والسلام ولوضعت الحرب أوزارها ، ولعم الرخاء ، ولسادت الرحمة والسلام ، وعم الأمن وشاع العدل ، وسعد الأنام .

ويجب على دعاة الإسلام ألا يهادنوا في ذلك أو يدهانوا فليطلبوا من الناس الرجوع إلى الإسلام ، ولا يقولوا مرة تحت عنوان ديمقراطية الإسلام ومرة اشتراكية الإسلام .. إلخ . لتبرير نقل نظمهم إلينا وإقناع الدهماء بمذاهبهم .. لا ..

إنما هو الإسلام والإسلام فقط<sup>(١)</sup> إنه منهج الله وهذه رسالتكم فنية الإسلام وأنتم معقد الأمل يا شباب ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ .

ياحماة العروبة . ياورثة الإسلام ، يأتباع محمد عليه الصلاة والسلام هذه رسالتكم — وهى شاقة صعبة — حيث البداية من الصفر تربية أنفسكم كأفراد ، ثم تكوين البيت المسلم ، ثم المجتمع المسلم المثالي ثم المجتمعات الإسلامية كأمة واحدة ثم الانطلاق إلى آفاق الأرض لدعوة المجتمعات البشرية كلها إلى عبادة الله الواحد القهار ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ﴾ .

فنية الإسلام ﴿ وما ذلك على الله بعزيز ﴾ لو خلصت النية وصدقت العزيمة لرأيتم ذلك حقيقة واقعة وتلك سنة الله في خلقه ﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾ .

استمعوا إلى ربكم يقول : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ﴾ كل شيء من سلطان المال والعلم والسلاح والاقتصاد ولكنهم فقدوا الطمأنينة ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ ﴿ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ .

وهو يقول : ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا

(١) راجع كتاب معالم في الطريق ص ١٥٤ وكتابنا حاضر العالم الإسلامي ، فصل ( العالم الاسلامى .. ماهو ؟ ) وكتاب الشيخ أبى الحسن الندوى ماذا خسر العالم باخطا المسلمين ؟ .

من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل حمط وأثل وشيء من سدر قليل ذلك جزياهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور ﴿

واستمع إليه يقول : ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا ﴾ ويقول ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ وهو يقول : ﴿ وتلك الأيام نداؤها بين الناس ﴾ ووعد الله لا يتخلف لمن يأخذ بالأسباب ويحسن الاقتداء ويخلص في الأسوة ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ويمكّن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونى لا يشركون بى شيئا ﴾ .

فتية الإسلام : انطلقوا على بركة الله ، والله معكم ولن يتركم أعمالكم وضعوا نصب أعينكم ما قدمته لكم من مقومات المجتمع المسلم فى (١) ظلال القرآن الكريم ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما \* والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما \* إنها ساءت مستقراً ومقاماً \* والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما \* والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً \* يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهاناً \* إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً \* ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً \* والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً \* والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً \* والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماماً \* أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً \* خالدن فيها حسنت مستقراً

(١) من مقومات المجتمع المسلم : حتى لا تنسى .

١ - التحرر الوجداني المطلق .

٢ - المساواة الإنسانية الكاملة

٣ - التكافل الاجتماعى .

٤ - العمل للدنيا والآخرة .

ومقاماً \* قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً ﴿ صدق الله العظيم ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ القرآن الكريم كله ، السنة المطهرة كلها ، القدوة الحسنة . وصدق الرسول الكريم « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي » أو كما قال ﷺ .

فتية الإسلام هذه باختصار شديد هي رسالتكم وهي كما قلت شاقة وصعبة ولكن ﴿ أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ﴾ « حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات » أو كما قال ﷺ وقد تحمل أعداؤكم المشقة في سبيل نشر باطلهم وقد تكتلوا وتحالفوا مع الشيطان ﴿ ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ وأنتم على الحق تفرقون ؟ كلا فأنتم حزب الله ﴿ ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ فقوموا ركضوا إلى الله بيديكم مفاتيح الأرض وفي قلوبكم مفاتيح الجنة .

### ركضا إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد

فتية الإسلام : أنتم أسياد العالم بهذه الرسالة الخالدة ، وأنتم لا شيء بدونها فلا تكونوا عبيداً لغير الله ، ولا إمعات لغيركم من البشر مهما سبقوكم في مضمار الحياة ولا تقلدوهم إلا فيما ينفعكم في الدنيا ولا يورثكم الهلكة في الآخرة ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾ وحدوا الصف ، وحدوا الهدف ، استكملوا العدة ﴿ اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ فلم يبق بعد ذلك إلا ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ﴾ .

وخلاصة القول : أن رسالتك أيها المسلم ورسالتك أيها المسلمة : هي الإسلام ككل ( دون إفراط أو تفريط ) الإسلام بأركان الستة وما شيد فوق الأركان : خمسة في حديث ( بُني الإسلام على خمس ) والسادس في حديث السيدوسى — رضى الله عنه — ( ذهب لرسول الله ﷺ لأبابعه على الإسلام فاشتراط على شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن أقيم الصلاة ، وأن أؤدى الزكاة وأن أصوم رمضان وأن أحج حجة الإسلام ، وأن أجاهد في سبيل الله ، فقلت يارسول الله أما اثنتان فوالله ما أطيقهما : الجهاد والصدقة ، فأما

الجهاد فإنهم زعموا أنه من ولى الدبر فقد باء بغضب من الله ، وأخاف إن حضرت تلك جشعت نفسى وكرهت الموت . وأما الصدقة فوالله مالى إلا غنيمة وعشر ذود (١) هن رسل أهلى وحمولتهم ، قال : فسكت رسول الله ﷺ هنيهة ثم ضرب كفا بكف ثم قال « فلا جهاد ولا صدقة فلم تدخل الجنة إذن ؟ » قال السدوسى (٢) — رضى الله عنه — : فقلت يارسول الله : امدد يدك فأنا أباعك قال فبايعت عليهن كلهن أو كما قيل ، وفى حديث معاذ — رضى الله عنه — وهو حديث طويل ( رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد .. ) (٣) .

وما أكثر آيات القرآن التى تحض على الجهاد وتنظمه وتوضح وسائله ومقاصده ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴾ ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ﴾ .

أخى المسلم أختى المسلمة هذه رسالتك رسالة سيد الأنبياء ومن قبله من الرسل ﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ﴾ . ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ﴾ ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين ﴾ ﴿ يأياها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾ وصدق رسول الله ﷺ : « لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل » من عظمة مايعلم من منزلة الشهداء فى الجنة .

وعلى هذا الدرب سار الصحابة والتابعون ومن تبعهم .. تنافسوا فى هذه التجارة الراجحة حتى العجزة منهم وأصحاب العاهات والنساء .

ويسرنى أن أعيد على مسامعكم حديث الأسرة المسلمة التى خرجت بأسرها للقتال فى سبيل الله فى غزوة أحد : عمرو بن الجموح وزوجه هند وأخوها سعيد

(١) الواحد من الإبل .

(٢) وهو بشر بن الحصاصية — مسند الامام أحمد ج ٥ .

(٣) انظر حديث معاذ — رضى الله عنه — فى أول الجزء الأول من هذا الكتاب .

وأولادها الأربعة خلاد وأبو أيمن ومعاذ ومعوذ<sup>(١)</sup> ، والخنساء وبنوها الأربعة واستشهدوا جميعا وهى محتسبة صابرة تقول اللهم اجمعنى بهم فى مستقر رحمتك الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم .

شباب الإسلام إليكم يوجه النداء وعليكم يعقد الأمل وفيكم الرجاء وأنتم محط الأنظار بكم نستدرك مافات ونستعيد التراث فنحن<sup>(٢)</sup> إلى المثوى الأخير راحلون وأنتم<sup>(٣)</sup> إلى فتوة ونضج وتقدم قادمون وشتان ما بين المصيرين يا شباب .

وليس معنى هذا أننا نتخلى عن واجب الجهاد ؟ كلا والله فليس هذا بخلق المسلم ولكننا نأخذ دور عمرو بن الجموح وأمها تكم وعماتكم وخالاتكم وزوجاتكم يأخذن دور هند والخنساء ونسبية وأسماء وأنتم دور على وخالد وصلاح الدين وأحمد عبد العزيز — رضى الله عنهم أجمعين — وألحقنا بهم فى جنات النعيم مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

وليكن هتافنا جميعا ( وعجلت إليك رب لترضى ) وليكن شعارنا ﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾ .

لنقل جميعا فى صدق وإخلاص .

ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى

معتزين بما اعتزوا به :

أنى الإسلام لا أب لى سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

متمثلين قول قائلهم :

(١) والقصة مذكورة فى مقدمة رسالة المرأة من هذا الكتاب وتروى القصة أيضا فى السميرا بنت قيس إحدى نساء بنى ديار وقد أرسلت ابنا النعمان بن عبد عمرو وسليم بن الحارث ص ٣٨ من كتاب شهداء الإسلام فى عهد النبوة د . سامى النشار .

(٢) الشيوخ .

(٣) الشباب .



ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أظفارنا تقطر الدما

ياشباب : أذكركم وأذكر نفسي بأنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ولا خير في حياة يحياها المرء بغير قلب .. ولا خير في قلب يخفق بغير حب ولا خير في حب يكون دون الجنة ( ليس الإيمان بالتمنى (١) ولكن ماوقر في القلب وصدقه العمل وإن قوما غرتهم أماني المغفرة خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم فيها قالوا كنا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل ) أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

ياشباب الإسلام : هذا طريق البناء والتاريخ يعيد نفسه والبقاء للأصلح ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾ ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾ وتذكروا وعد ربكم واستخلافكم والتمكين لكم واستبدال خوفكم أمنا تعبدونه لاتشركون به شيئا : أي شيء ثم ماذا ؟

﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور ﴾ .

ياشباب : إنكم إن فعلتم ذلك بصدق كنتم بحق خير أمة أخرجت للناس وعسى أن يكون المخرج على أيديكم فتفوزوا بسعادة الدارين ويتحقق قول الرسول الكريم فيكم « أتدرون من أعجب الناس إيماننا ؟ قالوا الملائكة يارسول الله قال لا كيف لا يؤمنون وهم عند ربهم ؟ قالوا الأنبياء يارسول الله . قال لا كيف لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم ؟ قالوا نحن يارسول الله . قال : لا . كيف لاتؤمنون وأنا بين ظهرانيتكم ؟ قالوا فمن إذن يارسول الله ؟ قال أقوام يأتون من بعدى يؤمنون بي ولم يروني الشهيد منهم بمائة شهيد . قالوا منهم ؟ قال : لا بل منكم أنتم . أنتم تجدون على الحق أعوانا أما هم فلا يجدون » أو كما قال صلى الله عليه وسلم .  
فالأمر إذن جد خطير إنه أمر العقيدة من أساسها ثم هو سعادة البشرية أو شقاؤها وقد حملتم أنتم المسلمين هذه الأمانة . إن هذه البشرية — وهي من صنع

(١) في رواية ولا بالتحلى — رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس بن مالك وهو مذكور في كتاب الجامع الصغير وأحاديث البشير النذير لجلال الدين السيوطي ص ١٣٤ .

الله — لا تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفتاح من صنع الله ولا تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذى يخرج من يده سبحانه وقد جعل في منهجه وحده مفاتيح كل مغلق (١) وشفاء كل داء ﴿ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ﴾ ﴿ إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويشير المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً ﴾ ﴿ إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون . وإنه هدى ورحمة للمؤمنين ﴾ .

ولكن هذه البشرية الضالة في جاهلية القرن العشرين وفي علمائيتها وإلحادها لا تريد أن ترد هذه الصنعة إلى صانعها ولا أن تذهب بالمريض إلى مبدعه ، ولا تسلك في أمر نفسها وفي أمر إنسانيتها ومصيرها وسعادتها أو شقوتها ماتعودت أن تسلكه في أمر الأجهزة والآلات المادية الزهيدة التي تستخدم في حاجاتها الصغيرة وهي تعلم أنها تستدعى لإصلاح التلفاز مثلا المهندس المتخصص في الألكترونيات الذى يستهدى بالكatalog الذى صممه المهندس صانع هذا التلفاز وهكذا في كل آلة ولكنها لا تطبق هذه القاعدة على الإنسان نفسه فترده إلى المصنع الذى خرج منه ، ولا أن تستفتى المبدع الذى أنشأ هذا الجهاز الإنسانى العجيب العظيم الدقيق اللطيف الذى لا يعلم مساربه ومدخله إلا الذى أبدعه وأنشأه .. ﴿ إنه عليم بذات الصدور ﴾ ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟ ﴾ ألا فلتعلموا أن الاحتكام إلى منهج الله ليس نافلة ولا تطوعاً ولا موضع اختيار .. إنما هو إيمان أولاً وإيمان ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم .. ﴾ ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ، إنهم لن يغفوا عنك من الله شيئاً ، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض .. والله ولى المتقين ﴾ (٢) .

من هنا — من البعد عن منهج الله — كانت شقوة البشرية المسكينة الضالة

(١) تراجع موضوع : المفتاح الفذ لأفعال الحياة لأبى الحسن الندوى في كتاب بين العلم والإيمان للدكتور يوسف القرضاوى .

(٢) ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم .. الفاسقون .. الظالمون .. الكافرون .. الآيات في سورة المائدة .

الحائرة التي لن تجد الرشد والهدى ، ولن تجد الراحة والأمن والسعادة إلا حين ترد الفطرة إلى صانعها الكبير — سبحانه — كما ترد الجهاز الصغير إلى صانعه الصغير ، وليكن ذلك على أيدي شباب الإسلام — إن شاء الله — حتى تعود البشرية إلى النظافة والجمال ، والعظمة والارتفاع والبساطة واليسر والواقعية والايجابية ، والتوازن والتناسق — الذي كان وحدث بعد الجاهلية الأولى ببعثة محمد — ﷺ — في ظلال القرآن ، ومنهج القرآن وشريعة القرآن ، وتطبيق النبي له عليه الصلاة والسلام واتباع الصحابة والتابعين لسنته وتوصيلهم الأمانة إلينا حتى تركونا على المحجة البيضاء .

وليكن ذلك على أيديكم أنتم يا شباب .. ولن يكون إلا إذا انتهجتم أنتم أولاً منهج الله منهج مجتمع المدينة المنورة ، وسلكتم سبيل المهاجرين والأنصار في الغاية والوسيلة .

فسيروا على بركة الله .. والله معكم .. ولن يترك أعمالكم ..

﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء .. كل امرئ بما كسب رهين .. ﴾ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا : أطيعوا الله ورسوله ، ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون .. إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون . ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم .. واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون واتفقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا إن تقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ﴾ ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وهم اللعنة وهم سوء الدار ﴾ .

والدور لكم يا شباب ، وليعرف كل منكم واجبه .. وما تزال تجربة الذين دخلوا الإسلام من المثقفين الغربيين بحاجة منا إلى نظر وتأمل .. ولقد أقام ( روبرت ولزلي ) في القاهرة بعد أن فقد كل ما يملك من أهل ومال ، في بلاده وعمل أستاذاً في جامعة الأزهر — بعد أن أعلن إسلامه .. فسمى عبد الرشيد الأنصاري يقول : إذا أراد العرب أن يتقدموا فعليهم أن يفرقوا بين ما يجب أن يتعلموه من الغرب ، وما لا يجب ؛ إذ أن كثيراً من علوم الغرب ضار وخطر ، ولقد خسرت الشعوب الغربية الشيء الكثير بقدر ما كسبت من خلال نضالها في سبيل التقدم . وأصبح المجتمع الغربي مجتمعاً غير متزن ولا منسجم مع طبيعة الحياة البشرية إنه مجتمع مترف ولكنه غير قانع ، ويرجع ذلك إلى أربعة عوامل : الثورة الصناعية — الحرمان — النضال في سبيل المساواة بين الجنسين ( ولعله أهمها جميعاً ) — فقدان الثقة في الكنيسة المسيحية . إنهم لا يذهبون إليها إلا ثلاث مرات عند تعميدهم ، وعندما يتزوجون ، وعندما يموتون ، إن الشجرة بلا جذور سرعان ماتسقط ، وهكذا الحال بالنسبة لكل الحضارات مهما بلغت من التقدم . أما الإسلام فإن جذوره مكيئة تمتد في أرض الله القوية المتأسكة .. وإذا درست فإننا نراه يمتد من هذه الجذور شجرة قوية من الإيمان الخالد .. إن قوته سوف تحمينا ، وثمرته هي غذاء لأرواحنا ، ومنبع قوتنا .. لهذا فإن على كل مسلم في كل قطر أن يدرس دينه ويفهمه حق الفهم .. بل يجب أن يدرس كذلك لغة الدين : ألا وهي اللغة العربية .. إن اللغة العربية هي جزء من تراثنا .. كما أنها في نفس الوقت هي لغة القرآن .. إنها لغة مقدسة ، حيث أنزل الله بها كتابه الكريم إلى العالم ..

إن القرآن واللغة لا يمكن انفصال بعضهما عن بعض لفهم العالم الذي حولنا ، وبدراستهما تتلاشى الحواجز بين الشعوب ، ويزول الشك ، ويعرف بعضنا بعضاً حق المعرفة ، وعلى هذا الأساس يمكن بناء صرح شاخ للعالم الإسلامي وللحضارة الإسلامية ..

إن جميع المسلمين لهم عقيدة ولغة مشتركة وهذان لهما هدف واحد هو الإسلام ..

ويقول : إن الإسلام ليس أثراً من الآثار الساكنة الهادئة تشير إلى ماضي

ميت .. وإنما هو منبع حي للحق ظهر في العصر الإسلامي العربي الذي ورثناه  
تراثا عظيما لنا نفخر به .. ذلك التراث يجب ألا نتركه بسهولة .. إن كلمات  
القرآن مليئة بالمعاني في يومنا هذا كما كانت بالنسبة لأسلافنا وكما ستكون إلى يوم  
يرث الله الأرض ومن عليها .

إنها كلمات مليئة بالحكمة بعثها الله إلى الناس كافة ، وبهذه الكيفية فإنها  
تتعدى حدود الزمن لأنها عندما أحكمت أحكمت خارج حدود الزمن خالدة  
صالحة لكل زمان بل لجميع الأزمان (١) ولجميع الأماكن وللناس — كل الناس .  
الغرب يكتشف عظمة الإسلام :

ولكن العالم والغرب — بخاصة — يصدم حين يرى المسلمين بغير  
إسلام !!! والمرأة بالذات تحدث الأعاجيب حينما تدخل الإسلام (٢) .  
ماذا يمكن أن تعطينا هذه الواقعة (٣) وخاصة إذا كان قد سبقها مثيلات لها ،  
وتعددت حتى أصبحت بمثابة ظاهرة جديدة في أفق الفكر الغربي :

قالت « مارشيليا مايكل أنجلو » وهي ممثلة إيطالية — بعد أن أعلنت  
( إسلامها ) ، وأصبح اسمها فاطمة محمد عبدالله : ذهبت إلى مرسى مطروح في  
الصحراء لأمثل فيلما عن الحرب العالمية الثانية وفي يوم مارأيت مجاميع من الناس  
تتجه إلى مبنى صغير على بابه يخلعون أحذيتهم ليدخلوه حفاة .. تقدمت إلى المبنى  
وشاهدت الناس في صحن المبنى يسرون في خشوع ثم يصطفون ، ليقوموا  
بشعائر معينة سجودا وركوعا ..

سألت وعرفت وكانت هذه المرة الأولى التي أرى فيها مسجدا ، والمرة  
الأولى التي أرى فيها مسلمين يصلون .. شدتني البساطة في صلاة المسلمين ،  
شدتني البساطة في البشر أنفسهم — في المسجد ذاته .. كان الناس — باختلاف  
أعمارهم ومراكزهم وملابسهم — متساوين حفاة يؤدون الصلاة في خشوع

(١) راجع ماقلناه في هذا الكتاب في موضوع إعجاز القرآن .. ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ .

(٢) والكلام لفتياتنا المثقفات اللاتي عميت بصائرهن عن التراث الخالد وانخدعن بالبريق الزائف والعين دائما  
تواقة إلى مافي يد الآخرين .. وأخص بحديثي الفتيات المسلمات الفاقهات لتجذب أختها المسلمة الغافلة  
حتى تعود إلى الإسلام .

(٣) راجع كتاب : ( صفحات مضية ) لأنور الجندي .

وهدهوء ، أحسست أن شيئاً مافى داخلى فى أعماقى يتحرك .. شيئاً لأستطيع بالضببط أن أحدهه .. أن أعرف ماهو ؟ لماذا على وجه الدقة وجدتنى أسمع لى نفسى : إنى أريد أن أكون مسلمة مثل هؤلاء الناس فكرت فى هذا الأمر جيداً ذلك النهار حتى انطوت صفحته ، ومع الليل ظل فكرى ساهراً .. وفى اليوم التالى توجهت إلى المسجد — نفس المسجد — ووقفت أمامه أراقب المسلمين وأتحدث مع بعضهم .. كانوا طيبين أنقياء يتحدثون بلا لف ولا دوران .. أحسست أن مافى قلوبهم على ألسنتهم . ومضت الأيام واستقر فكرى على قرار لا بد أن أكون مسلمة .. كيف ؟ هل الأمر بهذه البساطة ؟ وعدنا إلى إيطاليا ..

٤٠٦

أسرة يرعاها الأب « مايكل أنجلو » الذى يحمل اسم أشهر فنانى عصر النهضة .. أسرة بسيطة متدينة نشأت « مارشلا » فى وسطها حتى تركت « جنوا » كلها وانتقلت إلى روما تدرس فى أكاديمية الفنون . واستلقت جمالها الأنظار فأصبحت « موديل » للرسامين ثم « مانيكان » للأزياء ثم قدمها المخرج المشهور « بتروجريس » للسنيما وتنبأ لها بمستقبل ناجح ، وعندما عادت مارشلا إلى روما .. هل ضاعت الفكرة وسط الزحام ؟ وهل أهاها الضجيج والصخب والأضواء والأهواء ؟ هى نفسها تقول : لا .. بل إن هذا الأمر نفسه كان السبب فى خلافى مع زوجى .. لقد كرهت المظاهر المادية .. أصابنى السأم من الزخرفة والطلاء الذى ليس وراءه شىء حقيقى ، وكان طبيعياً أن يختلفا وأن ينفصلا ..

تقول : إن القرار قرارى أنا وحياتى هى ملكى ، ولأول مرة فى حياتى أشعر أننى موجودة لأول مرة أقرر أمراً مصيرياً تتوقف عليه حياتى كلها ومستقبلى كله . إن أحداً من قبل لم يسألنى عن ديانتى .. أى دين تحبين ؟ .. والآن أختار بنفسى .. إن الحياة تمر بالإنسان عبر فصول من الكفاح مضيفة ولقد يمر فصل منها وربما عشرة دون أن يقرر ( شيئاً جوهرياً ) ثم فجأة يتخذ قراره ، والواقع أن ذلك لا يتأتى فجأة وإنما نتيجة فكر تشكل من تجارب ومؤثرات بلا حصر سأحاول أن الأئم بين دينى وعملى ولكنى سوف أؤدى الشعائر كلها ، سأتعلم العربية ، وأدرس القرآن وأصوم رمضان ، وأصلى ، وأؤدى الحج .. وأنا أبحث الآن عن تفسير للقرآن بالفرنسية أو الإيطالية .

يأتيها السيدة مارشيليا سابقا .. يافاطمة : لماذا أسلمت !؟ (١) .

تقول : البساطة — الطيبة — السماحة — مشهد الناس الطيبين يدخلون في بساطة إلى صحن الجامع المتواضع يصلون في خشوع ، فعل في نفسى هذا فعل السحر .. حرك كوامن مترسبة في أعماق .. أحسست أنى مسلمة قبل أن أعلن إسلامى .. لقد وجدت في دينكم العقل والمنطق .. أنتم ببساطة — وكما فهمت — مؤمنون بالله ورسوله . هذا الرسول بشر مثلنا ورجل عادى اختاره الله لينقل رسالته إلى الناس ليؤمنوا بكتابه القرآن والقرآن دستوره العظيم ينظم حياة الناس ، ليعيشوا متعاونين في خير وسعادة ، وببساطة وبلا مظاهر كاذبة إننى أشعر أنى كما لو كنت قد ولدت من جديد .. !!

﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ؟ ﴾ ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ .

إننى أنا المسلمة قد خرجت من أعمالى لأعيش تاركة علاقتى بالقديم .. سل الذين عرفونى من قبل لقد أدهشتهم السعادة التى أرفل فيها .. إن مسألة إسلامى مسألة تتبع من داخلى وحدى وهو أمر يتعلق بحياتى وحدى وقبل أن أقرر فكرت ودبرت ثم نفذت فى صمت (٢) ..

الواقع أن المرأة الغربية هى أصدق حسا وأعمق فهما للحياة من الرجل ولذلك فهى قد شعرت تماما بمدى الخطر الذى حاصر المجتمع الأوربى والنفس الغربية ..

إن كتابات الدكتورة « لورا فنيشيا فاليرى » الإيطالية التى جمعتها تحت اسم ( محاسن الإسلام ) وترجمها طه فوزى عام ١٩٣٠ لتكشف بوضوح وجهة نظر المرأة الغربية المثقفة فى عظمة الإسلام ثم تجيء بعد سنوات الدكتورة ( سجرىد هونكة ) بكتابتها الرائع ( شمس الله تشرق على الغرب ) فتؤكد نظرة المرأة الغربية إلى الإسلام ثم تجيء حالات متعددة من الدخول فى الإسلام أو الإعجاب به

(١) ومن هنا انبثقت فى نفسى فكرة عنوان الكتاب .. ولماذا أكون مسلما !!؟ .

(٢) فهل فكرت أنت أيها الأخت المسلمة ؟ ..

لتوضح هذه الظاهرة وتعمقها ..

أما الكاتبة البريطانية « إيغلين كويلة » فقد صورت في كتابها « البحث عن الله » تجربتها الرائعة مع الإسلام وهي مجموعة يوميات كتبها بعد أداء فريضة الحج بعد إسلامها ، والكاتبة نبيلة بريطانية استطاعت أن تهتدى إلى الإسلام عن طريق قراءتها في (مقارنات الأديان) تقول : سألتني كثيرون كيف ومتى أسلمت .. ؟ .

وجوابي على ذلك أنه يصعب عليّ تعيين الوقت الذي سطعت فيه حقيقة الإسلام أمامي فارضيت الإسلام ديننا ، ويغلب على ظني أني مسلمة منذ نشأتي الأولى وليس هذا غريبا إذا مراح المرء يفكر في أن الإسلام هو الدين الطبيعي الذي يتقبله المرء فيما لو ترك لنفسه . وإني لأذكر أيام طفولتي ، وكيف أنني صرفت الشتاء مع والدي في قصر عربى في الجزائر ، وكيف كنت كثيرة الرغبة — وأنا مازلت طفلة : في الذهاب إلى المسجد مع بعض الرفاق استمتع بما يغمره من حياة لطيفة رائعة .. ولعمرى لقد كنت مسلمة منذ ذلك العهد — وإن كان هذا مما لم يدر في خلدي .

ثم تناسيت مع الأيام بعد مغادرتي الجزائر صلاتي في المسجد ، وذهبت الأيام بما كنت قد تلقيته من مبادئ العربية الأولى ، ومضت الأيام — فبينما أنا في حوار مع بعض المعارف قلت من غير أن أدري إني من المسلمين ، ولعمرى ما أزال أبحر في الحافز الذي دفعنى إلى ذلك ، وما أعلم أنني رحمت أفكر في الإسلام في كثير أو قليل ..

ومهما يكن السبب فهذا نور جديد أضاء لى مأمامى فكان الحق على أن أقرأ كل ما يتعلق بهذا الدين الذى ارتضيته لنفسى ، وكلما أمعنت في القراءة زاد إيمانى واعتقادى بأن الدين الإسلامى أكثر الأديان طواعية وقربا من العقل ، وأنه الدين الوحيد الذى يستطيع تفسير النظم الحافظة والبلوغ بالإنسانية إلى ما ترحبه وتطلبه من سلام وطمأنينة ..

ولقد زرت المدينة المنورة ومسجد الرسول محمد ﷺ ووقفت مبهورة ذاهلة . باكية مسترجعة من خشية الله ، ذلك أن العظمة والعبقرية يهزان القلوب ويشيران



الأفئدة .. فما بالك بالعظمة إذا انتظمت مع النبوة ؟ وما بالك بها وقد راحت  
تضحى بكل شيء في الحياة في سبيل الإنسانية وخير البشرية ؟

رحمتك اللهم : رجل تبعث به أمة كاملة وترسل على يديه ألوان الخير إلى  
الإنسانية ؟ ثم مشيت نحو المسجد ، وكانت الشمس قد أشرقت أو كادت ..  
وكان النهار ما يزال باردا زاهيا فلما تلمسنا مدخل المسجد النبوي تملكنتني رعدة  
عظيمة ، وخلصت نعلي وتقدمت أمشي في صحن الجامع أتابع خطوات رفيقي ، ثم  
أخذت لنفسي مكانا قصيا صليت فيه ركعتين وأنا غارقة في عالم هو أقرب إلى  
الأحلام .. كان الزحام شديدا حولي والمؤمنون سكوت يصلون ، والقلوب  
واجفة ، والأفئدة خاشعة ولم يكن هناك حوله من يصلى .. ذلك أن محمدا  
ﷺ — منع الصلاة عند قبره ونهى عنها حتى لا يتخذ الناس قبره موطنًا  
للعباداة ، ذلك إنما تكون الصلاة لله وحده — جل جلاله — وليس في الإسلام  
صلاة لغير الله ولا قبله غير الكعبة ..

وفي مكة طففت بالبيت وسعيت .. ولقد تولاني من الخشوع والذهول  
والتوبة والاستغفار والإيمان ماتولاني فرفعت رأسي إلى السماء ودعوت مع  
الداعين ، وبكيت مع الباكين . وطفقت مع الطائفين وأسلمت نفسي للواحد  
الأحد ، وغمرتني روحانية الإسلام فتناسيت نفسي وتناسيت كل شيء !!  
وهكذا نجد أن الإسلام قد أخذ يزحف إلى قلوب المرأة الغربية .. ولعل  
لذلك ما بعده — إن شاء الله — .

وهذه تجربة جديدة أخرى .. تلك هي ( فاطمة نرفسكن ) تقول : إن  
للإسلام فرصة عظيمة في العالم ، لأنه يتضمن جميع الصفات التي يتطلبها دين  
عالمى .. وتستطيع أن ترضى المطالب الروحية والمادية لإنسان هذا العصر ..  
وإن نظامه الاجتماعي يستجيب للفطرة . وإن تعاليمه تخاطب العقل :

- ١ — بما فيه من مساواة كاملة بين الأجناس .
- ٢ — من تلك الحرية التي يتيحها الإسلام لأهله .
- ٣ — الاعتراف بالحياة الدنيوية التي لم يحرم منها الإسلام على معتقيه مآحل  
لهم من طيباتها .

٤ — الاجتهاد في طلب العلم الذي جعله الإسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة وأنه دعا إلى طلبه والسعى فيه وتكبد المشاق في تحصيله .

٥ — المكانة الرفيعة للمرأة المسلمة التي حرص الإسلام على أن يكون لها دورها الفعال في الحياة العامة تسهم فيه بقدر طاقتها واستعدادها مما يدفع عجلة الحياة إلى الامام وبعد : تنطلق حقائق الإسلام في شرايين المجتمع الغربي وتصل إلى مهد المرأة وإلى قلبها ، ومنها ستصل إلى الأجيال الجديدة .. وسنرى — إن شاء الله — .

والسيدة — عائشة لو — : إحدى الغريبات المثقفات اللاتي فتح الله لهن باب الإيمان بالإسلام واعتناقه منذ ستة عشر عاما .. وهي إنجليزية أسلمت وهي تعمل أستاذة في نيجيريا تتحدث عن تجربتها فتقول : إن المرأة المسلمة منحت مساواة روحية وفكرية كاملة مع الرجل وتنال التشجيع — كل التشجيع — لممارسة دينها وتنمية ملكاتها الذهنية حتى نهاية عمرها .. وفي علاقتها مع الرجال يجب أن يرسى الطرفان حشمة المشية والملبس ويتصفان بدستور أخلاقي رائع لايسبغ الاختلاط بين الجنسين . ولا يوافق الأسلوب الإسلامي للحياة على أن يتخذ الشاب له صديقة أو أن تتخذ الفتاة لها صديقا .. كذلك لا يقر حفلات السمر التي يختلط فيها الجنسان ، والرقص بين الرجال والنساء وتعاطى المسكرات والمخدرات وغير ذلك من مظاهر الأسلوب الغربي للحياة والمعروف بأنه يهوى الأوضاع التي لاتنشأ فيها العلاقات الرذولة قبل الزواج وأثناء قيامه .. إن التربية البريئة في الإسلام تم عادة إما داخل نطاق الأسرة أو بين جماعات منفصلة من الرجال وأخرى من النساء لا اختلاط بين الجنسين فيها .

وتقول : لايعتبر الجنس خارج الزواج في الشريعة الإسلامية إنما فحسب .. ولكن أيضا جريمة يدخل مرتكبها تحت طائلة القانون كجريمة السرقة أو القتل أو غيرهما ، ويوقع العقاب المشروع لها على الرجال والنساء على حد سواء .. وهو عقاب صارم فعال ..

وتتحدث عن فهمها لموقف الإسلام من مسألة اللباس فتقول : تستطيع المرأة

المسلمة أن تلبس ما يحلو لها أمام زوجها والعائلة وفي وسط صديقاتها (١) ولكن عندما تخرج خارج البيت أو عندما يتواجد داخل الأسرة رجال آخرون غير زوجها وأقرب الأقرباء في الأسرة فالواجب أن تلبس رداء يغطي كل أجزاء جسمها ولا يظهر شكلها فما أعظمه من دين !! وما أقبحه من تباين في الأزياء الغربية التي تركز — عامدة — في كل عام على كشف مفاتن جديدة في جسم المرأة للنظرات العامة .. لقد رأينا في السنوات القليلة الأخيرة ظهور واختفاء أنواع عديدة من الملابس الفاضحة تحت أسماء ( الميني والميكرو ) السروال الساخن ... إلخ . ولا هدف سوى إبراز أو الكشف عن العورات في جسم المرأة .. ويمكن للمرأة أن تلحظ مؤخرا نزعة مماثلة في ملابس الرجال التي أصبحت ضيقة لدرجة بدت معها وكأنها جلد الرجل نفسه .. إن هدف الرداء الغربي أن يكشف أو يعرى جسم الإنسان في حين أن هدف « الرداء الإسلامي » إخفاء أو تغطية هذا الجسم على الأقل في العلن ، والآية القرآنية المناسبة المتعلقة بالموضوع هي الآية ٥٩ في السورة رقم ٣٣ حيث يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزْوَاجِكِ وَبَنَاتِكِ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ، ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يَعْرِفْنَ فَلَآ يُؤْذِينَ ﴾ صدق الله العظيم وعلى ذلك فقد فرض على المرأة الإسلامية أن تلبس عندما تخرج خارج المنزل رداء يغطيها من الرأس حتى القدمين ولا يظهر شكلها على أن فرض السلوك المحتشم لا يقع على النساء فقط ، ذلك أن وصايا القرآن موجهة للرجال والنساء على حد سواء .

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ أَبْصَارَهُمْ وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنْ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا .. ﴾ إلخ الآيات من سورة النور .

إن الآيات القرآنية تحض النساء على تغطية أنفسهن عند خروجهن من بيوتهن وتحث الرجال والنساء على الغض من أبصارهم وأبصارهن والسلوك بالاحتشام الواجب كل أمام الجنس الآخر ، ومن ثم فإن المسلمات يستطعن أن يخرجن لقضاء

(١) كان ينبغي أن تعلق على ذلك شريطة ألا تكشف العورة وجميع جسمها كله عورة إلا وجهها وكفيها وقدمها وألا يكون الثوب واصفاً أو شفافاً .. لأن العورة محرمة كذلك للمرأة على المرأة وليراجع في ذلك كتاب الحجاب لأبي الأعلى المودودي . ولكنها حديثة عهد بالإسلام — بارك الله فيها —

أعمالهن المشروعة ويمكنهن أن يضعن في الاعتبار أيضا اضطراب بعض المسلمات للخروج بقصد الدراسة وممارسة بعض الأعمال المجالية كالطب والتمريض والتدريس ..

وترى السيدة ( عائشة لو ) أن الإسلام بذلك قد حفظ المرأة وحفظ الأسرة وحفظ المجتمع جميعا من عوامل الفساد. التي يتردى فيها المجتمع الغربي القائم على العري والاختلاط وعلى تعريض المرأة لأخطار الفساد والتردى وتحرير الأسرة المسلمة من اجتماعات الرقص وشرب المسكر وتقول في النهاية : إن النظام الإسلامي حقق المزج المناسب بين الحرية والطمأنينة الذي تبحث عنه المرأة ويفيد المجتمع كله (١) .

### والفرصة مواتية لدعاة الإسلام :

جاء في إعلان رسمي صدر عن الحكومة السوفيتية يؤكد أن هناك واحدا من كل خمسة من الشباب السوفيائي يؤمن بشكل أو بآخر بدين من الأديان وهذا يعني أن حوالي ٣٣ مليوناً من الشباب هناك ممن تزيد أعمارهم عن ١٨ عاما يعتبرون من المؤمنين بالأديان .. فإذا أضفنا إلى ذلك أن ١٠ ٪ من الشباب يمكن وصفهم بالمتبردين بين اعتناق عقيدة دينية أولا فسنجد أن العدد الإجمالي للذين تأثروا بالأديان يبلغ ٥٠ مليوناً من السوفييت .

نشرت هذا جريدة الدبلي تلجراف البريطانية في ٣٠ نوفمبر ١٩٧٦ م لخرها « دافيد فلويد » فهل وعيم ذلك يا شباب ؟ .

عن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها .. وإن أمتى سيبلغ ملكها مازوى لى منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإنى سألت رى لأمتى ألا يهلكها بسنة عامة وألا يسلط عليها عدوا من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم .. وإن رى قال يا محمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإنى أعطيتك لأمتك ألا أهللكم بسنة عامة ، وألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم — ولو اجتمع عليهم من أقطارهم — أو قال : ما بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا

(١) فما رأيك أنت أيها الأخت المسلمة بالوراثة ؟ .

ويسى بعضهم بعضا .. » ( حديث رقم ٢٠٠ صحيح مسلم ) فهلا وعيم ذلك  
يامسلمون ؟ .. ألا تخافوا العدو ولكن خافوا أنفسكم .. وفي الحديث الشريف :  
« إني لا أخشى عليكم الدنيا وإن اجتمعت ولكنى أخشى عليكم أنفسكم » أو كما  
قال — صلى الله عليه —

قبل أن نقرأ :

أمنية يجب أن تتحقق .. كتاب يصدر للشباب المسلم ، ليكون حذرا من  
كل ماهو مكتوب ، ومذاع ، ومنشور .. سواء أكان صحيفة أم كتابا أم مسرحية  
أم فيلما سينائيا .. إن علينا أن نعرف خلفيات مانقرأ مما يعرض علينا وأن تكون  
لنا أرضية في الفهم والأصالة تقوم على معرفة التحديات الحقيقية التي تواجه  
مجتمعنا اليوم ومازالت قائمة بالرغم من التحرر الذي شهده التالم الإسلامي من  
النفوذ الاستعماري ( الاستخراي ) ، ذلك أن هناك نفوذا فكريا وثقافيا مازال  
مستمرا في ثنايا التعليم والثقافة لأن فيها الكثير من مخلفات دنلوب (١) ..

إن علينا أن نعرف أن أمتنا تقع في مكان الصدارة من العالم كله . ولذلك  
فهى مطمع الغزاة من قديم — لا من ناحية الثروات المادية فحسب بل الثروات  
الروحية هى هدفهم بالدرجة الأولى .

ونحن نعيش اليوم الغزوة الصهيونية بعد غزوة الاستعمار ، ومن قبل جاءت  
موجة الحروب الصليبية وحروب الفرنجة — وهى قائمة بعد — كل يقنعنا بصدق  
الوصية التي دعانا إليها رسول الله — صلى الله عليه — ( بأن الجهاد ماض إلى يوم  
القيامة ) . وأن الموجة لن تتوقف بين أهل الإسلام وخصومه .. وأن علينا أن  
نكون مرابطين إلى يوم القيامة ندافع عن أرضنا وقيمنا وعقيدتنا ومقدساتنا ، لأنها  
حياتنا .. يجب أن نقف موقف الحذر من كل ماتلقه إلينا المصادر الغربية والشرقية  
الوافدة ..

لقد خدعنا بأساليبهم في الحكم والتربية والاجتماع — كما أسلفت مكررا في  
كل مناسبة من هذا الكتاب — وجربنا وراء التجربة الأصالة .. طريق الجهاد ..

(١) إلى أعيد القول هنا — رغم أنى قلته عند حديثى عن الثقافة الإسلامية وطالب الجامعة — لأعمق الفكرة  
في قلوب الشباب ليتعدوا عن السم المدسوس في العسل وخاصة الفكر المستورد من اليونسكو أو  
اليونيسيف أو الماسونية أو .. أو .. إلخ .

طريق الشريعة الإسلامية والتربية الإسلامية .. لقد مر المسلمون من قبل بمثل تجربتنا وانتصروا فيها حين اتمسوا الأصالة واستمسكوا بالشريعة الإسلامية ، وعلينا نحن الآن ألا تحتوينا المذاهب ( والأيدلوجيات ) وعندنا منهج الله — القرآن الجامع — الذى لا ينحرف ، والسنة النقية لا مذاهب الفلسفة ولا العقلانية ولا الجبرية الصوفية ولا الحدس الوجدانى .. كل ذلك ركام باطل جدده الباطنية والمجوسية والشعوبية — كما أسلفت — وأعادت صياغته من جديد لتضرب مفهوم التوحيد الخالص ، وإن علينا أن نعرف قبل أن نقرأ ، مَنْ نقرأ له ؟ وما هدفه ؟ وما غايته ؟ وأن نحذر من الفكر الوافد ، لأنه ليس فكر أمتنا ولا يمثل قيم مجتمعا ..

ياأمة محمد .. يا شباب محمد .. يادعاة الإسلام .. يأمل الأمة الإسلامية ، إن المجتمع الإسلامى اليوم فى حاجة إلى القدوة الحسنة — كما كررت ذلك مرارا — وإنه لن تكون هناك قيادة صحيحة إلا إذا كانت فى نفس الوقت قدوة صالحة ، ولن تصل الكلمة إلى القلب إلا إذا تطابقت مع السلوك — ( كان خلقه القرآن — ﷺ ) .

وإلا أدى ذلك إلى نوع من الانفصال الشبكى العنيف الذى يؤدى بالمجتمع إلى عمى البصر والبصيرة .. وإلى اضطراب نفسى ، وتمزق اجتماعى وضياح فكرى وأخلاقى ..

يا أمة محمد : ياخير أمة أخرجت للناس .. جربوا الإسلام مرة واحدة .. ياأمة محمد دعوكم من قضايا الشرق والغرب وعودوا إلى شجرة طيبة تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها .. أصلها ثابت وفرعها فى السماء ..

فلکم البشرى .. روى الإمام أحمد فى مسنده أن تميما الدارى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا دخله هذا الدين يعز عزيزا ويذل ذليلا عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر » .

وعن رسول الله ﷺ « لاتقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً وحتى يصير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق » رواه أحمد .

من حدود الصين إلى منابت الزيتون :

عندما بلغ قتيبة بن مسلم حدود الصين على رأس جيش كثيف أرسل إلى ملكها وفدا فأعاده الملك ساخرا وقال له : قولوا لصاحبكم ينصرف فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه وإلا بعثت عليكم من يهلككم ، قال هبيرة : كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون — الشام — ؟ وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا وغزاك ؟ .

أما تخويفك إيانا بالقتل ، فإن لنا آجالا إذا حضرت فأكرمها القتل فلسنا نكرهه أو نخافه .

هنالك بعث لهم الملك بتراب بلاده ليطأه قائدهم وبعض أولاده ليختمهم ودفع له الميرة .

نريد أمير المؤمنين :

ولما اشتد حصار جيوش المسلمين لبيت المقدس سنة ٦٣٦ م أطل البطريك صفرونيوس على المحاصرين من فوق أسوار المدينة وقال لهم : إنا نريد أن نسلم ونكن بشرط أن يكون التسليم لأمركم ، فقدموا له أمير الجيش ، فقال لا إنما أريد الأمير الأكبر نريد أمير المؤمنين فكتب أمير الجيش إلى عمر — رضى الله عنه — يقول إن القوم يريدون تسليم المدينة لكنهم يشترطون أن يكون ذلك لديك شخصيا فقدم عمر إليهم فسلموه مفتاحها .

هل أدركتم عزة الإسلام ؟ وعزة من يتمسك بالإسلام ؟ ... ياليت !!!

في ظلال القرآن :

وخير ما يفعله المسلم يا شباب أن يعيش حياته في ظلال القرآن فالحياة في ظلاله نعمة — مابعداها نعمة — نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها .. في ظلال القرآن يتعلم الإنسان أنه لا مكان في هذا الوجود للمصادفة العمياء ولا للغفلة العارضة ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرا ﴾ وكل أمر للحكمة ولكن حكمة الغيب العميقة قد لا تنكشف للنظرة الإنسانية القصيرة ﴿ فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا

وهو خير لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴿ والأسباب التي تعارف عليها الناس قد تتبعها آثارها وقد لا تتبعها والمقدمات هي التي تنشئ الآثار والنتائج وإنما هي الإرادة الطليقة التي تنشئ الآثار والنتائج كما تنشئ الأسباب والمقدمات سواء ﴿ لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴿ والمؤمن يأخذ بالأسباب ، لأنه مأمور بالأخذ بها ، والله هو الذي يقدر آثارها ونتائجها والاطمئنان إلى رحمة الله وعدله وإلى حكمته وعلمه هو وحده الملاذ الأمين والنجوة من الهواجس والوساوس ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم ﴿ والمؤمن يعرف بأنه مطالب بأن يعمل بمقتضى إيمانه ويستكمل قواعد إسلامه وأركانه وينتهج القرآن وسنة رسول الله سيرة وسلوكاً ومنهج حياة فانية توصل إلى حياة باقية هي الحياة الحقيقية يعيش لها ويجاهد في سبيلها وعليها يلقي الله ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضلل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴿ أى طمأنينة ينشئها التصور وأى سكينه يفيضها على القلب وأى ثقة في الحق والخير والصلاح ؟ وأى قوة واستعلاء على الصغير يسكبها في الضمير ؟.

والمؤمن في ظلال القرآن ينتهي إلى يقين جازم حاسم أنه لا صلاح لهذه الأرض ولا راحة لهذه البشرية ولا طمأنينة لهذا الإنسان ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة إلا بالرجوع إلى الله .

والرجوع إلى الله — كما يتجلى في ظلال العقيدة الإسلامية — كتاباً وسنة — له صورة واحدة فقط ، وطريق واحد.. واحد لاسواه . إنه العودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذي رسمه للبشرية في كتابه الكريم وطبقه رسوله الكريم إنه تحكيم هذا الكتاب وحده في حياتها والتحاكم إليه وحده وسنة رسوله ﷺ في شئونها وإلا فهو الفساد في الأرض والشقاوة للناس والارتكاس في الحمأة والجاهلية التي تعبد الهوى من دون الله ﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴿ وسنة رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى فلا ضلال بعدهما ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به ﴿ .

إن شريعة الله للناس هي طرف من قانونه الكلي في الكون . فإنفاذ هذه



الشريعة لا بد أن يكون له أثر إيجابي في التنسيق بين سيرة الناس وسيرة الكون والشريعة ، إن هي إلا ثمرة الإيمان لا تقوم وحدها بغير أصلها الكبير فهي موضوعة لتنفيذ في مجتمع مسلم كما أنها موضوعة لتساهم في بناء المجتمع وهي متكاملة مع التصور الإسلامي كله للوجود الكبير وللوجود الإنساني ومع ما ينشئه هذا التصور من تقوى في الضمير ، ونظافة في الشعور ، وضخامة في الاهتمامات ، ورفعة في الخلق ، واستقامة في السلوك ، وهكذا يبدو التكامل والتناسق بين سنن الله كلها سواء ما نسميه القوانين الطبيعية وما نسميه القيم الإيمانية فكلها أطراف من سنة الله الشاملة لهذا الوجود .

والإنسان كذلك قوة من قوى الوجود ، وعلمه وإرادته وإيمانه وصلاحه وعبادته ونشاطه هي كذلك قوى ذات آثار إيجابية في هذا الوجود وهي مرتبطة بسنة الله الشاملة للوجود . وكلها تعمل متناسقة وتعطي ثمارها كاملة حين تتجمع وتتناسق بينما تفسد آثارها وتضطرب وتفسد الحياة معها وتنتشر الشقوة بين الناس والتعاسة حين تفترق وتتصادم ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ فالارتباط قائم وثيق بين عمل الإنسان وشعوره وبين مجريات الأحداث في نطاق السنة الإلهية الشاملة للجميع ولا يوحى بتمزيق هذا الارتباط ولا يدعو إلى الإخلال بهذا التناسق ولا يحول بين الناس وسنة الله الجارية إلا عدو للبشرية يطاردها دون الهدى ينبغي لها أن تطارده وتقصيه من طريقها إلى ربها الكريم .

وأنت أيها المسلم<sup>(١)</sup> مطالب بتبليغ هذه الدعوة وهداية البشرية إليها وتجاهد في سبيلها ولا يوجد هذا الفهم العميق إلا لدى من وحد الله وأسلم له وجهه ولم يتخذ معه من إله .. ولهذا .. كان لا بد للإنسان من عقيدة ولا بد أن تكون العقيدة هي الإسلام ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ ﴿ ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾ .

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين .

(١) وأنت أيها المسلمة :



# الخاتمة

## اداب سلوكية

- تمهيد .
- الدعاء ... أنواره وآدابه وآثاره .
- أدعية يومية .
- مسك الختام .



المفتدين

<http://al-maktabeh.com>

# تمهيد

أخى المسلم ... أختى المسلمة :

فى اعتقادى أن السبيل إلى العقيدة الحقّة قد استبانّت معالمه ، وأن الرؤية قد اتضحت تماما ، وأن طريق الجنة قد أصبح ممهدا — وهو محفوف بالمكاره — وسبيل النار أضحي مكشوفًا وهو محفوف بالشهوات وما على المرء إلا أن يختار وأن يسدد ويقارب فليس بعد الموت من مستعجب وما القبر إلا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار وليس وراء حياة البرزخ إلا الجنة أو النار .. فإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا ﴿ اعلموا أنّما الحياة الدنيا لعب وهو وزينة وتفاجر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .. سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله .. ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ .

ولكن إذا حُمّ القضاء على امرئ فليس له بر يقيه ولا بحر

﴿ إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ﴾ ﴿ وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾ ﴿ إنّما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ ﴿ أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ؟ أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ ﴿ وربكم يجب لكم أن تكونوا ربايين ينصركم ويثبت أقدامكم ويدخلكم جنات النعيم ويدافع عنكم ﴾ ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾ وفى الحديث القدسي : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلىّ مما افترضته عليه ، وما يزال

عبدى يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها ولئن سألتنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيزنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته» (١) .

ولما كانت رسالة الإنسان هى عبادة الله وتوحيده كان لزاما على صاحب العقيدة أن يتقى الله فى سره وإعلانه والمنشط والمكره والرخاء والشدة والسعادة والألم والصحة والسقم ، وأن يكون كما جاء فى الحديث ( صمته فكرا ونطقه ذكرا ونظره عبرا ) (٢) وأن يذكر الله كما كان رسول الله ﷺ على كل أحيانه ولو قصد بكل حرركاته وسكناته وجه الله كان ذلك ذكرا فالصلاة ذكر والصدقة ذكر والصوم ذكر والزكاة ذكر والحج ذكر والجهاد ذكر وإمارة الأذى عن الطريق ذكر والتفكر ذكر .. إلخ .

« الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض » وفى الحديث القدسى ﴿ إنما أتقبل الصلاة من تواضع بها لعظمتى ولم يستطل على خلقى ولم ييت مصرا على معصيتى وقطع النهار فى ذكرى ورحم الأرملة والمسكين وابن السبيل ورحم المصاب » أو كما قال ﷺ عن الله (٣) .

وخير الذكر الخفى وأطيبه قراءة القرآن ﴿ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ وصدق رسول الله ﷺ « إن هذا القرآن مأدبة الله ، فاقبلوا مأدبته ما استطعتم إن هذا القرآن جبل الله المتين والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يزيغ فيستعجب ولا يعوج فيقوم ولا تنقضى

(١) حديث قدسى عن رب العزة .. عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ — قال : « إن الله تعالى قال ﴿ من عادى لى وليا .. ﴾ الحديث » فتح البارى شرح صحيح البخارى المجلد رقم ١١ — حديث رقم ٦٥٠٢ باب التواضع .

(٢) أوصانى ربي بتسع أوصيكم بها .. أوصانى بالاخلاص فى السر والعلانية والعدل فى الغضب والرضا والقصد فى الفقر والغنى وأن أعطى من حرمنى وأصل من قطعنى وأن أعفو عن ظلمنى وأن يكون صمى فكراً ونطقى ذكراً ونظرى عبراً « أو كما قال — ﷺ — .

(٣) راجع كتاب خلق المسلم لفضيلة الشيخ محمد الغزالي .

عجائبه ولا يَخْلُقُ من كثرة الرد اتلوه فإن الله يؤجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات أما إنى لأقول لكم ألم حرف ولكن ألف ولام وميم» رواه الحاكم عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله (١) وقد عرفت سلفا في الفصل الأخير ما يضيفه القرآن الكريم على من يعيش في ظلاله ويستروح نفحاته فهو ربيع القلوب وجليء الهموم ونور البصائر وراحة الضمير وواحة النفوس وحفاظ الأبدان وعبير الأردن وهداية الأبواب وعصمة الجوارح يحس ذلك كل من انفعَلَ به ، وتفاعل معه ، وخالطت آياته شغاف قلبه وسرى منه مسرى الدم من عروقه لأنه كلام الله الحكيم ودستوره الخالد فهو عيادة طبية جامعة ﴿ والله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ﴾ ففيه شفاء النفس والروح والقلب والبدن فيه كل ما اصطُح عليه الطب قديما وحديثا وما يتجدد بعد ذلك من عيادات طبية بدنية ونفسية حيث فيه الدواء الناجع والحل الشافي الناجح لجميع مشكلات الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والتجارية والصحية .. إلخ (٢) .

وقد يبدو هذا الكلام غريبا .. لكنه لو فهم على أنه قانون الحق ومنهج العبود للعبد ودستور رب الناس للناس ، ومنهج الله الذى ينظم حياة البشر لزال العجب (٣) واختفت علامات الاستفهام اقرأ معى — فى عجاله ، وعلى سبيل

(١) وقد مر بك فى الجزء الأول حديث الفتن الذى رواه الترمذى .. عن على — رضى الله عنه — ألا إنها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبا ما كان قبلكم وخير ما بعدكم » الحديث .. فليرجع إليه .

(٢) وما أروع مقال الرافعى — رحمه الله — عن القرآن الكريم :

• ألفاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة ، وإذا هى لانت فأنفاس الحياة الآخرة .. تذكر الدنيا فمنا عمادها ونظامها ، وتصف الآخرة فمنا جنتها وضرامها ، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك فى وجوه الغيوب ، وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعد من حمى القلوب .  
• ومعان بينا هى عذوبة ترويك من ماء البيان ورقة تستروح منها نسيم الجنان ، ونور تبصر به فى مرآة الايمان وجه الأمان ، وبيننا هى ترف بندى الحياة على زهرة الضمير ويخلق فى أوراقها من معان العبرة معنى العبير وتنب عليها بأنفاس الرحمة فتم بسر هذا العالم الصغير ، ثم بينا هى تساقط من الأفواه تساقط الدموع من الأجنان ، وتدع القلب من الخشوع كأنه جنازة ينوح عليها اللسان ، وتمثل للمذب حقيقة الإنسانية حتى يظن أنه صنف آخر من الإنسان . إذا هى بعد ذلك أطباق السحاب وقد انهارت قواعده واتمعت ناره وقصفت فى الجو رواعده ، وإذا هى السماء وقد أخذت على الأرض ذنبها واستأذنت فى صدمة الفرع ربا وكانت ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وإنما هى عند ذلك زجرة واحدة فإذا الخلق طعام الفناء وإذا الأرض مائدة . « مصطفى صادق الرافعى » .

(٣) كم كان بوى أن تتاح الفرصة لإفراد فصل بهذا المفهوم أو فى كتاب والله المعين على ذلك مستقبلا .

المثال لا الحصر ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ ﴿ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾ ﴿شفاء لما في الصدور﴾ ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان (١) تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ ﴿إنه لقرآن كريم﴾ ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ إنه القرآن الكريم العاصم من الانحراف والزلل المخلص من نزغات الشيطان .

فإلهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ، ونور بصائرنا وأبصارنا ، وجلاء همومنا وأحزاننا ومنتفس كرباتنا وشفاء صدورنا وأبداننا اللهم ذكرنا منه ما نسينا وعلمنا منه ما جهلنا وانفعنا بما علمتنا واجعلنا من التالين له آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذى يرضيك منا ياسميع الدعاء وشرح به قلوبنا ومكنا من تنفيذه والتخلق به وتنفيذ أحكامه وأحينا بمعرفتك وأمتنا على الشهادة فى سبيلك إنك على ما تشاء قدير وإنك نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الدعاء ... أنواره وآدابه وآثاره :

أخى المسلم ... أختى المسلمة .. رأيتُ فى مسك الختام أن أضع بين أيديكم بعض الآداب السلوكية الإسلامية فى المأكل والمشرب والملبس والمنام والمشى فى السفر والإقامة .. إلخ . مافى الحياة العملية اليومية من الأدعية المأثورة عن معلمنا العظيم ومرشدنا الكريم سيد الخلق محمد ﷺ حتى ترد المسلم فى كل تصرف فى هذا الوجود إلى ربه وخالقه سبحانه وحتى يكون كما ذكرنا آنفا صمته فكرا ونطقه ذكرا ونظره عبرا كما جاء فى وصية جبريل عليه السلام لنبينا عليه أفضل الصلاة والسلام فىكون المسلم لسانه دائما رطبا وقلبه مطمئنا بذكر الله وقد علمتم أن خير الذكر هو الذكر الحكيم — كلام الله — ثم حديث رسول الله ﷺ وامتنالا لأمر الله — سبحانه — ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا

(١) قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس .. الآيات .



وسبحوه بكرة وأصيلا ﴿ وفي الحديث القدسي ﴾ أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ﴿ متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ومن أطيب الذكر الدعاء فالدعاء مخ العبادة كما حدّث رسول الله ﷺ وصدق الله العظيم ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ وعن ابن عمر رضي الله عنهما ( من فتح باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة وما سئل الله تعالى أحب إليه من أن يُسأل العافية وإن الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل ولا يرد القضاء إلا بالدعاء فعليكم بالدعاء ) والصلاة التي هي صلة بين العبد وربّه معناها في اللغة الدعاء ( وصلّ عليهم ) أي ادع لهم وياحبذا لو تمعنتم في معنى ( مخ العبادة ) مخها خلاصتها لها روحها إنه المناجاة التي تصل العبد بخالقه وقديما قال العربي يا محمد هل ربك قريب فننجاه أم بعيد فنناديه ؟ فنزل قوله تعالى ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾

تنام العيون وهو — سبحانه — لا تأخذه سنة ولا نوم ﴿ تغلق الملوك أبوابها إلا بابه فإنه مفتوح للسائلين — سبحانه — يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، ﴿ ادعوا ربكم ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء الليل ، ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية ، إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ ﴿ واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ﴾ ...

وبعد : فإن للذكر آدابا يجب أن يتحلّى بها الذاكر فهو على مأدبة الله وعلى شرف المثول بين يدي خالقه ، ونحن في حياتنا العامة نهياً للقاء الأجابة والأقارب والأصدقاء وعلية القوم فنحرص على اكتمال الهيئة وحسن المظهر وانسجام الزينة وانتقاء الألفاظ .. إلخ . أوليس رب العالمين بأحق من كل هؤلاء ﴿ والله المثل الأعلى ﴾ ورضي الله عن ابن عمر كان يعلق ثوبا خاصا بالصلاة فلما سئل عن ذلك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله جميل يحب الجمال » فأنا أتجمل لربي

وصدق الله العظيم ﴿ يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ إن الواحد منا إذا كان في حاجة إلى عبد مثله طلب منه هذا الشيء بلطف وأدب وبأسلوب مهذب .. وإذا كان في سجن مثلاً فأراد من سجانه أن يفتح الباب قليلاً ليتنفس عبر الهواء المتجدد ، وليرى إشراقه الشمس الدافئة فإنه يتضرع إليه ويستعطفه فما باله لو طلب العفو والصفح وفك الإسار ؟ تخيل معى ماذا يقول ؟ وما الأسلوب الذى يرجوه به ؟ .

فهذا الخطيئة يقول لعمر رضى الله عنه :

ماذا تقول لأفراخ بنى مرخ      زغب الحواصل لا ماءً ولا شجر  
ألقيت كأسهم فى قعر مظلمة      فاغفر عليك سلام الله يا عمر  
فيا ليت أمى لم تلدني وليتى      رجعت إلى القول الذى قاله عمر

والحديث فى هذا يطول وربنا سبحانه ليس فى حاجة إلى عبادة عباده « ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئاً .. ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك من ملكى شيئاً .. ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته مانقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص الخيظ إذا أدخل البحر ، ياعبادى ! إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفىكم بإياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلو من إلا نفسه » قال سعيد : كان أبو إدريس الخلالى إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه قال أبو إسحق حدثنا بهذا الحديث الحسن والحسين ابنا بشر ومحمد بن يحيى قالوا : حدثنا أبو مسهر فذكر الحديث بطوله .

ونحن مصيرنا بيديه ومآلنا إليه فيجب علينا استحضاره والخشوع عند دعائه والتضرع له بما هو أهله والذكر القولى اللسانى ليس مقصوداً لذاته بل الأوبة إليه والتأوه خوفاً من عذابه والإنابة له ﴿ إن إبراهيم حلیم أواه منيب ﴾ وكل ذلك ذكر وأداء الواجب كما أسلفنا ذكر .. وكل أمر من أمور الدنيا إذا راقبت فيه ربك فهو ذكر إذا صحت النية وصدق العزيمة وصدق الرسول الكريم « مثل الذى يعمل ويحتسب فى صنعته الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ الأجر » .

و « إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصوم ولا الصلاة وإنما يكفرها السعى وراء الرزق » أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

وذنوب العباد لا يكفرها صوم ولا صلاة ولا سعى على المعيشة إلا إعادة الحق إلى صاحبه أو عفوه فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) أنه ضحك حتى بدت ثناياه فقال على رضى الله عنه بأبى أنت وأمى ما يضحكك ؟ فقال اثنان من أمتى جثيا بين يدى الرحمن فقال أحدهما يارب خذ لى مظلمتى من هذا فقال الرب — سبحانه — للمدين اردد على أخيك مظلمته فقال من أين يارب العزة ؟ وأنا لأملك شيئا فقال الرب — سبحانه — لصاحب الحق ماذا تفعل بأخيك ؟ فقال ليعطنى من حسناته فقال المدين لقد نفدت حسناتى فقال : فليحمل عنى من أوزارى وهنا بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاء مرا حتى اخضلت لحيته بالدموع فقال على رضى الله عنه بأبى أنت وأمى يارسول ما ييكك ؟ قال صلى الله عليه وسلم إنه ليوم عصب يوم يحتاج الناس فيه أن يحمل عنهم من أوزارهم وتستمر القصة يقول النبى الكريم صلى الله عليه وسلم فيشير الرب — سبحانه — إلى قصور فى الجنة من ذهب وياقوت وأحجار كريمة قائلا لصاحب الحق انظر فيقول يارب لأى ملك هذا ؟ أو لأى نبى هذا ؟ قال يا عبدى هى لمن أعطى الثمن فقال ومن يقدر على هذا يارب العالمين ؟ فقال أنت يا عبدى بعفوك عن أخيك فقال : أشهدك يارب العزة أنى قد عفوت عنه فيقول الرب عز وجل خذ بيد أخيك وانطلقا إلى الجنة « (٢) .

ومعنى هذا أن الله إذا رضى عن عبد لأعماله الصالحة فى الدنيا تحمل عنه ومنح صاحب الحق ما يرضيه — كما فى القصة — ولهذا كان المصطفى الكريم يدعو بدعاء مأثور فاحفظوه ( اللهم إن لى ذنوبا فيما بينى وبينك وذنوبا فيما بينى وبين عبادك فما كان لك منها فاغفره وما كان لعبادك فتحمله عنى ) .

فلا بد إذن ليكون للذكر أثره فى القلوب وأنواره فى النفوس وقبوله عند الله من مراعاة آدابه .. وإلا كان ألفاظا مجردة جوفاء لا تتجاوز الحناجر وذلك مادعا الفاروق رضى الله عنه لأن يقول : إنى لا أحمل هم الإجابة ولكنى أحمل هم الدعاء

(١) وقد ذكرت القصة فى أول الكتاب .

(٢) والقصة مروية بالمعنى لأنى حفظتها مشافهة وليس تحت يدى الآن مصدرها . وقد مرّ ذكرها فى أول الكتاب .

فإذا كان الدعاء خالصا كانت الإجابة معه .

ومن تلك الآداب مايلي :

١ — رفع اليدين حين الدعاء — دون رفع البصر إلى السماء — فعن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : قال رسول الله ﷺ « لا تستروا الجدر ، ومن نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر في النار .. سلوا الله ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم » .

٢ — والخشوع والتأدب ، واستحضار القلب لمعاني الأفكار ، ومحاولة التأثر بها وملاحظة أهدافها والالتيقن من الإجابة .

فعن أبي هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه » .

٣ — خفض الصوت — ما أمكن — مع يقظة القلب ووعى الضمير — كما تقدم وعدم الرياء واصطناع المسكنة « فإنكم لاتدعون أصم ولا غائبا وإنما تدعون سميعا بصيرا » وأما الرياء والتصنع فقد رأى عمر من أحد أصحابه ذلك فقال له لامت علينا ديننا أمانك الله .

٤ — نظافة الثوب والبدن والمكان — ما أمكن — وإلا فرسول الله ﷺ كان يذكر الله على كل أحيانه ، ومراعاة الأماكن المحترمة والأوقات المناسبة فإن ذلك أدعى للصفاء والنقاء والإخلاص والخشوع وأجدر بالإجابة .

٥ — الهدوء وعدم التشويش على الغير ( ألا إن كلكم مناج لربه فلينظر بم يناجيه ؟ ) فعن أبى موسى — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ أيها الناس : « اربعوا على أنفسكم فإنكم لاتدعون أصم ولا غائبا إنكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم والذى تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته » . .

٦ — التكرير ثلاثا فى الدعاء والاستغفار فعن ابن مسعود رضى الله عنه كان رسول الله ﷺ يعجبه أن يدعو ثلاثا ويستغفر ثلاثا .

٧ — ألا يتعجل الإجابة فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل بقول قد دعوت ربى فلم يستجب لى » ..

٨ — ألا يدعو على ولده ولا على ماله ولا على نفسه بسوء .

عن جابر — رضى الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ « لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافق (١) من الله ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم » .

٩ — أن يبدأ بنفسه إذا دعا لغيره فرسول الله ﷺ كان إذا دعا لأحد بدأ بنفسه .

١٠ — أن يختم دعاءه ( بآمين ) .

عن أبي مصبح القرأى عن أبي زهير الثميرى قال « خرجنا مع النبي ﷺ ذات ليلة فأتينا على رجل قد ألح في المسألة فوقف رسول الله ﷺ يسمع منه فقال أوجب إن ختم فقبل بأى شىء يختم يارسول الله ؟ قال بآمين » وانصرف فقيل للرجل يافلان : قل آمين وأبشر .

١١ — الذكر فى جماعة — ما استطعت إلى ذلك سبيلا — فى الحديث « لا يقعد قوم يذكرون الله — عز وجل — إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فىمن عنده » مع مراعاة موافقة الجماعة وياحبذا لو كان ذلك مع الزوجة والأولاد إذن لرفرت السعادة على البيت وحفته الملائكة بأجنحتها وشملتهم البركة والنجاح والتوفيق .

١٢ — الانصراف فى خشوع وعدم اللهو واللغو الذى يحبط العمل .

١٣ — آداب تلاوة القرآن .

أما إذا كان الذكر قرآنا فله فوق ماتقدم آداب للاستماع وآداب للتلاوة .

فأما آداب الاستماع :

١ — فالإنصات التام والخشوع ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ (٢) ﴿ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت

(١) أى مخافة أن توافق الدعوة ساعة إجابة .

(٢) ومن يشاهد المستمعين للمغنين والمغنيات يعد ذلك قليلا فى حق القرآن الكريم إذا كان جليل البندارى لما كان يسمع أم كلثوم يقول أنا كنت مع أم كلثوم فى محراب الحب مع الأسف .

عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ﴿ ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴿ .

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يستمعون إلى القرآن الكريم وكأن على رؤوسهم الطير .. وكان مشيخة مكة من الصالحين إذا أرادوا التذكر أقبلوا على الشافعي — رحمه الله — وكان حسن القراءة فقرأ عليهم ، واستمعوا فلا يرى الرءاؤون أكثر بكاء منهم في حالهم تلك حين الاستماع ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ﴿ .

وكان المصطفى الكريم ﷺ يحب أن يسمعه من غيره فقد ورد عنه ﷺ أنه كان يطلب من عبدالله بن مسعود أن يقرأ من كتاب الله .. وذات مرة طلب منه ذلك فقال يارسول الله أقرأ عليك وأنت؟ فقال ﷺ إنما أحب أن أسمع من غيري أو كما قال ﷺ فثلا عليه قوله تعالى من سورة النساء ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴾ حتى قوله تعالى ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ فأشار إليه رسول الله ﷺ أن يكف وانهمرت دموعه مدراراً فقال ابن مسعود رضى الله عنه ما يبكيك يارسول الله؟ أمن مخافة من أرسلك؟ فقال ﷺ نعم بعثني على طريق مثل حد السيف إن زغت عنه هلكت أو كما قال ﷺ .

٢ — ويستحب — إتماماً للفائدة — إن كان يتلو على جماعة تلخيص ماتلاً من آيات .

وأما آداب القراءة :

١ — فلا بد من الاجتهاد — كل الاجتهاد — في التفكير والتدبر — وهما أعلى درجات الذكر ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ؟ ﴾ .

حتى إن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ القرآن وجاء ذكر الجنة طلبها من الله وإذا جاء ذكر النار استعاذ منها .. إلخ .

٢ — مراعاة أحكام التجويد والتأثر والانفعال بالقراءة والتحزن وصدق رسول الله ﷺ « إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا .. فإن لم تبكوا

فتباكوا وتغنوا به .. فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا » رواه ابن ماجه والتغنى هو التحزن وإظهار الخشوع من تجويد القراءة والتمثيل كالتعجب والاستفهام واللين والقوة ورفع الصوت .. إلخ . فقد قال رسول الله ﷺ « إن من أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله » رواه ابن ماجه .

وليس المراد بالتغنى الأصوات المنغمة المستحدثة المركبة على أوزان وأوضاع موسيقية ملهية وفيها خروج على قواعد التجويد بضياح المعانى لتحسين الموقف كما يفعل كثير من جماهير القراء السوقيين الذين يتكسبون بذلك على حساب كتاب الله نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ..

وإن من يشاهد المغنين والمغنيات حين التمايل والتلمل تأثرا وتأثيرا ومن يقطعن المناديل و ( الإشارات ) بأيديهن انفعالا وزينة ومنهم ومنهن من يتباكى و .. و .. إلخ . لأقام عليهم وعليهن — كما يقول المثل — مأتما وعويلا !! لأنهم لم يتأثروا ولم ينفعلوا بالقرآن هكذا .

ثم لا يكون التحزن والانفعال بالقراءة تماوتا كما قال عمر رضى الله عنه « لا تمت علينا ديننا أمانك الله » إنما تكون القراءة قراءة والاستماع استماعا واستحضار المولى عز وجل بالخشوع له والاستجابة لآياته ﴿ ثم تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله ﴾ .



## أدعية يومية مأثورة

وهذه آثار نبوية نذكرها للاقتداء في الذكر والدعاء ليكون المسلم ذا كرامته  
على كل أحيائه ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات  
لأولى الأبواب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق  
السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار ﴾ .

ليكون المسلم ربانيا في حياته محمديا في تصرفاته مستحضرا ربه في كل  
لحظة من لحظات حياته « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » أو كما  
قال عليه السلام في كل مناسبة أدعية مأثورة كثيرة تطلب من كتب السنة في أبواب  
الذكر في رياض الصالحين والكتب الستة وزاد المعاد وحياة الصحابة على سبيل  
المثال لا الحصر (١) . وبخاصة ماورد في كتاب الله .

ولكننا سنذكر ذكرا واحدا في كل مناسبة ومن أراد المزيد فليراجع ماأشرنا  
إليه .. وإن كان الدعاء جائزا ومقبولا بأى صيغة مادام من القلب وإنما يستحب  
أن يكون بالمأثور وبما يشبه ألفاظ القرآن ففيه مضاعفة الثواب .

### ١ — دعاء الاستيقاظ من النوم :

« الحمد لله الذى رد على روحى وعافانى فى جسدى وأذن لى بذكره » فإذا  
استيقظ من نومه وذهب عنه أثر النوم قال « لا إله إلا أنت سبحانك اللهم  
أستغفرك لذنبى وأسألك رحمتك .. اللهم زدنى علما ، ولا تزغ قلبى بعد إذ  
هديتنى وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » .

### ٢ — دعاء لبس الثوب وخلعه :

عند الملبس يقول ( اللهم إنى أسألك من خيريه وخير ماهو له وأعوذ بك من  
شره وشر ماهو له ) .

فإذا لبس جديدا قال ( الحمد لله الذى كسانى هذا الثوب ورزقنيه من غير  
حول منى ولا قوة ) وكذلك عند استعمال أى شيء جديد لأول مرة وعند الخلع  
يقول ( باسم الله الذى لا إله إلا هو ) .

(١) وراجع فى ذلك كتاب الاقتداء فى الذكر والدعاء للشيخ محمد صوان .



### ٣ - دعاء الخروج من المنزل :

( باسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله ) فمن قال ذلك يقال له « كفيت ووفيت وهديت وتنحي عنه الشيطان » ( اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو أجهل أو يُجهل علي ) .

### ٤ - دعاء الدخول :

( اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا - وعلى الله ربنا توكلنا .. ثم ليسلم على أهله ) .

### ٥ - المشي إلى المسجد :

( اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصرى نورا وفي سمعى نورا وعن يمينى نورا وعن يسارى نورا وفوق نورا وأمامى نورا واجعل لى نورا ) .

### ٦ - دخول المسجد :

يدخل برجله اليمنى ثم يقول ( باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم افتح لى أبواب رحمتك ) ( اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القويم من الشيطان الرجيم ) قيل فإذا قال ذلك قال الشيطان حفظ منى سائر اليوم .

### ٧ - الخروج من المسجد :

يخرج برجله اليسرى ثم يلبس الحذاء برجله اليمنى قائلا ( باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم إني أسألك من فضلك ) .

### ٨ - قبيل دخول الحمام أو الخلاء لقضاء الحاجة :

( اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث ) ثم يدخل برجله اليسرى .. فإذا خرج يخرج باليمنى ثم يقول ( غفرانك .. الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى ) .

### ٩ - الوضوء والاغتسال :

( اللهم اغفر لى ذنبى ووسع لى فى دارى وبارك لى فى رزقى ) .

## ١٠ - عند سماع الأذان :

يقول مثل ما يقول المؤذن ثم يقول عند قوله ( حى على الصلاة وحى على الفلاح ) ( لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ) ثم يقول بعد نهاية الأذان اللهم ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة .. آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه اللهم مقاما محمودا الذى وعدته إنك لا تخلف الميعاد ) من قال ذلك حلت له شفاعة الرسول ﷺ يوم القيامة .

## ١١ - عند لقائه لأخ يحبه فى الله :

إنى أحبك فى الله ويرد عليه أخوه قائلا أحبك الذى أحببتنى من أجله .

## ١٢ - عند الطعام :

( اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار .. بسم الله الرحمن الرحيم ، فإذا نسى فى أوله فليقل : بسم الله الرحمن الرحيم أوله وآخره ، وإذا كان الطعام لبنا يقول : اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه ) .

## ١٣ - بعد الانتهاء من الطعام :

( الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة ) فإذا كان عند جماعة قال : ( أظطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة الأطهار وذكركم الله فىمن عنده ) أو كما قال ﷺ .

## ١٤ - التهجد :

( اللهم لك الحمد أنت قىوم السموات والأرض ومن فىهن ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فىهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فىهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق ، والجنة حق والنار حق ، والنبىون حق ، ومحمد ﷺ حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لى ماقدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله ) .

## ١٥ - الرؤيا ( الحلم في المنام ) (١) :

فإذا كانت رؤيا يجيها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها .. وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لأحد .

## ١٦ - الفزع في النوم :

( أعود بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ) فإنها لن تضره .

## ١٧ - الأرق :

( اللهم ربّ السموات السبع وما أظلت ورب الأرضين وما أقلت ورب الشياطين كن لي جاراً من شر خلقك أجمعين أن يفرط على أحد منهم أو أن يطغى عزّ جارك وتبارك اسمك ) :

## ١٨ - ختام الصلاة :

( من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة ، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين مرة ، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين مرة فتلك تسع وتسعون وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير - غفر خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر ) .

## ١٩ - دعاء النوم :

إذا جاء فراشه فليفضه بثوبه ثلاث مرات ، وليقل : ( بعد أن ينام على جنبه الأيمن باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه . اللهم إن أمسكت روحي فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين ) .

أو ( اللهم أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك وألجأت جنبى إليك وأسندت ظهري إليك رهبة ورغبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونييت الذى أرسلت ) .

---

(١) الحلم بكسر الحاء حسن الخلق والحلم بضم الحاء واللام البلوغ والحلم بضم الحاء وسكون اللام الرؤيا النامية .

٢٠ - القيام من المجلس :

( سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد ألا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ) .

٢١ - الصباح والمساء :

قراءة آية الكرسي ، وسورة النصر ، والإخلاص « ثلاثا » والمعوذتين ثم يقول : أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله لا إله إلا هو إليه النشور « ثلاثا » .

وفي المساء يقول : أمسينا .. أصبحنا أو أمسينا على فطرة الإسلام وكلمة الاخلاص ، وعلى دين نبينا محمد ﷺ - وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين « ثلاثا » .

( اللهم إني أصبحت - أو أمسيت - منك في نعمة وعافية وستر فأتمم نعمتك على وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة « ثلاثا » ) .

( اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر « ثلاثا » ) .

ياربى لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك « ثلاثا » ( رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا « ثلاثا » سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته « ثلاثا » ) .

( اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ) « ثلاثا » .

( اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت ) « ثلاثا » .

( أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ) « ثلاثا » - ( باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ) « ثلاثا » .

« اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علىّ وأبوء بذنبي فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » (١) .

( اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد ) اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما عدد ما أحاط به علمك وخط به قلمك وأحصاه كتابك وارض اللهم عن ساداتنا أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعن الصحابة أجمعين وعن التابعين وتابعى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ..

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

أدعية مأثورة فى حالات مختلفة :

— دعاء الزواج :

يقول لمن تزوج : ( بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير ) وإذا تزوج قال : ( اللهم ارزقنى خيرا وخير ما جبلت عليه ، وجنبنى شرها وشر ما جبلت عليه ) . وتقول الزوجة ( اللهم ارزقنى خيره وخير ما جبل عليه .. إلخ ) .

— عند الجماع :

( اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا ) قيل فإن رزق فى ليلته يولد (٢) لا يضره الشيطان أبداً أو كما قال — ﷺ —

— إذا رزق بمولود :

أذن الأذان الشرعى فى أذنه حين ولادته .

(١) وقد ورد أن هذا الدعاء هو سيد الاستغفار .

(٢) أو بنت فكل مولود ولد .

## — تعويد الأطفال :

( أعيدك بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ) فإذا أفصح — أو أفصحت — فليعلمه : لا إله إلا الله محمد رسول الله — وإذا سقطت أسنانه فليأمره بالصلاة .

## — إذا رأى وجهه في المرآة :

قال ( اللهم أنت حسنت خَلْقِي فحسن خُلُقِي ، وحرمت وجهي على النار ، الحمد لله الذي سوى خلقى فعدله ، وكرم صورة وجهي فأحسنها وجعلنى من المسلمين ) .

## — إذا صنع أحد إليه معروفا :

قال : جزاك الله خيرا

لقول رسول الله — ﷺ — « من دعاكم فأجيبوه ومن صنع لكم معروفا فكافئوه فإن لم تقدروا فادعوا له حتى تُرَوُّوا أنكم قد كافأتموه » أو كما قال ﷺ .

## — إذا وقع له مالا يختاره :

فليقل : قدر الله وما شاء فعل ، ولا يقول : لو كان كذا لكان كذا فإن لو تفتح عمل الشيطان .

## — إذا أصابته مصيبة :

قال : ( إنا لله وإنا إليه راجعون ) .

( اللهم إني اجتسبت عندك مصيبتى فأجرني (١) فيها وأبدلنى منها خيرا ) .

## — إن غلبه أمر :

قال : ( حسبنا الله ونعم الوكيل ) .

## — إذا غضب :

قال ( أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ) وغير هيئته فإن كان واقفا جلس .

(١) إملائياً : فأجرني .

والوضوء والصلاة عند ذلك خير . وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .

— إذا استصعب شيئا :

قال : ( اللهم لاسهل إلا ماجعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ) (١) .

— إذا ابتلى بالدين :

قال : ( اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عن سواك ) .

— إذا مرض أو اشتكى له أحد من وجع :

وضع يده على موضع الألم ثم قال : ( باسم الله — ثلاث مرات — أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر ) — سبعا —

— إذا عاد مريضا :

قال : ( اللهم أذهب البأس رب العالمين « أو كما قيل رب الناس » اشف — وأنت الشافي — لاشفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما ) ويمسح عليه بيده ويطيب خاطره .

في العزاء :

( إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب ) .

— في صلاة الجنائز :

يقول ( اللهم اغفر له (٢) وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مُدَحَلَه ، واغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله ، وزوجا خيرا من زوجته ، وأدخله الجنة وأعدّه من عذاب القبر — أو من عذاب النار ) .

(١) الحزن بفتح الحاء .

(٢) أولها إن كانت أنثى فدائما يذكر ضمير المذكر للتغليب والأصل للذكر والأنثى .

## في زيارة القبور :

السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية .. أنتم لنا فرط ، ونحن تبع .. اللهم لاتحرمنا أجرهم ولا تفتننا بعدهم ) .

## — من أدعية السفر :

يقول المقيم للمسافر : ( أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ، وأقرأ عليك السلام ، ثم يوصيه فيقول : « عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف (١) اللهم أطوِّ البعد ، وهون عليه السفر زدك الله بالتقوى ، وغفر ذنبك ، ويسر لك الخير ) .

## ويقول المسافر للمقيم :

( أستودعك الله الذي لاتضيع عنده الودائع ) .

## فإذا ركب : (٢)

قال : ( سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ) .

اللهم إني أسألك في سفرى هذا البر والتقوى ومن العمل ماترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا ، واطوِّ عَنَّا بعده . اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل . اللهم أعوذ بك من وعشاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل والولد ) :

## فإذا رجع من سفره :

قالهن وزاد فيهن .. ( آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون ) .

## إذا رأى الهلال :

قال : ( الله أكبر . اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى . ربى وربك الله هلال خير ورشد — اللهم إني أسألك

(٢) دابة أو طائرة أو سيارة ... إلخ .

(١) مرتفع .



من خير هذا الشهر ، وخير القدر ، وأعوذ بك من شره ) .

إذا رأى المطر :

قال : ( اللهم صيبنا نافعا ) : فإذا كثر المطر أو خاف الضرر قال :

( اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت

الشجر ) .

إذا سمع الرعد :

قال : ( اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك ) .

ومن أدعية التوبة :

١ — تبت إلى الله ، ورجعت إلى الله ، وندمت على ما فعلت ، وعزمت على أنى لأعود إلى معصية أبدا ، وأنا برىء من كل دين يخالف دين الإسلام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

٢ — اللهم إن مغفرتك أرجى من عملي ، وإن رحمتك أوسع من ذنبي ، فإن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فرحمتك أهل أن تبلغني لأنها وسعت كل شيء يأرحم الراحمين .. أعددت لكل هول ألقاه في الدنيا والآخرة لا إله إلا الله ، ولكل هم وغم باشاء الله ، ولكل نعمة الحمد لله ، ولكل رخاء وشدة الشكر لله ، ولكل ضيق حسبى الله ، ولكل قضاء وقدر توكلت على الله ، ولكل ذنب أستغفر الله ، ولكل عجب سبحان الله ، ولكل طاعة ومعصية لا حول ولا قوة إلا بالله ، ولكل مصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون ..

٣ — اللهم إنا نسألك التوبة الصادقة وقبولها ، ونعوذ بك من المعصية وأسبابها وذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا .. اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا ، اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ومبلغ علمنا .. اللهم كن لنا ، ولا تكن علينا ، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا .. اللهم أرنا الحق حقا

وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه .. اللهم لاتكلنا إلى نفوسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك يأرحم الراحمين .. اللهم أحينا بمعرفتك وأمتنا على الشهادة في سبيلك ، إنك على ماتشاء قدير وإنك نعم المولى ونعم النصير .

٤ — اللهم يا عالم السر والنجوى يا كاشف الضر والبلوى ، يا من يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء عمن ناداه : نسألك أن تكشف عنا البلاء ، وما حل بنا من الأعداء اللهم فرج كربنا ، وأحسن خلاصنا وفك أسر إخواننا وارحم شهداءنا ، وتقبل توبتنا وبارك أخوتنا ، وأكرم أوبتنا ، وأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا ، وجنبنا الفواحش مظهر منها وما بطن .. ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا .. ربنا إنك رءوف رحيم

٥ — ( رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري ) ( اللهم استر عوراتنا وأمن روعاتنا ) ( اللهم الطف بنا في قضائك وقدرك ) ( اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا ) ( اللهم آت نفسي تقواها وزكها فأنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ) ( اللهم ارزقنا الهدى والتقوى والعفاف والغنى ) ( اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين سلما لأوليائك وعدوا لأعدائك ، نجب بجنبك من أحبك ونعادي بعداوتك من خالفك ) .

٦ — ( رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ) ( ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماما ) ( ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ) .

﴿ ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ .

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم

ونجنا من الهم والغم والكرب العظيم واجعلنا من الذين تجرى من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

اللهم هذا الدعاء، وعليك الاجابه

### دعاء الاستخارة :

يسن لمن أراد أمراً من الأمور المباحة (١) والتبس عليه وجه الخير فيه أن يصلى ركعتين من غير الفريضة — ولو كانتا من السنن الراتبية أو تحية المسجد — في أى وقت من الليل أو النهار يقرأ فيهما بما شاء بعد الفاتحة ، ثم يحمد الله ويصلى على نبيه — ﷺ — ثم يدعو بالدعاء الذى رواه البخارى من حديث جابر — رضى الله عنه — قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها (٢) كما يعلمنا السورة من القرآن يقول : إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين — من غير الفريضة — ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك (٣) بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر (٤) خير لى في دينى ومعاشى وعاقبة أمرى .. أو قال في عاجل أمرى وآجله (٥) فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى في دينى ومعاشى وعاقبة أمرى — أو قال عاجل أمرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم أرضنى به « قال ويسمى حاجته : أى يسمى حاجته عند قوله : اللهم إن كان هذا الأمر .

(١) الواجب والندوب المطلوب الفعل والمحرّم والمكروه مطلوب الترك ، ولهذا لا تجرى الاستخارة إلا في أمر مباح .

(٢) قال الشوكاني هذا دليل العموم وأن المرء لا يحتقر أمراً لصغره ، وعدم الاهتمام به فيترك الاستخارة فيه مما قرب أمر يستخف بأمره فيكون في الإقدام عليه ضرر عظيم أو في تركه ولذلك قال النى — ﷺ — وليسأل أحدكم ربه حتى في شسع نعله .

(٣) أطلب منك الخيرة أو الخير .

(٤) يسمى حاجته .

(٥) يجمع بينهما .

قال النووي : ينبغي أن يفعل بعد الاستخارة ما يشرح له فلا ينبغي أن يعتمد على انشراح كان فيه هوى قبل الاستخارة بل ينبغي للمستخير ترك اختياره رأساً وإلا فلا يكون مستخيراً لله ، بل يكون غير صادق في طلب الخير ، وفي التبري من العلم والقدرة وإثباتهما لله تعالى ، فإذا صدق في ذلك تبرأ من الحول والقوة ومن اختياره لنفسه .

### دعاء الحاجة :

عن عبدالله بن أبي أوفى — رضى الله عنه — قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : ( من كانت له حاجة إلى الله تعالى .. أو إلى أحد من بنى آدم فليتوضأ ، وليحسن الوضوء ، ثم ليصل ركعتين (١) ثم يُثْنِ على الله تعالى وَيُصَلِّ على النبي ﷺ وليقل : لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم — الحمد لله رب العالمين . أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والعصمة من كل ذنب والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم .. اللهم لاتدع لى ذنبا إلا غفرته ولا هما إلا فرجته ، ولا حاجة هي لك رضا (٢) إلا قضيتها يَا أرحم الراحمين .. ثم يسأل من أمر الدنيا والآخرة ما شاء فإنه يقدر ) أخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه .

فما أجمل الإسلام .. ! وما أسمى مراميه .. ! وأعظم بتربيته ، وأكرم بمن أرسل به ، وما أصفى من بلغه — ﷺ — ويالسعادة من طبقه !!! والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين .



(١) من غير الفريضة .

(٢) وقيل يقول بعدها : ( ولنا فيها صلاح إلا قضيتها ويسرتها ) أو كما قيل . أى : لك فيها رضا ولنا فيها صلاح .

مسك الختام :

﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ .  
﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له  
وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ) .  
أخى المسلم ... أختى المسلمة ...

بهذا — وبهذا وحده — يغير الله ما بنا من حالنا إلى أحسن حال : فتكتمل  
لدينا أسباب النصر ، والسعادة فى الدنيا والآخرة — ( إن الله لا يغير ما بقوم حتى  
يغيروا ما بأنفسهم ) فاللهم غيرنا إلى أحسن حال .. آمين .

بهذا وحده — يوجد الفرد المسلم ، ثم يتكون البيت المسلم ، فالأسرة  
المسلمة ، ثم المجتمع المسلم ثم تبدأ المرحلة العليا ، والهدف الأسمى والغاية المثلى من  
الانتساب الشريف إلى هذه العقيدة الإسلامية والدعوة الإنسانية المحمدية .. ألا  
وهى دعوة غير المسلمين إلى الإسلام والجهاد فى سبيل إعلاء كلمته ، حتى تكون  
كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا بعد أن يسلم المسلمون ﴿ يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا .. آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ .. ﴾ فلا بد  
للمسلم من تبييت النية ، وعقد العزيمة على ذلك .

فمن لمن يغزو ولم ينو الغزو فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا ولنا فى  
رسول الله أسوة حسنة ، وقد سبق أن قرأنا حديث رسول الله ﷺ « لوددت أن  
أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل » .

وصدق الرسول الكريم « ما من كَلِمٍ يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة  
على هبته يوم كالم لون لون دم والريح ريح مسك » ١٠١هـ مسلم .

ولا بد أن تكون النتيجة تحقيق وعد الله الذى لا يتخلف .. ﴿ وكان حقا  
علينا نصر المؤمنين ﴾ ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات  
ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ويمكّن لهم دينهم الذى  
ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن

كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴿٢٢﴾ .. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر  
الله .. ﴿٢٣﴾ وفي الآخرة مع الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك  
رفيقا ..

أيها الإخوة والأخوات :

هذا المنهج هو السبيل الأوحيد — ولا سبيل سواه — وإن كان شاقا — حتى  
نبلغ الغاية ونحقق الهدف من الانتساب إلى هذا الدين .

أيها الشاب المسلم ... أيتها الشابة المسلمة :

هذه رسالتك ...

﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما  
أنا من المشركين ﴾ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .. اللهم سدد على  
طريق الدعوة خطانا واغفر زلاتنا وتجاوز عن سيئاتنا واجعلنا ممن يقولون فيعملون  
ومن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

( وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين )

٢٢ من محرم سنة ١٤٠١ هـ

١ من ديسمبر سنة ١٩٨٠

تم بحمد الله في الظهران يوم الاثنين :

المؤلف

عبد العظيم عبد العزيز سبيع

أستاذ الثقافة الإسلامية والموجه الديني

بجامعة البترول والمعادن — سابقا

عفا الله عنه

## المراجع

اسم المؤلف والناشر	اسم الكتاب
الحافظ ابن كثير — رحمه الله	تفسير ابن كثير العظيم
الشهيد سيد قطب — رحمه الله	تفسير في ظلال القرآن
ط دار الشروق	
الشهيد سيد قطب ط دار الشروق	مشاهد القيامة في القرآن
الشهيد سيد قطب ط دار الشروق	التصوير الفني في القرآن
الشهيد حسن البنا — رحمه الله	صفات المتقين في سورة البقرة
الشيخ محمد الصابوني ط دار القرآن	روائع البيان في تفسير آيات الأحكام
الكريم — كويت	
ابن قيم الجوزية	أعلام الموقعين
الشيخ أبو الأعلى المودودي	تفسير سورة النور
الشيخ أبو الأعلى المودودي	الحجاب
الشيخ مصطفى صادق الرافعي	تحت راية القرآن — إعجاز القرآن
الشيخ مناع القطان مؤسسة	مباحث في علوم القرآن
الرسالة — بيروت	
الشيخ محمد شديد	منهج القرآن في التربية
محمد عبدالله السمان سلسلة دار	التربية في القرآن
الاعتصام	
عباس محمود العقاد ط دار الإسلام	الإنسان في القرآن
مصر	

اسم المؤلف والناشر

اسم الكتاب

- الإمامان المحدثان البخارى ومسلم  
محمد فؤاد عبد الباقي ط المكتبة  
الإسلامية
- للصنعاني على متن بلوغ المرام لابن  
حجر العسقلاني ط جامعة الإمام  
محمد بن سعود الإسلامية
- للحافظ بن حجر العسقلاني ط شركة  
السلام العالمية بمصر
- الشيخ حسنين محمد مخلوف
- الشيخ ناصر الدين الألباني
- الشيخ ناصر الدين الألباني
- د . محمد سعيد البوطي
- الشيخ محمد الغزالي
- عباس محمود العقاد
- الإمام — رحمه الله —
- د . مصطفى السباعي ط ٢ المكتب  
الإسلامي
- ابن منظور
- الفيروزابادي
- الميداني
- د . مصطفى السباعي ط ٢ المكتب  
الإسلامي
- د . محمد الطيب النجار
- العقيد الركن محمود شيت خطاب
- مكتبة الحياة — بغداد
- الؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه  
الشيخان
- سبل السلام شرح بلوغ المرام
- مختصر الترغيب والترهيب
- شذرات من معجزات وخصائص  
الرسول ﷺ
- الأحاديث الضعيفة
- حجة النبي ﷺ
- فقه السيرة
- فقه السيرة
- العبقریات
- مكتبة الإمام الشهيد حسن البنا
- السنة ومكانتها في التشريع
- لسان العرب
- القاموس المحيط
- مجمع الأمثال
- المرأة بين الفقه والقانون
- تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن والسنة
- الرسول القائد



الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي  
ط ٢ سنة ١٩٦٩ م  
الحافظ النووي

الحافظ النووي د. مصطفى الخن  
وآخرون - مؤسسة الرسالة  
مصطفى بن محمد بن عبد الله - دار  
العربي مصر سنة ١٩٥٢ م  
الشيخ سيد سابق ط دار الكتاب  
العربي بيروت

خالد محمد خالد  
خالد محمد خالد

د. علي سامي النشار - المكتبة  
العربية - حلب

شرح وتعليق محمد ناصر الألباني  
المكتب الإسلامي

أبو بكر الجزائري ط دار الفكر  
محمد بن سالم الكدادى البيهاني ط  
العصرية كويت سنة ١٩٧٢ م  
محمد بن سالم الكدادى البيهاني ط  
دار مصر للطباعة

البي الخولي

الشهيد سيد قطب ط دار الشروق  
الشهيد سيد قطب ط دار الشروق  
الشهيد سيد قطب ط دار الشروق  
الشهيد سيد قطب ط دار الشروق

بهجة قلوب الأبرار ورقة عيون  
الأخبار في شرح جوامع الأخبار  
رياض الصالحين  
نزهة المتقين شرح رياض الصالحين

عنوان النجاة في معرفة من مات  
بالمدينة من الصحابة  
فقه السنة

رجال حول الرسول  
بين يدي عمر

شهداء الإسلام في عهد النبوة

العقيدة الطحاوية

منهاج المسلم  
إصلاح المجتمع

أستاذ المرأة

المرأة بين البيت والمجتمع  
العدالة الاجتماعية في الإسلام  
معالم في الطريق

نحو عالم أفضل  
خصائص التصور الإسلامي  
ومقوماته

الشهيد سيد قطب ط دار الشروق	دراسات اسلامية
الأستاذ محمد قطب ط ٦	شبهات حول الإسلام
الأستاذ محمد قطب ط ٦	جاهلية القرن العشرين
الأستاذ محمد قطب ط ٦	الإنسان بين المادية والإسلام
الأستاذ محمد قطب ط ٦	هل نحن مسلمون
الأستاذ محمد قطب ط ٦	قبسات من الرسول ﷺ
الشيخ أبو الأعلى المودودي	نظام الحياة في الإسلام
الشيخ أبو الأعلى المودودي	مبادئ الإسلام
الشيخ أبو الحسن الندوي ط دار الكتاب العربي	ماذا خسر العالم باخطا المسلمين
الشيخ محمود شلتوت	الإسلام عقيدة وشرعية
الشيخ محمد الغزالي ط دار الاعتصام	ركائز الايمان
الشيخ محمد الغزالي ط دار الاعتصام	ظلام من الغرب
الشيخ محمد الغزالي ط دار الاعتصام	الزحف الأحمر
الشيخ محمد الغزالي ط دار الاعتصام	معركة المصحف
الشيخ محمد الغزالي ط دار الاعتصام	الإسلام المقتري عليه
الشيخ محمد الغزالي ط دار الاعتصام	التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام
الشيخ محمد الغزالي ط دار الكتب	عقيدة المسلم
د. خالص جليبي كنجو	الطب محراب للايمان
د. أديب الصالح	النظم الإسلامية
د. منصور فهمي	خواطر نفس
د. يوسف القرضاوي	الايمان والحياة
د. يوسف القرضاوي	حتمية الحل الإسلامي
د. يوسف القرضاوي — دار العربية	مشكلة الفقر وكيف عاجلها الإسلام
د. يوسف القرضاوي — دار العربية	العبادة في الإسلام

اسم المؤلف والناشر	اسم الكتاب
سعيد الأفغانى	الإسلام والمرأة
أحمد أغايف ترجمة سليم قبعين سنة ١٩٠٥	حقوق المرأة فى الإسلام
أمير على الهندى ط ١٩٠٢ م	مركز المرأة فى الإسلام
ابن القيم الجوزية ط دار الكتب العلمية - بيروت	الروح
ترجمة محمد خلف الله أحمد	الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة
الشهيد عبد القادر عودة - رحمه الله	التشريع الجنائى الإسلامى مقارنا بالتشريع الوضعى
الشهيد عبد القادر عودة - رحمه الله	الإسلام وأوضاعنا القانونية
الشيخ عبد المتعال الجبرى	شطحات مصطفى محمود
د. بنت الشاطيء	القرآن والتفسير العصرى
د. بنت الشاطيء	نساء النبى ﷺ
صالح الفلكى	العلم يدعو إلى الايمان
د. محمد المبارك ط دار الفكر - بيروت	نظام الإسلام العقيدة والعبادة
د. أحمد العسال	الإسلام وبناء المجتمع
الشيخ أحمد محمد جمال	مفتريات على الإسلام
الشيخ أحمد محمد جمال	محاضرات فى الثقافة الإسلامية
الشيخ محمد الشعراوى	كتيبات وأشرطة
الأستاذ محمد أسد	محاضرات روح الحضارة الغربية
د. بكر بن عبد الله بكر	محاضرات الطريق إلى التقية
د. على الدفاع	الموجز
د. على الدفاع	نوابغ علماء العرب والمسلمين
د. محمد عفيفى	تطور الفكر عند المسلمين
ترجمة محب الدين الخطيب	الغارة على العالم الإسلامى

اسم المؤلف والناشر	اسم الكتاب
تعليق شكيب أرسلان	حضارة الإسلام
تعليق شكيب أرسلان	حاضر العالم الإسلامي
محمد مشهور الحداد	الإسلام في وجه التحديات
د. زغلول النجار مكتبة الفلاح	أزمة التعليم في مصر
سعيد حوى دار الكتب العربية— بيروت	حول الأصول الثلاثة لله— الرسول— الإسلام
د. عفت الشراوى ط دار النهضة العربية— بيروت سنة ١٩٧٩ م	في فلسفة الحضارة الإسلامية
توينبى ترجمة أمين محمود الشريف ط الخليى	الحضارة في الميزان
أنور الجندى ط دار الاعتصام	صفحات مضيئة من تراث الإسلام
لورد كرومر	مصر الحديثة
محمد حسين	الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر
د. محمد محمد حسين ط المكتب الإسلامى	حصوننا مهددة من داخلها
د. عزام	بطل الأبطال

\* \* \*

# فهرس الكتاب

صفحة	الموضوع
٣	من المنهج السماوى .....
٥	الإهداء .....
٧	شكر وتقدير .....
٩	أمل ورجاء .....
١١	بين يدى الكتاب .....
١٥	تقدمه .....
<b>الجزء الأول</b>	
١٧	أيها الأخ المسلم هذه رسالتك .....
١٧	الباب الأول : الثقافة والمدنية .....
١٩	الفصل الأول : الثقافة الإسلامية وعلوم التقنية .....
٢١	مفهوم الثقافة .....
٤١	الفصل الثانى : الإسلام والمدنية .....
٦٧	الباب الثانى : أيها الشباب المسلم هذه رسالتك .....
٦٩	الفصل الأول : العقيدة الإسلامية .....
١١٧	الفصل الثانى : مع الملاحدة والعلمانيين .....
١٦٣	الفصل الثالث : المعجزات .....
<b>الجزء الثانى</b>	
٢٢٣	الباب الثالث : وأنتى أيتها الأنتخت المسلمة هذه رسالتك .....
٢٢٩	الفصل الأول : المرأة فى جاهلية القرن العشرين .....

صفحة	الموضوع
٢٥١	الفصل الثاني : المرأة في الإسلام .....
٢٨٣	الفصل الثالث : المرأة في جاهلية القرن العشرين .....
٣٢١	الفصل الرابع : أجل .. لقد آن الأوان .....
٣٥١	الباب الرابع : المجتمع المثالي في ظلال الإسلام .....
٣٥٥	الفصل الأول : مدرسة الرسول الأعظم .....
٣٦٣	الفصل الثاني : هؤلاء وهؤلاء .....
٣٦٩	الفصل الثالث : صفحات مضيئة من تراث الإسلام .....
٣٩١	الفصل الرابع : وأنتم معقد الأمل ومحط الرجاء يا شباب .....
٤١٩	الخاتمة : آداب سلوكية .....
٤٣٢	أدعية يومية ماثورة .....
٤٤٥	مسك الختام .....
٤٤٧	المراجع .....



رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٧: ٧٥١٦

الترقيم الدولي ١ ١٧٥ ١٤٢ - ٩٧٧

دار النور للطباعة والإخراج الفني

٢ - شارع نشاط شبرا القنطرة

ت: ٧٧٣٢٢١